

مِنْهَا مَجَالِ الْبَرَايَةِ

فِي مَشْرِحِ مَنَاجِجِ الْبَلَاغَةِ

لِوَلِيِّهَا

الْعَلَامِ الْمُحْتَمِلِ الْحَاجِّ مُرَادِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

الْمَشْهُورِ بِالنُّزُومِيِّ قَدِ سَمِعَهُ

مِنْ مَنَشُورَاتِ

الْمَكْتَبِ الْأَسْلَامِيِّ

طهران، شارع ١٥ خرمشهر

تلفون: ٥٦٥٢٢٨-٥٦١٩٦٦

# مِنْهَا مَنَاجِجُ الْبِرِّ وَالْإِخْلَاقِ

في شرح منج البلاغة



لمؤلفه

الْعَالِمُ الْمُحْتَمَلُ الْحَاجُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْهَاشِمِيِّ الْجَوْزِيِّ قَدِيسْرَهُ

عني بتصحيحه وتذييبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الطبعة الرابعة

الجزء الثالث عشر

الناشر:

مكتبة الاسلامية بطهران

شارع البوردجهرى تليفون (٥١٩٦٦)

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن كلام له عليه السلام عند دفن  
الزهراء سلام الله عليها وهو  
المأتان والواحد من المختار  
في باب الخطب

وهو مروى في الكافي و في كشف الغمة وفي البحار من أمالي الشيخ  
ومجالس المفيد باختلاف وزيادة تطلع عليه انشاء الله

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكِ ،  
وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ، قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقِّ  
عَنْهَا تَجَلْدِي ، إِلَّا أَنْ لِي فِي التَّاسِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ،  
مَوْضِعَ تَعَزٍّ ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي  
وَصَدْرِي نَفْسُكَ .

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَأَخَذَتْ  
الرَّهْيَنَةَ ، أَمَا حَزَنِي فَسَرَمَدٌ ، وَأَمَا لَيْلِي فَمُسْتَهْدٌ ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي

دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، وَاسْتَبْتَبْتُكَ ابْتِتُّكَ بِتَطَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا ،  
فَأَخْفِيهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتَخْبِرْنَاهَا الْحَالَ ، هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ  
الذِّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مُودِّعٌ ، لَا قَالَ وَلَا سَمِعَ ، فَإِنَّ  
أَنْصَرَفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أَقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنِّ بِهَا وَعَدَاةِ الصَّابِرِينَ .

### اللغة

(التجلد) تكلف الجلادة ، وهي القوة والشدة كما في القاموس والكنز

قال الشاعر :

بتجلدي للشامتين اريهم      إنني لريب الدهر لأتضعع  
أوتكلف الجلد ، وهو الصبر قال الشاعر :

ما الاصطبار لاسلمى أم لها جلد      إذا الاقي السدى لاقاه أمالي  
وأصل الجلد كما في القاموس جلد البؤة تحشى تماما ويخيل للنساقة فتعطف  
بذلك على ولد غيرها أو جلد حوار يلبس حواراً آخر لترامه أم المسلوخة ، وعلى ذلك  
فاطلاقه على الصبر مجاز لعلاقة السببية .

(والفرقة) بالضم اسم من الافتراق (عزيتة) تعزية قلت له: أحسن الله عزاك أي  
رزقك الصبر الحسن ، والعزاء اسم من ذلك مثل سلم سلاماً وكلم كلاماً ، وتعزى  
هو تصبر وشعاره أن يقول: إن الله وإننا إليه راجعون .

(واسترجعت) و(أخذت) بالبناء على المجهول (والسهد) بالضم الأرق وقد سهد  
سهداً من باب فرح ، والسهد بضمين القليل النوم ، وسهدته فهو مسهد أي مورق  
وهو زوسهدة يقظة (هضمه) هضماً من باب ضرب دفعه عن موضعه فانهضم ، وقيل: هضمه  
كسره وهضمه حقه نقصه هكذا في المصباح ، وقال في القاموس: هضم فلا نأظلمه  
وغصبه كاهضمه وتهضمه فهو هضم .

(والاحفاء) في السؤال المبالغة فيه والاستقصاء (فليت) الرجل أقلية من باب

رمي قلمي بالكسر والقصر ومقلية ابغضه فأناقال و (سئم) الشيء ساماً وساماً وسامة مل منه فهو سؤم وسئم و(أقام) بالبلد إقامة اتخذها وطناً فهو مقيم .

### الاعراب

قوله : إلا أن لي استثناء منقطع ، وموضع تمزُّباً لنصب اسم أن وقدم خبرها للتوسُّع ، وقوله : في ملحودة قبرك ، إضافة الملحودة إلى القبر من إضافة الصفة إلى الموصوف لبيانية كما توحهم ، والتأنيث باعتبار الخطئة والحفرة ، وقوله : وأما ليلى فمسهد ، من المعجاز العقلي من باب الاسناد إلى الزمان كما في قول الشاعر رحمه الله :

وبات و باتت له ليلة  
كليلة ذى العائر الأرمد

وقوله : إلى أن يختار ، ظرف لغو متعلق بقوله مسهد ، وقوله : استخبرها الحال ، قال الشارح الممتزلي : أي عن الحال فحذف الجار ، والأظهر أن يجعل الحال مفهوماً به والجار محذوفاً قبل الضمير أي استخبر عنها الحال ، وقوله : هذا ولم يطل العهد ، خبر هذا محذوف على أنه مبتدأ أو فاعل لفعل محذوف ، وجملة ولم يطل في محلّ النصب على الحال ، وقوله : لا قال ولا سئم ، صفة لمودع .

### المعنى

اعلم أن هذا الكلام كما قال السيد «ره» قد روى عنه عليه السلام أنه قاله عند دفن سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام إظهاراً للتفجّع بمصائبها والتوجّع من ألم فراقها كما لمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره ، وينبغي قبل الشروع في شرح كلامه أن نذكر طرفاً من الأخبار الواردة في تسميتها سلام الله عليها بفاطمة وفي تسميتها بسيّدة النساء وبالزهراء .

أما تسميتها بفاطمة .

الشيخي البحار من العيون بالاسناد إلى دارم قال : حدثنا علي بن موسى الرضا و محمد بن علي عليهما السلام قالوا : سمعنا المأمون يحدث عن الرّشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده قال : قال ابن عباس لمعاوية : أتدرى لم سميت فاطمة فاطمة؟ قال : لا ، قال : لأنّها فطمت هره وشيعتها من النار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول .

وهن العيون بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إني سميت ابنتي فاطمة لأن الله عز وجل فطمها وطم من أحبها من النار .

وهن علل الشرايع بسنده عن يزيد بن عبد الملك عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما ولدت فاطمة سلام الله عليها أوحى الله عز وجل إلى ملك فانطق به لسان محمد ﷺ فسمّاها فاطمة ثم قال : إني فطمتك بالعلم و فطمتك عن الطمّ ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام : والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمّ في الميثاق . قال المحدث العلامة المجلسي «ند» بمد نقله : فطمتك بالعلم أي أرضعتك بالعلم حتى استغنيت و فطمت ، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم ، أو جعلت فطامك من اللبن مقروناً بالعلم كناية عن كونها في بدء فطرتها عالمة بالعلوم الربانية ، وعلى التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول كالدافق بمعنى المدفوق ، و يقره على بناء التفعيل أي جعلتك قاطعة للناس من الجهل ، أو المعنى لما فطمها من الجهل فهي تفظم الناس منه ، والوجهان الأخيران يشكلان إجرأوهما في قوله فطمتك عن الطمّ إلا بتكلف بأن يجعل الطمّ كناية عن الاخلاق والأفعال الذميمة .

وفي البحار من المناقب عن الصادق عليه السلام قال : تدري أي شيء تفسير فاطمة ؟ قال : فطمت من الشر ، ويقال إنما سميت فاطمة لأنها فطمت عن الطمّ .  
و أما تلقبها بسيدة النساء .

فقد روى في البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : أتاني ملك فبشّرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أو نساء امتي .

وعن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ في خبر أما أنها سيدة النساء يوم القيامة .  
ومن الامالي بسنده عن الحسن بن زيد العطار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول رسول الله ﷺ : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أسيّدة نساء عالمها ، قال ﷺ : تآك مريم و فاطمة سيدة نساء الجنة من الأولين والأخريين فقلت : فقول رسول الله ﷺ : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ؟ قال : والله هما سيّدا شباب أهل الجنة من الأولين

والآخرين .

ومن معاني الأخبار بإسناده عن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله في فاطمة : إنها سيّدة نساء العالمين أمي سيّدة نساء عالمها ؛ فقال : ذلك لمريم كانت سيّدة نساء عالمها و فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوابين والآخرين .

ومن الأما إلى بسنده عن سعيد بن المسيّب عن ابن عباس قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ و فاطمة والحسن والحسين فقال : اللهم إنك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي و أكرم الناس عليّ فاحبب من أحببتهم ، و ابغض من أبغضهم ، و وال من والاهم ، و عاد من عاداهم ، و أعن من أعانهم ، و اجعلهم مطهّرين من كل دنس ، معصومين من كل ذنب ، و أيتدهم بروح القدس منك .

ثمّ قال : يا عليّ أنت امام امتي و خليفتي عليها بعدى ، و أنت قائد المؤمنين إلى الجنّة ، و كأنّني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملك ، و بين يديها سبعون ألف ملك ، و عن يسارها سبعون ألف ملك ، و خلفها سبعون ألف ملك ، تقود مؤمنات امتي إلى الجنّة فأيا امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلاة ، و صامت شهر رمضان ، و حجّت بيت الله الحرام ، و زكّت مالها ، و أطاعت زوجها ، و والّت عليّاً بعدى دخلت الجنّة بشفاعة ابنتي فاطمة ، و أنّها لسيّدة نساء العالمين من الأوابين والآخرين ، و أنّها لتقوم في محرابها فيسلمّ عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقرّبين ، و ينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون : يا فاطمة إنّ الله اصطفيك و طهّرك و اصطفيك على نساء العالمين .

ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام و قال : يا عليّ إنّ فاطمة بضعة منّي و هي نور عيني و ثمرة فؤادي يسوؤني من «ما» ساءها و يسرّني من «ما» يسرّها ، و أنّها أوّل من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدى ، و أمّا الحسن والحسين فهما ابناي و ریحانتاي وهما سيّدات شباب أهل الجنّة فليكونا عليك كسمعك و بصرك .

ثمّ رفع يده إلى السماء فقال : اللهمّ إنّي اشهدك أنّي محبّ لمن أحببتهم ،

و مبيض لمن أبغضهم ، وسلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم ، و عدو لمن عاداهم  
و ولي لمن والاهم .

و اما تلقبها بالزهراء .

فقد روى في البحار من معاني الأخبار ، و علل الشرائع عن الطالقاني عن  
الجلودي عن الجوهري عن ابن عمارة عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة  
لم سميت زهراء ؟ قال : لأنها كانت إذا قامت في محرابها ظهر نورها لأهل السماء  
كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض .

و من العلل بسنده عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : لم سميت  
فاطمة الزهراء زهراء ؟ فقال : لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمتها ، فلما أشرقت  
أضأت السماوات والأرض بنورها ، و غشيت أبصار الملائكة و خرت الملائكة  
ساجدين لله و قالوا : إلهنا و سيدنا ما هذا النور ؟ فأوحى الله إليهم : هذا نور من  
نوري أسكنته في سمائي خلقته من عظمتي اخرجته من صلب نبي من أنبيائي أفضله  
على جميع الأنبياء و اخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمرى يهدون إلي حقني  
«خلقى» و أجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي .

و من المناقب عن أبي هاشم العسكري قال : سألت صاحب العسكر لم سميت  
فاطمة الزهراء ؟ فقال : كان وجهها يزهر لأمر المؤمنين عليهم السلام من أول  
النهار كالشمس الضاحية ، و عند الزوال كالقمر المنير ، و عند غروب الشمس  
كالنجم الدري .

و من العلل بسنده عن أبان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يا ابن رسول  
الله صلى الله عليه وآله لم سميت الزهراء زهراء ؟ قال : لأنها تزهر لأمر المؤمنين في النهار  
ثلاث مرات بالنور :

كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة و الناس في فراشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى  
حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه  
عماراً ، فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلى



والنور يسطع من محرابها ومن وجهها فيعلمون أن الندى رأوه كان من نور فاطمة  
 فاذا انصف النهار وترتبت (١) للصلاة زهر نور وجهها بالصفرة فتدخل  
 الصفرة في حجرات الناس فتصفر ثيابهم و ألوانهم فيأتون النبي ﷺ فيسألونه  
 عمأرأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وظهر نور وجهها  
 صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها بالصفرة، فيعلمون أن الندى رأوا كان  
 من نور وجهها .

فاذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمر وجه فاطمة ﷺ وأشرق وجهها  
 بالحمرة فرحاً وشكراً لله عز وجل فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر  
 حيطانهم فيعجبون ذلك و يأتون النبي ﷺ ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل  
 فاطمة فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده وتحمده ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون  
 أن الندى رأوا كان من نور وجه فاطمة .

فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين فهو يتقلب في وجوهنا إلى  
 يوم القيامة في الأئمة من أهل البيت إمام بعد إمام .  
 إذا عرفت ذلك فلنشرع في شرح كلامه ﷺ فأقول :

بده ﷺ بالسلام قبل الكلام رعاية لرسم الأدب و مواظبة على الندب فقال:  
 ( السلام عليك يا رسول الله عنى و عن ابنتك النازلة في جوارك ) أى في البقيع كما  
 روى عن ابن عباس في حديث وفاتها قال: فلما أرادوا أن يدفنوها نودوا من بقعة من  
 البقيع إلى إليّ فقدرت تربتها منى، فنظر فاذا هي بقبر محفور، فحملوا السرير  
 إليها فدفنوها ، أو في بيتها وهو المشهور .

روى في البحار من المناقب قال : قال أبو جعفر الطوسي : الأصوب أنها  
 مدفونة في دارها أو في الروضة يؤيد قوله قول النبي ﷺ : إن بين قبري ومنبري  
 روضة من رياض الجنة ، و في البخارى بين بيتي و منبري ، قالوا : حد الروضة

١- أى ثبتت في معرابها كما فى اللغة أو تهيأت من الترتيب العرفى بمعنى جعل كل

شئ فى مرتبته ، ويحتمل أن يكون تصحيف تزيت ، بحار .

ما بين القبر إلى المنبر إلى الاساطين التي تلي صحن المسجد .  
وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة ، فقال : دفنت في بيتها فلمّا زادت بنو اميّة في المسجد صارت في المسجد ورواه أيضا في الكافي عن عليّ بن محمد وغيره عن سري بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام مثله .

( والسريعة للمحاق بك ) واردة في مقام التفجع والتشكي من تواتر المحن والمصائب الموجبة لقص عمرها والمعدة لسرعة لحاقها به سلام الله عليها وعلى أبيها .  
وروى في البحار من المناقب عن البخارى و مسلم والحلية و مسند أحمد بن حنبل عن عايشة أن النبي ﷺ دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكيت ، ثم دعاها سارها ظهرا فضحكت ، فسألت عن ذلك فقالت : أخبرني النبي ﷺ أنه مقبوض فبكيت ، ثم أخبرني أنني أول أهله لحوقاً به فضحكت .

ومن المناقب من كتاب ابن شاهين قالت أم سلمة و عايشة : إنهما لماسئلت عن بكائها و ضحكها فقالت أخبرني النبي ﷺ أنه مقبوض فبكيت ، ثم أخبر أن بنيه سيصيبهم بعدى شدة فبكيت ، ثم أخبرني أنني أول أهله لحوقاً به .  
وقد اختلف الأخبار جداً في مدة بقائها بعد أبيها .

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين : كانت وفاة فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ بمدة يختلف في مبلغها ، فالمكثر يقول : ثمانية أشهر ؛ والمقلد يقول : أربعين يوماً إلا أن الثبت في ذلك ما روى عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام أنها توفيت بعده بثلاثة أشهر ؛ حدثني بذلك الحسن بن عليّ عن الحرث عن ابن سعد عن الواقدي عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن عليّ .

و في كشف الغمة و نقلت من كتاب الذرية الطاهرة للدولابي في وفاتها ما نقله عن رجاله قال : لبثت فاطمة عليها السلام بعد النبي ﷺ ثلاثة أشهر .  
وقال ابن شهاب ستة أشهر وقال الزهري ستة أشهر ومثله عن عايشة و مثله من عروة بن الزبير .

وعن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام خمساً وتسعين ليلة في سنة إحدى عشرة و قال ابن قتيبة في معارفه مائة يوم و قيل ماتت في سنة إحدى عشرة ليلة الثلثا لثلاث ليال من شهر رمضان المبارك وهي بنت تسع و عشرين سنة أو نحوها.

وفي البحار عن الكفعمي في الثالث من جمادي الآخرة .

و في الكافي بسنده عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة و سبعين يوماً و كان دخلها حزن شديد على أبيها و كان يأتيها جبرئيل فيحسن عزها على أبيها و يطيب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانه و يخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، و كان عليّ عليه السلام يكتب ذلك .  
كانت وفاة الصديقة سنة إحدى عشرة .

قال في البحار بعد نقله الأخبار على كثرة اختلافها :

**أقول :** لا يمكن التطويق بين أكثر تواريخ الولادة والوفاة و مدة عمرها الشريف ، و لا بين تواريخ الوفاة و بين ما مرّ في الخبر الصحيح أنها عاشت بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً ، إذ لو كان وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في الثامن و العشرين من صفر كان على هذا وفاتها في أواسط جمادى الأولى ، ولو كان في ثاني عشر ربيع الأول كما ترويه العامة كان وفاتها في أواخر جمادى الأولى ، و ما رواه أبو الفرج عن الباقر عليه السلام من كون مكثها بعده ثلاثة أشهر يمكن تطبيقه على ما هو المشهور من كون وفاتها في ثالث جمادي الآخرة هذا .

وإما مدة عمرها فالأخبار فيه أيضاً مختلفة .

ففي الكافي ولدت فاطمة بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين ، و توفيت ولها ثمان عشرة سنة و خمسة و سبعين يوماً ، و بقيت بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً .

و نحوه في البحار من عيون المعجزات للسيد المرتضى قال : روى أن فاطمة عليها السلام توفيت ولها ثمان عشرة سنة و شهران و أقامت بعد النبي صلى الله عليه وآله خمسة و سبعين يوماً و روى أربعين يوماً .

وفي البحار من بعض كتب المناقب القديمة عن سيد الحفاظ أبي منصور الديلمي

باسناده ان عبد الله بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبى فقال هشام لعبد الله بن الحسن : يا أبا محمد كم بلغت فاطمة بنت رسول الله ﷺ من السن؟ فقال : بلغت ثلاثين ، فقال للكلبى : ما تقول ؟ قال : بلغت خمسا و ثلاثين ، فقال هشام لعبد الله : ألا تسمع ما يقول الكلبى؟ فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين سئلتني عن أمي فأنا أعلم بها و سل الكلبى عن أمها فهو أعلم بها .

وعن العاصمي باسناده عن محمد بن عمر قال : توفيت فاطمة بنت محمد ﷺ لثلاث ليال خلون من شهر رمضان وهي بنت تسع وعشرين أو نحوها وقال محمد بن اسحاق توفيت ولها ثمان وعشرون سنة وقيل : سبع وعشرون سنة .

وفى رواية أنها ولدت على رأس سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ فيكون سنها على هذا ثلاثا وعشرين ، والأكثر على أنها كانت بنت تسع وعشرين أو ثلاثين ، والله العالم بحقايق الوقائع .

ثم إنه عليه السلام على رسول الله ﷺ شرع في اظهار التفجع والأسف فقال : ( قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ) قال الشارح المعتزلي اجله ﷺ عن أن يقول عن ابنتك فقال عن صفيتك وهذا من لطايف عبارته ومحاسن كنياته عليه السلام أقول : وفيه مضافا إلى ذلك الإشارة إلى كونها صفة له مختارة عنده كما أنها كانت صفة لله حسب ما عرفت في رواية الامالي المتقدمة في وجه تسميتها بسيدة النساء من أن الملائكة يسلمون عليها وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون : يا فاطمة إن الله اصطفىك وطهرتك واصطفىك على نساء العالمين .

وفى البحار من النخال فيما أوصى به النبي ﷺ إلى علي عليه السلام يا علي إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاخترني منها على رجال العالمين ، ثم أطلع الثانية فاخترت علي رجال العالمين بعدي ، ثم أطلع الثالثة فاخترت الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك ، ثم أطلع الرابعة فاخترت فاطمة على نساء العالمين وفيه الإشارة أيضا إلى ما كان له ﷺ في حقها من التبجيل والمحبة

والاعظام ما لم يكن في حق غيره حتى روي عن القرطبي في كتاب إكمال الأكمال أن فاطمة «رض» أحب بناته وغيرهم وأكرهم عنده وبيدة نساء الجنة و كان إذا قدم من سفره بده بالمسجد فيصلي ركعتين ثم ببیت فاطمة «رض» فيسأل عنها ثم يدور على نساءه إكراماً لفاطمة واعتناءً بها .

وفي البحار من الأمالي بسنده عن عائشة بنت طلحة عن عايشة قالت : ما رأيت أحداً من الناس أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة كانت إذا دخلت عليه رحب بها وقبل يديها وأجلسها في مجلسه ، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحبت به وقبلت يديه ، الخبر .

ومن المناقب من جامع الترمذي وأبانه السكبري وخبر فاطمة عن أبي علي الصولي وتاريخ خراسان بن السلامي مسنداً أن جميعاً التميمي قال : دخلت مع عمتي علي عايشة فقالت لها عمتي : ما حملك على الخروج علي علي؟ فقالت عايشة : دعينا فوالله ما كان أحد من الرجال أحب إلي رسول الله ﷺ من علي ، ولا من النساء أحب إلي من فاطمة

وقوله ( ورق عنها تجلدي ) أي ضعف عن فراقها تحملي للجلد والصبر من عظم الرزية وشدة المصيبة .

( إلا أن لي في التأسى ) والافتداء ( بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز )

وهو وارد مورد التسلية لنفسه القدسيّة ، فانه لما ذكر عظم وجده في افتقاد الصديقة سلام الله عليها وشدة تأثيره فيه استدرك ذلك بأنسي قد أصبت قبل ذلك بعظيم فراقك وثقل مصابك فصبرت عليه مع كونه أعظم رزءً وأشدّ تأثيراً فينبغي لي أن أفتدى في الصبر على تلك المصيبة الحادثة بالصبر على هذه المصيبة الماضية لكونها سهلاً عندها .

وبعبارة أوضح فكأنه يقول : إن صفتك وان عظم بفراقها المصاب و قل عنها الصبر والتحمل إلا أن فراقك قد كان أعظم وأجل ، ومصابك أشدّ وأثقل فكما صبرت في تلك الرزية العظمى فلئن أصبر في هذه المصيبة كان أولى وأحرى

ثم أكد شدة تأثيره برفاقه وَأَهْلِيهِ بشرح بعض حالاته معه عَلَيْهِ حين موته المفيدة لمزيد اختصاصه به فإن الاختصاص كلما كان أزيد كان تأثير الفراق أشد فقال ( فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ) أي اتخذت لك وسادة في قبرك المعمولة فيها اللحد وهو كناية عن دفنه له فيها بيده .

( و فاضت بين نحري وصدري نفسك ) و قد مضى تحقيق معنى هذه الفقرة و تفصيل الكلام فيها و في سابقتها في شرح الخطبة المائة و السادسة و التسعين فليراجع هناك .

والمراد بهاتين الفقرتين حسبما أشرنا إليه إظهار مزيد تفجعه بصيبته بِهِ و تجرعه بغصص الفراق ، فإن أعظم المصائب و أشد الآلام أن يخج روح أحب الخلق إلى الرجل و رأسه في صدره و أن يدفنه بيده في قبره .  
ثم لما كان الاسترجاع موجباً للسُّلوة و لجبران المصيبة مضافاً إلى ما فيه من عظيم الأجر و الاستبشار بالنعمة الدائمة استرجح و قال :

( إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ) أمّا الاستبشار فلقوله تعالى « و بشر الصّابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون \* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و أولئك هم المهتدون » و أمّا السُّلوة و الأجر العظيم :

فلما رواه في الصّافي من مجمع البيان عن النّبي ﷺ من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته و أحسن عقابه ، و جعل له خلفاً صالحاً يرضيه قال : و قال : من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً و إن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثله يوم أُصيب .

وفيه من الكافي عن الباقر عليه السلام ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكر المصيبة إلا غفر الله له كل ذنب فيما بينهما .

و عن الصادق عليه السلام من ذكر مصيبة و لو بعد حين فقال : إنا لله و إنا إليه راجعون و الحمد لله ربّ العالمين اللهم أجرني على مصيبتني و اخلف عليّ أفضل منها ، كان له من الأجر مثل ما كان له عند أوّل صدمته .

وقوله عنه (فلقد استرجعت الوديعه وأخذت الرهينة) استعمار عنه لفظ الوديعه والرهنه لثلك النفس الكريمة لأن الأرواح كالوديعه والرهن في الأبدان أولاً والنساء كالوديع والرهنه حين الأزواج يجب عليهم مراقبتهم و محافظتهم كما يجب على المستودع والمرتهن حفظ الوديع والرهنه .

ثم ذكر ما ناله من تلك المصيبة فقال : ( أمّا حزني فسرمد و أمّا ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ) يريد أن حزنه دائم وأنه يسهر ليله إلى انتقاله إلى الدار الآخرة والتحاقه برسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس القدس ومحفل الانس .

وهذا كما قال الشارح المعتزلي من باب المبالغة التي يستعملها الفصحاء والشعراء في كلامهم وهم من محاسن البلاغة قال الشاعر :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم و حزن طويل

وإنما قلنا : إنه من باب المبالغة لأنه ما سهر منذ ماتت فاطمة عليها السلام إلى أن قتل وانما أسهر ليلة أو شهر أو سنة نعم دوام الحزن فهو على حقيقته فانه لم يزل حزناً إذا ذكرت فاطمة عليها السلام عنده .

ثم ساق الكلام مساق التشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء فعل الأمة بعده فقال ( و سننبئك ابنتك بتظافر أمّك على هضمها ) لا يخفى ما في هذه العبارة من حسن البيان مع بديع الإيجاز فإن التظافر بمادته التي هي الظفر وهو الفوز على المطلوب يدل على أن هضمها كان مطلوباً لهم لكنهم لم يكونوا متمكنين من الفوز به مادام كونه بالتشكي حياً بين أظهرهم ، فلما وجدوا العرصه خالية من وجوده الشريف فازوا به .

وان كان مأخوذاً من أظفر الصقر الطائر من باب افتعل وتظافر أي أعلق عليه ظفره وأخذه برأسه فيدل على أنهم علقوا أظفارهم على هضمها قاصدين بذلك قتلها وإهلاكها .

ثم إن المعاني الخمسة المذكورة للهضم كلها مناسبة للمقام .

أما المعنى الأول فلأنهم قد تظافروا على رفعها عن محلها و مقامها الذي كان لها و حطّوها عن مرتبتها المقررة و لم يراعوا في حقها ما كان لازماً عليهم من التبجيل و الاعظام و التعظيم و الاكرام ، بل عاملوا معها معاملة الرعية و السوقة حتى البأواها إلى الخروج إلى مجامع الرجال في أمر فذك و غيره مثل ساير النسوة البرزة .

وعلى المعنى الثاني فيكون إشارة إلى ما صدر عنهم من كسر ضلعها و اسقاط جنينها يوم اخراجه ﷺ من البيت ملبياً للبيعة .  
وعلى الثالث فيكون إشارة إلى اجتماعهم على نقص حقها المقرر لها بقوله تعالى : و آت ذا القربى حقه .  
ومثله المعنى الخامس فيكون إشارة إلى غضب فذك .

وأما المعنى الرابع فهو أولى بالارادة لشموله جميع مظالمها و ما وقع في حقها من الظلم و الجور ، فالى الله المشتكى من سوء عمل الامة و شنيع فعلهم بالعترة و ما أدرى

ماذا يقولون إذ قال النبي لهم	ماذا فعلتم و أنتم آخر الامم
بعترتى و بأهلى بعد مفتقدي	منهم اسارى و منهم ضرّ جوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم	أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

( فاحفها السؤال ) أى بالغ فى سؤالها و استقص فى مسألتها ( و استخبرها الحال ) أى حالها و حالى بعد ارتحالك و افتقادك .

( هذا ) أى تظافر الامة على الهضم كائن ( و الحال انه ) لم يطل العهد ( أى عهدهم بك أو ما عاهدتهم عليه من المودة فى القربى و المواظبة بالثقلين ) ولم يخل منك الذكر ( أى لم يرتفع ذكرك الجميل عن أفواههم .  
و محصله انه لم يطل المدة من موتك حتى ينسوا و صاياك المنأ كدة فى حق العترة أو يغفلوا من صنائعك العظيمة فى حقهم فيقابلوها بهذا الكفران العظيم .  
ولما أراد الوداع ختم كلامه بالسلام كما بدء به جرياً على مجارى عادة



الأحباب عند وداع بعضهم لبعض فقال

( والسلام عليكمما سلام مودع ) محبّ مشناق مشفق ( لاقال و لاسئم ) أى لا مبغض لكما ولا ملول من طول صحبتكما وأوضح ذلك بقوله ( فان أنصرف ) عن زيارتكما ( فلا عن مالة وان اقم ) أى أقمت عند ضريحكما ( فلا عن سوء ظن بما وعدا الله الصابرين ) بقوله : « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و اولئك هم المهتدون » .

### تذنيب

ينبغي لنا أن نذكر شطراً من الأخبار فيما وقع عليها من الظلم و بكائها و حزنها و شكايتهما في مرضها و كيفية وفاتها و دفنها صلوات الله عليها و لعنة الله على غاصبي حقها و ظالميها فأقول :

روى في كشف الغمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ويوسف ، وفاطمة بنت محمد عليها السلام ، وعلی بن الحسين عليهما السلام .  
فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه مثل الأودية .

وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له : تالله تفتؤنذكر يوسف حتى تكون حرصاً أو تكون من الهالكين .

وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا : إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل ، وإما أن تبكي الليل وتسكت النهار فصالحهم على واحد منهما .  
وأما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها قد أذيتنا بكثرة بكائك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضى حاجتها و تنصرف .

وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين و ما وضع بين يديه طعام قط إلا بكى حتى قال له عليه السلام مولى له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إنني أخاف عليك أن تكون من الهالكين قال : انما أشكوبشئى و حزني إلى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون ، إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتمني

لذلك العبرة .

وفي البحار من الأمالي عن الدقاق عن الأسدی عن النخعي عن النوفلي عن البطائي عن أبيه عن ابن جبیر عن ابن عباس في خبر طويل أخبر فيه النبي ﷺ بظلم أهل البيت قال ﷺ :

وأما ابنتي فاطمة فإنها سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وهي بضعة مني ، وهي نور عيني ، وهي ثمرة فؤادي ، وهي روعي التي بين جنبي ، وهي الحوراء الانسية متى ما قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زهر نورها للملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلوبها على عبادتي اشهدكم أنني قد امننت شيعةنهما من النار .

واني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأنني بها وقد دخل الذلّ بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت ارثها وكسرت جنبها واسقطت جنبينها وهي تنادي يا عمّاه فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث ، فلا تزال بعدي محزونة مكرّوبة باكية تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّة وتتمذكّر فراقى أخرى وتستوحش إذا جنبها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن ، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت أيام أبيها عزيزة ، فعند ذلك يونسها الله تعالى ذكره بالملائكة فناداتها بما نادى به مريم بنت عمران فنقول يا فاطمة إن الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .

ثمّ يبتدء بها الوجع فتمرض فيبعث الله عزّ وجلّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتونسها في علّتها فتقول عند ذلك : ياربّ إنني قد سئمت الحياة وتبرّمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي ، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة فأقول عند ذلك : اللهمّ العن من ظلمها وعاقب من غصبها وذلل من أذلّها ، وخلّد في نارك من ضرب جنبها حتى ألفت ولدها فتقول الملائكة عند ذلك : آمين .

ومن كتاب دلائل الامامة للطبري بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قبضت فاطمة في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشر من الهجرة ، وكان سبب وفاتها أن قنفذ مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ولم تدع أحداً ممن أذاها يدخل عليها .

وكان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سألا أمير المؤمنين أن يشفع لهما إليها فسألها أمير المؤمنين عليه السلام فلما دخلها قال لهما : كيف أنت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت : بخير بحمد الله ، ثم قالت لهما : ما سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول : فاطمة بضعة مني من أذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله ، قالوا : بلى ، قالت : فوالله لقد آذيتما ، قال : فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما

**اقول :** وقد تقدم في المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشعشقية برواية سليم بن قيس الهلالي تفصيل كيفية دخول قنفذ اللعين بيت فاطمة وإحراق بابها وبعض مظالمها ، وأوردنا بعض ما تقدم من رواية سليم ملخصاً ورضيف إليه ما لم يتقدم هناك بحسب اقتضاء المقام وما أوردناه هنا نقله من المجلد العاشر من البحار على ما لخصه أيضاً فأقول :

قال المحدث العلامة المجلسي : وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي برواية أبان بن أبي عياش عنه عن سلمان وعبد الله بن العباس قالوا : توفي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم توفى فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف واشتغل علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته ، ثم أقبل علي تأليف القرآن وشغل عنهم بوصية رسول الله فقال عمر لأبي بكر : يا هذا إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته فابعث إليه ، فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له : قنفذ ، فقال : يا قنفذ انطلق إلى علي فقل له أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فبعثنا مراراً وأبى علي عليه السلام أن يأتيهم فوثب عمر غضباً ونادى خالد بن الوليد وقنفذا فأمرهم أن يحملوا حطباً وناراً

ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام فاعده خلف الباب فدعصبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى يا ابن أبي طالب افتح الباب. فقالت فاطمة عليها السلام خلف الباب: يا عمر ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه ، قال : افتحى الباب و إلا أحرقنا عليكم ، فقالت يا عمر ، أما تتقي الله تدخل على بيتى وتهجم على دارى بغير اذنى . فأبى أن ينصرف .  
ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب ثم دفعه عمر فدخل فاستقبلته فاطمة وصاحت يا أبتاه يا رسول الله ، فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجى به جنبها فصرخت يا أبتاه ، فرفع السوط فضرب به ذراعها ونادت يا رسول الله بئس ما خلفك أبو بكر وعمر .

فوثب على بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر فصرعه ووجى أنفه ورقبته وهم بقتله فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به من الصبر والطاعة فقال : والذي أكرم محمداً بالنبوّة يا ابن صحاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتى فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار فكاثروه وألقوا في عنقه حبلا فحالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت فضربها فنفذ المعلمون بالسوط فماتت حين ماتت وأن في عضدها كمثل الدملج من ضربته لعنه الله ، فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيناً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة. وساق الحديث إلى أن قال -

قال ابن عباس : ثم إن فاطمة بلغها أن أبا بكر قبض فدكا فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر فقال : يا أبا بكر أتريد أن تأخذ منى أرضاً جعلها لى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدعا أبو بكر بدواة ليكتب به لها فدخل عمر لعنه الله فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لا تكذب لها حتى تقيم البيعة بماتدعى ، فقالت فاطمة : عليّ وأمّ أيمن يشهدان بذلك فقال عمر : لا تقبل شهادة امرأة أعجمية لا تنصح وأما عليّ فيجرّ النار إلى قرصته ، فرجعت فاطمة عليها السلام مغتاظة فمرضت وكان عليّ عليه السلام يمسى في المسجد الملوّات الخمس ، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر

كيف بنت رسول الله إلى أن ثقلت فسلأ عنها وقالوا وقد كان بيننا وبينها ما قد علمت فان رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا ، قال : ذاك إليكما ، فقام فجلسا في الباب .

فدخل عليّ على فاطمة فقال : أيتها الحرّة فلان وفلان في الباب يريدان أن يسلمّا عليك فما تريدان ؟ قالت : البيت بيتك والحرّة زوجتك وافعل ما تشاء ، فقال : سدّي قناعك فسدت قناعها وحوّلت وجهها إلى الحايط ، فدخلنا وسلمّا وقالوا ارضي عنا رضي الله عنك ، فقالت : مادعا إلى هذا فقالوا اعترفنا بالاساءة ورجونا أن تعفي عنا ، فقالت إن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه فاني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه ، فان صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما قالا : سل عما بدا لك ، قالت : نشدتكما بالله هل سمعتم رسول الله ﷺ يقول : فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟ قالا : نعم ، قال : فرفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم إنهما قد آذيانني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك لا والله لأرضى عنكما أبدا حتى ألقى أبي رسول الله ﷺ واخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما قال : فعند ذلك دعى أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعا شديدا فقال عمر له :

تجزع يا خليفة رسول الله ﷺ من قول امرأة؟! .

قال : فبقيت فاطمة بعد وفاة أبيها أربعين ليلة فلما اشتدّ بها الأمر دعت إليها عليا وقالت : يا ابن عمّ ما أراني إلا لما بي وإني أوصيك أن تتزوّج بامامة بنت اختي زينب يكون لولدي مثلتي ، واتخذ لي نعشا فاني رأيت الملائكة يصفونه لي ؛ وأن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ .

قال ابن عباس : فقبضت فاطمة عليها السلام من يومها ، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء ، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان عليا عليه السلام ويقولان له : يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله ﷺ .

فلما كان الليل دعا علي عليه السلام العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعمارا

فقدّم العباس وصلّى عليها ودفنوها ليلاً .

فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام فقال المقدر : قد دفننا فاطمة البارحة ، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال : ألم أقل لك إنهم سيفعلون فقال العباس : إنها أوصت أن لا تصلّي عليها ، فقال عمر : لا تتركون يا بنى هاشم حسدكم القديم لنا أبداً إن هذه الضغائن الذي في صدوركم لن تذهب والله لقد هممت أن انبشها فأصلّي عليها ، فقال علي عليه السلام : والله لو رمت ذلك يا ابن صهاك لارجعت إليك يمينك ، لئن سللت سيفي لا غمدته دون إزهاق نفسك ، فانكسر عمر وسكت وعلم أن علياً عليه السلام إذا حلف صدق .

ثم قال علي عليه السلام يا عمر ألسنت الذي هم بك رسول الله صلى الله عليه وآله وأرسل إليّ فجئت منقلداً سيفي ثم أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله عز وجل « فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عداً » .

وفي كشف الغمة روى أنها عليها السلام أوصت علياً وأسماء بنت عميس أن يغسلاها . وعن ابن عباس قال : مرضت فاطمة مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلي ما بلغت (١) فلا تحمليني على سرير ظاهر فقالت : لا لعمري ولكن أصنع نعشا كما رأيت يصنع بالحبشة قالت : فأرنيها ، فأرسلت إلي جرايد رطبة فقطعت من الأسواق ثم جعلت على السرير نعشاً وهو أول ما كان النعش ، فتبسّمت وما رأيت متبسّمة إلا يومئذ ثم حملناها ودفناها ليلاً وصلّى عليها العباس بن عبدالمطلب ونزل في حفرتها هو وعليّ والفضل بن العباس .

وعن أسماء بنت عميس أن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفيها لمن رأى فقالت أسماء : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله اني أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة قال : فدعت بجر يدة رطبة فحسنتها ثم طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل ، قال : قالت فاطمة : فاذا متّ فاغسليني أنت ولا يدخلن

على أحد ، فلما توفيت فاطمة جاءت عايشة تدخل عليها فقالت أسماء : لا تدخل فكلّمت عايشة أبا بكر فقالت : إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين ابنة رسول الله ﷺ وقد جعلت لها مثل هودج العروس ، فقالت أسماء : أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع لها ذلك فقال أبو بكر : اصنعي ما أمرتك ، فانصرف وغسلها على وأسماء .

وقيل : قالت فاطمة لأسماء حين توضأت وضوءها للصلاة : هاتي طيبى الذي أتطيب به ، وهاتي ثيابى التي ألقى فيها ، فتوضأت ثم وضعت رأسها فقالت لها : اجلسى عند رأسى فإذا جاء وقت الصلاة فأقيمىنى فان قمت وإلا فأرسلنى إلى على فلما جاء وقت الصلاة قالت : الصلاة يا بنت رسول الله ﷺ ، فإذا هى قد قبضت فجاء على فقالت له : قد قبضت ابنة رسول الله ﷺ قال على : متى ؟ قالت : حين أرسلت إليك ، قال : فأمر أسماء فغسلتها وأمر الحسن والحسين يدخلان الماء ، ودفنها ليلا وسوى قبرها فعوتب على ذلك فقال : بذلك أمرتني .

وفي البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن ابن جبير عن ابن عباس قال : أوصت فاطمة عليها السلام أن لا يعلم إذا ماتت أبو بكر ولا عمر ، ولا يصلوا عليها قال : فدفنها على ليلا ولم يعلمهما بذلك .

وعن الأصبغ بن نباتة أنه سأل أمير المؤمنين ع عن دفنها ليلا ، فقال : إنهابانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاهم أن يصلوا على أحد من ولدها .

وروى أنه ع سوى قبرها مع الأرض مستويا وقالوا سوى حوالها قبورا مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها .  
وروى انه رش أربعين قبرا حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور ، فيصلوا عليها .

وفي البحار وجدت في بعض الكتب خبراً في وفاتها عليها السلام فأحببت إيراده وإن لم آخذه من أصل يعول عليه .

روى ورقة بن عبد الله الأزدي قال: خرجت حاجتاً إلى بيت الله الحرام راجياً لثواب الله رب العالمين فبينما أنا أطوف وإذا أنا بجارية سمراء مليحة الوجه عذبة الكلام وهي تنادى بفصاحة منقطعاً وتقول :

اللهم رب الكعبة الحرام والحفظة الكرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ورب محمد خير الأنام البررة الكرام أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين وأبنائهم الغر المحجلين الميامين، ألا فاشهدوا يا جماعة الحجّاج والمعتمريّن إن موالى خيرة الأخيار وشفوة الأبرار الذين علا قدرهم على الأقدار وارتفع ذكرهم في ساير الأمصار المرتدين بالفخار .

قال ورقة بن عبد الله فقلت : يا جارية إنني لأظنك من موالى أهل البيت ، فقالت أجل قلت : و من أنت من موالىهم ؟ قالت : أنا فضة أمة فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها ، فقلت لها : مرحباً بك وأهلاً وسهلاً فلقد كنت مشتاقاً إلى كلامك و منطقتك فأريد منك الساعة أن تجيبيني من مسألة أسألك فإذا أنت فرغت من الطواف قفي لى عند سوق الطعام حتى آتيك وأنت مثابة مأجورة فافترقنا في الطواف .

فلما فرغت من الطواف وأردت الرجوع إلى منزلي جعلت طريقي على سوق الطعام وإذا بها جالسة في معزل عن الناس ، فأقبلت إليها واعتزلت بها وأهديت إليها هدية ولم أعتقد أنها صدقة ثم قلت لها : يا فضة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء عليها السلام وما الذي رأيت منها عند وفاتها بعد موت أبيها محمد صلى الله عليه .

قال ورقة : فلما سمعت كلامي تفرغرت عيناه بالدموع ثم انتحبت نادبة وقالت : يا ورقة بن عبد الله هيّجت عليّ حزناً ساكناً وأشجاناً في فؤادي كأنك كائمة فاسمع الآن ما شاهدت منها .

اعلم أنه لما قبض رسول الله ﷺ افتجع له الصغير والكبير وكثر عليه البكاء وقل العزاء وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب ، ولم تلق إلا كلّ باك وبأكية ونادب ونادبة ، ولم يكن في أهل الأرض



والأصحاب و الأقرباء أشدَّ حزناً وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي فاطمة الزهراء ، وكان حزنها يتجدد ويزيد ، وبكاؤها يشند فجلمت سبعة أيام لا يهدى لها أنين ولا يسكن منها حنين ، وكل يوم جاء كان بكاءها أكثر من اليوم الأول .

فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن فلم تطق صبراً إذ خرجت وصرخت فكأنها من فم رسول الله ﷺ تنطق ، فتبادرت النسوان وخرجت الولائد و الولدان ، وضج الناس بالبكاء والنحيب ، وجاء الناس من كل مكان ، واطفيت المصابيح لكيلا تتبين صفحات النساء ، وخيل إلى النسوان أن رسول الله ﷺ قد قام من قبره ، وصار الناس في دهشة و حيرة لما قد رهبهم ، وهي تنادى و تدب أباه و أبتاه و صفياءه و عطاءه و أبا القاسم و اربيع الأرامل و اليتامى اه من اللقبة و المملّى ، و من لابنتك الوالهة الثكلى .

ثم أقبلت تعترفي أذيالها وهي لاتبصر شيئاً من عبرتها ومن تواتر دمعها حتى دنت من قبر أبيها محمد ﷺ فلما نظرت إلى الحجر وقع طرفها على المأذنة فقصر خطاها ودام نحيبها وبكاها إلى أن اغمى عليها ، فتبادرت النسوان إليها فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتى أفادت وهي تقول :

رفعت قوتي ، و خانني جلدي ، و شمت بي عدوي ، و الكمد قاتلي ، يا أبتاه بقيت والهة وحيدة و حيرانة فريدة فقد انخمد صوتي ، و انقطع ظهري ، و تنغص عيشي ؛ و تكدر دهرني ، فما أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي ، ولا راداً لدمعتي ولامعينا لضعفي ، فقد فنى بعدك محكم التنزيل ، و مهبط جبرئيل ، و محل ميكائيل انقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب ، و تغلقت دوني الأبواب ، فأنا للدينا بعدك قالية ، و عليك ما ترددت أنفاسي باكية ، لا ينفد شوقي إليك ، و لا حزني عليك .

ثم نادت : يا أبتاه و البتاه ثم قالت :

و فؤادي والله صب عنيد  
و اكننا بي عليك ليس يبديد  
فبكائي كل وقت جديد

إن حزني عليك حزن جديد  
كل يوم يزيد فيه شجونني  
جل خطبي فبان عنسي عزائي

إن قلباً عليك يألف صبراً أو عزاء فاتّه لجليل

ثم نادى: يا أبتاه انقطعت بك الدنيا بنوارها، وزوت زهرتها وكانت يبهجتك زهرة فقد اسود نهارها، فكان يحكي حنادسها رطبها ويابسها، يا أبتاه لازلت آسفة عليك إلى التلاق، يا أبتاه زال غمصى منذ حقّ الفراق، يا أبتاه من للأرامل والمساكين، ومن للامة إلى يوم الدين، يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت الناس عنّا معرضين، ولقد كتبناك معظمين في الناس غير مستضعفين فأى دمة لفراقك لاتنهمل، وأي حزن بعدك عليك لا يتصل، وأي جفن بعدك بالثوم يكتحل، وأنت ربيع الدين، ونور النبيين، فكيف للجبال لا تمور، وللبحار بعدك لا تغور، والأرض كيف لم تتزلزل، رميت يا أبتاه بالخطب الجليل، ولم يكن الرزية بالقليل، وطرقت يا أبتاه بالمصاب العظيم، وبالقادح المهول، بكتك يا أبتاه الأملاك، ووقفت الأفلاك فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك خال من مناجاتك، وقبرك فرح بمواراتك، والجنّة مشتاقّة إليك وإلى دعائك وصلاتك، يا أبتاه ما أعظم ظلمة مجالسك، فوا أسفا عليك إلى أن أقدم عاجلاً عليك وأكمل أبو الحسن المؤتمن أبو ولديك الحسن والحسين وأخوك ووليك وحبيبك ومن ربّيته صغيراً وأخيته كبيراً وأحلي أحاباك وأصحابك من كان منهم سابقاً ومهاجراً وناصرراً، والشكل شاملنا، والبكاء قاتلنا، والأسى لازمنا .

ثم زفرت زفرة وأنت أنة كادت روحها أن تخرج ثم قالت :

قل صبرى و بان عني عزائي	بعد فقدى لخاتم الأنبياء
عين ياعين اسكني الدمع سحّا	ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الاله يا خيرة الله	وكهف الأيتام و الضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً	والطير والأرض بعد بكى السماء
و بكاك الحجون و الركن و	المشعرياً سيدى مع البطحاء
و بكاك المحراب و الدرس	للقرآن في الصبح معلناً والمساء
و بكاك الاسلام ان صار في النا	س غربياً من ساير الغرباء

لوترى المنبر الذي كنت تعلمه  
يا إلهي عجّل وفاتي سريعاً  
علاه الظلام بعد الضياء  
قد نغصت الحياة يا مولائي  
قلت: ثم رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعيول ليلها ونهارها وهي لا  
ترقى دمعها، ولا تهدي زفرتها .

واجتمع شيوخ أهل المدينة واقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا له  
يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتنهأ بالنوم في الليل  
على فراشنا ولا بالنهار قرار على أشغالنا وطلب معاشنا ، وإننا نخيرك أن تسألها  
إماتان تبكي ليلاً أو نهاراً ، فقال حباً وكرامة .

فأقبل أمير المؤمنين حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء ،  
ولا ينفع فيها العزاء ، فلما رأتها سكنت هيمنة له فقال لها : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إماتاً أن تبكين أباك ليلاً وإماتاً نهاراً فقالت  
يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبتي من بين أظهرهم ، فوالله لأسكت  
ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله ، فقال لها علي : افعلي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
ما بدالك

ثم إنه عليه السلام بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً من المدينة يسمّى بيت  
الأحزان وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين أمامها وخرجت إلى البقيع  
باكية فلا تزال بين القبور باكية ، فاذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها  
بين يديه إلى منزلها .

ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعة وعشرون يوماً واعتلت  
العلة التي توقّعت فيها فبقيت إلى يوم الأربعين وقد صلّى أمير المؤمنين صلاة  
الظهر وأقبل يريد المنزل إذ استقبلته الجوّاري باكيات حزينات فقال لهن : ما الخبير  
ومالى أراكن متغيّرات الوجوه والصور، فقلن : يا أمير المؤمنين أدرك ابنة عمك  
الزّهراء وما نظنّك تدرّكها .

فأقبل أمير المؤمنين مسرعاً حتى دخل عليها وإذا بها ملقاة على فراشها وهو

(ج ١٣) في بكاء الزهراء ومرضاها وكيفية وفاتها ودفنها سلام الله عليها (٢٧)

من قباطى مصر وهى تقبض يميناً وتمدّ شمالاً ، فألقى الرّداء عن عاتقه و العمامة عن رأسه وحل أزراره .

وأقبل حتّى أخذ رأسها وتركه في حجره و ناداها : يا زهراء ، فلم تكلمه ، فناداها : يا بنت عمّك عليه السلام ، فلم تكلمه ، فناداها : يا بنت من حمل الزّكاة في أطراف رداءه و بذلها على الفقراء ، فلم تكلمه ، فناداها : يا ابنة من صلّى بالملائكة في السّماء مثنى مثنى ، فلم تكلمه فناداها : يا فاطمة كلّميني فأنا ابن عمّك عليّ ابن أبيطالب .

قالت : ففتحت عينها في وجهه و نظرت إليه وبكت وبكى ، و قال : ما الذى تجدينه فأنا ابن عمّك عليّ بن أبيطالب ، فقالت : يا ابن العمّ إنّي أجد الموت الذى لا بدّ منه ولا محيص عنه وأنا أعلم أنّك بعدى لا تبصر على قلّة التزويج ، فان أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً و ليلة و اجعل لأولادى يوماً و ليلة ، ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين فانهما بالأمس فقد اجدتّهما : واليوم يفقدان أمهما ، فالويل لأمة تقتلها و تبغضها ثم أنشأت تقول :

ابكنى إن بكيت يا خير هادى      و اسبل الدمع فهو يوم الفراق  
ياقرين البتول اوصيك بالنّسل      فقد أصبحا حليف الاشتياق  
ابكنى و ابك لليتامي و لا      تنس قتيل العدى بطف العراق  
فارقوا فاصبحوا يتامى حيارى      يخلف الله فهو يوم الفراق

قالت فقال عليّ : من أين لك يا بنت رسول الله هذا الخبر والوحى قد انقطع عنّا ؟ فقالت : يا أبا الحسن رقدت السّاعة فرأيت حبيبي رسول الله ﷺ في قصر من الدرّ الأبيض فلما رآني قال : هلمّني إليّ يا بنية فأنّي إليك مشتاق ، فقلت : والله إنّي لأشدّ شوقاً منك إلى لقاءك ، فقال : أنت اللّيلة عندى وهو الصّادق لما وعد والموفى لما عاهد فاذا أنت قررت يسّ فاعلم أنّي قد قضيت نجوى ، فغسلني و لا تكشف عني فأنّي طاهرة مطهّرة ، وليصلّ عليّ معك من أهلي الأذنى فالأذنى و من رزق أجرى و ادفني ليلاً في قبري ، بهذا أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ

فقال عليّ عليه السلام والله لقد أخذت في أمرها وغسلتها في قميصها ولم اكشفه عنها فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة ، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وكفنتها وأدرجتها في أكفانها .

فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم يا زينب ياسكينة يا فضة يا حسن يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة ، فأقبل الحسن والحسين وهما يناديان واحسرتاه لانطفي أبدأ من فقد جدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وامننا فاطمة الزهراء ، يا أم الحسن يا أم الحسين إذا لقيت جدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله فاقريه منا السلام وقولي له : إننا قد بقينا بعدك يتيهين في دار الدنيا .

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : إنني اشهد الله أنها قد حننت وأنت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً وإذا بهاتف من السماء ينادى يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات ، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب .

قال : فرفعتهما من صدرها وجعلت أعقد الرداء وأنا انشد بهذه الأبيات :

فراقك أعظم الأشياء عندي      وفقدك فاطم أدهى الشكول

سأبكي حسرة وأنوح شجواً      على خلّ مضى أسنا سبيل

ثم حملها على يده وأقبل بها إلى قبر أبيها ونادى :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا نور الله

السلام عليك يا صفوة الله مني السلام عليك والتحية مني واصلة إليك ولديك ، ومن

ابنتك النازلة عليك بفنائك ، وإن الوديعه قد استردت ؛ والرهيئة قد أخذت ،

فواحزنه على الرسول ، ثم من بعده على البتول ، ولقد اسودت عليّ الغبراء ،

وبعدت عني الخضراء ، فواحزنه ثم وأأسفاه .

ثم عدل بها على الروضة فصلى عليها في أهله وأصحابه ومواليه وأحبائه

وطائفة من المهاجرين و الأنصار ، فلما واراها وألحدها في لحدها أنشأ بهذه

الأبيات يقوله :

أرى علل الدنيا علي كثيرة  
و صاحبها حتى الممات عليل  
لكل اجتماع من خليلين فرقة  
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد  
أقول: و في الديوان المنسوب إليه عليه الصلاة والسلام أنه أنشد عند وفاة  
فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بهذه الأبيات:

ألا هل إلى طول الحيات سبيل  
وإني وإن أصبحت بالموت موقناً  
و للدهر ألوان تروح و تعتدي  
و منزل حق لا معرج دونه  
قطعت بأيام التعرز ذكره  
أرى علل الدنيا علي كثيرة  
وإني لمشتاق إلى من أحبه  
وإني وإن شطت بي الدهر نازحا  
فقد قال في الأمثال في البين قائل  
لكل اجتماع من خليلين فرقة  
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد  
و كيف هناك العيش من بعد فقد هم  
سيعرض عن ذكرى و تنسى مودتي  
و ليس خليلي بالملول ولا الذي  
و لكن خليلي من يدوم وصاله  
إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي  
يريد الفتى أن لا يموت حبيبته  
و ليس جليلاً رزء مال و فقده  
وأنسى و هذا الموت ليس يحول  
فلا أمل من دون ذلك طويل  
وإن نفوساً بيتهن تسيل  
لكل امرء منها إليه سبيل  
و كل عزيز ما هناك ذليل  
و صاحبها حتى الممات عليل  
فهل لي إلى من قد هويت سبيل  
و قد مات قبلي بالفراق جميل  
أضرب به يوم الفراق رحيل  
و كل الذي دون الفراق قليل  
دليل علي أن لا يدوم خليل  
لعمر كشيء ما إليه سبيل  
و يظهر بعدى للخليل عديل  
إذا غبت يرضاه سوى بديل  
و يحفظ سرى قلبه و دخيل  
فإن بكا الباقيات قليل  
و ليس إلى ما يمتغيه سبيل  
و لكن رزء الأكرمين جليل

لذلك جنبي لا يواتيه مضجع وفي القلب من حرّ الفراق غليل (١)

### خاتمة

نذكر فيها بعض الأخبار الواردة في كيفية مجيئها سلام الله عليها إلى المحشر وتظلمها يوم القيامة وعقاب ظالمها.

وإنما أوردت هذه الأخبار لأنّ الأخبار السالفة المتضمنة لما جرى عليها بعد وفاة أبيها سلام الله عليه وعليها من البغي والعدوان والظلم والطغيان لاسيّما ما تضمنت أنينها وحنينها وبكائها ومظلوميّتها ووحدتها وغربتها حالة وفاتها، قدماء قلبي فيحاً وشحنت صدري قرحة ، وجرّ عنتي نعب التهام أنفاسا ، فصرت عند روايتها لا أضبط دمتي ، ولا أملك كمدى و لوعتي ، وكانت الدّمعات من عظم مصيبتها جارياً ، وحرقات القلب مشتعلة .

فأحببت إيراد هذه الأخبار تسليّة لبعض همومي وهموم ساير الموالين ، لعن الله ظالمها وظالمي بعلمها وبنيتها فلقد أوغلوا في العداوة والطغيان ، وبالغوا في التعديّة والعدوان ، وشمّروا في استيصال أهل البيت الشّريف بالفعل واللّسان ، وأبانوا عن ذنابة أصلهم بقبح فعلهم وفعل الأعوان ، وركبوا مركباً وعرأ أجابوا فيه دعوة وليّهم الشّيطان .

فليتّم أحرّاهم الله إذ لم يكفّوا عن غصب فدك والخلافة ، كفّوا عن إحراق باب بيت العصمة والطهارة ، وليتّم قنعوا بتليب سيّد الأولياء ، وأمسكوا عن ضرب السّوط واسقاط جنين سيّدة النساء .

نعم نسبهم الخبيث وأصلهم الدنيّ قد نفى عنهم الغيرة والعروة وأقامهم على

(١) قوله (ع) : وأني ، اسم استفهام خبره محذوف أي كيف سبيل إلى طول الحياة ومنزل مطف على ألوان ، والمرج محل الإقامة ، وشطت الدار ونزحت بمدت والباء للتعديّة والنضرب مبالغة في الضرب ، وأبين الفراق أي أضرب المثل الذي قاله القائل في يوم الفراق الذي هو رحيل ، و المثل قوله : لكلّ اجتماع ، و فاطم مرخم فاطمة ، و البديل البدل ؛ و دخيل الرجل الذي بداخل في اموره ويختصّ به ؛ لا يواتيه اي لا يوافقه والغليل العطش «منه» .

دعوى الجاهلية لأنّ الأناء ينضح بما فيه ، والولد سرّ أبيه .

روى في البحار من تفسير العياشي عن أبي بصير قال : يؤتي بجهنم لها سبعة أبواب : الأوّل للظالم وهو زريق ، و بابها الثّاني لحبتر ، و الباب الثّالث للمثالث و الباب الرّابع لمعاوية ، و الباب الخامس لعبد الملك ، و الباب السّادس لعسكر بن هوسر ، و الباب السّابع لأبي سلامة ، فهم أبواب لمن اتّبعتهم .

قال المحدث العلامة المجلسي : عسكر اسم جمل عايشة فيكون كناية عن عايشة و صاحبها ، و يحتمل كناية عن بعض ولاة بني امية كأبي سلامة ، و يحتمل أن يكون أبو سلامة كناية عن أبي مسلم إشارة إلى من سلّطهم من بني العباس .

و من العياشي عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه إذا كان يوم القيامة يؤتي بإبليس في سبعين غلا و سبعين كبلا (١) ، فينظر الأوّل إلى زفر في عشرين و مائة كبل و عشرين و مائة غل فينظر إبليس فيقول : من هذا الذي أضغفه الله العذاب و أنا أغويت هذا و الخلق جميعا ؟ فيقال : هذا زفر ، فيقول : بما جدّد له هذا العذب ؟ فيقال : ببغية على علي عليه السلام فيقول له إبليس : ويل لك و ثبور لك أما علمت أنّ الله أمرني بالسجود لآدم فعصيته و سألته أن يجعل لي سلطانا على عليه السلام و أهل بيته عليهم السلام و شيعته فلم يجبني إلى ذلك ، و قال « إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتّبعت من الغاوين » و ما عرفتهم حين استمناهم إذ قلت « و لا تجد أكثرهم شاكرين ، فمנית به نفسك غرورا .

فيوقف بين يدي الخلائق فيقال له : ما الذي كان منك إلى عليّ و إلى الخلق الذين اتّبعوك على الخلاف ؟ فيقول الشيطان و هو زفر لابليس : أنت أمرتني بذلك فيقول له إبليس : فلم عصيت ربك و أطعنتني ؟ فيردّ عليه زفر ما قال الله « انّ الله وعدكم وعد الحقّ و وعدتكم فاخلفتكم و ما كان لي عليكم من سلطان ، إلى آخر الآية .

قال العلامة المجلسي « قد » : قوله عليه السلام : فيردّ زفر عليه ظاهر السياق أنّ يكون قوله : انّ الله وعدكم ، كلام إبليس فيكون كلام زفر ما ذكر



قبل تلك الآية من قوله « انّا كنّا لكم تبعاً » وترك اختصاراً .

ومن كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان بن أبي عبيّاش عن سليم قال : سمعت سلمان الفارسي يقول : إذا كان يوم القيامة يؤتي إبليس مزموماً بزمام من نار ويؤتي بزفر مزموماً بزمامين من نار ، فينطلق إليه إبليس فيصرخ ويقول : ثكلتك امّك من أنت أنا الذي فتنت الأولين والآخريين و أنا مزموم بزمام واحد و أنت مزموم بزمامين ، فيقول : أنا الذي امرت فاطعت وأمر الله فعصى .

وفي عقاب الأعمال عن حنان بن سدير قال : حدثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر : أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه ، و نمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربّته ، و اثنان في بني إسرائيل هو داوود و نضرهما ، و فرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، و اثنان من هذه الامّة أحدهما شرّهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من نار . وفيه عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام « أخبرني ظهراً بأوّل من يدخل النار » قال : إبليس ، و رجل عن يمينه ، و رجل عن يساره .

وفيه عن إسحاق بن عمارة الصّيرفي عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : قلت جعلت فداك حدثني فيهما بحديث فقد سمعت عن أبيك فيهما أحاديث عدة ، قال فقال لي : يا إسحاق الأوّل بمنزلة العجل ، و الثّاني بمنزلة السّامري .

قال : قلت : جعلت فداك زدني فيهما ، قال : هما والله هو داوود نضرًا و مجسّسا فلا غفر الله ذلك لهما .

قال : قلت : جعلت فداك زدني فيهما ، قال ، ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا ينزّلهم عليهم عذاب أليم ، قال : قلت : جعلت فداك فمن هم ؟ قال رجل ادّعى إماماً من غير الله ، و آخر طغى في إمام من الله ، و آخر زعم أنّ لهما نصيباً في الاسلام .

قال : قلت : جعلت فداك زدني فيهما ، قال : ما ابالي يا إسحاق محوت المحكم من كتاب ، أو وجدت تهنئة النبوة ، أو زعمت أن ليس في السماء إلها ، أو

تقدّم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال عليه السلام : إنّ في النّار لواديًا يقال له : محيط لوطلع منها شرارة لأحرق من علي وجه الأرض وإنّ أهل النّار يتعمّون ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل وتننه وقذره وما أعد الله فيه لأهله ، وإنّ في ذلك الجبل لشعبا يتعمّون ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب وتننه وقذره وما أعد الله فيه لأهله ، وإنّ في ذلك الشعب لقليباً يتعمّون ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب وتننه وقذره وما أعد الله فيه لأهله ، وإنّ في ذلك القليب لحيّة يتعمّون ذلك الجبل من حرّ ذلك القليب من خبث تلك الحيّة وتننها وقذرها وما أعد الله عزّ وجلّ في أنيابها من السمّ لأهلها ، وإنّ في جوف تلك الحيّة لسبع صناديق فيها خمسة من الأمم السّالفة واثنان من هذه الامّة .

قال : قلت : جعلت فداك ومن الخمسة ؟ ومن الاثنان ؟ قال : أمّا الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل ، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربّه قال أنا حيي واميت وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ، ويهود الذي هوّد اليهود ، و يولس الذي نصر النصارى ، ومن هذه الامّة الأعرابيان .

أقول : الأعرابيان أبو بكر وعمر عبّر عنهما بذلك إشارة إلى كفرهما كما قال تعالى : الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً .

وفيه عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يؤتى يوم القيامة بابليس مع مذلّ هذه الامّة في زمامين غلظهما مثل جبل أحد ، فيسحبان على وجوههما فيسدّ بهما باب من أبواب النّار .

وفيه عن شريك يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة في لمة (١) من نسائها فيقال لها : ادخلي الجنّة ، فتقول : لا أدخل حتّى أعلم ما صنع بولدي من بعدى ، فيقال لها : انظري في قلب القيامة ، فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً وليس عليه رأس فتصرخ صرخة وأصرخ لصراخها وتصرخ الملائكة

لصراخنا ، فيغضب الله لنا عند ذلك فيأمر ناراً يقال لها هبهب قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودت لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً ، فيقال لها : التقطى قتلة الحسين وحملة القرآن (١) ، فتلقطهم فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها وشهقت وشهقوا بها وزفرت وزفروا بها ، فينطقون بالسنة زلقة طلقة : يا ربنا بما أوجبت النار لنا قبل عبدة الأوثان ؛ فيأتيهم الجواب عن الله عز وجل إن من علم ليس كمن لا يعلم .

وفيه عن محمد بن سنان عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة قبة من نور وأقبل الحسين عليه السلام رأسه على يده ، فإذا رآته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن إلا بكى لها ، فيمثل الله عز وجل رجلاً لها في أحسن صورة وهو يخاصم قتلته بلا رأس ، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتله فيقتلهم حتى أتى على آخرهم ، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام ، ثم ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام ، ثم ينشرون فلا يبقى من ذر يتنا أحد إلا قتلهم قتلة ، فعند ذلك يكشف الله الغيظ وينسى الحزن ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام رحم الله شيعتنا ، شيعتنا والله هم المؤمنون فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة .

وفي البحار من مجالس الشيخ عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينادى مناد : غصوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد عليها السلام الصراط .

قال : فتغض الخلاق أبصارهم فتأتي فاطمة سلام الله عليها على نجيب من نجب الجنة يشيعها سبعون ألف ملك ، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة ، ثم تنزل من نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علي عليهما الصلاة والسلام بيدها مضمخاً بدمه ، و تقول : يا رب هذا قميص ولدي الحسين وقد علمت ما صنع به ، فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل : يا فاطمة لك عندي الرضا ، فتقول : يا رب انتصر لي

(١) المراد بحملة القرآن الذين ضيعوه وحرقوه (منه) أقول تفسير حملة القرآن على الذين ضيعوه وحرقوه عجيب بل الظاهر أن المراد : التقطى قتله الحسين وقتله حملة القرآن . المصحح .

عن قاتله ، فيأمر الله تعالى عنقا من النار فتخرج من جهنم ، فتلنق قنلة الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما كما يلتقط الطير الحب ، ثم يعود العنق بهم إلى النار ، فيعذبون فيها بأنواع العذاب .

ثم تركب فاطمة سلام الله عليها نجيبها حتى تدخل الجنة ومعها الملائكة المشيعون لها وذريتها بين يديها وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها .  
أقول : ولقد أجاد من قال مضمنا لمضمون هذه الأخبار :

كأنني بالبتول الطهر واقفة	في الحشر تشكو إلى الرحمن باريتها
تأتي وقد ضمخت ثوب الحسين دماً	فيض النحور البحارى ويل مجريها
تدعو ألا أين مسمومي ويا أسفا	على ذبيحى و اسرى من ذراريتها
تقول واحزني بل آه وا حسني	هذا حسيني قتيل في فيا فيها
هذا حسيني رضيع الجسم منجدلا	تسفى على جسمه العارى سوافيها
آه على جثث بالطف قد قطعت	رؤوسها وهجير السيف يملبها
آه على جثث فيها القنى لعبت	و اركضت ماضيات في تراقبها
يافتية ذبحت في كربلا و ثوت	على الوجوه عرايا فى صحاريها
بتمم فبان لكم سلوان فاطمة	ولا عج الوجد بالوجدان يشجبها
ألا لعنة الله على القوم الظالمين ،	وسيعلم الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه
وعليهم حقهم أى منقلب ينقلبون .	

### تكملة

قد أشرنا إلى أن هذا الكلام مروى في عدة من اصول معتمدة على اختلاف وزيادة أحببت رواية ما فيها على مجرى عادتنا فأقول :

روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني عن أحمد بن مهران وعن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار الشيباني قال : حدثني القاسم بن محمد الرأزي قال :  
حدثني علي بن محمد الهرمزانى عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قال :  
لما قبضت فاطمة سلام الله عليها دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سر أو عفى على موضع

قبرها ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال :

السّلام عليك يا رسول الله عنّي والسّلام عليك عن ابنتك وزايرتك و البائنة  
في الشّرى ببقمتك ، والمختار الله لها سرعة اللّحاق بك ، قلّ يارسول الله عن صفيّتك  
صبري ، و عنّي عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي ، إلا أن في التّأسّي لي بسنتك  
في فرقتك موضع تهنّ فلقد وسّدتك في ملهودة قبرك ، وفاضت نفسك بين نحري  
وصدري ، بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول إنّا لله وإنّا اليه راجعون ، قد استرجعت  
الوديعة وأخذت الرّهينة ، واخلمت واخلمت الزّهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء  
يارسول الله أمّا جزني فسرمد وأمّا ليلي فمسهد ، وهم لا يبرح من قلبي  
أويختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم ، كمد مقيّح ، وهم مهيتّح ، سرعان ما  
فرق بيننا ، والى الله أشكو ، و ستنبيك ابنتك بتظافر امتك على هضمها ، فأحفظها  
السؤال ، واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بنته سبيلا  
وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين سلام مودّع لا قال ولا سمّ فان أنصرف فلا  
عن ملالة ، و ان اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين واه واهما والصبر أيمن  
وأجمل ، و لولا غلبة المستولين لجعلت المقام و اللبّ لزماً معكوفاً ، ولأعولت  
إعوال الشكلي على جليل الرّزية ، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً وتهضم حقها وتمنع  
إدنها ، ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله يارسول الله المشتكى ،  
وفيك يارسول الله أحسن العزاء ، صلّى الله عليك ، وعليها السّلام والرّضوان .

### بيان

« العفو » المحو والانمحاء و « المختار الله » من إضافة الصفة إلى فاعلها  
و « سرعة اللّحاق » مفعوله أي التي اختار الله لها سرعة لحاقها بك .  
قوله « وفي كتاب الله لي أنعم القبول » أي فيه ما يصير سبباً لقبول المصائب  
أحسن القبول وأطيبه و « أخلمته » و اختلمته استلبته ، والخلمة ما يؤخذ سلباً  
و مكابرة .

قوله « و كمد مقيّح » الكمد محرّكة وبالفتح الحزن الشديدمرض القلب

والمقيح بتشديد الباء، من القيح أى حزني حزن شديد يورث في القلب قيحاو «سرعان» اسم فعل مبني على الفتح بمعنى سرعة وقرب مع تعجب أى ما أسرع ما فرق و «ما» كناية عن الموت و «ستنبئك» من باب الأفعال والتفعيل من النبأ وهو الخبر و «الغليل» حرارة الجوف و «اعتلجت» الأمواج التطامت .

وقوله «سلام مودّع» منصوب على المصدر محذوف العامل مطرداً وقوله «واه واها» وفي بعض النسخ واهاً واهياً يقال : واهاً لك ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء، وكلمة ملهف والتكرير للمتأكيد كما قال الشاعر :

واهاً لريتا ثم واهاً واهاً هي المنا لو أننا نلناها

و «معكوفاً» أى محبوساً و «العويل» رفع الصوت بالبكاء والصياح وقوله «فبعين الله» آه أى تدفن ابنتك سرّاً بحفظ الله أو بحضوره وشهوده «ولم يخلق» من الخلق وهو النبالي أى لم يبيل ولم يندرس ذكرك وقوله «وفيك» أى في اطاعة أمرك «أحسن العزاء»

وفي البحار من المجالس وأمالى المفيد عن الصدوق عن أبيه عن أحمد ابن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن القاسم بن محمد الرّازي عن علي بن محمد الهروي عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السلام قال :

لما مرضت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وصّت إلى علي بن أبي طالب أن يكتبم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها ، ففعل ذلك وكان يمرّ ضنها بنفسه وتعيّنه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك كما وصّت به .

فلما حضرته الوفاة وصّت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولّى أمرها ويدفنها ليلاً ويعفى قبرها . فتولّى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفى موضع قبرها ، فلما نقض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك و زائرتك و البائتة في الثرى ببقيعك ، المختار الله لها سرعة اللحاق بك ؛ قلّ يا

رسول الله عن صفتك صبرى ، و ضعف عن سيدة النساء تجلدى ، إلا أن فى التأسي لي بسنتك والحزن الذي حل بي لفرافك موضع التعزى ، ولقد وسدتك فى ملحود قبرك بعد أن فاقت نفسك على صدرى ، و غمضتك بيدي ، و توليت أمرك بنفسى نعم وفى كتاب الله أنعم القبول إننا لله و إننا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعه ، و أخذت الرهينه ، و اختلست الزهراء ، فما أفبح الخضراء والغبراء يا رسول الله أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبي أويختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمد مقيح ، وحزن مهيج ، سرعان ما فرق الله بيننا ، وإلى الله أشكو ، وستنبئك ابنتك بتظاهر امتك علي وعلى هضمها حقها فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سيلا ، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين ، سلام عليك يا رسول الله سلام مودع ، لا سام ولا قال ، فان أنصرف فلا عن ملالة وإن اقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين ، الصبر أيمن وأجمل ولولا غلبة المستولين علينا ل جعلت المقام عند قبرك لزاماً ، والتلبث عنده معكوفاً ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن بنتك سرأ ، و يهتضم حقها قهراً و يمنع إرثها جهراً و لم يطل العهد و لم يخلق منك الذكر ، فالى الله يا رسول الله المشتكى ، وفيك أجمل العزاء فصلوات الله عليها و عليك ورحمة الله وبركاته .

ورواه فى كشف الغمة مثل ما رواه السيد فى المتن إلى قوله : بما وعد الله الصابرين ، ثم قال : وفى رواية اخرى زيادة على قول علي عليه السلام عند موتها :  
 أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، ولا نبرح أويختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم ، سرعان ما فرق الله بيننا ، و إلى الله أشكو ، و ستنبئك ابنتك بتظافر امتك على هضمها حقها ، فأحفظها السؤال ، واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سيلا ، فستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين ، و السلام عليكما سلام مودع ، لا قال ولا سئم ، فان أنصرف فلا عن ملالة ، وإن اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين ، فالصبر أيمن وأجمل ، فبعين الله تدفن ابنتك صبراً ، وتهتضم

حقها ، وتمنع إرثها، ولم يبعد العهد؛ فإلى الله المشتكى يارسول الله وفيك يارسول الله أحسن العزاء صلوات الله عليك وعليها معك .

### الترجمة

از جمله کلام آن امام است که روایت کرده اند از او که گفته این کلام را در وقت دفن کردن حضرت سیده زنان فاطمه زهرا سلام الله علیها گویا مناجات می نمود با این کلام با حضرت رسالت مآب صلوات الله علیه و آله و عرض می نمود : السلام عليك يا رسول الله سلام باد بر تو ای پیغمبر خدا از طرف من و از طرف دخترت که نازل شد در همسایگی تو ، و زود لاحق شد بتو ، کم شد یا رسول الله از دختر پسندیده تو صبر من ، و ضعیف شد از فراق او تحمل و قوت من ، لکن مراست در پیروی نمودن جدائی بزرگ تو و مصیبت سنگین تو محلّ تسلی ، پس بتحقیق خواباندم ترا در قبر لحد دار تو ، و سیلان نمود میان گلو و سینه من روح تو .  
وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، پس بتحقیق که باز یافت شد امانت ، و پس گرفته شد گرو - کنایه است از حضرت فاطمه که بمنزله امانت و رهن بود در نزد شوهرش - .

أما حزن وأندوه من پس همیشگی است ، و أمّا شب من پس بی خوابیست تا آنکه اختیار نماید خدای تعالی از برای من خانه را که تو در آنجا اقامت کرده و بزودی خبر می دهد ترا دختر تو با اجتماع امت ستمکار تو بر ظلم و ستم آن مظلومه پس درست سؤال کن از آن ، و پیرس از آن حال من و او را .

بود این ظلم ظالمان در حالتی که عهد ایشان با تو طول نیافته بود ، و ذکر خیر تو از زبان خلق نرفته بود ، و سلام باد بر تو یارسول الله و بر دختر تو ، مانند سلام وداع کننده مهربان که صاحب خشم و ملال نباشد از صحبت شما ، پس اگر مراجعت نمایم از نزد شما نه از جهت ملالست ، و اگر اقامت کنم در نزد قبر شما نه از جهت سوء ظن و بدگمانیست بآنچه که وعده فرموده است خداوند تبارک و تعالی در حق صبر کنندگان .



## و من كلام له ﷺ وهو المأتان والثاني من المختار في باب الخطب

ورواه في الارشاد وفي البحار من أمالي الصدوق بتفاوت يسير مع زيادة  
حسبما تعرفه في التكملة الآتية بإنشاء الله .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَّجَازٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٍ ، فَخُذُوا  
مِنْ مَمَرٍ كُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَفْهَمُ أَسْرَارَكُمْ  
وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا  
أُخْتَبِرْتُمْ ، وَانْبَغِيهَا خُلِقْتُمْ ، إِنْ الرِّءْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ ،  
وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ ، لِلَّهِ آبَاءُكُمْ فَقَدَّمُوا بَعْضًا لَكُمْ ، وَلَا  
تُخَلَّفُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

### اللفظة

(المجاز) مصدر ميمي من جاز المكان يجوزه جوازاً و جوازاً إذا سار فيه  
وعبره و (القرار) اسم من قر الشيء قرأ من باب ضرب استقر بالمكان و (لا  
تخلفوا كلاً) مضارع خلف الرجل الشيء بالتشديد تركه بعده .

### الاعراب

من في قوله : من ممركم نشوية وقوله : لله آباءكم ، جملة اسمية تستعمل  
في مقام التعجب والاستعظام كقولهم : لله أبوك والله درك وتسمى هذه اللام  
بلام التعجب .

قال نجم الأئمة : أمّا معنى قولهم : لله درك ، فالدر فى الأصل ما يدرّ أى ينزل من الضرع من اللبن ومن الغيم من المطر ، وهو هنا كناية عن فعل الممدوح الصادق عنه ، وإنّما نسب فعله إليه تعالى قصداً للمتّعجب ، لأنّ الله منشىء المجائب ، فكلّ شىء عظيم يريدون التععّب منه ينسبون إليه تعالى ويضيفونه نحوه قولهم : لله أبوك والله أنت فمعنى لله درّه ما أعجب فعله ، وقد تقدّم مزيد تفصيل فيه فى شرح المختار المأمة والتاسع والسبعين

### المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام التنفير من الدنيا والترغيب فى الآخرة والأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد وبالاستعداد للموت قبل حلول القوت ، وصدّر الكلام بحرف النداء والتنبيهه ايظاً للمخاطبين من نوم الغفلة فقال :

(أيّها الناس إنّما الدنيا دار مجاز و الآخرة دار قرار ) يعنى أنّ الأولى دار عبور والأخرى دار استقرار ، والأتیان بكلمة إنّما المفيدة للحصر توكيداً للغرض المسوق له الكلام ، وتنبيهاً على أنّ وجود الدنيا نفس حدوثها وبقائها عين زوالها ، فلا صلاحية لها إلاّ لأنّ تكون مجازاً ومعبراً بمنزلة فطرة يتجاوز منها إلى المقرّ والمأوى ، فمن نوى البقاء فيها والقرار فقد جهل وضلّ وخبط خبطاً عظيماً وخسر خسراً مبيناً ، وإذا كان شأنها ذلك :

( فخذوا من ممّرکم لمقرّکم ) أى خذوا فى الدنيا نيامن الخيرات والحسنات والباقيات الصّالحات التى هى زاد الآخرة ، لتنالوا بها حسن الثواب فيها وتحصلوا النعمة الدائمة .

( ولا تهتكوا أستارکم عند من يعلم أسرارکم ) أى لا تجاهروا بالمعصية والعدوان عند من لا يخفى عليه شىء من السّرّ والاعلان ، بل يعلم ما أنتم مقترفون فى ليلکم ونهارکم ، لطف به خبيراً وأحاط به علماً ، أعضاءکم شهوده ، والحفظة جنوده ، وضامئکم عيونہ ، وخلواتکم عيانه كما قال عزّ من قائل « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد » إذ يتلقّى المتلقين عن اليمين وعن الشمال فعيد ❁ ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد .

( واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن يخرج منها أبدانكم ) وهو أمر بالزهد في الدنيا والاعراض عنها وحذف محبتها عن ساحة القلب والاستعداد للموت قبل حلوله ، لأن من كانت الدنيا همته وأشرب محبتها قلبه اشتدت عند مفارقتها حسرته .

روى في البحار من الأماشي قال : قيل لأمر المؤمنين عليه السلام ما الاستعداد للموت ؟ قال : أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

وفيه من الخصال ومعاني الأخبار بسنده عن عبدالله بن بكر المرادي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عليه السلام قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم جالس مع أصحابه يعيبيهم للحرب إذ أتاه شيخ عليه شجة السفر فقال : أين أمير المؤمنين ؟ فقيل : هوذا ، فسلم ثم قال : يا أمير المؤمنين إنني أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضل ما لا احصى ، وأنتي أظنك ستقتال فعلمني ممّا علمك الله .

قال : نعم يا شيخ من اعتدل يوماء فهو مغبون ، ومن كانت الدنيا همته اشتدت حسرته عند فراقها ، ومن كانت غده شرّ يوميه فهو محروم ، وساق الرواية إلى أن قال :

فقال : يا شيخ إن الله عزّ وجلّ خلق خلقاً ضيق الدنيا عليهم نظراً لهم فزهدهم فيها وفي حطامها ، فرغبوا في دار السلام الذي دعاهم إليه وصبروا على ضيق المعيشة وصبروا على المكروه واشتاقوا إلى ما عند الله من الكرامة ، و بذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة ، فلقوا الله وهو عنهم راض وعلموا أن الموت سبيل من مضى وبقي فتزود والآخرتهم غير الذّهب والفضة ولبسوا الخشن وصبروا على القوت ، وقدّموا الفضل وأحبّوا في الله وأبغضوا في الله عزّ وجلّ أولئك المصاييح وأهل النعيم في الآخرة والسلام .

( ففيمها اختبرتم و لغيرها خلقتهم ) يعني أنه سبحانه خلقكم في الدنيا لا لأجل الدنيا والبقاء فيها و الركون إليها ، بل لأجل الآخرة و تحصيل النعمة الدائمة ، و إنتما خلقكم في الدنيا لمحض الابتلاء و الامتحان كما قال تعالى : « ونبلوكم بالشر و الخير فتنمة و البينا ترجعون » .

و قد مضى تحقيق معنى الابتلاء في شرح الخطبة الثانية و الستين ، و بيئنا هناك أن اللازم على الانسان قصر همته في محصلات السعادة الاخرية ليخلص من قالب الامتحان ، وليستحق القرار في غرفات الجنان ، و يدرك مرتبة الرضوان الذي هو أعظم السعادات و أشرف اللذات و أكبر البهجات .

( ان المرء إذا هلك قال الناس ماترك و قالت الملائكة ما قدم ) و هو تأكيد لما سبق فانه عليه السلام لما أمر بالأخذ من الممر للمقر و بالزهد في الدنيا و الاعراض عن قنيتها و زخارفها ، و نبه على أن الغرض الأصلي من الخلقة هو العبادة و الطاعة و تحصيل السعادة الاخرية .

أ كده بأن المرء إذا مات قال أبناء الدنيا من عشائر الميت و الأقرباء و الاخوان و القرناء المعروف همهم بها و المشغولين بها عن التوجه إلى الأخرى : ما ترك ، أى يسأل بعضهم بعضاً عما خلفه الميت من متاع الدنيا و ما تركه من الأولاد و الأموال .

و قالت الملائكة الذين نظرهم إلى محصلات القرب و الزلفى لديه تعالى فقط : ما قدم الميت لنفسه و أخره ليوم فاقته و مقام حاجته ، فينبغي على ذلك ترجيح مسئول الملائكة على مسئول الناس ، و تقديم محصلات الزلفى على قنيت الدنيا قال الشارح البحراني : وفي لفظ ما ترك و ما قدم لطف تنبيه على أن متاع الدنيا مفارق متروك و الأعمال الصالحة مقدمة باقية نافعة للمرء في معاده ، فينبغي أن تكون العناية بها دون المفارق المتروك .

( لله آباءكم ) استعظمهم بنسبة آباءهم إلى الله حيث ولدوا مثل هؤلاء الأولاد و قوله : ( فقد موا بعضاً يكن لكم و لاتخلفوا كلاً فيكون عليكم ) تفريع على

ما تقدم، فانه لما صدر الكلام بالأمر بالأخذ من الممر للمقر وأكده بأن سؤال الملائكة و فحصرهم عن المقدم دون المؤخر، رتب عليه هذه الجملة تنبيهاً على مقدار ما يؤخذ و يقدم .

و لا يخفى ما في هاتين القريظتين من حسن المقابلة، و هو مقابلة الأربعة بالأربعة حيث جعل القرينة الأولى موجبة والثانية سالبة، ثم قابل بين التقديم والتخليف وبين البعض والكل وبين لكم وعليكم .

و في بعض النسخ قدّموا بعضاً يكن لكم قرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم كلاً فتكون من مقابلة الخمسة بالخمسة.

أى أخذوا من ممر كم لمقر كم بعض أموالكم، وقد موه وأنفقوه في سبيل الله يكن لكم قرضاً على الله تستحقون بأخذ مثله من الله في مقام الحاجة وموطن الفاقة بل يضاعفه لكم أضعافاً مضاعفة كما قال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم » وقد مرّ معناه في شرح الخطبة المائة والثمانين وقال أيضاً: « وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ».

و لا تتركوا جميع أموالكم فيكون عليكم كلاً أى ثقيلًا لا خير فيه أو وزراً وثقلاً أى يكون عبؤه لكم ومهناؤه لغيركم

روى في الوسائل عن الصدوق في قول الله عز وجل « كذلك يريد الله أفعالهم حسرات عليهم » قال : هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز وجلّ بخلا ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله، فان عمل فيه بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له، وان كان عمل به في معصية الله قوبه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجلّ .

قال : وقال رسول الله ﷺ : ما محق الاسلام محق الشح شيء، ثم قال : إن لهذا الشح ديبياً كدبيب النمل وشعباً كشعب الشرك .

وفي الكافي باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس يتبع

الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال : صدقة أجزاها في حياته فهي تجرى بعد موته ، وسنة هدى سنّها فهي يعمل بها بعد موته ، و ولد صالح يدعوله .  
 وفيه عن أبي كهمس عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ستة يلحق المؤمن بعد وفاته :  
 ولد يستغفر له ، ومصحف يخلفه ، وغرس يغرسه ، وقليب يحفره ، وصدقة يجريها ،  
 وسنة يؤخذ من بعده .

ثم إن قوله عليه السلام : فقدّوا بعضاً آه يدلّ بمنطوقه على مطلوبة تقديم البعض وبمفهومه على عدم مطلوبة تقديم الكلّ كما أن قوله : ولا تخلّفوا كلاً آه يدلّ بمنطوقه على مبغوضية تخليف الكلّ وبمفهومه على عدم مبغوضية تخليف البعض ، فيكون محصل مفاد القضيتين تقديم البعض وتخليف البعض وعلى ذلك :  
 فإن اريد بالأمر أعني قوله : قدّموا معناه الحقيقي الذي هو الوجوب ، فالمراد بالمعنى الذى يجب تقديمه هو الحقوق المالية الواجبة من الخمس والزكاة ومصارف الحجّ ونفقة من يجب نفقته عليه ونحوها .

و إن اريد به الأمر من معنى الحقيقي أى الرّحمان المطلق فيعمّ البعض حينئذ للمحقوق الواجبة والمندوبة من وجوه البرّ وصنایع المعروف والحقّ المعلوم للمسائل والمحروم ونحوها ، وهذا هو الأظهر .

فينبغي على الانسان أن يقدم البعض لنفسه ويخلف البعض لوارثه ولا يجوز أن يخلف الكلّ فيحرم ولأن يقدم الكلّ فيحرم الوارث ويظلم .

و يدلّ على ذلك ما رواه في الكافي مرسلًا قال : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال لرجل من الانصار اعتق ممالك له لم يكن له غيرهم فعابه النبي صلى الله عليه وآله وقال : ترك صبية صفاراً يتكفّفون الناس ، ورواه في الوسایل عن الصدوق باسمه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام .

و يدلّ عليه أيضاً الأخبار الدالة على عدم جواز الجور في الوصية والحيف فيها بتجاوز الثلث ووجوب ردّها إلى العدل والمعروف .

مثل ما رواه في الوسائل عن الشيخ باسناده عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل توفى وأوصى بماله كله أو أكثره فقال : إن الوصية ترد إلى المعروف ويترك لأهل الميراث ميراثهم .

وفي الوسائل عن الشيخ باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : من عدل في وصيته كان كمن تصدق بها في حياته ومن جار في وصيته لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو عنه معرض .  
وفيه عن الشيخ باسناده عن علي بن يقطين قال : سألت أبا الحسن عليه السلام مال المرء جل من ماله عند موته ؟ قال : الثلث والثلث كثير .

وفيه من مجمع البيان قال : جاء في الحديث إن الضرار في الوصية من الكبار وفيه عن الصدوق باسناده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آباءه عليهم السلام قال : قال علي عليه السلام : الوصية بالخمس لأن الله عز وجل قدرضى لنفسه بالخمس وقال : الخمس اقتصاد ، والربع جهد ، والثلث حيف .

وفيه من قرب الاسناد عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي جعفر عن أبيه عن علي عليه السلام قال : لئن أوصى بالخمس أحب إلي من أن أوصى بالربع ولئن أوصى بالربع أحب إلي من أن أوصى بالثلث ، ومن أوصى بالثلث فلم يترك شيئاً .  
ورواه في الكافي باسناده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لئن أوصى بخمس مالي أحب إلي من أن أوصى بالربع ولئن أوصى بالربع أحب إلي من أن أوصى بالثلث ، ومن أوصى بالثلث فلم يترك وقد بالغ الغاية إلى أن قال : ويترك لأهل الميراث ميراثهم ، وقال : من أوصى بثلث ماله فلم يترك وقد بلغ المدى ، ثم قال : لئن أوصى بخمس مالي أحب إلي من أن أوصى بالربع والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى الإطالة ، ولنختتم بما هو أحرى بأن يختم به المقام .

وهو ما رواه في الوسائل عن الصدوق باسناده عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام

قال : قال رسول الله ﷺ : من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن ختم له بصيام يوم دخل الجنة ، ومن ختم له بصدقة يريد بها وجه الله دخل الجنة .  
ومن الله أسأل أن يجعل خاتمة امورنا خيراً بجاه محمد وآله الأبرار ، سلام الله عليهم ما تعاقب الليل والنهار .

### تكملة

روى في البحار من الأمالي للصدوق قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه :

أيها الناس إن الدنيا دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم ، و اخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففي الدنيا حبيبتهم ، و للآخرة خلقتم ، إنما الدنيا كالسم يأكله من لا يعرفه ، إن العبد إذا مات قالت الملائكة ما قدم ، وقال الناس ما أخت ، فقدّموا فضلاً لكم يكن لكم ، ولا تؤخروا كلاً يكن عليكم فان المحروم من حرم خير ماله ، و المنبوط من ثقل بالصدقات والخيرات موازينه ، وأحسن في الجنة بها مهاده ، وطيب على الصراط بهامسلكه وفي الارشاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة والموعظة :

خذوا رحمكم الله من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم ، و اخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن يخرج منها أبدانكم فلاخرة خلقتم ، وفي الدنيا حبستم إن المرء إذا هلك قالت الملائكة ما قدم ، وقال الناس ما خلف ، فله آباؤكم قدّموا بعضاً يكن لكم ، ولا تخلّفوا كلاً فيكون عليكم ، فانما مثل الدنيا مثل السم يأكله من لا يعرفه .

### الترجمة

از جمله کلام حکمت نظام آن امام است در تنغیر از دنیاى فانی می فرماید :



ای مهربان بدرستی که دنیا خانه تجاوز و عبور است و آخرت خانه برقراری پس آخذنمائید از گذرگاه خودتان برای قرارگاه خودتان ، و بر ندرید پرده های خودتان را در نزد خداوندی که می داند سرّ های شمارا ، و بیرون کنید از دنیا قلبهای خود پیش از اینکه خارج شود از آن بدنهای شما ، پس در دنیا امتحان شده اید ، و از برای غیر دنیا یعنی آخرت خلق شده اید ، بدرستی که مرد هر گاه هلاک شود و بمیرد گویند مردمان که تر که آن مرده چه بوده است ، و گویند ملائکه که او از برای خود چه پیش فرستاده است ، از برای خداست پدران شما یعنی خدا رحمت کند پدران شما را ، پس پیش بفرستید بعض مال خود را تا آنکه دریا بید منفعت آنرا ؛ و باقی نگذارید همه را پس برسید بشما ضرر آن .

## ومن كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به أصحابه و هو المأتان و الثالث من المختار في باب الخطب

وهو مروى في البحار من أمالي الصدوق باختلاف كثير تطلع عليه  
تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقْلُوا الثَّرِجَةَ  
عَلَى الدُّنْيَا ، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بَحَضَرَ تَكُمُ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ  
عَقَبَةً كَثُودًا ، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا ،  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا ، وَانْعَمُوا أَنْ مَلَاحِظَ النَّمِيَةِ نَحْوَكُمْ دَائِبَةً ، وَكَأَنَّكُمْ  
بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ مِنْهَا مُفْطَمَاتُ الْأُمُورِ ،  
وَمُعْضِلَاتُ الْمَخْدُورِ ، فَقَطِّمُوا عَلَاقِ الدُّنْيَا ، وَاسْتَظْهِرُوا بَزَادِ التَّقْوَى

قال السيّد «ره»: وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية أقول: الأ شبه أن يكون مراده به ما تقدم في الخطبة الرابعة والثمانين .

### اللغة

( جهاز ) المسافر ما يحتاج إليه في قطع المسافة وهو بالفتح وبه قرء السبعة في قوله تعالى « فلما تجهّزهم بجهازهم » والكسر لغة قليلة ، وجهاز العروس والميت باللغتين أيضاً ما يحتاجان إليه وجهّزته تجهيزاً هيأت جهازه فتجهّز و ( العرجة ) بالضم الإقامة من عرج تعريجاً وتعرج تعرجاً أى أقام وحبس المطيعة على المنزل و ( عقبة كئود ) ككفور وكأداء أى صعبة شاقّة من تكأدني الأمر شقّ على و ( هاله ) الأمر هولاً أفزعه ، والهول المخافة والجمع أهوال وهول هائل و مهول كمصون تاكيد و ( الملاحظ ) جمع الملحظ مصدر ميمي بمعنى الملحظ يقال لحظه وإليه لحظاً من باب منع ولحظاناً بالتحرّيك نظر بمؤخّر عينيه قال الشاعر :

وأسرار الملاحظ أين تخفى      وقد يقره بذى اللحظ الظنون

قال الفيروز آبادي : اللّحظ أشدّ التفاتاً من الشّرز و ( دئب ) في الأمر دئباً جدّ وتعب ، وفي بعض النسخ دانية بدل دائية من الدنوب بمعنى القرب و ( المخلب ) من السباع كالظفر من غيرها و ( نشب ) شباً من باب تعب علق و ( المعضلات ) الشدايد من أعضل به الأمر اشتدّ .

وفي نسخة الشارح المعتزلي مضعلات المحذور وفسرها بالخطوب التي تضيع أي تجعل الانسان ضلعا أي معوجاً .

أقول: لعلّه أخذ من ضلع السيف ضلعاً من باب فرح اعوجّ ، ولأقيم ضلعتك بالتحرّيك وبالسكون أيضاً و هو الاعوجاج خلفة ولكن الأظهر أن يكون مأخوذاً من أضلعه الدين أثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء و حمل مضع وزان محسن أي ثقيل وان كان مرجعه أيضاً إلى الأول .

وروى مضعلات المحذور بالطاء المشالة ، قال الشارح المعتزلي : أراد الامور التي تجعل الانسان ظالماً أي يغمر في مشيه لنقلها عليه والماضي ظلع بالفتح يطلع

ظلمة فهو ظالم ، وفي القاموس ظلم البعير كمنع غمز في مشبه ، و الظالم المائل  
والظلام كغراب دا ، في قوائم الدابة لا من سير ولا تعب  
الاعراب

قول السيد : كثيراً ما ينادي ، كثيراً منصوب على الظرفية المجازية مفعول  
لقوله ينادى قدّم عليه لتضمنه معنى الظرف أى ينادى حيناً كثيراً أى في كثير من  
الأوقات ، ونحوكم منصوب بنزع الخافض متعلق بقوله دائبة ، وقوله : و كأنكم  
بمخالبيها ، كأن للتشبيه و الظرف متعلق بفعل محذوف بقرينة المقام أى كأنكم  
تبصرون بمخالبيها على حدّ قوله تعالى « فبصرت به عن جنب » والجملة خبر كأن  
وجملة وقد نشبت في محلّ النصب حال من مخالبيها لكونه مفعولاً بالواسطة وقوله  
وقد دهمتكم جملة مستأنفة ، والفاء في قوله : فقطعوا فيصحة .

#### المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه السيد كان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كثيراً ما ينادي به  
أصحابه بعد صلاة العشاء الآخرة كما صرح به في رواية الامالى الآتية ايقاظاً لهم عن نوم  
الغفلة وإزعاجاً من الاغترار بالدنيا يناديهم بحيث يسمع من في المسجد .  
( تجهّزوا رحمكم الله ) أى خذوا جهاز الموت و هيئوا ما تحتاجون إليه في  
طي منازل الآخرة والوصول إلى حضرت ربّ العزة .

( فقد نودى فيكم بالرحيل ) أى بالارتحال والمسافرة إلى العقبى ، والمراد  
بالمنادى إِماتوارد الآلام والأسقام وتراكم الأسباب المعدّة للمزاج للفساد ، أو الملك  
المأمور من الله تبارك و تعالى بالنداء يقول : لدوا للموت و ابنوا للخراب أو طرو  
المشيب والهرم كما قال عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الديوان المنسوب إليه :

الشيب عنوان المنية	و هو تاريخ الكبير
و بياض شعرك موت	شعرك ثم أنت على الاثر
وإذا رأيت الشيب عمّ	الرأس فالخذ والخذ

ويحتمل أن يكون المراد بالرحيل الازعاج من الدنيا والتوجه إلى الآخرة

والسفر إلى الله بالرياضيات الكاملة، فالمراد بالنداء حينئذ ما نطق به الكتاب العزيز  
وجرى على السنة الأنبياء والرسل والأئمة من الأوامر الواردة بالزهد كما قال ﷺ  
موتوا قبل أن تموتوا، وأن المراد به اخبارهم بأنهم يرتحلون ولا يبقون كما قال  
تعالى « إنك ميت وإنتهم ميتون » « وأينما تكونوا يدر ككم الموت » ونحو ذلك ، وقد  
مرّ نظير هذه الفقرة في الخطبة الثالثة والستين وهو قوله : ترحلوا فقد جدّ بكم ،  
فليراجع ثمة .

( وأقلّوا العرجة على الدنيا ) أى الإقامة عليها وحبّ البقاء فيها ، والمراد به  
الأمر بقصر الأمل وعدم تطويله ، لأنّ طول الأمل ينسى الآخرة .

كما قال ﷺ في المختار الثاني والأربعين : إن أخوف ما أخاف عليكم  
اثنتان اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، وأما طول الأمل  
فينسى الآخرة ، ومضى في شرحه مطالب نافعة وأخبار نفيسة .

وقال ﷺ في المختار الثامن والعشرين : ألا وإنكم قد امرتم بالظعن ودلتم  
على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، ومضى في شرحه  
أيضاً مطالب وأخبار شريفة وروينا هناك عن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ  
يقول : من تعلق قلبه بالدنيا تعلق بثلاث خصال : هم لا يفنى ، وأمل لا يدرك ، ورجاء لا تنال .  
ومحصّل المراد من إقلال الإقامة على الدنيا الزهد فيها والقناعة على القدر

الضروري من العيش وارتقاب الموت ولنعم ما قال ﷺ في الديوان المنسوب إليه  
إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت  
ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت  
و قال أيضاً :

يكرّ أن من سبت جديد إلى سبت

وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

ألم تر أنّ الدهر يوم و ليلة

فقل لجديد الثوب لا بد من بلى

وقال أيضاً :

يكفى لمن في غد يموت

بيت و يوم و قوت يوم

و ربما مات نصف يوم و النصف من قوته يفوت  
و فيه أيضاً

بيت يوارى الفتى و ثوب يستر من عودة و قوت  
هذا بلاغ لمن تحسى و ذا كثير لمن يموت

( و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد ) أى انصرفوا إلى وطنكم الأصلي  
الذي منه خرجتم وهو الدار الآخرة و الجنة وذلك باعتبار كونهم ذرأً في صلب  
أبيهم آدم منه خرج وإليه عاد أو المراد انصرفهم إلى الحق الأول عز وجل فإنه  
تعالى منه البداء، وإليه الانتهاء ، وهو غاية مراد المرئيين ، ومنتهى سير السائرين ،  
ومرجع الراجعين كما قال تعالى « ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم  
بما كنتم تعملون » وقال « إن الله وإننا إليه راجعون » .

وعلى أى تقدير فلا يخفى ما في التعبير بلفظ الانقلاب من حسن التقرير  
وبديع الصناعة ، ومحصل المراد الأمر بتحصيل صالح الزاد ليوم المعاد و أراد به  
التقوى كما قال عز و علا « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » .

و علل شدة الحاجة إلى أخذ الزاد بقوله ( فإن أمامكم عقبة كئوداً ) أى  
صعبة شاقّة المعاهد .

( و منازل مخوفة مهولة لا بد من الورد عليها والوقوف عندها ) أشار بها إلى  
شدايد الموت ومشاق البرزخ ومنازل الآخرة ومواقف القيامة وأهويلها وأخاويلها  
وأفزعها « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل  
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

روى في البحار من أمالي المفيد عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله جعفر  
ابن محمد عليه السلام : ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإن في القيامة خمسين موقفاً  
كل موقف كألف سنة مما تعدون ثم تلا هذه الآية « في يوم كان مقداره خمسين  
ألف سنة » .

و من تفسير علي بن إبراهيم في هذه الآية قال عليه السلام : إن في القيامة خمسين

موقفاً لكل موقف ألف سنة .

وقال الصدوق في عقايدِهِ ، اعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر أن كل عقبة منها اسم فرض وأمر ونهى ، فمتى انتهى الانسان إلى عقبة اسمها فرض وكان قد قصر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها .

فان خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركه نجى منها إلى عقبة اخرى فلا يزال من عقبة إلى عقبة ويحبس عند كل عقبة فيسأل عما قصر فيه من معنى اسمها فان سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيا حياة لاموت فيها أبداً وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً و سكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصدّيقين والشهداء، والصالحين من عباده .

وإن حبس على عقبة فطولب بحق قصر فيه ولم ينجه عمل صالح قدّمه ولا أدركته من الله عزّ وجلّ رحمة زالت به قدمه عن العقبة فهوى في جهنّم ، نعوذ بالله منها .

و هذه العقبات كلّها على الصراط اسم عقبة منها الولاية يوقف جميع الخلايق عندها فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده فمن أتى بها نجا و جاز و من لم يأت بها بقى فهوى وذلك قول الله عزّ وجلّ « و قفوهم انهم مسؤولون » .

وأهم عقبة منها المرصاد وهو قول الله عزّ وجلّ « إن ربك لبالمرصاد » ويقول الله عزّ وجلّ : وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ، واسم عقبة منها الرّحم ، واسم عقبة منها الأمانة ، واسم عقبة منها الصّلاة وباسم كل فرض وأمر ونهى عقبة ويحبس عندها العبد فيسأل .

وقال الشيخ المفيد في شرحه : العقبات عبارة عن الأعمال الواجبة والمسائل عنها والمواقفة عليها ، وليس المراد بها جبال في الأرض يقطع ، وإنما هي الأعمال شُبّهت بالعقبات ، وجعل الوصف لما يلحق الانسان في تخلّصه من تقصيره في طاعة الله تعالى ، كالعقبة التي يجهد صعوّدها وقطعها قال الله تعالى « فلا اقتحم العقبة »

وما ادريك ما العقبة ۞ فك رغبة ، فسمى الله سبحانه الأعمال التي كلفها العبد عقبات تشبيهاً بالعقبات والجبال لما يلحق الانسان في أدائها من المشاق كما يلحقه في صعود العقبات وقطعها .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ان أمامكم عقبة كئوداً و منازل مهولة لا بد من الممر بها والوقوف عليها ، فاما برحمة الله نجوتم و إما بهلكة ليس بعدها انجبار . أراد عليه السلام بالعنبة تخلص الانسان من العقبات التي عليه ، و ليس كما ظنّه الحثوية من أن في الآخرة جبالا وعقبات يحتاج الانسان إلى قطعها ماشياً وراكباً وذلك لا معنى له فيما توجيه الحكمة من الجزاء ولا وجه لخلق عقبات تسمى بالصلاة و الزكاة و الصيام و الحج وغيرها من الفرائض يلزم الانسان أن يصدها فان كان مقصراً في طاعة الله حال ذلك بينه وبين صعودها .

إذ كان الغرض في القيامة الموافقة على الأعمال والجزاء عليها بالثواب والعقاب وذلك غير مفتقر إلى تسميته عقبات وخلق جبال وتكليف قطع ذلك وتصعبه وتسهيله مع أنه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل فيعتمد عليه وتخرج له الوجوه ، وإذا لم يثبت بذلك خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه ، انتهى كلامه رفع مقامه .

واعترض عليه المحدث العلامة المجلسي في البحار بعد نقله بقوله : إن تأويل ظواهر الاخبار بمحض الاستبعاد بعيد عن الرّشاد ، والله الخيرة في معاقبة العاصين من عباده بأي وجه أراد ، و قد مضى الأخبار في ذلك و سيأتي بعضها و الله الموفق للخير والسداد ، هذا .

و لما حذر من عقبات الآخرة و مواقفها المهولة المقتضية لأخذ الزاد لها ، عقبه بالإشارة إلى قرب الموت المعقب لهذه الأهويل و العقبات و كونه بالرصد والترقب والاخترام تنبيهاً به على وجوب المبادرة بأخذ الزاد لقرب الحاجة إليه و على عدم التواني والتسويف فيه بتوهم بعد زمان الاحتياج فقال :

( و اعلمو أن ملاحظ المنية نحوكم دائبة ) أي مجدة يعني أنها تنظر اليكم باللحظ والشرز أي بمؤخر عينها نظر الغضبان مجدة فيه قصداً لاخترامكم .

( وَكَاتَمْتُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبْتُمْ فِيكُمْ ) شَبَّهَهَا بِالسَّبْعِ الْفَتَاكِ الضَّارِي عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ وَ أَثْبَتَ لَهَا الْمَخَالَبَ وَالنَّشُوبَ تَخْيِيلًا وَ تَرْشِيحًا ، يَرِيدُ قَرَبَ أَخْذِهَا لَهُمْ وَ انْتِشَابَ مَخَالِبِهَا فِيهِمْ وَالْيَ هَذَا يَنْظُرُ قَوْلَهُ لِيُخْبِرَ فِي الدِّيَّوَانِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ :

يا مؤثر الدنيا على دينه      والثائه الحيران عن قصده  
أصبحت ترجوا الخلد فيها وقد      أبرز ناب الموت عن حده  
هيئات إن الموت ذوأسهم      من يرمه يوماً بها يرده  
( وَقَدْ هَمَّتْكُمْ مِنْهَا مَفْظَعَاتُ الْأُمُورِ ) أَي غَشِيَتْكُمْ مِنَ الْمَنِيَّةِ الْأُمُورَ الشَّنِيعَةَ  
الْبَالِغَةَ فِي الشَّنَاعَةِ الْغَايَةِ .

( وَ مَعْضَلَاتُ الْمَحْذُورِ ) أَي الْأَفْزَاعُ وَالِدَوَاهِي الشَّدِيدَةُ الَّتِي تَحْذَرُ مِنْهَا وَتَحْتَرِزُ ، وَعَلَى رِوَايَةِ مَعْضَلَاتِ الْمَحْذُورِ فَالْمُرَادُ الْمَحَاذِيرُ الَّتِي تَوْجِبُ انْحِنَاءَ ظَهْرِ الْإِنْسَانِ لِثِقَلِهَا وَ شَدَّتْهَا مِنْ سَكْرَةِ مَلْهَيْتِهَا وَ غَمْرَةِ كَارِثَتِهَا وَ جَذْبَةِ مَتَعْبَةٍ وَسُوقَةِ مَكْرَبَةٍ وَ نَحْوِهَا مِنْ أَفْزَاعِ الْمَوْتِ .

( فَفَطَّعُوا عَلَاقِقَ الدُّنْيَا ) وَ أَمِيطُوا مَحَبَّتَهَا عَنْ قُلُوبِكُمْ ( وَاسْتَظْهَرُوا ) خَيْرَ الزَّادِ ( زَادَ التَّقْوَى ) لِتَقْوَاهُ إِلَى قَطْعِ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ وَالْوَصُولِ إِلَى حَضْرَتِ الرَّبِّ الْأَعْلَى . نَسَأَلُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُسْتَظْهِرِينَ بِهِ ، وَالْوَاصِلِينَ إِلَى مَقَامِ الْقَرَبِ وَالزَّادِ لَيْدِهِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ .

### تكملة

رَوَى فِي الْبَحَارِ مِنَ الْأُمَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَنْ ابْنِ حَمِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكَوْفَةِ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ يَنَادِي النَّاسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْمَعَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ :  
أَيُّهَا النَّاسُ تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُوذِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ فَمَا التَّعَرَّجَ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَ النَّدَاءِ فِيهَا بِالرَّحِيلِ ، تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَانْتَقِلُوا بِأَفْضَلِ مَا بَحَضَرَ تَكُمُ مِنَ الزَّادِ وَهُوَ التَّقْوَى ، وَاعْلَمُوا أَنَّ طَرِيقَكُمْ إِلَى الْمَعَادِ ، وَ مَرَّكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ



والهول الأعظم أمامكم على طريقكم عقبة كئودة ، ومنازل مهولة مخوفة ، لا بد لكم من الممر عليها، والوقوف بها فإما برحمة من الله فنجاة من هولها وعظم خطرها وفضاعة منظرها وشدّة مخبتها ، وإما بهلكة ليس بعدها انجبار .

### الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام است که اکثر اوقات ندا میگرد بان اصحاب خود را میفرمود:

ضروریات سفر آخرت را مهیا نمائید خدا رحمت کند شما ، پس بتحقیق ندا کرده شد در میان شما به کوچ کردن، و کم نمائید اقامت در دنیا را، و رجوع نمائید بسوی آخرت با بهترین چیزیکه نزد شماست از توشه آخرت ، پس بدرستی که پیش شماست عقبة سخت و منزلهای خوفناک و خطرناک لا بد هستید از آمدن آن منزلها و از توقف نمودن در نزد آنها ، و بدانید که نظرهای تند و غضبناک مرگ بسوی شما متوجه است ؛ و گویا می بینید که چنگال های آن سبع قتال بشما بند شده ، و بتحقیق که احاطه کرده شما را از آن مرگ امورات قبیحه بی نهایت ، و محذورات شدید بغایت شدت ، پس بپسید علایق دنیا را ، و طلب اعانت نمائید با توشه تقوی و پرهیزکاری .

## و من کلام له عليه السلام وهو المآتان والرابع من المختار في باب الخطب

و رواه الشارح المعتزلي في شرح المختار الحادي والتسعين من كتاب نقض كتاب العثمانية لأبي جعفر الاسكافي باختلاف كثير تعرفه إن شاء الله .  
قال السيد : كَلِمٌ به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانة في الأمور بهما .

لَقَدْ تَقَمَّتْهُمَا يَسِيراً ، وَ أَرْجَأْتُمَا كَثِيراً ، أَلَا نُغْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا

فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ، وَآيٌ قَسَمَ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ، أَمْ آيٌ حَقٌّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهْلِيَّةٌ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ، وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزَابَةٌ، وَلَكِنَّمَا دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَأَبْغَيْتُهُ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَقْدَبْتُهُ، فَلَمْ أُحْتَجِ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمُ جَهْلِيَّةٍ فَأَسْتَشِيرُكُمَا وَإِنْخَوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أُرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أُحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيِّتُهُ هَوَى مَنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ، فَلَمْ أُحْتَجِ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهِ عِنْدِي وَلَا لِتَغْيِرِكُمَا فِي هَذَا عُنْيِي، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

## اللغة

(نقمت) عليه أمره و نقمت منه نقمًا من باب ضرب و نقمت أنقم من باب

تعب لغة إذا عبته وكرهته أشد الكراهة بسوء فعله واللغة الأولى هي الفصيحة وبهما قرء قوله تعالى «وما تنقم منها» أي وما تطعن فينا و تقدح ، و قيل : ليس لنا عندك ذنب ولا ركبتنا مكروهاً و (أرجأته) بالهمزة أخرته (و قسمته) قسماً من باب ضرب فرزته أجزاء فانقسم والقسم بالكسر اسم منه ، ثم اطلق على الحصّة والنصيب فيقال: هذا قسمي والجمع أقسام مثل حمل وأحمال.

و (استأثر) بالشيء استبد به أي انفرد به من غير مشارك له فيه و (حملة) على الأمر يحمله فانحمل أغراء به و (الاسوة) بالضم والكسر القدوة (ولاوليته هوى مني) في أكثر النسخ بتشديد اللام يقال ولتيته تولية أي جعلته والياً ، وفي بعضها بالتخفيف وهو الأظهر من وليه إذا قام به ومنه ولي الصغير أي القائم بأمره و (عتب) عليه عتياً من باب ضرب و قتل لامة في تسخط ، و أعتبني الهمزة للسلب أي أزال الشكوى والعتاب ، والعتبي وزان فعلى اسم من الاعتاب.

### الاعراب

قوله : بعد بيعته بالخلافة من إضافة المصدر إلى المفعول ، و يسيراً أو كثيراً منصوبان على المفعول به ، وقوله : ألأخبرائي أي شيء لكما فيه حقّ دفعتمكاعنه أي اسم استفهام مرفوع على الابتداء و جملة دفعتمكاعنه خبره ، و جملة لكما فيه حقّ صفة لشيء ، و لكما ظرف لغو متعلق بحقّ ، وفيه ظرف مستقرّ متعلق بمقدّر خبر مقدّم ، و حقّ مبتدأ و يحتمل أن يجعل الأول ظرف مستقرّ والثاني ظرف لغو ، و جملة أي شيء اه منصوبة المحلّ مفعول لتخبرائي اه.

وقوله : أم أيّ قسم في بعض النسخ أو بدل أم و كذلك في قوله أم جهلته وقوله : ولولتيته هوى مني ، على رواية ولتيته بالتشديد يكون هوى مفعولاً به أي لم أجعل هواي والياً في هذا الأمر . و على رواية التخفيف فهو مفعول له أي ما قامت به لأجل هوى نفسي ، و جملة قد فرغ منه بالبناء على الفاعل حال من رسول الله ، وفي بعض النسخ بالبناء على المفعول فتكون حالا من ماجاء به ، والفاء في قوله : فليس فصيحة ، و جملة رحم الله رجلا اه ، دعائية لامحلّ لها من الاعراب .

## المعنى

اعلم أن هذا الكلام حسبما أشار إليه الرضِيُّ رضي الله عنه : (كَلِمٌ بِهِ طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ بَعْدَ بَيْعَتِهِمَا لَهُ بِالْخِلَافَةِ وَقَدْ عْتَبَا مِنْ تَرْكِ مَشُورَتِهِمَا وَالِاسْتِعَانَةِ فِي الْأُمُورِ بِهِمَا) و من ترك تفضيلهما في العطاء على غيرهما .

قال الشَّارِحُ المعتزلي إنَّهما قالا: ما نراه يستشيرنا في أمر ولا يفاضنا في رأيٍ و يقطع الأمر دوننا و كانا يرجوان غير ذلك، و أراد طلحة أن يوليّه البصرة و أراد الزبير أن يوليّه الكوفة .

فلمَّا شاهدنا صلابته في الدين و قوته في العزم ، و هجره الأدهان و المراقبة و رفضه المدالسة و المواربة ، و سلوكه في جميع مسالكه منهج الكتاب و السنته ، و قد كانا يعلمان ذلك قديماً من طبعه و سجيته ، و كان عمر قال لهما و لغيرهما: إن الأجلح أي الأزرع إن وليها ليحملنكم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم ، و كان النبي ﷺ قال من قبل : و إن تولوها علينا تجدوه هادياً مهدياً ، إلا أنه ليس الخبر كالعيان ، و لا القول كالفعل ، و لا الوعد كالانجاز

حالا (١) عنه و تنكَّرَ له ، و وقعافيه ، و عاباه تطلباً له العلل و التأويلات ، و تنقما عليه الاستبداد و ترك المشاورة ، و انتقلا من ذلك إلى الوقعة فيه بمساوات الناس في قسمة الأموال ، و أثنيا على عمر و حمدا سيرته و صواب رأيه ، و قالا : إنَّه كان يفضِّل أهل السوابق ، و ضلَّلا علينا فيما رآه و قالا : إنَّه أخطأ ، و إنَّه خالف سيرة عمر ، و استنجدنا عليه بالرؤساء من المسلمين كان عمر يفضِّلهم في القسم على غيرهم .

و الناس أبناء الدنيا و يحبون المال حباً جمّاً فتنكَّرت على أمير المؤمنين بتنكُّرهما قلوب كثيرة .

و كان عمر منع قريشاً و المهاجرين و ذوى السوابق من الخروج من المدينة و نهاهم عن مخالطة الناس ، و نهى الناس عن مخالطتهم و رأى أن ذلك أس

(١) حالا عنه أي تفرام الاستواء الى العوج ، منه .

الفساد في الأرض ، وأن الفتوح والغنائم قد أبطرت المسلمين ، ومتى بعد الرؤوس والكبراء منهم عن دار الهجرة و انفردوا بأنفسهم و خالطهم الناس في البلاد البعيدة لم يؤمن أن يحسنوا لهم الوثوب و طلب الامارة و مفارقة الجماعة و حل نظام الالفة و لكنّه نقض هذا الرأى السديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة له من الشورى فان ذلك كان سبب كل فتنة وقع و يقع إلى أن تنقضى الدنيا .

قال : وقد قدمنا ذكر ذلك و شرحنا ما أدى إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل في نفس كل من الستة من ترشيحه للخلافة إلى أن قال : إن طلحة والزبير لما آيسا من جهة علي عليه السلام ومن حصول الدنيا من قبله قلبا له ظهر المعجن ، فكشفاه و عاتباه قبل المفارقة عتاباً لا ذعاً (١)

قال : روى أبو عثمان الجاحظ قال :

أرسل طلحة والزبير إلى علي عليه السلام قبل خروجهما إلى مكة فجدب طلحة وقال : لاتقل له يا أمير المؤمنين ولكن قل له : يا أبا الحسن لقد قال أى خطأ، فيك رأينا و خاب ظننا أصلحنا لك الأمر و وطدنا لك الامرة و أجلبنا على عثمان حتى قتل فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك و بايعناك و قدنا إليك أعناق العرب و وطأ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبدت برأيك عتاً و رفضتنا رفض التريكة (٢) و أذلتنا إذالة الاماء (٣) و ملكت أمرك الاشر و حكيم بن جبلة و غيرهما من الأعراب

فلما جاء محمد بن طلحة أبلغه ذلك فقال : اذهب إليهما فقل لهما فما الذى يرضيكما؟ فذهب و جاء و قال : إتهما يقولان ولأحدنا البصرة و آخرنا الكوفة .

فقال : لاهاء الله إذأ يحلم (٤) الأديم ، و يستشرى الفساد ، و تنقض علي عليه السلام

(١) لدع النار الشئ، لفعه، منه.

(٢) التريكة كسفينة امرأة تترك لا تتزوج، منه.

(٣) أى أهنتا إهانة الاماء يقال أذلته أهنته ولم أحسن القيام عليه، منه .

(٤) حلم الجلد من باب فرح وقع منه العلم وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله، منه.

البلاد من أقطارها ، والله انسى لآمنهما وهما عندى بالمدينة فكيف آمنهما و قد وليتهما العراقين اذهب إليهما فقل أيها الشيخان احذرا من الله و نبيه ﷺ على امتته ولا تبغى (١) المسلمين غيلة و كيداً وقد سمعتم قول الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ».

فقام محمد بن طلحة فأتا إليهما ولم يعداله و تأخرأ عنه أياماً ثم جاءه فاستأذنا في الخروج إلى مكة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا ينقضا بيعته ولا يفدرا به ولا يشقا عصا المسلمين ولا يوقعا الفرقة بينهم وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة ، فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا ما فعلا

قال: وروى الطبري في التاريخ قال: لما بايع الناس علياً وتم الأمر له قال طلحة للزبير : ما أرى أن لنا من هذا الأمر إلا ككشحة أنف الكلب فقد ظهر لك من ذلك و يظهر أيضاً مما نرويه من الاسكافي أن علة نقم طلحة والزبير منه بِالْحِلَالِ إنما كانت ترك استشارتهما و مداخلةتهما في أمر الخلافة و عدم بذل مأمولهما في تولية العراقين والتسوية بينهما و بين غيرهما في القسم ولما نفما عليه بذلك أجاب لهما بقوله :

( لقد نقمتمما يسيراً وأرجأتما كثيراً ) أى طعنتمما و عتبتما علي شيئاً يسيراً و هو ترك الاستشارة و أمر التسوية حسبما عرفت مع عدم كونهما مورد طعن و عيب في الحقيقة و أخرتما شيئاً كثيراً من رعاية حقوقى الواجبة و السعي فيما يعود إلى صلاح حال المسلمين و انتظام أمر الدين و اتساق جبل الالفه و الجماعة.

و قال الشارح المعتزلي : أى نقمتمما من أحوالى اليسير ، و تركتما الكثير الذى ليس لكما و لالغير كما فيه طعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير الكثير. و قال الشارح البحراني : يحتمل أن يريدان الذى أبدياه و نغماء بعض مما في أنفسهما و قد دل ذلك على أن في أنفسهما أشياء كثيرة وراه ما ذكراه . أقول : يعنى قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفى صدورهم أكبر ،

والأظهر ما قلناه .

ثم استخبر عمّا نقامه واستفهم عن وجوه النّقم المتصورّة في المقام استفهاماً إنكارياً إبطالياً تنبيهاً به على بطلان تلك الوجوه جميعاً وعلى كذب مدّعيا فقال :

( ألا تخبراني أيّ شيء لكما فيه حقّ ) ماليّ أو غير ماليّ ( دفعتكما عنه ) وظلمتكما فيه .

وبطلان هذا الوجه مع كونه معصوماً واضح ، ويزيده وضوحاً قوله الآتي في الكلام المأتين والعشرين : وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى ققولها ويطول في الثرى حلولها ، وقوله فيه أيضاً . والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحث أفلاكها على أن أعصي الله في نملته أسلبها جلب شميرة ما فعلته ، ومن هذا حاله كيف يتصور في حقّه الظلم ؟!

( و أيّ قسم استأثرت عليكما به ) أيّ أيّ سهم و نصيب أخذت من بيت المال و تقرّدت به ولم اّشار ككم .

وبطلانه أيضاً واضح ممّا مرّ ويزيده توضيحاً ما مرّ في الكلام المائة والسادس والعشرين من قوله : لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف والمال مال الله ، وما يأتي في باب المختار من كتبه في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري من قوله : وإن إمامكم قد اّكتفى من دنياه بطمره و من طعمه بقرصيه ، ومن هذا شأنه كيف يحيف الغير ويذهب بحقّه وغيره ؟!

و بما ذكرته علم الفرق بين هذا الوجه و الوجه الأوّل ، فإنّ الأوّل أعم من الحقّ الماليّ وغيره ، وهذا مخصوص بالماليّ ، وأيضاً دفع الحقّ عنهما أعمّ من أن يصير إليه أو إلى غيره أولم يصير إلى أحد بل يبقي في بيت المال و الاستيثار عليهما به هو أن يأخذ حقّهما لنفسه .

( أم أيّ حقّ رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه ) و كنت محتاجاً فيه

إلى المعاون والمعين .

و بطلان هذا الوجه أيضاً لا ريب فيه لما قد عرف من بأسه و شجاعته وأنه لولا سيفه لما قام للإسلام عمود ولا أخضر للدين عود ، وقد قال في الكلام السابع والثلاثين واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تنزله العواصف لم يكن لأحد في مهمز ولا فائتل في مهمز الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه ، و قال في الكلام المائة والستادسة و الثلاثين : و ايم الله لأصنف المظلوم من ظالمه ولأقودن الظالم بخزامة حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارها

( أم جهلته أم أخطأت بابه ) و كنت محتاجاً إلى التعليم والتنبيه والفرق بين الجهل والخطأ، في الباب الأول أن يكون الله سبحانه قد حكم بحرمة شيء مثلاً فأحلّه الامام والثاني أن يصيب في الحكم و يخطيء في طريقه والاستدلال عليه، أو أن الأول أن يجهل الحكم ويتحير فيه ولا يدري كيف يحكم ، والثاني أن يحكم بخلاف الواقع

وعلى أي تقدير فنوهتم أحد الأمرين في حقّه ﷺ ، مع علمه بما كان وما يكون و ما هو كائن و كونه أعلم بطرق السماء من طرق الأرض و كونه باب مدينة العلم والحكمة و كونه أفضي الامة على ما صدر عن صدر النبوة و عرفته في تضاعيف الشرح غير مرة أوضح البطلان و فساده غنى عن البرهان ، هذا ولما أشار ﷺ إلى بطلان وجوه النقم المتصورة إجمالاً أراد إبطال ما نتما به عليه تصريحاً و هو ترك الاستشارة وأمر الاسوة وأجاب عن النقم بهما تفصيلاً .

و قبل الشروع في الجواب مهتد مقدمة لطيفة دفعا بها توهم كون نهوضه بالخلافة من حب الملك والرياسة و محبة السلطنة والولاية المقتضية للمماشاة والمشاورة مع الحاشية والبطانة كما كان في المتخلفين الثلاثة و دفعا بها منتهما عنه ﷺ حيث منّا عليه بأشأصلحنا الأمر ووطننا لك الامرة و بايعناك وقدنا إليك أعناق العرب على مامر في رواية أبي عثمان الجاحظ .

و تلك المقدمة قوله ﷺ ( والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في



الولاية اربعة ) وحاجة أمّا عدم احتياجه إليها فواضح ، وأمّا عدم رغبته فيها فلكراهته لها طبعاً وإن كان يحبّها شرعاً أو كراهته لها من حيث الملك والسلطنة فلا تنافي رغبته من حيث التمكن من إعلاء لواء الشرع وإقامة المعروف وإزاحة المنكر أو أن عدم الرغبة حين عدم تحقق الشرايط .

كما يشعر بذلك قوله ﷺ في الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية : أما والذي فلق الحبة و برء النسمة لولا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء ألاّ يقاروا على كظّة ظالم ولا سب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولألقيتم دنياكم هذه أزهّد عندي من عقطة عنز .  
ويشعر به أيضاً قوله ﷺ في الكلام الحادي والتسعين : دعوني والنمسا وغيري ، و مضى هناك أخبار مناسبة للمقام .

( و لكنكم دعوتوني إليها ) على رغبة منكم ( و حملتموني عليها ) على كراهة منّي كما أوضحه ﷺ في المختار المأتين والخامسة والعشرين حيث قال هناك : وبسطنم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثمّ تدا ككتم على تداك الأبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى انقطعت النعل و سقطت الرداء و وطى الضعيف و بلغ من سرور الناس بيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير و هجج إليها الكبير .  
ولمّا مهدّ المقدمة الشريفة المنبئة عن عدم رغبته في الولاية والخلافة ورفع بها منتهما عليه في المبايعة رتب عليها الجواب عن نقمهما الأوّل أعني مسألة المشاورة و قال :

( فلمّا أفضت ) أى وصلت الخلافة ( إليّ ) نظرت إلى كتاب الله ( عزّ وجلّ )  
( و ) إلى ( ما وضع لنا ) أى ما وظفه لنا وألزمه علينا معاشر الأئمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بين الناس بالعدل حيث قال : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

زوى في البحار عن العياشى عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي

عبد الله ﷺ قال : في قراءة عليّ ﷺ « كنتم خير أئمة أخرجت للناس » قال : هم آل محمد ﷺ .

وعن العياشي عن أبي بصير عنه ﷺ ، قال : إنما انزلت هذه الآية على محمد ﷺ فيه وفي الأوصياء خاصة فقال « أنتم خير أئمة أمة نوح » أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » هكذا والله نزل بها جبرئيل وما عنى بها إلاّ محمداً وأوصيائه صلوات الله عليهم .

وقال تعالى أيضاً « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » فإن هذه الآية أيضاً خطاب لخصوص ولادة الأمر، وعلى كونها خطاباً للعموم فيدخل فيه ولادة الأمر ، وعلى أيّ تقدير فقد بين الله وظيفتهم فيها .

قال في مجمع البيان : قيل في معنى هذه الآية أقوال :

أحدها أنّها في كلّ من أوثمن أمانة من الأمانات وأمانات الله وأمره ونواحيه وأمانات عباده فيما يأتهم بعضهم بعضاً من المال وغيره ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ .

وثانيها أنّ المراد به ولادة الأمر هم الله أن يقوموا برعاية الرعية وحمليهم على موجب الدين والشريعة ورواه أصحابنا عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق ﷺ قالوا : أمر الله كلّ واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده ، ويعضده أنّه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولادة الأمر .

وروي عنهم ﷺ أنّهم قالوا : آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم قال الله « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها » الآية وقال « يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » الآية .

وهذا القول داخل في القول الأوّل لأنّه من جملة ما أئتمن الله عليه الأئمة الصادقين ﷺ ولذلك قال أبو جعفر ﷺ إن الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون من جملة الأمر لولادة الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك

مما يتعلّق به حقّ الرعية، وقد عظم الله أمر الامانة بقوله « يعلم خائنة الأعين » وقوله « لا تخونوا الله والرسول » وقوله « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار لا يؤدّء إليك » .  
 (و) إلى ما ( أمرنا بالحكم به فاتبعته ) أراد به الحكم بما أنزل الله في كتابه دون غيره من أحكام الجاهلية والأحكام الصادرة عن الاستحسانات العقلية كما صدرت عن المتخلفين الثلاثة وقد قال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » وقال « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبّع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولّوا فاعلم أنتما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون » فأحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

فان هذه الآيات كما ترى صريحة في وجوب الأخذ بحكم الكتاب ، والآية الأخيرة وإن كانت خاصة بالنبي إلا أنها تعمّ الأئمة الفائمين مقامه عليهم السلام بل تعمّ سائر أحكام الشرع بمقتضى أدلة الشركة في التكليف .

وغير خفي على الفطن العارف حسن انطباق مفاد الآية الأخيرة بالمقام فانّ الله سبحانه أمر نبيّه فيها في الحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله ونهاه عن اتّباع هواهم وحذّره من تفتينهم وأشار إلى توليهم عن حكم الله وإلى ابتنائهم حكم الجاهلية ، وكذلك كان حال أمير المؤمنين عليه السلام مع طلحة والزبير اللذين هما تاليا أهل الكتاب فقد كان مراده أن يحكم بحكم الله وبالأخذ بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان مرادهما أن يداخلهما في الأمر ويشاورهما ويتابع هواهما ويسير فيهما وفي غيرهما بسيرة عمر ، وكان غرضهما تفتينه وتغييره حكم الله إلى حكم الجاهلية ، إذ حكم الجاهلية لم يكن منحصرأفي أحكام أيام الفترة بل كلّ حكم خالف الكتاب والسنة .  
 كما روى في الكافي عن الصادق عن أمير المؤمنين عليه السلام الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية .

وقال الطبرسي في قوله « فأحكم الجاهلية يبغون » قيل : المراد به كلّ من

طلب غير حكم الله فانه يخرج منه إلى حكم الجاهلية وكفى بذلك أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم .

فقد علم بذلك أن تكليف الأئمة عليهم السلام اتباع أمر الله والأخذ بحكم الله لا الحكم بالرأى والأهواء كما في أئمة الجور .

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم عن حميد بن زياد عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : الأئمة في كتاب الله إمامان قال الله « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم ، قال « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلافاً لما في كتاب الله .

وكيف كان فمحمل مفاد قوله عليه السلام إنني نظرت إلى كتاب الله جل شأنه وإلى ما عين لنا فيه من التكاليف والأحكام فاتبعته .

(و) نظرت إلى ( ما استسن النبي صلى الله عليه وسلم ) وشرعه ( فاقتديته ) وتابعته ( فلم ) يبق الكتاب والسنة شيئاً من الأحكام الشرعية ( احتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأى غيركما ) من الآراء الباطلة والاستحسانات الفاسدة .

( ولا وقع حكم جهلته ) وهذا أحد الوجوه المتقدمة التي أنكرها سابقاً على سبيل الاستفهام ونفاها هنا صريحاً أي لم يقع حكم شرعي لا أعلم به فأحتاج إلى التعلم والمشاورة ( فاستشير كما و اخواني من المسلمين ) فيه وأتعلمه منكم ( ولو كان ذلك ) أي لو وقع حكم كذلك ( لم أرغب عنكما ولا عن غيركما ) .

ولما أجاز عن نعمهما الأول شرع في الجواب عن نعمهما الثاني فقال :

( وأماما ذكرتما من أمر الاسوة ) أي القدوة واقتدائكما بغير كما في النصيب والقسمة ( فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأبي ) ومن تلقاه نفسي ( ولا وليته هوى مني ) أي ماجعلت هوى والياً أو ما بشرته بهواي ( بل وجدت أنا وأنتما ماجاهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ) من القسم بالسوية والعدل في الرعية والحال أنه ( قد فرغ منه )

وأكمل ولم يبق مجال للكلام ( فلم احتج إليكما ) ولا إلى غير كما ( فيما قد فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه ) نسبة الفراغ أولاً إلى الرسول الله ﷺ وثانياً إلى الله تسميها على اتعاد حكمهما لعدم كونه ناطقاً عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى والمراد أنه لا حاجة لي إلى الغير في مال قد فرغ الله من تقسيمه وحكم فيه بالحكم الناقد الأزاعي بأن يقسم بالسوية لا بالتفاوت .

( فليس لكما والله عندي ولا لغير كما في هذا ) القسم بالسوية ( عتبي ) أي نيس لكما ولالغير كما على أن ارضيكم وازيل شكواكم عني . ثم دعا لنفسه ولهما بقوله ( أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق ) أي صرفها إليه ( وألهمنا وإياكم الصبر ) أي ألهمني الصبر على مشاق الخلافة ومقاساة المكاره والمساي من الرعية وألهمكم الصبر على ما تكرهه نفوسكم الامارة من القسم بالسوية وتوعدهم بمسأمر .

( ثم قال ﷺ رحم الله رجلا رأى حقاً ) وعدلا ( فأعان عليه ) و على العمل به ( أوزأى جوراً ) وظلماً ( فردّه ) ودفعه ( وكان عوناً بالحق على صاحبه ) أي على صاحب الجور .

و المراد به الجذب إلى طاعته وإعانتته والصرف عن مخالفتها واعانة نظاميه، لأنه عليه الصلاة والسلام مع الحق والحق معه عليه السلام والصلاة يدور معه حيثما دار هو عليه التحية والثناء ، فالمعين له عليه الصلاة والسلام معين للحق ، والمعاند له ﷺ معاند للحق ومعين للجور والباطل .

### تكملة وقبضرة

روى في البحار من الاماني أمالي الشيخ عن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت عن أحمد بن عقدة قال : حدثنا الحسن بن صالح من كتابه في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأحمد بن يحيى عن محمد بن عمرو عن عبد الكريم عن القاسم بن أحمد عن أبي الصلت الهروي وقال ابن عقدة وحدثنا القاسم بن الحسن الحسيني عن أبي الصلت عن علي بن عبد الله بن الشعبة عن أبي سبيل بن مالك عن مالك بن اوس بن

الحدثان قال :

لما ولي علي بن أبي طالب أسرع الناس إلى بيعة المهاجرين والأنصار وجماعة الناس لم يتخلف عنه من أهل الفضل إلا نفر يسير خذلوا وبايع الناس ، وكان عثمان قد عود قريشاً والصحابة كلهم ؛ وصبت عليهم الدنيا صباً ، وآثر بعضهم علي بعض ، وخص أهل بيته من بني أمية وجعل لهم البلاد وخولهم العباد فأظهروا في الأرض الفساد وحمل أهل الجاهلية والمؤلفة قلوبهم على رقاب الناس حتى غلبوه على أمره فأنكر الناس ما رأوا من ذلك فماتبوه فلم يعتمهم ، وراجعوه فلم يسمع منهم ، وحملهم علي رقاب الناس حتى انتهى إلى أن ضرب بعضاً ونفى بعضاً وحرّم بعضاً .

فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدفعوه وقالوا : إنما بايعناه على كتاب الله وسنة نبيه والعمل بهما ، فحيث لم يفعل ذلك لم تكن له عليهم طاعة فافترق الناس في أمره علي خاذل وقاتل .

فأما من قاتل فرأى أنه حيث خالف الكتاب والسنة واستأثر بالفيء واستعمل من لا يستأهل رأوا أن جهاده جهاد .

وأما من خذله فإنه رأى أنه يستحق الخذلان ولم يستوجب النصرة بترك أمر الله حتى قتل .

واجتمعوا على علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعوه فقام وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وآله ثم قال :

أما بعد فاني قد كنت كارهاً لهذه الولاية يعلم الله في سماواته وفوق عرشه على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمعتم على ذلك فدخلت فيه ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيما وال ولي أمر امتي من بعدى أقيم يوم القيامة على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته ، فان نجى فبعده ، وإن جار انتفض به الصراط انتفاضة تزيل ما بين مفاصله حتى يكون بين كل عضو وعضو من أعضائه مسيرة مائة عام يحرق به الصراط (١) ، فأول ما يلقي به النار أنفه وحر وجهه ، ولكني لما اجتمعتم

(١) من الاعوام التي يحرق بها الصراط أي بقطع ، بعار .

على نظرت فلم يسعني ردكم حيث اجتمعتم أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم .  
فقام إليه الناس فبايعوه فأول من قام فبايعه طلحة والزبير ، ثم قام المهاجرون  
والأنصار وسائر الناس حتى بايعه الناس وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمار بن ياسر  
وأبو الهيثم بن التيهان و هما يقولان : نبايعكم على طاعة الله وسنة رسوله وإن لم  
نف لكم فلا طاعة لنا عليكم ولا بيعة في أعناقكم والقرآن أمامنا وأمامكم  
ثم التفت علي عليه السلام عن يمينه وعن شماله وهو على المنبر وهو يقول :  
ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غرتمهم الدنيا فاتخذوا المقار ، وفجروا  
الأنهار ، وركبوا الخيول الفارحة ، واتخذوا الوصائف الرذقة ، فصار ذلك عليهم  
عاراً وشناراً أن لم يفرلهم الغفار إذا منعوا ما كانوا فيه ، وصيروا إلى حقوقهم التي  
يعلمون يقولون حرمننا علي بن أبيطالب وظلمنا حقوقنا ونستعين بالله ونستغفره ،  
وأما من كان له فضل وسابقة منكم فانما أجره فيه على الله ، فمن استجاب لله ولرسوله  
ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده  
فأنتم أيها الناس عباد الله المسلمون والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية وليس لأحد  
على أحد فضل إلا بالتقوى ، وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل  
الله الدنيا للمتقين جزاء وما عند الله خير للأبرار ، إذا كان غداً فاغدوا فإن عندنا  
مالا اجتمع فلا يتخلفن أحد كان في عطاء أولم يكن إذا كان مسلماً حرراً ، احضروا  
رحمكم الله .

فاجتمعوا من الغد ولم يتخلف عنه أحد ، فقسم بينهم ثلاثة دنانير لكل إنسان  
الشريف والوضيع والأحمر والأسود ولم يفضل أحداً ولم يتخلف عنه أحد إلا هؤلاء  
الرهط طلحة والزبير وعبدالله بن عمرو وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم و ناس  
معهم ، فسمع عبيدالله بن أبي رافع وهو كاتب علي بن أبيطالب عليه السلام عبدالله بن الزبير  
وهو يقول للزبير وطلحة وسعيد بن العاص لقد التفت إلى زيد بن ثابت فقلت له : اياك  
اعني واسمعي يا جارة فقال عبيدالله يا سعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير إن الله  
يقول في كتابه « وأكثرهم للحق كارهون » قال عبيدالله فأخبرت علياً عليه السلام فقال

علياً لان سلمت لهم لأحملنهم على الطريق قاتل الله ابن العاص لقد علم في كلامي أني اريده وأصحابه بكلامي والله المستعان .

قال مالك بن الأوس: وكان عليّ بن أبيطالب اكثر ما يسكن القناة ، فبينما نحن في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحة فجلسا ناحية عن عليّ ، ثم طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير والمسور بن محزومة ، فجلسوا وكان عليّ عليه السلام جعل عمار بن ياسر على الخيل ، فقال لأبي الهيثم بن التيهان و الخالد بن زيد أبي أيوب ولأبي حية ولرفاعة بن رافع في رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا إلى هؤلاء القوم فانه بلغنا عنهم ما نكره من خلاف أمير المؤمنين امامهم والطعن عليه وقد دخل معهم قوم من أهل الجفاء والعداوة فاتهم سيحملونهم على ما ليس من رأيهم فقال ، فقاموا وقمنا معهم حتى جلسوا إليهم .

فتكلم أبو الهيثم بن التيهان فقال : إن لكم لقدماً في الاسلام و سابقة و قرابة من أمير المؤمنين عليه السلام وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمر المؤمنين فان يكن أمر لكما خاصة فكاتبنا ابن عمكما و امامكما ، و إن كان نصيحة للمسلمين فلا تؤخرآ عنه ونحن عون لكما فقد علمتما أن بني امية لن تنصحكما وقد عرفتما وقال أحمد عرفتم عداوتهم لكما وقد شر كتما في دم عثمان ومالئتما . فسكت الزبير وتكلم طلحة فقال:

افرغوا جميعاً مما تقولون ، فانتى قد عرفت أن في كل واحد منكم خطبة فتكلم عمار بن ياسر رحمه الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم

و قال :

أنتما صاحباً رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعطيتمآ إمامكم الطاعة والمناصحة والميثاق على العمل بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يجعل كتاب الله اماماً .

قال أحمد وجعل كتاب الله اماماً فقيم السخط والغضب على علي بن أبيطالب فغضب الرجال للحق انصرا نصر كما الله .

فتكلم عبدالله بن الزبير ، فقال : لقد تهدت يا أبا اليقظان .



— فقال عمار : مالك تتعلق في مثل هذا يا أعبس ثم أمر به فاخرج .  
 فقام الزبير فقال : أعجبت يا أبا اليقظان على ابن أخيك رحمك الله .  
 فقال عمار : يا أبا عبد الله انشدك الله أن تسمع قول من رأيت فانكم معشر  
 المهاجرين لم يهلك من هلك منكم حتى استدخل في أمره المؤلففة قلوبهم .  
 فقال الزبير : معاذ الله أن نسمع منهم .

فقال عمار : والله يا أبا عبد الله لو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما  
 خالفته ولا زالت يدي مع يده ، وذلك لأن علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله  
 نبيه ﷺ فاني أشهد أنه لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحداً .

فاجتمع عمار بن ياسر وأبو الهيثم ورفاعة وأبو أيوب وسهل بن حنيف فتشاوروا  
 أن يركبوا إلى علي عليه السلام بالقناة فتحبروه بخبر القوم ، فركبوا إليه فأخبروه باجتماع  
 القوم وما هم فيه من إظهار الشكوى والتعظيم لقتل عثمان ، وقال له أبو الهيثم : يا  
 أمير المؤمنين انظر في هذا الأمر .

فركب بغلة رسول الله ﷺ ودخل المدينة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه  
 واجتمع أهل الخير والفضل من الصحابة والمهاجرين فقالوا لعلي : إنهم قد كرهوا  
 الاسوة وطلبوا الاثرة وسخطوا لذلك ، فقال علي عليه السلام : ليس لأحد فضل في هذا  
 المال ، وهذا كتاب الله بيننا وبينكم ونبيكم محمد ﷺ وسيرته .

ثم صاح بأعلى صوته : يا معشر الأنصار أتمنؤن علياً باسلامكم أنا أبو الحسن  
 القرم (١)

ونزل عن المنبر وجلس ناحية المسجد وبعث إلى طلحة والزبير فدعاهما ثم  
 قال لهما : ألم يأتينى وتبايعانى طائعين غير مكرهين فما أنكرتم أجور فى حكم  
 أو استيثار فى في ؟  
 قالا : لا .

(١) القرم أى المقدم فى رأى ، والقرم فعل الابل ؛ أى أنا فيهم بمنزلة الفعل

قال : أو في أمر دعوتاني إليه في أمر المسلمين فقصرت عنه ؟  
قالا : معاذ الله .

قال : فما الذي كرهتما في أمري حتى رأيتما خلافي ؟

قالا : خلافك لعمر بن الخطاب في القسم وانتقاصنا حقنا من الفياء ، جعلت  
حظنا في الاسلام كحظ غيرنا مما أفاء الله علينا بسيوفا من هولنا فيء ، فسويت  
بيننا وبينهم .

فقال علي : الله أكبر اللهم إني أشهدك وأشهد من حضر عليهما أما ما ذكرتما  
من الاستيثار فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولا لي فيها محبة ، ولكنكم دعوتوني  
إليها وحملتوني عليها فكرهت خلافكم ، فلما أفضت إلي نظرت إلي كتاب الله وما  
وضع و امر فيه بالحكم وقسم وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمضيته ولم احتج فيه إلي  
رأيكما ودخولكما معي ولا غير كما ولم يقع أمر جهلته فأتقوى فيه برأيكما  
ومشورتكما ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما إذا لم يكن في كتاب الله ولا في  
سنة نبينا ، فأما ما كان فلا يحتاج فيه إلى أحد .

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه و وجدت أنا  
وأنتما ما قد جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب الله فلم أحتج فيه إليكما قد فرغ من قسمه  
كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد  
وأما قولكما جعلتما فيه كمن ضربناه بأسيا فإنا وأفاء الله علينا وقد سبق رجال  
رجالا فلم يضرهم ولم يستأثر عليهم من سبقهم لم يضرهم حتى استجابوا لرؤسهم ،  
والله مالكم ولا لغيركم إلا ذلك ألهمنا الله وإياكم الصبر عليه .

فذهب عبدالله بن الزبير يتكلم فأمر به فوجئت عنقه و اخرج من المسجد  
وهو يصيح ويقول : ردوا إليه بيئته .

فقال علي عليه السلام : لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه ولا مدخلكما في  
أمر خرجتما منه .

فقاما عنه فقالا : أمانته ليس عندنا أمر إلا الوفاء ، قال :

فقال عليه السلام: رحم الله عبداً رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فردّه و كان عوناً للحقّ على من خالفه .

وروى الشّارح المعتزلي في شرح الخطبة الحادي والتسعين عن أبي جعفر الاسكافي من كتابه الذي نفّض به كتاب العثمانية للجاحظ قال :

قال أبو جعفر : لما اجتمعت الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عثمان للنظر في أمر الامامة أشار أبو الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن العجلان وأبو أيوب الأنصاري وعمّارين ياسر بعلي عليه السلام وذكروا فضله وسابقته و جهاده و قرابته ، فأجابهم الناس إليه فقام كل واحد منهم خطيباً بذكر فضل علي عليه السلام ، فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة ، ومنهم من فضله على المسلمين كلّهم كافة ، ثمّ بويع فصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لاحدى عشر ليلة بقين من ذى الحجة ، فحمد الله وأثنى عليه و ذكر عمداً صلى الله عليه وآله فضلى عليه ، ثمّ ذكر نعمة الله على أهل الاسلام ، ثمّ ذكر الدنيا فزهدهم فيها و ذكر الآخرة فرغبتهم إليها ثمّ قال :

أما بعد فإنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف الناس أبا بكر ، ثمّ استخلف أبو بكر عمر ، فعمل بطريقه ثمّ جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثمّ حصر وقتل ، ثمّ جئتموني فطلبتم إلى و إنما أنا رجل منكم لي مالكم وعلي ما عليكم ، وقد فتح الله الباب بينكم و بين أهل القبلة ، و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ولا يحمل هذا الأمر إلاّ أهل السبر والنصر و العلم بمواقع الأمر ، و إني حاملكم على منهج نبيكم ، ومنفذ فيكم ما أمرت به ، إن استقمتم لي و بالله المستمان ألاّ إن موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته ، فامضوا لما تؤمرون وقفوا عند ما تنهون عنه ، و لا تعجلوا في أمر حتى نبيته لكم ، فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذراً ، ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أني كنت كارهاً للولاية على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيما وال ولي الأمر من بعدي

أقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته ، فان كان عادلاً أنجاه الله بعبده وإن كان جابراً انتقض به الصراط حتى تتزائل مفاصله ثم يهوى إلى النار ، فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه ، ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم .

ثم التفت يميناً وشمالاً فقال :

ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا المقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصايف الرذقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتمهم ما كانوا يخوضون فيه واصرتمهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرّ منا ابن أبيطالب حقوقنا ، ألا و أيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته فان له الفضل النيرغداً عند الله وثوابه وأجره على الله ، وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فأنتم عباد الله و المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين غداً عند الله أحسن الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً ، وما عند الله خير للأبرار ، وإذا كان غداً إنشأ الله فاعدوا علينا فان عندنا مالاً نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أولم يكن إذا كان مسلماً حرّاً ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ثم نزل . قال أبو جعفر : و كان هذا أول ما أنكروه من كلامه ﷺ وأورثهم الضغن عليه و كرهوا اعطائه وقسمه بالسوية

فلما كان من الغد غداً وغدا الناس لقبض المال ، فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه: ابدء بالمهاجرين فنادهم وأعط كل رجل ممتن حضر ثلاثة دنانير ثم ثمن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك ، ومن يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فافعل به مثل ذلك . فقال سهل بن حنيف : يا أمير المؤمنين هذا غلامي وقد اعتقته اليوم .

فقال : نعطيهِ كما نعطيك فأعطى كل واحد منهم ثلاثة دنانير ، و لم يفضل أحداً على أحد ، و تخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمرو وسعيد ابن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها .

قال : وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد ما خفى علينا أمس من كلام علي عليه السلام ما يريد ، فقال سعيد بن العاص و التفت إلى زيد بن ثابت : إياك أعني واسمعي يا جارة .

فقال عبيد الله بن أبي رافع لسعيد وعبد الله بن الزبير : إن الله يقول في كتابه « ولكن أكثرهم للحق كارهون » .

ثم إن عبيد الله بن أبي رافع أخبر علياً عليه السلام بذلك فقال عليه السلام إن بقيت وسلمت لهم لأقيمهم على المحجة البيضاء و الطريق الواضح ، قاتل الله بنى العاص لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أتني اريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك .

قال : فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي عليه السلام ثم طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما ، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم فتحدثوا نجياً ساعة .

ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي صعيط فجاء إلى علي عليه السلام فقال : يا أبا الحسن قد وترتنا جميعاً أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً و خذلت أخى يوم الدار بالأمس ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب و كان شور قريش ، وأما مروان فسختت أباه عند عثمان إذ ضمته إليه و نحن اخوتك و نظراؤك من بنى عبد مناف ، و نحن نبائع اليوم على أن اتضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان ، وأن تقتل قتله وأنا إن خفناك تر كنا والتحقنا بالشام .

فقال عليه السلام : أما ما ذكرت من وترى إياكم فالحق وتركم ، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم ، وأما قتلى قتلة عثمان فلولزمي قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم علي إن خفتموني أن أو منكم وإن خفتمكم أن اسيركم فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه : قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من خلاف و طعن على إمامهم وقد دخل أهل الجفا بينهم وبين الزبير ، والاعسر العاق يعني طلحة .

فقام أبو الهيثم و عمار و أبو أيوب وسهل بن حنيف و جماعة معهم على علي

فقالوا يا أمير المؤمنين انظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحي من قريش فانهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك وقد دعونا في السر إلى رفضك هذاك الله لرشدك ، وذلك لأنهم كرهوا الاسوة وفقدوا الأثرة ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستأثروا عدوك وأعظموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجساعة وتألفوا أهل الغلالة فرأيك .

فخرج علي عليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر من تدياً بطاق مؤنثراً ببرد قطري (١) متقلداً سيفاً متوكفاً على قوس فقال :

أما بعد فاتنا نحمد الله ربنا وإلهنا ووليّنا ووليّ النعم علينا الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة امتناناً منه بغير حول منا ولا قوة ليهلونا أنشكر . ثم تكفر فمن شكر زاده ومن كفر عدّ به ، فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره وأحلمهم وأعملهم خبطاً بطاعته وأتبعهم لسنة رسوله وأحياهم لكتابه ، ليس لأحد عندنا أفضل إلا بطاعة الله وطاعة الرسول ، هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله ﷺ وسيرته فينا لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق منكراً قال الله تعالى :  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا  
 إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ؛

ثم صاح بأعلى صوته : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإن الله لا يحب الكافرين ، ثم قال : يا معشر المهاجرين والأنصار أتمنّون على الله ورسوله باسلامكم بل الله يمن عليكم أن هبكم للأيدي إن كنتم صادقين ثم قال : أنا أبو الحسن - وكان يقولها إذا غلبه .

ثم قال : ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تفضيكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلتكم التي خلقتم له ، فلا تغرّركم فقد حدثتموها واستتمتموها نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذلّ لحكمه جلّ شأنه ، فأما هذا الفيه فليس لأحد على أحد فيه اثره ، فقد فرغ الله من قسمته فهو

مال الله وأنتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله به أقررنا وإليه أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتول كيف شاء ، فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه .

ثم نزل عن المنبر فصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر وعبد الله بن خلّ القرشي إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد ، فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه فقال لهما :

نشدتكما الله هل جئتما طائعين للبيعة ودعوتاني إليها وأنا كاره لها ؟

قالا : نعم .

فقال: غير مجبرين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهد كما قالا : نعم .

قال : فما دعاكما إلى ما أرى ؟

قالا : أعطيناك ببيعةنا على أن لا تقضى الامور ولا تقطعها دوننا ، وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت ، فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضى الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا .

فقال عليه السلام : لقد نعمتما يسيراً وأرجاتما كثيراً فاستغفرا الله يغفر كما ألا تخبراني أذفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إيتاه ؟ قالا : معاذ الله .

قال : فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشي ؟ قالا : معاذ الله .

قال : فوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه ؟ قالا : معاذ الله .

قال : فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟

قالا ، خلافاك عمر بن الخطاب في القسم إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاه الله تعالى علينا بأسيا فنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الاسلام إلا كرها

فقال: أما ما ذكرتماه من أمر الاستشارة فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ،

ولكنكم دعوتوني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما افضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأضيت ما ولاني عليه واتبعته ولم احتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاور تكما فيه .

وأما القسم والاسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء ، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله ﷺ يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأما قولكما جعلت فيثنا وما أفاه سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا فقديماً سبق إلى الاسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلا فضلهم رسول الله ﷺ في القسم ولا آثرهم بالسبق والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا ، أخذنا بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر - ثم قال - رحم الله امرء رأى حقاً فأعان عليه ورأى جوراً فردّه وكان عوناً للحقّ على من خالفه .

قال أبو جعفر : و قد روى أنهما قالاه ﷺ وقت البيعة : نبايعك على أننا شركاؤك في هذا الأمر .

فقال : ولكتكما شريكاي في الفيه لا أستأثر عليكم ولا على عبد حبشي مجدّع بدرهم فمادونه ، لا أنا ولا ولداي هذان ، فإن أبيتهم إلا لفظ الشركه فأنتما عونان لي عند المعجز والفاقة لا عند القوة والاستقامة .

قال أبو جعفر : فاشترطا ما لا يجوز في عقد الامامة وشرط ﷺ لهما ما يجب في الدين والشريعة .

قال الشارح المعتبر في بعد نقله هذا الكلام من الاسكافي :

فان قلت : فان أبا بكر قسم بالسوية كما قسمه أمير المؤمنين ولم ينكروا

ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين فما الفرق بين الحالتين ؟

قلت : إن أبا بكر قسم محتدياً بقسم رسول الله ﷺ ، فلما ولي عمر الخلافة



وفضل قوماً على قوم ألقوا ذلك ونسوا تلك القسمة الأولى وطالت أيام عمر واشربت قلوبهم كثرة العطاء، وحب المال، وأمّا الذين اهتمموا ففتموا ومروا على القناعة ولم يخطر لأحد من الفريقين أن هذه الحال تدمر أو تتغير بوجه ما .

فلما ولي عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه، فازداد وثوق القوم بذلك ومن ألف أمرأ شق عليه فراقه وترك العانة فيه .

فلما ولي أمير المؤمنين أراد أن يرد الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله ﷺ وأبي بكر وقد نسي ذلك ورفض وتخلل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة فشق ذلك عليهم وأكبروه حتى حدث ما حدث من نقض البيعة ومفارقة الطاعة، والله أمر هو بالغه .

### الترجمة

از جمله کلام نصیحت انجام آن امام است که خطاب فرموده طلحه و زبیر را بعد از آنکه بیعت کردند با او بخلاف او و عتاب کردند مر او را بجهت ترک نمودن آن بزرگوار مشاوره ایشان را و نحو استن اعانت از ایشان را در امور خلافت می فرماید :

بتحقیق ایراد نمودید چیز مختصیرا و تأخیر انداختید چیز زیاد را ، چرا خبر نمی دهید بمن کدام چیزی که شما را در آن حق بوده است من مانع از حق شما شده ام ؟ و کدام سهم و حصه از بیت المال من علاوه از شما برداشته و بشما نداده ام یا کدام حقی که یک نفر مسلمان نزد من آورده از اجراء آن ضعیف بوده ام یا بحکم آن جاهل شده یا در دلیل آن خطا نموده ؟

قسم بخدای تعالی نبود مرا در خلافت هیچ رغبت و نه در ولایت هیچ حاجتی ولیکن شما خواندید مرا بسوی آن و الزام نمودید مرا بر آن ، پس هنگامی که رسید بمن نظر نمودم در کتاب عزیز خداوند و بچیزیکه واجب فرموده بما و امر نموده مارا بحکم کردن آن ، پس تبعیت نمودم بآن و نظر نمودم بچیزی

که پیغمبر خدا صلوات الله وسلامه عليه وآله سنت خود قرارداد ، پس متابعت کردم آن را پس محتاج نبودم در این خصوص برأی و تدبیر شما ، و نه برأی و تدبیر غیر شما ، و اتفاق نیفتاده حکمی که جاهل باشم بآن تا مشاوره نمایم باشما ، یا با سایر برادران خود از مسلمانان ، و اگر همچنین حکمی اتفاق می افتاد اغراض نمی کردم از شما و نه از غیر شما .

و أمّا آن چیزی که اظهار نمودید آن را از امر اسوة یعنی برابری شما با سایرین در قسمت ، پس بدرستی که این چیز است من خود سر با رأی خود در آن حکم ننموده و با هوای نفس خود مباشر آن نبوده ، بلکه یافتم من و شما چیزی را که آورد آن را حضرت رسالت مآب صلوات الله وسلامه عليه وآله از قسمت بالسویة در حالتی که فارغ شده بود از آن ، پس احتیاج نداشتم من بشما در چیزی که خدا از قسمت آن فارغ بوده و امضاء حکم خود را در آن فرموده ، پس نیست شما را بحق خدا در نزد من و نه غیر شما را اینکه ترضیه خواطر و ازاله شکایت شما را نمایم ، بر گرداند خداوند قلبهای ما و قلبهای شما را بسوی حق و الهام فرماید بما و شما صبر را .

پس از آن فرمود: رحمت کند خدا مردی را که بیند حق را پس اعانت نماید بآن ، یا بیند ظلم و ستم را پس رفع نماید آن را ، و باشد معین بحق بر ضرر صاحب جور و ظلم .

و من کلام له عليه السلام و هو المأتان

والخامس من المختار فی باب الخطب

ورواه الشارح المعتزلي من كتاب نصر بن مزاحم في شرح المختار السادس

والأربعين باختلاف تطالع عليه إنشاء الله

وَقَدْ سَمِعْتُ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْتَوْنَ أَهْلَ الشَّامِ أَيَّامَ حَرْبِهِمْ بَعْضِينَ -

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّائِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ،  
وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْمُدْرِ، وَقُلْتُمْ  
مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَائِنَا وَدِمَائِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا  
وَبَيْنَهُمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جِهَلِهِ، وَرَعَوِي  
عَنِ النَّغْيِ وَالْمُدْوَانِ مِنْ لَهْجٍ بِهِ .

### اللغة

( السب ) الشتم كالسبب بكسر السين و تخفيف الباء من سبه يسبه من  
باب نصر ، ورجل مسب بكسر الميم وسب وسبب كثير السب ، والتساب التشتام  
ورجل سبه بالضم أى يكفر الناس سبه وسببه كهزمة أى كثير السب للناس  
والسبابة الأصبغ التي تلى الإبهام لأتھا يشاربها عند السب .  
( و حقنت ) الماء في السقاء حقناً من باب نصر جمعته فيه وحقنت دمه خلاف  
هدرته أى منعه أن يسفك .

( و البين ) بالفتح من الأضداد يطلق على الفرقة والوصل قال تعالى « لقد  
تقطع بينكم » أى وصلكم ويكون اسماً وظرفاً متمكناً قال الفيومي : البين يطلق  
على الوصل و على الفرقة ومنه ذات البين للعداوة والبغضاء و قولهم لاصلاح ذات  
البين أى لاصلاح الفساد بين القوم ، و المراد إسكان النائرة و بين ظرف مبهم لا  
يتبين معناه إلا بالاضافة إلى اثنين فصاعداً أو ما يقوم مقام ذلك كقوله تعالى  
« عوان بين ذلك » .

( و ارعوى ) عن القبيح ارتدع عنه ورجع و ( النغي ) الضلال وروى العمى  
بدله و ( لهج ) بالشيء لهجاً من باب تعب أولع به .  
الأعراب

قوله : وقلتم عطف على قوله : ووصفتم فتدخل عليه لو وحذف جوابها بدلالة  
الجواب السابق عليه أى ولو قلتم مكان سببكم هذا الدعاء لكان أحسن وأصوب .

وقوله : ذات بيننا وبينهم باضافة ذات إلى بين ، وبينهم على ما رأيناه في عدة من التسخ بالنصب عطف على ذات ، والأصوب أن يكون بالجر عطفاً على بيننا . وذات إمّا بمعنى صاحبة كما في قوله تعالى « وتضع كل ذات حمل حملها ، فتكون كناية عن نائرة العداوة والبغضاء ، وبيننا وبينهم على هذا ظرف مكن أي اصلح ما بيننا وبينهم من البغضاء و العداوة ، ولما كانت العداوة مصاحبة البين و ملابسة له اضيفت إليه كما أن الضماير لما كانت ملابسة للصدور قيل : ذات الصدور .

وإمّا بمعنى نفس الشيء ، وحقيقته كما في قولهم : ذات يوم وذات ليلة ، وقد فسّر بهما قوله تعالى « والله عليم بذات الصدور » أي عليم بما في الصدور من الضماير أو عليم بنفس الصدور و بواطنها ، وبين على هذا المعنى الثاني يجوز أن يكون ظرفاً ، وأن يكون اسماً بمعنى الفرقة والوصل حسب ما تعرف في بيان المعنى

### المعنى

اعلم أن هذا الكلام كما قاله الرضّي وبأتم في رواية الطبرسي أيضاً خاطب به أصحابه (و) ذلك أنه ( قد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين ) فمنعهم بهذا الكلام من باب التأديب والارشاد إلى القول الصواب وكرايم الأخلق المطلوبة في كل باب .

وقبل الشروع في شرح كلامه ينبغي أن نهد مقدّمة فقهية في جواز السبِّ وعدم جوازه مطلقاً أو في الجملة تحقيقاً للمقام وتوضيحاً لمرام الامام عليه السلام .

### فأقول وبالله التوفيق :

السب لغة هو الشتم كقولك يا شارب الخمر ، يا آكل الربا ، يا ملعون ، يا خائن ، يا فاجر ، يا فاسق ، يا حمار ، يا كلب ، يا ابن الكلب ونحو ذلك ، أو يا أعمى ، يا أعمى ، يا أعمى ، يا أعمى ، يا أعمى ، ويشمل القذف أيضاً مثل يا ابن الزانية ، يا ابن الحرام ، يا ديوث ، ويا قواد ، ومثل ذلك .

وهو إمّا في حق المؤمن ، أو في حق غيره من المنافق والكافر والناصب .

أما المؤمن فسبته حرام مطلقاً ، سواء كان متضمناً للقدف أم لا ويندب عليه الأخبار المستفيضة المتقدمة جملة منها في شرح المختار الماء والثاني والتسعين خصوصاً وعموم الأخبار الكثيرة الدالة على حرمة اهانة المؤمن واستحقاره واستذلاله .

مثل ما رواه في الكافي بسنده عن معاوية عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال قال رسول الله ﷺ : قال الله لي : يا محمد من أدل لي ولما فقد أُرصدني بالمحاربة ومن حاربني حاربت ، فقلت : يا رب ومن وليك هذا ؟ علمت أن من حاربك حاربت ، قال : ذلك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولشرايك بالولاية .

وفيهِ من المصلي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : قد نابذني من أدل عبيد المؤمن .

وعن المصلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : من استذل عبيدي فقد بارزني بالمحاربة ، ونحوها أخبار آخر .

و كما يحرم سبته يحرم لعنه أيضاً ، ومعناه الطرد والابعاد من رحمة الله بل ممنوع من السب فمثل على حرمة ما دل على حرمة السب مضافاً إلى خصوص الأخبار المشاهدة عنه .

مثل ما رواه في الكافي عن علي بن أبي حمزة عن أحدهما عليهما السلام قال : سمعته يقول : إن اللعنة إذا خرجت عن في صاحبها تردت فان وجدت مضافاً وإلا رجعت على صاحبها .

وفيهِ عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها تردت بينهما فان وجدت مضافاً وإلا رجعت على صاحبها .

وعن مكي عن أحمد بن محمد عن سماعة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدأ : يا سماعة ما هذا الذي بينك وبين جمالك إياك أن تكون فحاشاً أوسخاباً أو لعناً ، فقلت : والله لقد كان ذلك إن شاء الله مني ، فقال : إن إنان ظلمك فقد

أربيت عليه إن هذا ليس من فعالي ولا أمر به شيئاً استغفر ربك ولا تعد ، قلبي :  
استغفر الله ولا أعيد .

ثم السراة بالمؤمن الذي قلنا بعدم جواز سبته و عند هل هو عطلق المؤمن  
أو خصوص من لم يستحق الاستخفاف ، ظاهر الأخبار الاطلاق لكن المستفاد من بعض  
الأخبار و كلمات علمائنا الأبرار هو الاختصاص فيجوز سب المستحق إذا لم يكن  
متضمناً للقتل .

قال في البحار بعد ما روى من الكافي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال :  
قال : سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه مفسية ، وحرمة ماله كحرمة  
دمه : ما عبارته :

السبب هنا بالكسر مصدر باب المفاعلة ، وهو إما بمعنى السب أو المبالغة  
في السب أو على بابه من الطرفين و الاضافة إلى المفعول أو الفاعل ، و الأول  
أظهر فيدل على أنه لا بأس بسب غير المؤمن إذا لم يكن قذفاً .  
بل يمكن أن يكون المراد بالمؤمن من لا يتظاهر بارتكاب الكبائر ولا يكون  
مبتدعاً مستحقاً للاستخفاف .

قال المحقق في الشرايع : كل تعريض بما يكرهه المواجه ولم يوضع للقتل  
لغة ولا عرفاً يثبت به التعزير إلى قوله : ولو كان المقول له مستحقاً للاستخفاف  
فلاحد ولا تعزير ، وكذا كل ما يوجب أذى كقوله : يا أجنم أو يا أهرص .  
وقال الشهيد الثاني في شرحه : لما كان أذى المؤمن الفحوى المستحق  
للإستخفاف محرماً فكل كلمة تقال له و يحصل له بها الأذى و لم تكن موضوعة  
للقتل بالزنا وما في حكمه لغة ولا عرفاً يجب بها التعزير بفعل الحرم كغيره  
من المحرمات ومنه التعبير بالأمرأى .

وفي صحبة عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل  
سب رجلاً بغير قذف يعرّض به هل يجلد ؟ قال : عليه التعزير .

والمراد بكون المقول له مستحقاً للإستخفاف أن يكون فاسقاً متظاهراً بنفسه

فاته لا حرمة له حينئذ .

لما روى عن الصادق عليه السلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ، ولا غيبة  
قال : وفي بعض الأخبار : من تمام العبادة الوقعة في أهل الرّيب .  
وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأيتم أهل  
البدع والرّيب من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثر وأمن سبهم والقول فيهم والوقعة  
وباهتوهم لئلا يطعموا في الفساد في الإسلام ويحذّروهم النّاس ولا يتعلّمون من بدعهم  
يكتب الله لكم بذلك الحسنات ، ويرفع لكم به الدّرجات «في الآخرة» انتهى .

وأما غير المؤمن من الكافر والمنافق والمبغض لآل محمد صلوات الله وسلامه  
عليه وعليهم ، فلا ريب في جواز لعنهم ووجوب معاداتهم والبراءة منهم ، وآيات الكتاب  
وروايات الأئمة الأطيب مشحونة به ، قال تعالى «إن الله لعن الكافرين والمنافقين  
وأعدّ لهم سعيراً» وقال «اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» .

وفي البحار من العيون باسناد التميمي عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال  
النبي صلى الله عليه وآله : من تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين  
قال الصدوق في عقايد : اعتقادنا في الظالمين أنّهم ملعونون والبراءة  
منهم واجبة قال الله عزّ وجلّ «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون  
على ربّهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة الله على الظالمين  
الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون» .

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : سبيل الله عزّ وجلّ في هذا الموضع  
عليّ بن أبي طالب ، والأئمة في كتاب الله عزّ وجلّ : إمامان : إمام هدى ، وإمام ضلالة  
قال الله جلّ ثناؤه : «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» وقال عزّ وجلّ في  
أئمة الضلال «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النّار ويوم القيامة لا ينصرون» واتبعناهم  
في هذه الدّنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين .

ولما نزلت هذه الآية «واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة»  
قال النبي صلى الله عليه وآله : من ظلم عليّاً مقعدى هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتى

ونبوّة الأنبياء من قبلي ، ومن تولّى ظالماً فهو ظالم قال الله عزّ وجلّ « يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فاولئك هم الظالمون » وقال الله عزّ وجلّ « لا تتولّوا قوما غضب الله عليهم » وقال عزّ وجلّ « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » وقال عزّ وجلّ « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، فمن ادّعى الإمامة وليس بامام فهو الظالم الملعون ، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وأما سبّ هؤلاء وشمهم فالظاهر جوازه أيضاً كما ظهر من المحدثات العلامة المجلسي ، بل هو ظاهر عبارة الشهيد الثاني أيضاً لعدم الرّيب في فسقهم الموجب للاستخفاف بأيّ نحو كان .

و يدل على ذلك صريحاً ما في تفسير عليّ بن إبراهيم القميّ في تفسير سورة الأحزاب في اقتصاص غزوة بني قريظة قال : فجاه أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على حمار فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أيّ وامي يا رسول الله لا تدن من الحصن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ لعلمهم شتموني انهم لو رأوني لأذّلمهم الله ، ثمّ دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من حصنهم فقال : يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أشتتموني إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم ، فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن فقال : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ، فاستحى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى سقط الرّداء من ظهره حياةً مما قاله الحديث .

و يدل عليه أيضاً ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في المختار التاسع عشر للاشعث ابن قيس : عليك لعنة الله ولعنة اللّاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر ، وما قاله في المختار المائة والخامس والثلاثين للمغيرة بن الأحنس يا ابن اللّعين الأبتري والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة كما هو غير خفيّ



على المتتبع الخبير .

هذا كله إذا لم يتضمن سبهم للذف ، وأما إن تضمن ذلك فلا كالمؤمن .  
ويعدل على ذلك مارواه في الكافي باسناده عن عمرو بن النعمان الجعفي قال :  
كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً فبينما هو يمشى معه  
في الحدائين (١) ومعه غلام سندی له يمشي خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه  
ثلاث مرات فلم يره ، فلما نظر في الرابعة قال : يا ابن الفاعلة أين كنت ؟ قال :  
فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده ففك بها جبهة نفسه ثم قال عليه السلام : سبحان الله تقذف أمه  
قد كنت أرى أن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع ، فقال : جعلت فداك إن أمه سندیة  
مشركة فقال عليه السلام : أما علمت أن لكل أمة نكاحاً تنح عنى ، قال : فما رأيت  
يمشي معه حتى فرق الموت بينهما ، قال : و في رواية أخرى إن لكل أمة نكاحاً  
يحتجزون به عن الزنا .

وفي الوسائل من الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن عمير عليه السلام  
أبي الحسن الحداد قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسألني رجل ما فعل غريمك قلت :  
ذاك ابن الفاعلة ، فنظر إلي أبو عبد الله عليه السلام نظراً شديداً قال : نقلت : جعلت فداك  
إنه مجوسى أمه اخته ، فقال عليه السلام : أوليس ذلك في دينهم نكاحاً .  
وإذا تمهد لك هذه المقدمة الشريفة وعرفت جواز سب غير المؤمن ولعمري  
وطعنه والوقية فيه فلنرجع إلى شرح المتن و نبين وجه منعه عليه السلام لأصحابه عن  
سب أهل الشام كما يستفاد من قوله عليه السلام :

(إني أكره لكم أن تكونوا سببين) و لعل النكتة في ذلك أنه عليه السلام  
لما كان غرضه الأصلي ومقصوده بالذات في جميع حروبه هداية الانام وإعلاء كلمة  
الاسلام وانقاذهم من ورطات الجهالة والضلالة لا القتل والغارة والملك والسلطنة بالاصالة كما  
أشار إلى ذلك في المختار الرابع والخمسين بقوله عليه السلام حين استبطاء أصحابه أذنه  
لهم في القتال بصفين : و أما قولكم شكاً في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً

إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهدى بي وتعشو إلى ضوئي ، وذلك أحب إليّ من أن اقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثامها ، و كان حصول هذا الغرض بالرّفق والمداراة والحلم و كظم الغيظ لا بالغلظة و الخشونة و السبِّ و اللّعنّة ، لا جرم منهم من السبِّ لئلاّ يبعث على شدّة العناد و مزيد العداوة .

واللهي ذلك يومى ما رواه في الكافي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال :  
إنّ رجلاً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : اوصني ، فكان فيما أوصاه أن قال :  
لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة بينهم .

و يدلّ على ذلك صريحاً قوله تعالى في سورة بنى إسرائيل « و قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً » أى ان الشيطان يفسد بينهم ويفرى بعضهم ببعض ويلقى بينهم العداوة .

قال في الصافي في تفسير الآية : قل لعبادي يعنى المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن و لا يخاطبوهم بما يغيظهم و يفضبهم إن الشيطان يهيج بينهم المراء و الشر ، فلعلّ المحاشنة بهم يقضى إلى العناد و ازدياد الفساد .

وقال تعالى أيضاً في سورة السجدة « لاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم وما يلقبها إلاّ الذين صبروا وما يلقبها إلاّ ذوّحطّ عظيم»

قال في مجمع البيان: لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة ، فلا يستوى الصبر والغضب والحلم والمداراة والغلظة والنعو والاسائة ، ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم على الداعي من الرّفق بالمدعو فقال : ادفع بالتي هي أحسن ، خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال : ادفع بحقك باطلهم و بجلهم و بعفوك اسائتهم ، فانك إذ ادفعت خصومك بلين و رفق و مداراة صار عدوك الذي يعاديك في الدّين بصورة وليّك القريب فكأنه وليّك في الدّين و حميمك في النسب ، وما يلقبها أى ما يلقبها هذه الفعلة وهذه الحالة التي هي دفع السيئة بالحسنة إلاّ الذين صبروا على كظم الغيظ واحتمال المكروه ، وما يلقبها أى هذه الخصلة إلاّ ذوّحطّ وافر من العقل والرّأى .

وقال تعالى أيضاً في سورة الشورى « والذين إذا اصابهم البغي هم ينتصرون »

وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يوجب الظالمين ٥ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ٥ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ٥ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور .

قال أمين الاسلام الطبرسي : الذين إذا أصابهم البغي من غيرهم هم ينتصرون ممن بغي عليهم ، فمن انتصر وأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما حد الله فهو مطيع لله ومن أطاع الله فهو محمود .

ثم ذكر حد الانتصار فقال : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، قيل : هو جواب القبيح إذا قال أخزأك الله قال أخزأك الله ، وسمى الثانية سيئة للمشكلة وكونها في مقابلة الأولى .

ثم ذكر سبحانه العفو فقال : فمن عفى وأصلح فأجره على الله أي فمن عفى عماله المؤاخذة به وأصلح أمره بينه وبين ربه فتوابه على الله إنه لا يوجب الظالمين بين سبحانه أنه لم يرغب المظلوم في العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أول حبه إياه ولكنه ليعرضه بذلك لجزيل الثواب ولحبه الاحسان والفضل .

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال : ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل معناه من انتصر لنفسه و انتصف من ظالمه بعد ظلمه أي بعد أن ظلم وتمددى عليه فالمنتصرون ما عليهم من اثم وعقوبة وذم إنما السبيل أي الاثم والعقاب على الذين يظلمون الناس ابتداءً و يبيعون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وتحمل المشقة في رضاء الله وغفر فلم ينتصر فإن ذلك الصبر والتجاوز لمن عزم الأمور .

فقد علم بما ذكرنا كنهه أن استكراهه ﷻ لسب أهل الشام لم يكن لتحريمه كما توحه الشارح البحراني ، بل لايرائه ازدياد الفساد ومزيد العداوة و العناد المنافي لغرضه ﷻ ، مع أن في الرفق والمداراة والعفو و الصفح من المصالح الدنيوية والاخروية ما لاتحصى حسبما اشيرت اليها في الآيات الشريفة والأخبار

التي لا تستقصى .

ولكون هذه الخصال من مكارم الأخلاق ومزايا الخصال واطب عليها في نفسه كما حثَّ عليها أصحابه .

فقد روى في البحار من كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن رجل عن منازل الجهني عن زيد بن وهب أن علياً مرَّ على جماعة من أهل الشام فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه فأخبروه بذلك فوقف في ناس من إخوانه فقال :

انهدوا (١) إليهم و عليكم بالسكينة و سيماء السالكين و وقار السلام والله لأقرب قوم من الجهل بالله عز وجل قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وابن الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الحرام والمجلود حداً في الاسلام ، وهم اولى يقومون فيقصبوني (٢) و يشتموني و قبل اليوم ما قاتلوني و شتموني و أنا إذ ذاك أدعوهم إلى الاسلام و هم يدعوني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ولا إله إلا الله و قديماً ما عادني الفاسقون إن هذا هو الخطب الجليل إن فساقاً كانوا عندنا غير مرضيين ، وعلى الاسلام وأهله متخوفين ، حتى خدعوا شطر هذه الأمة و اشربوا قلوبهم حب الفتنه و استمالوا أهواهم بالافك و البهتان ، و قد نصبوا لنا الحرب ، وجدوا في اطفاء نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، اللهم إنهم قدر دوا الحق فافض جمعهم ، و شئت كلمتهم ، و ابسلهم بخطاياهم ، فإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت .

فانظر إلى كريم خلقه و شرفه و سودده و حلمه ، فإنه مع سماعه لشتهم لعنهم الله كيف كفَّ و حلم و صفح و أمر أصحابه بالنهد إليهم و أوصاهم بالسكينة و الوقار و لزوم سيماء الصالحين ، و لعمرى إنَّه ﷺ المصداق الحق لقوله تعالى «وما يلقئها إلا الذين صبروا وما يلقئها إلا ذو حظ عظيم» هذا .

و يحتمل أن يكون السرّ في المنع من سب أهل الشام التحرز من سبهم له ،

١- نهى لعدوه صمد اليه،ق

٢- قصبه عابه،ق

فيكون السب لهم والجال ذلك حراماً ، ويراد بالكراهة الحرمة لامعناها المعروف في مصطلح المشرع .

فيكون مسافة ما في قوله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » قال قتادة : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم عن ذلك لئلا يسبوا الله فأنهم قوم جهلة .

وفي مجمع البيان نهى الله المؤمنين أن يسبوا الأصنام ، لما في ذلك من المفسدة فقال : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، أى لا تخرجوا من دعوة الكفار ومعاصرتهم إلى أن تسبوا ما يعبدون ، فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء ، فيسبوا الله عدواً أى ظالماً بغير علم وأتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون ، فيدل على وجوب كنف اللسان عن المخالفين وعن أئمتهم في مقام عدم التمكن .

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال : حدثني أبي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل عن النبي صلى الله عليه وآله : إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سواد في ليلة ظلماء ، قال عليه السلام : كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله ، فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون ، فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسبوا الكفار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال : « ولا تسبوا الذين يدعون الآيات » .

وفي الصافي من الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث : إيتاكم وسب أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدواً بغير علم .

بل المستفاد من بعض الأخبار أن المقصود بالآية النهي عن سبهم لئلا يسبوا ولي الله فيكون المراد بالآية والمراد بكلام الإمام شيئاً واحداً .

فقد روى في الصافي عن العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية فقال عليه السلام : أرايت أحداً يسب الله ؟ فقيل : لا وكيف ؟ قال : من سب ولي الله فقد سب الله .

قال في الصافي : وفي الاعتقادات عنه عليه السلام إنه قيل له : إنا نرى في المسجد رجلاً يظمن سب أعدائكم ويسبهم ، فقال : ماله لعنه الله تعرض بنا قال الله « ولا تسبوا الذين يدعون » الآية .

قال وقال الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية : لا تسيروهم فانهم يسبون عليكم ، قال : ومن سب ولي الله فقد سب الله قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام : من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كبر الله في سنخريه في نار جهنم فقد تحصل مما ذكرنا أن سب أعداء الله ولستهم وطفنهم مندوب مرغوب شرعا عند التمكّن والقدره ، والكف عنهم والصفح والاعتراض واجب عند عدم الاستطاعة كما قال تعالى « فاعفوا واصفحوا حتى يأتيهم أمر الله » وقال « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » هذا .

ولما منهم من السبر رغبتهم بأحسن القول وأصوبه الذي لا يبيح الفساد فقال ( ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم وذكرتهم حالهم ) بدل السباب لهم وشرحتهم ما هم عليه من البغي والظلم والعدوان واتباع الهوى والانحراف عن سبب السبيل من باب النصح والارشاد والتنبيه على الخطاء ( كان أصوب في القول ) لأنه من باب الدفع والجدال بالتي هي أحسن المأمور بهما في قوله تعالى « ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » أي أدفع باطلهم ببيان الحجج على أنظف الوجوه وأوضحها وأقربها إلى الاجابة والقبول نحن أعلم بما يكذبون ويقولون ونجازيهم بما يستحقون وفي قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »

قال الطبرسي : أي ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته بالحكمة والموعظة الحسن وهو الصواب عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والترهيد في فعله ، وفي ذلك تليين القلوب بما توجب الخضوع ، وجادلهم بالكلمة التي هي أحسن والمعنى اقتلوا المشركين واصرهم عما هم عليه بالرقي والحيكمة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الاجابة فإن الجدال هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج (و) كان ( أبلغ في العذر ) إن مست الحاجة إلى الاعتذار مثل أن لو اعترض عليكم معترض منهم في قتلهم وقتالهم كان لكم أن تعجبوهم وتمتدروا إليهم بأنا قد ذكرناكم فلم تتذكروا ، ونحنناكم فلم تفتنونا ، ووعظناكم فلم تقبلوا ، فليس لكم

عندنا عتبي

( و ) لو قلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا و دمائهم ) أى احفظها وأمسكها من السفك ( و اصلح ذات بيننا وبينهم ) أى العداوة التى بيننا و بينهم أو أصلح حقيقة فرقنا و بينونتنا و بدلها بالائتلاف و الاجتماع ( و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق ) و يفى. إليه ( من جهله و يرعوى ) أى يرتدع ( عن الفى ) و الضلال ( و العدوان من لهج ) و أولع ( به ) لكان أحسن القول و أجمله .

### تكملة

هذا كلام رواه الشارح المعتزلى فى شرح المختار السادس و الأربعين من كتاب صفين لنصرين مزاحم باختلاف و زيادة احببت نقله .  
قال : قال نصر : حدثنا عمر بن سعد عن الحرث بن حصين عن عبد الله ابن شريك قال :

خرج حجر بن عدى و عمر و بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام ، فأرسل عليّ عليه السلام إليهما أن كفّاعاً لا ينبغي عنكما ، فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟ قال : بلى ، قال : أليسوا مبطلين؟ قال : بلى ، قال : فلم منعنا من شتمهم؟ قال : كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعائنين تشتمون و تبرون ولكن لو وصفتهم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا و من أعمالهم كذا و كذا كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر ، و قلتم مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم : اللهم احقن دماءهم و دماءنا و أصلح ذات بينهم و بيننا و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله و يرعوى عن الفى و العدوان منهم من لهج به ، لكان أحبّ إليّ و خيراً لكم ، فقالا يا أمير المؤمنين تقبل عظنك و نتأدّب بأدبك .

و يظهر من هذه الرواية انه عليه السلام كما كان يكره منهم الشتم كذلك يكره اللعن و البراءة للنكته التى قدّمناها ، فما قاله الشارح المعتزلى فى شرح المقام : من أن الذى كرهه عليه السلام منهم أنهم كانوا يشتمون أهل الشام ولم يكن يكره منهم لعنهم إياهم و البراءة منهم ليس بوجيه .

## الترجمة

از جمله کلام نصیحت انجام آن بزرگوار است درحالتی که شنید جماعتی را از اصحاب خود که فحش میدادند شامیان را در ایام جنک صفین :  
 بدرستی که من ناخوش دارم برای شما اینکه فحاش بشوید ، ولیکن اگر تعریف نمائید عملهای ایشان را و ذکر نمائید حالهای ایشانرا مقرون بصواب باشد در گفتار ، و مقرون بکمال باشد در مقام اعتذار ، و اگر بگوئید بجای فحش دادن شما ایشان را : بارپروردگارا نگه بدار خونهای ما و خونهای ایشانرا از ریخته شدن ، و اصلاح بفرما عداوت و دشمنی میان ما و میان ایشانرا ، و هدایت کن ایشانرا از گمراهی خودشان تا اینکه بشناسد حق را کسی که جاهل بوده است بآن و بر گردد از گمراهی و تعدی کسی که حریص و مہیج باشد بآن هر آینه این بهتر خواهد شد ، اللهم وفقنا للطاعة .

و من كلام له عليه السلام في بعض ايام صفين وهو  
 المأتان والسادس من المختار في باب الخطب

و قد رأى الحسن عليه السلام ابنه يتسرع إلى الحرب :

أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْفَلَامَ لَا يَهْدِي ، فَإِنِّي أَنَفْسٌ بِهِدَيْنٍ - بَعْنِي الْحَسَنَ  
 وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام - عَلَى الْمَوْتِ ، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله .

قال الرضى أبو الحسن « ره » : قوله : املكوا عنى هذا الفلام من أعلى الكلام وأفصحه .

## اللغة

( ملكه ) يملكه من باب ضرب ملكاً بتثنية الميم احتواء قادراً على الاستبداد به ، فهو مالك وذاك مملوك وعبء مملكة مثلثة اللام إذا سبى وملك ولم يملك أبواه



وملك على الناس أمرهم إذا تولى السلطنة فهو ملك بكسر اللام ، وأملكه الشيء وأملكه من باب الافعال والتمثيل بمعنى واحد ، وملكيت العجين ملكا من باب ضرب شدته وقوته وأنعمت عجنه ، وملك نفسه منتهما من السقوط في شهواتها وماتمالك أن فعل أى لم يقدر على حبس نفسه .  
ولفظ أملكوا في أكثر النسخ حسبما صرح به العلامة المجلسي أيضا بفتح الألف من باب الافعال .

وضبطه الشارح المعتزلي بصيغة الثلاثي مجردا قال : الألف في املكوا وصل لأن الماضي ثلاثي من ملكت الفرس والدار والعبد أملك بالکسر أى احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه ، قال : وعن متعلقة بمحذوف تقديره استولوا عليه وأبعده ، ولما كان الملك سبب الهجر على مملوكه عبر بالسبب عن المسبب انتهى .

وعلى النسخ المشهورة فلا بد من جعل المزيد بمعنى المجرد كما يستعمل المتعدى مورد اللزوم في نحو كبتة فأكتب .

وقال الرانندي في محكي كلامه : املكوا أى أمسكوه لأجله يقال ما تمالك أن قال ، أى ما تماسك وقيل : إنه من ملكت العجين أى خذوه بالشدّة .  
وقال البحراني : أملكوه شدوه واضبطوه و ( الهد ) الهدم بشدّة والكسر و ( نفس ) به من باب فرح ضن وبخل و ( انسل ) الولد ونسل نسلا من باب ضرب كثر نسله وتناسلوا توالدوا أى ولد بعضهم من بعض .

### الاعراب

حرف عن في قوله أملكوا عنني على قول الشارح المعتزلي والبحراني بصفتها الأصلي أعني المجاوزة ، أو بمعنى من كما في قوله « هو الذي يقبل التوبة عن عبادة » وعلى قول الرانندي فهي بمعنى اللام للتمثيل كما في قوله تعالى : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » والأظهر عندي أنها بمعنى البدل والعوض

كما في قوله تعالى « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » .  
وقوله لا يهدني في بعض النسخ بالنصب على اضمار أن أى لئلا يهدني ،  
وفي بعضها بالرفع على الغاء ان المضمرة عن العمل كما في قولهم : وتسمع بالمعيدي  
خير من أن تراه على رواية الرفع ، وقد روى بالوجهين أيضاً قول طرفه :  
ألا ايهدنا الزاجري احضر الوغي وان اشهد اللذات هل أنت مخلد  
قال علماء الأدب : وانتصاب المضارع في هذا الشعر بأن شاذ لعدم وقوعه  
في جواب أحد الأشياء الستة .

ويحتمل أن يكون انتصاب يهدني بلفظة كي مضمرة إن جو زنا إضمارها  
كما نصبت مظهرة في قوله تعالى « لكيلا يكون على المؤمنين حرج » وقوله  
« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وقوله « كيلا يكون دولة بين  
الأغنياء » و « لكيلا يعلم بعد علم شيئاً » ونحوها .

### المعنى

اعلم أن هذا الكلام حسبما أشار إليه الرضى قد خاطب به أصحابه في  
بعض أيام صفين وقد رأى الامام الهمام أبان عبد الحسن عليه السلام ابنه يتسرع أى يتمجبل  
إلى الحرب فقال لهم :

( أملكوا عني هذا الغلام ) أراد به منعهم له من التسرع إليه وحفظهم إياه  
بدلاً منه .

قال الشارح المعتزلى في وجه علو هذا الكلام و فصاحته على ما أشار إليه  
السيد : إنه لما كان في أملكوا معنى العبد أعقبه بعن ، وذلك أنهم لا  
يملكونه دون أمير المؤمنين عليه السلام إلا وقد أبدوه عنه ألا ترى أنك إذا حجرت  
علي زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو ، فلذلك قال : املكوا عني ، انتهى .  
ولا بأس به إلا أنه انما يحسن لو كان الحسن في تسرعه إلى الحرب متابعا  
لأبيه عليه السلام معاقباً له فيستحسن حينئذ أن يقول عليه السلام : ابعده عني ، ولكن الرواية  
لا دلالة فيها على ذلك .

والأوجه عندي أنه عليه السلام لما شاهد من ابنه مسارعة إلى الحرب وكان بنفسه غير متمكن من حفظه ومانعته لمكان اشتغاله بكريهة الحرب و القتل و القتال أمر أصحابه بمحافظته عليه السلام بأحسن تعبير و لطف عبارة وقال لهم : أملكوا أي أملكوه من التسرع ، فعدل عن التعبير بلفظ المنع و الضبط و الحفظ و المراقبة و الامساك و ما ضاهاها إلى التعبير بلفظ الملك ، لما فيه من الدلالة على التسلط و الاستيلاء و التمكّن من التصرف و القدرة على الممانعة و الحفظ بأيّ وجه أمكن و أيّ نحو شاء و أراد المالك ما ليس في غيره من الألقاظ المذكورة ، يعني امنعوه و احفظوه منع المالك لملكه و حفظه إياه .

ثم أكّد ذلك بقوله عنّي يعني أني كما لو كان ممكنا لي لكننت أملكه و اراقبه غاية المراقبة ، فحيث إنه لا يمكن لي ذلك فكونوا مالكين له مراقبين عليه بدلا منّي و راقبوه مثل مراقبتي غير متوانين و لا مقصّرين .

فقد علم بذلك أنّ في هذه العبارة من الدلالة على تأكيد المنع و المحافظة ما ليس في غيرها .

وعلى عليه السلام ذلك بقوله (لا يهدني) أي لئلا يكسرني لأن التسرع إلى الحرب مظنة القتل و الهلاك و موت الولد الصالح المعين خصوصا مثل أبي محمد الحسن عليه السلام موجب لانتك « كذا » ظهر الوالد و ذهاب قوّة قلبه و نور بصره .

ثم علل عليه السلام بعلّة ثانية و قال (فاني أنفس) أي أبخل (بهذين - يعني الحسن و الحسين عليهما السلام - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله) .

تنبيه

قال الشارح المعتزلي :

فان قلت : يجوز أن يقال للحسن و الحسين و ولد هما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله و ولد رسول الله صلى الله عليه وآله و ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله و نسل رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قلت : نعم لأنّ الله تعالى سماهم ابناه في قوله « ندع أبناءنا و أبناءكم ، و انما عنى الحسن و الحسين و لو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات و سمى الله تعالى

عيسى ذرية إبراهيم في قوله تعالى « ومن ذريته داود وسليمان » إلى أن قال « ويحيى وعيسى، ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل .  
فان قلت : فما تصنع بقوله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » ؟  
قلت : أسألك عن ابوته لابراهيم بن مارية فكل ما تجيب به عن ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين عليهما السلام والجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول: زيد بن محمد على عادتهم في تبتى العبد ، فأبطل الله ذلك ونهى عن سنة الجاهلية و قال : إنَّ محمدًا ليس أباً لواحد من الرجال الباغين المعروفين بينكم ليفترى إليه بالنبوة ، وذلك لا ينفي كونه أباً لأطفال لم يطلق عليهم لفظه الرجال كإبراهيم وحسن وحسين عليهم السلام .

فان قلت : أفقول إن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز ؟  
قلت : لذاها أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن الأصل في الاستعمال الحقيقة ، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما أن لا يكون حقيقة في الآخر ، ولذاها أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية ، ولذاها إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع ، فجاز إطلاقه في كل حال واستعماله كسائر المجازات المستعملة .

قال : وما يدل على اختصاص ولدفاطمة عليها السلام دون بني هاشم كافة بالنسبة عليها السلام أنه ما كان يحل له عليها السلام أن ينكح بنات الحسن والحسين عليهما السلام ولا بنات ذريتهما وإن بعدت وطال الزمان ، ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبين وغيرهم وهذا يدل على مزيد الأقربية وهي كونهم أولاده

فان قلت : فقد قال الشاعر :

بنونا بنو أبائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

وقال حكيم العرب أكنم الصيغي في البنات يذمهن : إتهن يلدن الأعداء

و يورثن البعداء .

قلت : إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر ، وليس في قول أكنم

ما يدل على نفى بنوتهم وإثبات ذكر أنهن يلدن الأعداء وقد يكون ولد الرجل لصلبه عدواً قال الله تعالى « ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم » ولا ينفى كونه عدواً كونه ابناً ، انتهى .

**اقول:** ما حقه الشارح هو الحق الموافق للتحقيق ، وهو مأخوذ من أخبار أهل بيت العصمة والطهارة حسبما نشير إلى بعضها وان شئت مزيداً على ذلك فأقول :  
لا شك إن نسبة الابن والبنت إلى الأب والام من حيث التكوين و الخلقه نسبة واحدة لكونهما مخلوقين من نطفتهما قال تعالى « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج » أى أخلط لأن ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها يكون مشيجاً أربعين ليلة ، وقال أيضاً « فلينظر الانسان مم خلق » خلق من ماء ، دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، أى صلب الرجل و ترائب المرأة أى صدرها ، لأن منبها يخرج منه ومن أجل اتحاد نسبتها إليهما في التكوين صح إضافتهما إلى كل منهما في مقام التلفظ والتعبير من دون تفاوت ، فيقال ابن فلان وابنة فلان وابن فلانة وابنة فلانة ، ولم يخالف في صحة هذه الاضافة أحد من أهل العرف واللغة أصلاً وقد قال تعالى في كتابه العزيز « وآتينا عيسى بن مريم البينات » وقال « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها » .

فاذا صح إضافة الابن إلى الام والام إلى أبيها وهكذا إضافته إلى الأب والأب إلى أبيه بلا خلاف فلنصح إضافته إلى أب الام كما تصح إلى أب الأب ، لعدم مانع يتصور إلا الشعر المتقدم أعني قوله :

بنونا بنو أبائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

وهو لا يصلح للمانعية .

إما لما قاله الشارح المعتزلي : من ابتناؤه على كون اطلاق الأب بن علي ابن الابن أشهر و أغلب من اطلاقه على ابن البنت ، والشهرة في الاطلاق لا تدل على كونه حقيقة فيه فقط ومجازاً في غيره كما برهن في الاصول .  
أو لابتناؤه على مجرى عادة العرب من إسقاطهم البنات مع كونهن أولاداً

حقيقة من درجة الأولاد من أجل الاستنكاف والالفة والنخوة العربية وحمية الجاهلية كما شرح الله حالهم في قوله « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا ما يحكمون » وقد بلغوا في الاستنكاف منهم إلى أن جرت عادتهم على الوؤد والقتل حتى نهاهم الله عن ذلك وعاتبهم عليه في قوله « ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق » وقوله « وإذا المؤودة سُئلت \* باي ذنب قتلت » حسبما عرفت تفصيل ذلك في شرح الفصل السادس من الخطبة المائة والحادية والتسعين المعروفة بالقاصة.

أو لما قاله ابن إدريس في محكي كلامه من السرائر : من أن الشاعر انما أراد بقوله بنونا بنواً بنائنا آه الانتساب بمعنى أن أولاد البنات لا ينسبون إلى امتهن وانما ينسبون إلى آبائهن وليس كلامنا فيه بل في الولادة وهي متحققة من جهة الام من غير خلاف والذكر والأنثى فيه سواء .

وقد وافقنا على ذلك غير واحد من الأصحاب منهم المرتضى و ابن إدريس وصاحب الجواهر في غير موضع منه ، و قد بسط الكلام في ذلك كل البسط في كتاب الخمس منه ، وقال بعد اختياره موافقة المرتضى في كونه ابنه حقيقة : إنّه يظهر ذلك من جماعة من الأصحاب في غير المقام ، بل قد يظهر من المحكي عن ابن إدريس في كتاب الموارث الاجماع عليه كما عن المرتضى فيه أيضاً نفى الخلاف فيه ، بل وكذا المحكي عن خلاف الشيخ في باب الوقف والميراث ، بل ظاهره فيهما اجماع الامّة على ذلك .

ثم ساق الأدلة في ذلك ، وأجاب عن الشعر المتقدم بأنه مضافاً إلى أنه قول اعرابي جاهل لا يعارض الكتاب والسنة محتمل لارادة المتعارف المعتاد في جلب المنافع الدينية والمضار بالأولاد وأولادهم دون أولاد البنات ، فكانوا أكلاً باعد بالنسبة إلى ذلك ، بل لعلّ ظهور ارادة هذا الشاعر المجاز والمبالغة في النفي

شاهدة على العكس ، اذ من البعيد ارادته بيان الوضع واللغة فتأمل ، انتهى كلامه  
رفع مقامه .

والحاصل انا نرى أنهم يستعملون لفظ الابن والولد في ابن البنت و ولدها  
كاستعمالهم لهما في ابن الابن وولده مع عدم صحة السلب ، فيكونان حقيقة فيهما  
ولا دليل على المصير إلي المجاز .

وإذا عرفت ذلك فأقول : إن رسول الله ﷺ قد أطلق على الحسين عليه السلام  
لفظ الابن في غير واحد من الأخبار فيكونان ابنيه حقيقة .

ومن جملة هذه الأخبار الحديث المشهور انه ﷺ قال فيهما : هذان  
ابنای إمامان .

و في البحار من المناقب عن فردوس الديلمي عن سلمان قال النبي ﷺ :  
سمی هارون ابنه شبراً وشبيراً ، وانثني سميت ابني الحسن والحسين .

وعن الدارقطني بالاسناد عن ابن عمر قال : قال ﷺ : ابنای هذان سيدا  
شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما .

وعن الراغب عن أبي هريرة وبريدة رأيت النبي ﷺ يخطب على المنبر  
ينظر إلى الناس مرة وإلى الحسن مرة وقال : إن ابني هذا سيصلح الله به بين  
فئتين من المسلمين .

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ  
أقبل الحسين عليه السلام فجعل ينزو على ظهر النبي ﷺ وعلى بطنه فبال وقال ﷺ  
دعوه ، قال أبو عبيد في غريب الحديث إنه قال : لا تزرعوا ابني أي لا تقطعوا عليه  
بوله ثم دعا بما ، فصبه على بوله .

وعن الطبري عن طاووس اليماني عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : رأيت  
في الجنة قصرأ من درة بيضاء لا صدع فيها ولا وصل ، فقلت : حبيبي جبرئيل لمن  
هذا القصر ؟ قال : للحسين ابنك ، ثم تقدمت أمامه فاذا أنا بتفاح فأخذت تفاحة  
ففلقتها فخرجت منها حوراء ، كان مقاليم النور أشجار عينها فقلت : لمن أنت ؟ فيكت

ثم قالت : لابنك الحسين ، إلى غير هذه مما لا نطيل بروايتها .

فقد ظهر مما ذكرنا واتضح كل الوضوح أنه لا شك في كونهما عليهما السلام ابنيه عليه السلام حقيقة فلا يستريب فيه إلا جاهل متعمت أوجاحد متعصب ، وقد احتج على ذلك الأئمة عليهم السلام وغيرهم أيضاً في مجالس المخالفين وغيرها بأحكام بيّنة وبرهان .

فقد روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه عن ظريف بن ناصح من عبد الصمد بن بشير عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال :

قال لي أبو جعفر عليه السلام : يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام قلت : ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام : فأبى شيء احتججتهم عليهم ؟ قلت : بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم « ومن ذريته داود وسليمان » إلى قوله « وكذلك نجزي المحسنين » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم قال عليه السلام : فأبى شيء قالوا لكم ؟ قلت : قالوا : قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب قال عليه السلام : فأبى شيء احتججتهم عليهم ؟ قلت : احتججنا عليهم بقول الله عز وجل « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم » الآية قال عليه السلام : فأبى شيء قالوا لكم ؟ قلت : قالوا : قد يكون في كلام العرب ابني رجل واحد فيقول أبناءنا وإنما هما ابن واحد قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : والله يا أبا الجارود لأعطيتكما من كتاب الله تسمى بصلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردّها إلا الكافر ، قال : قلت : جعلت فداك وأين ؟ قال : حيث قال الله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » إلى أن ينتهي إلى قوله تعالى « وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » فسلمهم يا أبا الجارود هل حل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتهما فان قالوا : نعم فكذبوا والله وفجروا ، وإن قالوا : لا فهم والله ابنا للصلب وما حرمتا عليه إلا للصلب .

قال المحدث العلامة المجلسي : وجه الاحتجاج بالآية الأخيرة هو اتفاقهم على دخول ولد البنات في هذه الآية والأصل في الاستعمال الحقيقية أو أنهم يستدلون بهذه الآية على حرمة حليلة الولد ولا يتم إلا بكونه ولداً حقيقة للصلب .



## وهنا قصة لطيفة

و في البحار وجدت في بعض كتب المناقب مراسلا عن عامر الشعبي أنه قال :

بعث إلى الحجّاج ذات ليلة فخشيت فقممت فتوضأت وأوصيت ثم دخلت عليه فنظرت فإذا نطع منشور و السيف مسلول ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام فقال : لا تخف فقد امنتك الديلة وغداً إلى الظهر ، وأجلسني عنده .  
ثم أشار فأتني برجل مقيّد بالكبول والأغلال فوضوه بين يديه فقال : إن هذا الشيخ يقول : إن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله ﷺ ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه ، فقلت : يجب أن تحلّ قيده فأنه إذا احتجّ فأنه لا محالة يذهب وان لم يحتجّ فإن السيف لا يقطع هذا الحديد ، فخلّوا قيوده و كبوله فنظرت فإذا هوسعيد بن جببر فحزنت بذلك وقلت : كيف يجد حجة عليّ ذلك من القرآن ، فقال له الحجّاج : ائني بحجة من القرآن عليّ ما ادعيت وإلا أضرب عنقك ، فقال له : انتظر ، فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك ، فقال انتظر ، فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال « ووهبنا له إسحق ويعقوب » إلى قوله « وكذلك نجزي المحسنين » ثم سكت ، وقال للحجّاج اقره ما بعده ، فقره « و زكريّا ويحيى وعيسى » فقال سعيد : كيف يليق ههنا عيسى ؟ قال : إنّه كان من ذريته قال : إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ايمته فنسب إليه مع بعده فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله ﷺ مع قربهما منه ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ، وأمر بأن يحملوها معه إلى داره وأذن له في الرجوع .

قال الشعبي : فلما أصبحت قلت في نفسي قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتلم منه معاني القرآن لأتني كنت أظنّ أنّي أعرفها فأتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشراً عشراً ويتصدق بها ، ثم قال : هذا كلّه ببركة الحسن والحسين ﷺ لأنّ كُنّا أغمنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضين

الله ورسوله.

فقد تحصل ممانا كرنا أنه حصل لهما عليهما السلام من النسب مالم يحصل لغيرهما فانتهما ابنا رسول الله ﷺ و سبطاه و ولداه و ذريته وسيد اشباب أهل الجنة ، فجد هما رسول رب العالمين ، وأبوهما أمير المؤمنين ، و امتهما سيده نساء العالمين وهذا هو النسب الذي تتضائل عنده الأنساب ، والشرف الذي اسجل بصحته الاثر والكتاب .

نسب كان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً  
فهما عليهما السلام دوحتا النبوة التي طابت فرعاً وأصلاً ، وشعبتا الفتوة التي سمت رفعة ونبلًا ، وإنسانا عيني السيادة والفخار ، وسليلا الشرف الذي أظهر الخيلاء في مضر ونزار ، قد اكتنفهما العز والشرف ، فماله عنهما منصرف ، وأحاط بهما المجد من طرفيهما ، وتصورا من الجلالة فكادت أن تقطر من عطفيهما ، وتكونا من الاريحية فهي تلوح على شمائلهما ، تيد و كما يبد والنهار على مخائلهما ، وفاقا في طيب الاعراق وطهارة الاخلاق رتبة الأواخر والأوائل ، فعلت سماء فضلها حتى قيل : أين الثريا من يد المتناول ، نسبهما يتصل بمحمد ﷺ من قبل الأم بغير فصل ، ومن قبل الأب يجتمع في عبدالمطلب فأعجب لطيب فرع وذكاه أصل .

أنتم ذوو النسب القصير وطولكم باد على الكبرياء والأشراف  
الخمير إن قيل ابنة العنب اكتفت بأب من الألقاب والأوصاف

### تكميل

قد تقدم في شرح الخطبة المائة والسادسة والتسعين وبعض الخطب المتضمنة لذكر النبي جملة من مناقبه ﷺ ، وتقدم في غير موضع من تضعيف الشرح فصل واف من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام و كراماته و فضائله ، وفي شرح المختار الواحد والمأتين جملة من مناقب الصديقة الكبرى سيده النساء سلام الله عليها فأحببت أن أذكر هنا شطراً من مناقب الامامين الهمامين السبطين الزكيين أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين عليهما السلام تيمناً بذكر فضائل جميع الخمسة من آل العباء عليهم التحية والثناء ، راجياً بذلك مزيد الأجر والذخر يوم الجزاء ،

وإن كان مناقبهم الجميلة لا تبعد ولا تحصى، وما أثرهم الجليلة لا تتحد ولا تستقصى، إلا أن الميسور لا يسقط بالمعسور، وعسى أن يدرك المرجو بالمقدور.

رويدك إن أحببت نيل المطالب	فلا تعد عن ترتيب أى المناقب
مناقب أصحاب الكساء قدوة الورى	بهم يبتغى مطلوبه كل طالب
مناقب تجلى سافرات وجوهها	و يجلسونها مدلهما الغياهب
عليك بها سرأ و جهراً فانها	تحلل عندالله أعلى المراتب
وجد عند ما يتلو لسانك آينا	بدعوة قلب حاضر غير غائب
لمن قام في تأليفها واعتني به	ليقضى من مفروضهم كل واجب
عسى دعوة تزكوبها حسناته	فيحظى من الحسنى بأسمى المواهب

**قالول :** روى فى كشف الغمة من كتاب معالم العترة الطاهرة للجنابذى عن

بريدة قال : كان رسول الله ﷺ يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما فيميضان أحمران يعثران ويقومان، فلما رآهما فنزل فأخذهما ثم صعد فوضعهما فى حجره ثم قال : صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، رأيت هذين فلم أصبر حتى أخذتهما .

وعن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ أنها أتت رسول الله ﷺ ومعها الحسن والحسين عليهما السلام فى مرضه الذى توفى فيه قالت : يا رسول الله ﷺ إن هذين لم تورثهما شيئاً قال ﷺ : أمّا الحسن فله هيبتى وأمّا الحسين فله جراتى وجودى .

وعن عبدالله بن عباس قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبلت فاطمة تبكى ، فقال لها النبى ﷺ : ما يبكيك ؟ قالت : يا رسول الله ﷺ إن الحسن والحسين خرجا فوالله ما أدرى أين سلما .

فقال النبى ﷺ لا تبكين فداك أبوك فان الله عز وجل خلقهما وهو أرحم بهما اللهم إن كانا قد أخذنا فى بر فاحفظهما ، وإن كانا قد أخذنا فى بحر فسلمهما فهبط جبرئيل عليه السلام فقال : يا أحمد لا تنغم ولا تحزن هما فاضلان فى الدنيا

فاضلان في الآخرة وأبوهما خير منهما وهما في حظيرة بني النجار نائمين ، و قد  
و كَلَّ اللهُ بهما ملكا يحفظهما .

قال ابن عباس : فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه حتى أتينا معه حظيرة بني  
النجار فإذا الحسن معانق الحسين وإذا الملك قد غطاهما بأحد جناحيه .

قال : فحمل النبي ﷺ الحسن وأخذ الحسين الملك والناس يرون أنه ﷺ  
حاملهما فقال أبو بكر وأبو أيوب الأنصاري : يا رسول الله ألا نخفف عنك بأحد الصبيين  
فقال ﷺ : دعاهما فانهما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة وأبوهما خير منهما  
ثم قال والله لأشرفنهما اليوم بما شرّفهما الله فخطب فقال :

يا أيها الناس ألا اخبركم بخير الناس جدًّا وجدًّا؟ قالوا : بلى يا رسول الله ،  
قال : الحسن والحسين جدًّا هما رسول الله ﷺ وجدّتهما خديجة بنت خويلد .

ألا اخبركم بخير الناس أبواً أمّا؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : الحسن  
والحسين أبوهما عليّ بن أبي طالب ﷺ وأمهما فاطمة بنت محمد ﷺ .

ألا اخبركم أيها الناس بخير الناس عما وعمّة؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال :  
الحسن والحسين عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أمّ هاني بنت أبي طالب .

أيها الناس ألا اخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ قالوا : بلى يا رسول الله  
قال : الحسن والحسين خالهما القاسم بن محمد وخالتهما زينب بنت محمد إلا إن أباهما  
في الجنة وامهما في الجنة وجدّهما في الجنة وجدّتهما في الجنة وخالهما في الجنة  
وخالتهما في الجنة وعمّتهما في الجنة وعمّتهما في الجنة وهما في الجنة ومن أحبّهما  
في الجنة من أحبّ من أحبّهما في الجنة .

وفي البحار من بعض كتب المناقب القديمة عن محمد بن أحمد بن عليّ بن  
شاذان بإسناده عن ابن عباس قال :

كنت جالساً بين يدي النبي ﷺ ذات يوم وبين يديه عليّ وفاطمة والحسن  
والحسين ﷺ إذ هبط جبرئيل ومعه تقاحة ، فحيّابها النبي ﷺ وحيّابها عليّ بن  
أبي طالب ﷺ ففتحها عليّ وقبلها ووردّها إلى رسول الله ، فحيّابها رسول الله ﷺ

وحياها الحسن وتحياها الحسين و قبلها وردّها إلى رسول الله ﷺ ، فتحياها رسول الله وحيا بها الحسين وتحيا بها الحسين و قبلها وردّها إلى رسول الله فتحياها وحياها فاطمة فتحيت بها و قبلتها وردّها إلى النبي ، فتحيا بها الرابعة وحياها علي بن أبي طالب فلما هم أن يردّها إلى رسول الله ﷺ سقطت النفاحة من بين أنامله فانفلقت بنصفين فسطع منها نور حتى بلغ إلى السماء الدنيا فاذا عليها سطران مكتوبان : بسم الله الرحمن الرحيم تحية من الله إلى محمد المصطفى وعلي المرتضى و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين سبطي رسول الله وأمان لمحبيهما يوم القيامة من النار .

وعن ابن شاذان عن زاذان عن سلمان قال :

أتيت النبي ﷺ فسلمت عليه ثم دخلت على فاطمة عليها السلام فقال يا عبد الله هذان الحسن والحسين جائعان يبكيان فخذ بأيديهما فاخرج بهما إلى جدّهما فأخذت بأيديهما وحملتهما حتى أتيت بهما إلى النبي ﷺ قال: مالكما يا حسناي؟ قال: نشتهي طعاماً يا رسول الله ، فقال النبي ﷺ اللهم أطعمهما ثلاثاً قال : فنظرت فاذا سفرجلة في يد رسول الله ﷺ شبيهة بقلة من حجر أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل و ألين من الزبد ، فعر كها بابهامها فصيرها نصفين ثم دفع إلى الحسن نصفها وإلى الحسين نصفها ، فجعلت أنظر إلى النصفين في أيديهما و أنا أشتهيها قال ﷺ : يا سلمان هذا طعام من الجنة لا يأكله أحد حتى ينجو من الحساب .

وإسناده عن الطبراني بإسناده عن سلمان قال :

كنا حول النبي ﷺ فجاءت أم أيمن فقالت : يا رسول الله ﷺ لقد ضلّ الحسن والحسين وذلك عند ارتفاع النهار ، فقال رسول الله ﷺ : قوموا فاطلبوا ابني ، فأخذ كل رجل تجاه وجهه وأخذت نحو النبي ﷺ فلم يزل حتى أتى صفح الجبل وإذا الحسن والحسين عليهما السلام ملتزق كل واحد منهما بصاحبه ، وإذا شجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شبه النار فأسرع لي « إليه » رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ، ثم أنساب فدخل بعض الأجرّة ، ثم أتاهما فافرق بينهما و مسح

(ج ١٣) ذكر نبذ من مناقب الامامين الحسن والحسين عليهما السلام (١٠٩)

وجوههما وقال بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله ، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر فقلت : طوبى كما نعم المطية مطيتكما فقال رسول الله ﷺ : ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما .

وروى في المراسيل :

أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يميكان ، فقال الحسن للحسين عليهما السلام : خطي أحسن ، وقال الحسين : لابل خطي أحسن من خطك ، فقال لفاطمة عليهما السلام احكمي بيننا فكرهت فاطمة عليهما السلام أن تؤذى أحدهما ، فقالت لهما : سلا أباكما ، فسألاه فكره أن يؤذى أحدهما فقال : سلاجد كما رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : لا أحكم بينكما حتى أسأل جبرئيل فلما جاء جبرئيل قال : لا أحكم بينهما ولكن اسرافيل يحكم بينهما فقال اسرافيل : لا أحكم بينهما ولكن أسأل الله أن يحكم بينهما ، فسأل الله ذلك فقال تعالى : لا أحكم بينهما ولكن أمهما فاطمة تحكم بينهما ، فقالت فاطمة : احكم بينهما يارب و كانت لها فلادة فقالت : أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلادة فمن أخذ منها أكثر فخطه أحسن ، فنثرها وكان جبرئيل وقتئذٍ عند قائمة العرش ، فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض وينصف الجواهر بينهما كيلا يتأذى أحدهما ففعل ذلك جبرئيل إكراماً لهما وتعظيماً .

وروى ركن الأئمة عبد الحميد بن ميكائيل عن يوسف بن منصور السّاوي

عن عبدالله بن محمد الأزدي عن سهل بن عثمان عن منصور بن محمد النسفي عن عبدالله بن عمرو عن الحسن موسى عن سعدان عن مالك بن سليمان عن ابن جريح عن عطا عن عايشة قالت :

كان رسول الله ﷺ جايماً لا يقدر على ما يأكل ، فقال لي : هاتي ردائي ، فقلت أين تريد ؟ قال : إلى ابنتي فأنظر إلى الحسن والحسين فيذهب بعض ما بي من الجوع ، فخرج حتى دخل على فاطمة عليهما السلام فقال : يا فاطمة أين ابناي ؟ فقالت :

يارسول الله خرجا من الجوع وهما يبكيان ، فخرج النبي ﷺ في طلبهما فرأى  
أبا الدرداء فقال : يا عويمر هل رأيت ابني؟ قال : نعم يا رسول الله هما نائمان في  
ظل حائلي بنى جذعان ، فانطلق النبي ﷺ فضمهما وهما يبكيان وهو مسح الدموع  
عنهما ، فقال له أبو الدرداء : دعني أحملهما فقال يا أبا الدرداء دعني أمسح الدموع  
عنهما فوالذي بعثني بالحق نبياً لو قطرت قطرة في الأرض لبقيت المجاعة في امتي  
إلى يوم القيامة ثم حملهما وهما يبكيان وهو يبكي فجاء جبرئيل عليه السلام فقال : السلام  
عليك يا محمد رب العزة جل جلاله يقرؤك السلام ويقول : ما هذا الجزع ؟ فقال  
النبي ﷺ : يا جبرئيل ما أبكى جزعاً بل أبكى من ذل الدنيا ، فقال جبرئيل :  
إن الله تعالى يقول : أيسر لك أن أحول لك أحداً ذهباً ولا ينقص مما عندي شيء ؟  
قال النبي ﷺ : لا ، قال : لم ؛ قال : لأن الله تعالى لم يحب الدنيا ولو أحبها لما جعلها للكافر أكملها  
فقال جبرئيل : ادع بالجنفة المنكوبة التي في ناحية البيت ، قال : فدعا بها ، فلما  
حملت فاذا فيها ثريد و لحم كثير ، فقال : كل يا محمد وأطعم ابنك و أهل بيتك ،  
قال : فأكلوا وشبعوا قال : ثم أرسل بها إلي فأكلوا وشبعوا وهو على حالها ، قال  
ما رأيت جفنة أعظم بركة منها فرفعت عنهم فقال النبي ﷺ : والذي بعثني بالحق  
لو سكت لتداولها فقراء امتي إلى يوم القيامة .

وفي البحار وجدت في بعض مؤلفات أصحابنا أنه روى مراسلا من جماعة  
من الصحابة قالوا:

دخل النبي ﷺ دار فاطمة فقال : يا فاطمة إن أباك اليوم ضيفك ، فقالت  
يا أبت إن الحسن والحسين يطالباني بشيء من الزاد فلم أجد لهما شيئاً يقتاتان به  
ثم إن النبي ﷺ دخل وجلس مع علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام  
وفاطمة عليها السلام متحيرة ما تدري كيف تصنع ، ثم إن النبي ﷺ نظر إلى السماء ساعة  
وإذا بجبرئيل قد نزل وقال : يا محمد العلمي الأعلى يقرؤك السلام و يخصك بالتحية  
والاكرام ويقول لك : قل لعلي وفاطمة والحسن والحسين أي شيء يشتهون من

فواكه الجنة؛ فقال النبي ﷺ: يا عليّ يا فاطمة يا حسن ويا حسين إن ربّ العزة علم أنكم جياع فأى شيء تشتهون من فواكه الجنة؛ فأمسكوا عن الكلام ولم يردوا جواباً حياً من النبي ﷺ.

فقال الحسين: عن إذنك يا أبنا يا أمير المؤمنين وعن إذنك يا أمأه يا سيّدة نساء العالمين وعن إذنك يا أخاه الحسن الزكي اختار لكم شيئاً من فواكه الجنة. فقالوا جميعاً: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختارنا لنا، فقال: يا رسول الله قل لجبرئيل: إننا شتهى رطباً جنياً فقال النبي ﷺ: قد علم الله ذلك ثم قال: يا فاطمة قومي وادخلي البيت واحضري إلينا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلّور مغطى بمنديل من السندس الأخضر وفيه رطب جنّي في غير أوانه فقال النبي ﷺ: يا فاطمة أنى لك هذا قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب كما قالت مريم بنت عمران.

فقام النبي ﷺ وتناوله وقد مه بين أيديهم ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم أخذ رطبة واحدة فوضعها في فم الحسين عليه السلام فقال هنيئاً مريئاً لك يا حسين، ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن عليه السلام وقال هنيئاً مريئاً لك يا حسن، ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء عليها السلام وقال هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة الزهراء، ثم أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم عليّ عليه السلام وقال هنيئاً مريئاً لك يا عليّ، ثم ناول عليّاً رطبة أخرى ثم رطبة أخرى والنبي ﷺ يقول له هنيئاً مريئاً لك، ثم وثب النبي قائماً ثم جلس ثم أكلوا جميعاً عن ذلك الرطب.

فلما اكتفوا واشبعوا ارتفعت المائدة إلى السماء باذن الله تعالى.

فقال فاطمة: يا أبت لقد رأيت اليوم منك عجباً.

فقال: يا فاطمة أمّا الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له هنيئاً يا حسين فإني سمعت ميكائيل و اسرافيل يقولان هنيئاً يا حسين فقلت أيضاً موافقاً لهما في القول، ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن فسمعت جبرئيل وميكائيل يقولان هنيئاً لك يا حسن فقلت أنا موافقاً لهما في القول، ثم أخذت الثالثة فوضعتها



في فمك يا فاطمة فسمعت الجور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان يقلن هنيئاً لك يا فاطمة فقلت موافقاً لهنّ بالقول ، ولما أخذت الرابعة فوضعتها في فم عليّ عليه السلام سمعت النداء من قبل الحق يقول هنيئاً مريئاً لك يا عليّ فقلت موافقاً لقول الله عزّ وجلّ ، ثمّ تناولت عليّاً رطبة اخرى ثمّ اخرى وأنا أسمع صوت الحق سبحانه يقول هنيئاً مريئاً لك يا عليّ فقلت موافقاً لقول الله ، ثمّ فمت إجلالاً لربّ العزّة جلّ جلاله فسمعته يقول يا محمد صلى الله عليه وآله وعزّ تي وجلالي لو تناولت عليّاً من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت هنيئاً مريئاً بعد بلا انقطاع .

وروي في بعض الأخبار :

أن أعرابياً أتى الرسول صلى الله عليه وآله فقال له : يا رسول الله لقد صدت خشفة غزاة و أتيت بها إليك هدية لولدك الحسن والحسين ، فقبلها النبي صلى الله عليه وآله ودعاه بالخير فاذا الحسن واقف عند جدّه فرغب إليها فأعطاه إيّاها ، فامضى ساعة إلا والحسين قد أقبل فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها فقال : يا أخي من أين لك هذه الخشفة ؟ فقال الحسن : أعطانيها جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فسار الحسين مسرعاً إلى جدّه فقال : يا جدّاه أعطيت أخي خشفة ولم تعطني مثلها وجعل يكرّر القول على جدّه وهو ساكت لكنّه يسأل خواتمه و يلاطفه بشيء من الكلام حتّى أفضى من أمر الحسين عليه السلام إلى أن همّ يبكي .

فبينما هو كذلك إذ نحن بصياح قد ارتفع من باب المسجد ، فنظرنا فاذا ظبية ومعها خشفها ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتضربها بأحد أطرافها حتّى أنت بها النبي صلى الله عليه وآله .

ثمّ نظفت الغزاة بلسان فصيح فقالت : يا رسول الله قد كانت لي خشفتان إحداهما صاها الصياد و أتى بها إليك ، و بقيت لي هذه الأخرى و أنا بها مسرودة وإنّي كنت الآن ارضعها فسمعت قائلاً يقول : اسرعى اسرعى يا غزاة بخشفتك إلى النبي صلى الله عليه وآله و اوصليه سريعاً لأنّ الحسين واقف بين يدي جدّه وقد همّ أن يبكي

والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة ، ولو بكى الحسين لبكت  
الملائكة المقربون لبكائه ، وسمعت أيضاً قائلاً يقول : اسرعى يا غزالة قبل جريان  
الدموع على خد الحسين فان لم تفعلى سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفتك  
فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله وقطعت مسافة بعيدة ولكن طويت لى الأرض  
حتى أتيتك سريعة وأنا حمد الله ربى على أن جئتك قبل جريان دموع الحسين على  
خدّه ، فارتفع التهليل والتكبير من الأصحاب ودعا النبي ﷺ الغزاة بالخير  
والبركة وأخذ الحسين الخشفة وأتى بها إلى أمه الزهراء فسرت بذلك سروراً  
عظيماً

وروى عن سلمان الفارسي قال :

أهدى إلى النبي ﷺ قطف من العنب في غير أوانه فقال لي : يا سلمان ايتني  
بولدى الحزن والحسين لياً كلامى من هذا العنب ، قال سلمان الفارسي : فذهبت  
أطرق عليهما منزل أمهما فلم أرهما ، فأتيت منزل اختهما أم كلثوم فلم أرهما .  
فخبرت النبي ﷺ بذلك فاضطرب ووثب قائماً وهو يقول : واولداه واقرة  
عيناه من يرشدنى عليهما فله على الله الجنة ، فنزل جبرئيل من السماء وقال : يا محمد  
علىم هذا الانزعاج؟ فقال : على ولدى الحسن والحسين فانى خائف عليهما من كيد  
اليهود ، فقال جبرئيل : يا محمد بل خف عليهما من كيد المنافقين ، فان كيدهم أشد  
من كيد اليهود اعلم يا محمد أن ابنيك الحسن والحسين نائمان في حديقة أبي  
الدحداح .

فسار النبي ﷺ من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتى دخلنا الحديقة  
وإذا هما نائمان وقد اعتمق أحدهما الآخر و ثعبان في فيه طاقة ريحان يروح  
بها وجهيهما .

فلما رأى الثعبان النبي ﷺ : ألقى ما كان في فيه فقال : السلام عليك يا  
رسول الله لست أنا ثعباناً ولكنى ملك من ملائكة الكرت و بين غفلت عن ذكر  
ربى طرفة عين فغضب على ربى و مسخنى ثعباناً كما ترى و طردنى من السماء إلى

الأرض ولى منذ سنين كثيرة أقصد كريماً إلى الله فأسأله أن يشفع لى عند ربى عسى أن يرحمنى و يعيدنى ملكاً كما كنت أولاً إنته على كل شيء قدير قال: فجا، النبى ﷺ يقبلهم ماحتى استيقظا فجلسا على ركبتي النبى . فقال لهما النبى ﷺ : انظرا يا ولدى هذا ملك من ملائكة الله الكرويين قد غفل عن ذكر ربه طرفه عين فاجعله الله هكذا و أنا مستشفع بكما إلى الله فاشفعاله .

فوثب الحسن و الحسين عليهما السلام فأسبغا الوضوء و صليا ركعتين و قالا : اللهم بحق جدنا الجليل الحبيب محمد المصطفى ، و بأبينا على المرتضى ، و بأمنا فاطمة الزهراء، إلّا ما رددته إلى حالته الأولى.

قال فما استتم دعاؤهما فاذا بجبرئيل نزل من السماء في رهط من الملائكة و بشر ذلك الملك برضى الله عنه و برده إلى سيرته الأولى ثم ارتفعوا إلى السماء وهم يسبحون الله تعالى .

ثم رجع جبرئيل إلى النبى ﷺ وهو متبسم ، و قال يا رسول الله إن ذلك الملك يقتخر على الملائكة السبع السماوات و يقول لهم: من مثلى وأنا في شفاعة السديدين السبطين الحسن و الحسين عليهما السلام .  
وقال حكى عن عروة البارقي قال :

حججبت في بعض السنين فدخلت مسجد رسول الله ﷺ فوجدت رسول الله جالساً و حوله غلامان يافعان و هو يقبل هذا مرة و هذا أخرى ، فاذا رآه الناس يفعل ذلك أمسكوا عن كلامه حتى يقضى منهم او ما يعرفون لأى سبب حبه آياهما . فحتمته و هو يفعل ذلك بهما فقلت : يا رسول الله ﷺ هذان ابناك ؟ فقال : انهما ابنا ابنتي و ابنا أخى و ابن عمى و أحب الرجال إلى و من هو سمعى و بصرى و من نفسه نفسى و نفسى نفسه و من أحزن لحزنه و يحزن لحزنى .

فقلت له: قد عجبت يا رسول الله ﷺ من فملك بهما و حبك لهما .  
فقال ﷺ له : أحدك أيها الرجل إنى لمّا عرج بي إلى السماء و دخلت

الجنة انتهيت إلى شجرة في رياض الجنة فمجت من طيب رايحتها فقال لي جبرئيل: يا محمد تعجب من هذه الشجرة فثمرها أطيب من ريحها ، فجعل جبرئيل يتحفني من ثمرها ويطعمني من فاكهتها وأنا لا أمل منها، ثم مررنا بشجرة أخرى فقال لي جبرئيل : يا محمد عليه السلام كل من هذه الشجرة فانها تشبه الشجرة التي أكلت منها الثمر فهي أطيب طعاماً و أذكرا ريحة .

قال : فجعل جبرئيل يتحفني بثمرها و يشمني من رايحتها و أنا لا أمل منها ، فقلت : يا أخى جبرئيل ما رأيت في الأشجار أطيب ولا أحسن من هاتين الشجرتين ، فقال لي : يا محمد أتدري ما اسم هاتين الشجرتين ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : إحداهما الحسن والآخرى الحسين ، فاذا هبطت يا محمد إلى الأرض من فورك فأت زوجتك خديجة و واقعا من وقتك و ساعتك فانه يخرج منك طيب ريحة الثمر الذي أكلته من هاتين الشجرتين فتلد لك فاطمة الزهراء ، ثم زوجها أخاك علياً فتلد له ابنين فسم أحدهما الحسن والآخر الحسين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ففعلت ما أمرني أخى جبرئيل فكان الأمر ما كان، فنزل إلى جبرئيل بعدما ولد الحسن والحسين فقلت له : يا جبرئيل ما أشوقني إلى تينك الشجرتين فقال لي : يا محمد إذا اشتقت إلى الأكل من ثمرة تينك الشجرتين فشم الحسن والحسين.

قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كلما اشتاق إلى الشجرتين يشم الحسن والحسين عليهما الملاة و السلام و يلتمهما و هو يقول : صدق أخى جبرئيل ، ثم يقبل الحسن والحسين عليهما السلام ويقول : يا أصحابي انى أود أنى افاصمهما حياتي لحبتي لهما وهما ريحانتاي من الدنيا، فتمجّب الرجل وصف النبي صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين عليهما السلام.

و في كشف الغمّة قال البغوى يرفعه إلى يعلى قال :

جاء الحسن والحسين يسهيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ أحدهما فضمه إلى ابطه و أخذ الآخر فضمه إلى ابطه الأخرى فقال : هذان ريحانتاي من الدنيا من أحببني فليحببهما .

وفيه عن أبي هريرة قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ ومعهم حسن و حسين عليهما السلام هذا على عاتقة وهذا على عاتقة وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله إنك تحببهما فقال: من أحببهما فقد أحببني ومن أبغضهما فقد أبغضني.

**اقول:** هذه الأخبار انموزج من مناقب أخبار السبطين سلام الله عليهما وعلى جدّهما وأبيهما وأُمَّهما و ظهر منها كيفية عناية الله تعالى و عناية رسوله ﷺ وإكرامهما في حقهما كما ظهر فرط محبة الرسول ﷺ ومحبة أمير المؤمنين إياهما إلى مرتبة يود رسول الله ﷺ أن يقاسمهما حياته كما مرّ في آخر روايات البحار و يرضى أمير المؤمنين عليه السلام بأن يخوض بنفسه الشّريف في غمرات الحرب و يرضنّ بهما ذلك حذراً من انقطاع نسل رسول الله ﷺ حسبما مرّ في هذا الكلام السّذي نحن في شرحه.

فلعن الله أمة بلغوا الغاية في العصيان، ووصلوا إلى النهاية في إرضاء الشيطان و أقدموا على أمر عظيم من إسخاط الرحمن ، كيف سعوا في إطفاء نور الله، وجدوا في قطع نسل رسول الله ﷺ ، و بدلوا ما وصّاهم الله به من مودة القربي بالعداوة والبغضاء ، و ما أوصاهم به رسول الله ﷺ من محبة العترة بالشقاوة والشقاء . فشوهاً لتلك الوجوه التي شوها الكفر والفسوق والعصيان ، وسوأة لهذه الأمة التي لم تبق شيئاً من مراتب العداوة والعداوة والطغيان ، فكيف لو شاهدتهم النبي ﷺ مع ما أقدموا عليه في حق الآل من سفك الدماء و قتل الرجال وسبي الحرير و ذبح الأطفال ، اولئك عليهم لعنة الله والملائكة و الناس أجمعين و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

### الترجمة

از جمله كلام آن حضرتست در بعض ایام جنگ صفین در حالتی که دید

پسرش امام حسن علیه السلام را می شتابد بسوی جنگ فرمود بأصحاب خود :

مالک شوید و ممانعت نمائید بعوض من این جوان را تا آنکه نشکند بنیة

بدن مرا ، پس بدرستی که من بخیل ترم باین دو جوان که حسن و حسین علیهما السلام باشند بر مرک ، مبادا بریده شود بجهت موت ایشان نسل بر گزیده پیغمبر آن رسول خدا صلی الله علیه و آله .

سید رضی رحمه الله علیه گفته که: فرمایش آن حضرت که فرموده مالک شوید . بعوض من از جمله کلام عالی مقام او و متضمن غایت فصاحتست .

## و من کلام له صلی الله علیه و آله و هو المأتان والسابع من المختار فی باب الخطب

وقد رویناه فی شرح الخطبة الخامسة و الثلاثین من کتاب صفین لنصر بن مزاحم باختلاف یسیر عرفته . قال لَمَّا اضْطَرَبَ عَلَيْهِ صلی الله علیه و آله أصحابه فی أمر الحکومة .

أُثِمَّ النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحَبُّ ، حَتَّى نَهَكْتَكُمْ  
الْحَرْبُ ، وَقَدْ وَ اللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَ تَرَكْتُ ، وَ هِيَ لَعْدُوكُمْ أَنْتُمْ ،  
لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا ، وَ كُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا ،  
فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنِيًّا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ ، وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى  
مَا تَكْرَهُونَ .

### اللغة

(نهکتکته) الحمى نهکا من باب منع و تعب هزلته ، و نهکه السلطان عقوبة بالغ فيه ، و نهکت الشوب لبسته حتى خلق و بلی (والحرب) مؤنث سماعی وقد تذکر ذهاباً إلى معنى القتال فيقال حرب شديد .

## الاعراب

قوله ﷺ : وقد والله أخذت، جملة القسم معترضة بين قد ومدخولها جيئت بها لتأكيد الكلام .

## المعنى

اعلم أنه قد تقدم في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين تفصيل قصة الحكومة وعرفت هناك أن أهل الشام لما ضعفوا عن مقاومة أهل العراق وعجزوا عن مقاتلتهم ورأوا علو كلمة الحق وأيقنوا بالهلاك والمطب، عدلوا عن القراع إلى الخداع فرفعوا المصاحف على الرماح بتدبير ابن النابغة عمرو بن العاص اللعين على وجه الخديعة والمكيدة .

ولم تارأى أهل العراق منهم ذلك كفوا أيديهم عن القتال واجتمعوا عليه ﷺ وطلبوه بالكف عنهم وكانوا في ذلك على أقسام .

فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف واعتقدوا أنهم لم يرفعوها خديعة وحيلة بل حقاً وعملاً بموجب الكتاب وتسليماً للدين الحق فرأى أن الاستسلام للحجة أولى من الاصرار على الحرب .

ومنهم من قد كان مل من الحرب بطول المدّة ، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلّق بها في رفض المحاربة وحب العافية أخلد إليها .

ومنهم من كان يبغض أمير المؤمنين ﷺ بالباطن ويطيعه بالظاهر كما يطبع كثير من الناس السلطان ظاهراً ويبغضه باطناً فلما وجد طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته أسرع إليها .

فاجتمع جمهوره وعسكره إليه ﷺ وطلبوه الكف فامتنع امتناع عالم بالمكيدة وعرفهم أنها خديعة وحيلة وقال لهم : إننى أعرف بالقوم منكم وأعلم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن فلا تغتروا برفعهم للمصاحف وانهدوا إليهم ولم يبق منهم إلا آخر نفوسهم ، فأبوا عليه ولجئوا وأصرّوا على القعود والخذلان وطلبوا أن

ينفذ إلى الأشر وسائر المحاربين أن يكفّوا عن الحرب ويرجعوا .

فأرسل إلى الأشر وأمره بالرجوع فقال الأشر : وكيف أرجع وقد لاحت

أمارات الظفر وقال له: ليمهلني ساعة واحدة ولم يكن عالماً بصورة الحال ، فلما عاد إليه الرسول بذلك غضبوا وشغبوا وقالوا : أفذنت إلى الأشر سرّاً تأمره بالجدّ وتنها عن الكفّ وإن لم يعد قتلناك كما قتلنا عثمان .

فرجعت الرّسول إلى الأشر فقالوا له: أتحبّ أن تظفر بالعدو وأمير المؤمنين قدسبت عليه خمسون ألف سيف ، فقال : ما الخبر؟ قالوا : إن الجيش بأسره قد أحذقوا به و هو جالس بينهم على الأرض تحته نطع و هو مطرق والبارقة تلمع على رأسه يقولون : لئن لم يرجع الأشر قتلناك .

فرجع فوجد أمير المؤمنين تحت الخطر قدردّوه أصحابه بين الأمرين إن لم يكفّ عن الحرب إمّا أن يسلموه إلى معاوية أو يقتلوه ولا ناصر له منهم إلا ولداه و ابن عمّه و نفر قليل لا يبلغ عشرة .

فلما رآهم الأشر شتمهم و شتموه و أبوا و قالوا : المصاحف المصاحف والرّجوع إليها لا ترى غير ذلك ، فأجابهم أمير المؤمنين إلى ذلك كرهاً دفعاً للأفسد بالفاسد و قال لهم:

( أيّها الناس إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحبّ ) من قتال أهل البني والعدوان واستيصال القاسطين من حزب الشيطان (حتى) عاد طاعتكم لي إلى المخالفة و نصرتكم إلى الخذلان و المنايذة فأبيتم إباء المخالفين الجفأة والمنايذين العصاة بما ( نهكتكم ) و هزلتكم (الحرب) بطول مدتها و ثقل أوزارها .

و نبّه على خطائهم في القعود عنها بقوله ( وقد والله أخذت منكم ) طائفة (و تركت) طائفة فلم تستأصلكم بالمرّة بل بقيت منكم بقيّة ( و هي لعدوكم ) أنكي و (أنهك) إذ لم يبق منهم إلاّ حشاشة ضعيفة فإنّ القتل في أهل الشام كان أشدّ استحراراً والوهن فيهم أظهر، ولولا فساد أهل العراق لاستوصل الشام وخلص إلى معاوية فأخذه بعنقه ، ولم يكن قد بقي من قوّة أهل الشام إلاّ حركة المذبوح و مثل حركة ذنب الوزغة عند قتلها يضطرب يميناً و شمالاً.

ثم أخذ في التّشكي منهم بسوء فعلهم فقال ( لقد كنت أمس أميراً فأصبحت



اليوم مأموراً) لا يخفى حسن المقابلة بين القرينتين و هو من مقابلة الثلاثة بالثلاثة . و كذا في قوله ( و كنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً ) ثم ساق الكلام مساق التعريض والتفريع فقال (وقد أحببتكم البقاء و ليس لي أن أحملكم على ماتكروهون) من القتال و القتل ، و عدم حملهم على ذلك إما لعدم القدرة أو لعدم اقتضاء المصلحة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

### الترجمة

از جمله کلام معجز نظام آن امام انا م عليه الصلاة والسلام است که فرموده آن را هنگامی که مضطرب شدند و اغتشاش نمودند اصحاب او بر او در امر حکومت حکمین پس فرمود آن بزرگوار بایشان :

ای مردمان بدرستی که ثابت بود امر من و شما بر چیزیکه دوست می داشتیم تا اینکه لاغر و ضعیف نمود شما را حرب و کارزار و حال آنکه قسم بخدا آن حرب بعض شما را فرا گرفت و بعضی را فرو گذاشت ، و از برای دشمن زیاد تر موجب لاغری آنها شد ، بتحقیق بودم دیروز امیر شما پس گردیدم امروز مأمور ، و بودم دیروز نهی کننده و گردیدم امروز نهی شده ، و بتحقیق دوست داشتیدزندگانی را و نیست مرا که الزام نمایم شمارا بر چیزیکه مکروه طبع شماست .

و من کلام له عليه السلام بالبصرة و هو

المأتان والثامن من المختار في باب الخطب

و هو مروى في شرح المعتزلي باختلاف تعرفه لإنشاء الله ، و روى بعض فقراته في الكافي أيضاً مسنداً بسند نذكره في التكملة الآتية .

قال الرضي رضي الله عنه : وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعود فلما رأى سعة داره قال عليه السلام :

ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أما أنت إلتها في الآخرة

كُنْتُ أَحْوَجَ ، وَ بَلِيْ إِنْ شِئْتَ بَلَنْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ ،  
وَ تَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَ تُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِمَهَا ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَنْتَ  
بِهَا الْآخِرَةَ .

فَقَالَ لَهُ عليه السلام الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ  
قَالَ عليه السلام : وَمَا لَهُ ؟ قَالَ : لَبِسَ الْعَبَاءَ وَ تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا ، قَالَ عليه السلام : عَلِيٌّ  
بِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ :

يَا عُدِّي نَفْسِهِ ، لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَ وَ لَدَكَ ،  
أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَ هُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ، أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى  
اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُوعَةٍ مَلْبَسِكَ  
وَ جُشُوعَةٍ مَأْكَلِكَ ، قَالَ عليه السلام : وَيَحْكُ إِلَيَّ لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنْ اللَّهَ تَعَالَى  
فَرَضَ عَلَى أُمَّةٍ الْحَقَّ أَنْ يَقْدِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضِعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ  
بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ .

### اللفظة

(وسع) المكان القوم ووسع المكان يسع أى اتسع يتعدى ولا يتعدى  
والمصدر سعة بفتح السين و به قره السبعة في قوله تعالى « ولم يوت سعة من  
المال » و كسرهما لغة و به قره بعض التابعين قال الفيومي قيل : الأصل في المضارع  
الكسر ولهذا حذف الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة و كسرة ثم فتحت بعد الحذف  
لمكان حرف الحلق، ومثله يهب ويقع ويدع ويلغ ويطأ ويضع ، والحذف في يسع  
و يطاء مما ماضيه مكسور شاذ لأنهم قالوا: فعل بالكسر مضاعه يفعل بالفتح

و استثنوا أفعالاً ليست هذه منها .

و (قرئت) الضعيف أقره من باب رمى و (عدى نفسه) تصغير عدو و أصله عديو و فحذفت إحدى الواوين و قلبت الثانية ياء تخفيفاً ثم ادغمت ياء التصغير فيها و (هام) يهيم خرج على وجهه لا يدري أين يتوجه فهو هائم و استهام بك أى جعلك هائماً، وقال الشارح البحراني: أى أذهبك لوجهك وزين لك الهيام وهو الذهاب في الشيء .

و (الملبس) و (المأكل) مصدران بمعنى المفعول ، و طعام (جشب) و مجشوب غليظ و قيل الذى لا دام معه و (أئمة الحق) في بعض النسخ أئمة العدل بدله و (يقدروا) أنفسهم في بعض النسخ بالتخفيف مضارع قدر من باب ضرب و في بعضها بالثقليل والمعنى واحد مأخوذان من القدر بمعنى النصيب قال تعالى « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره » أو بمعنى قياس الشيء بالشيء، و يقال أيضاً هذا قدر هذا و قدره أى مماثله و (الببيع) ثوران الدم و تببيع عليه الأمر اختلط و الدم هاج و غلب .

### الاعراب

قوله : ما كنت تصنع ، كان هنا زائدة كما في قوله تعالى « كيف تكلم من كان في المهد صبياً » وقوله : أما أنت إه أما حرف استفتاح يبدء بها الكلام و فايدتها المعنوية تو كيد مضمون الجملة التي بعدها قال نجم الأئمة : و كأنها مركبة من همزة الانكار و حرف النفي و الانكار نفى و نفى النفي إثبات ركب الحرفان لافادة الاثبات و التحقيق و فايدتها اللفظية كون الكلام بعدها مبتدأ به ، و في بعض النسخ ما أنت بدل أما أنت و عليه فتكون ما موصولة بدلا من الدار أو من سعة و الأول أظهر . و قوله إليهما متعلق بقوله أحوج ، و كذا قوله : في الآخرة ، و قوله : و بلى استنداك عن الجملة السابقة قال الفرّاء ، أصلها بل زيدت عليها الألف للوقف ، و قال نجم الأئمة : لفظة بل التي تليها الجمل للانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الأولى ، قال : و تجىء بعد الاستفهام أيضاً كقوله : « أتأتون الذكران » إلى قوله « بل أنتم قوم عادون » .

أقول: ويكون بلى هنا بمعنى الاستدراك ادخلت عليها الواو كما تدخل على لكن ، و يجوز جعلها عاطفة للجمله على الجمله ولكن جعلها اعتراضية أظهر من حيث المعنى .

و جملة تقرى فيها الضيف يجوز أن تكون حالا من قوله بها ، و يجوز أن تكون استينافا بيانياً فإنه ﷺ لما قال له : إن شئت بلغت بها ، فكأنه سئل عن كيفية البلاغ فقال: تقرى فيها.

وقوله: على به ، اسم فعل أى ايتونى به قال نجم الأئمة: يقال عليك زيذاً أى خذه كأن الأصل عليك أخذه وأما عليّ بمعنى ادلنى فهو مخالف للمقياس من وجه آخر إذ هو أمر لكن الضمير المجرور به فى معنى المفعول يقال عليّ زيذاً أى قرّ بنيه والقياس أن يكون المجرور فاعلا ، و قوله : يا عدىّ نفسه يحتمل أن يكون التصغير للتحقير ، و أن يكون للتعظيم كما فى قول الشاعر :

و ديهية تصفرّ منها الأنامل

وجمله: لقد استهام بك، جواب قسم مقدّم روابه، زايده، وأما رحمت، حرف تنديم وأترى الله استفهام توبيخي ، وقوله هذا أنت فى خشونة ملبسك الظرف حال من أنت لأنه فى المعنى مفعول امدلول هذا أى اشير إليك حالكونك فى خشونة اه ومثل ذلك قوله تعالى «هذا بعلي شيخا» أى انبه عليه أو اشير إليه شيخاً.

### المعنى

اعلم أن هذا الكلام قاله بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثى وهو من أصحابه يموده و يتفقّد حاله لمرضه فلما رأى ﷺ سعة داره قال :

( ما كنت تصنع بسعة هذه الدار فى الدنيا ) استفهام وارد معرض التوبيخ والانكار لما صنعه لمنافاته الزهد المطلوب ولما نبه على ذلك أردفه بقوله (أما أنت إليها فى الآخرة كنت أحوج) تنبيهاً له على كون السعة محتاجاً إليها فى الآخرة مزيد الاحتياج ، وذلك لكون الدنيا دارفناء وانقطاع والآخرة دارقرار وبقاء، ومعلوم أن إصلاح المقرّ أولى من الممرّ ، والحاجة إليه فيه أزيد وأشد .

ثم استدرك بقوله (وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة) يعنى أنك بعدما فرطت في توسعتها وبنائها يمكن لك تدارك ذلك بأن تجعلها بلاغاً ووصلة ووسيلة إلى اتساع الدار الآخرة بأن (تقرى فيها الضيف وتصل فيها الرحم) والقراءة (وتطلع منها الحقوق مطالعها) أى تخرج فيها الحقوق المالية الواجبة والمدونة من الخمس والزكاة والصدقات و صنایع المعروف والحق المعلوم للسائل والمحروم وسائر وجوه البر المقتربة إلى الله سبحانه وتضعها في مواضعها اللايقة وتصرفها في مصارفها المستحقة .

وقال الشارح البحراني : مطالع الحقوق وجوهها الشرعية المتعلقة به كالزكاة والصدقة وغيرهما ، والأظهر بل الأولى ما ذكرناه .  
وكيف كان فالمراد أنك إن أتيت فيها بالقربات والحسنات وأقمت باخراج الحقوق المفروضات والمدنوبات (فاذا أنت قد بلغت بها الآخرة) واحملت «جمعت» بينها وبين الدنيا (فقال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال وماله قال لبس العباء وتخلّى من الدنيا) .

قيل: المراد بلبس العباء جعلها شعاراً أو ترك القطن ونحوه والاكتفاء بلبسها في الصيف والشتاء وفي وصية النبي ﷺ لأبي ذر: يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون لهم بذلك الفضل على غيرهم أو لك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض، انتهى .

أقول: والأظهر أن المراد أنه اقتصر بلبس العباء وترك الدنيا بالمرّة ولم يأخذ منها سواها .

(قال عليه السلام) (أى اتنوني به و احضروه لدى) (فلما جاء قال عليه السلام يا عدى نفسه) .

قال الشارح البحراني: صغره استصغاراً له باعتبار أن شيطانه لم يقده إلى كبيرة بل قاده إلى أمر وإن كان خارجاً به عن الشريعة إلا أنه قريب من السلامة ودخل عليه بالخدعة في رأى الصالحين، وقيل: بل صغره من جهة حقارة فعله ذلك

لكونه عن جهل منه ، انتهى .

و الأظهر أن يكون التصغير للتعظيم ، و الغرض منه استعظامه لعداوته لها باعتبار ظلمه عليها ، وذلك لأن لنفسه ولكل من جوارحه عليه حقاً و قدرونا في شرح الخطبة التاسعة والثمانين في ضمن أخبار محاسبة النفس من الوسائل من الخصال ومعاني الأخبار عن عطا عن أبي ذر عن النبي ﷺ في حديث قال : وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، و ساعة يحاسب فيها نفسه ، و ساعة يتفكر فيها صنع الله إليه ، و ساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال فإن هذه السّاعة معينة لتلك السّاعات ، و استجمام للقلوب و تفرغ لها .

وفي البحار من كتاب تنبيه الخاطر قيل : إن سلمان رضى الله عنه جاء زائراً لأبي الدرداء فوجد أمّ الدرداء مبتذلة ، فقال : ماشأئك ؟ قالت : إن أخاك ليست له حاجة في شيء من أمر الدنيا ، قال : فلما جاء أبو الدرداء رحبّ لسلمان وقرّب إليه طعاماً فقال لسلمان اطعم فقال : إننى صائم ، قال : أفسمت عليك إلا ما اطعمت ، فقال : ما أنا بأكل حتى تأكل ، قال : و بات عنده فلما جاء الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان فقال : يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً ، و لجسدك عليك حقاً ، و لأهلك عليك حقاً ، فسم و افطروصل و نم و أعط كل ذى حقّ حقه ، فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فأخبره بما قال سلمان فقال ﷺ مثل قول سلمان .

وقوله (لقد استفهم بك الخبيث) أى جعلك هائماً متحيراً لا تدرى ما تفعل وأين تذهب ، وفيه تنبيه على أن تركه للدنيا لم يكن عن خالص العقل ، بل كان بمدخله الشيطان وشوب الهوى ، وذلك بما كان في فعله ذلك من الإخلال بجملة من الحقوق الواجبة شرعاً عليه من حقّ الأهل والأولاد كما أشار إليه بقوله :

(أما رحمت أهلك و ولدك) استفهام في معرض التوبيخ و الإنكار ، لاعراضه

عنهم و تركه لهم وعدم ترحمه عليهم ، وقد جعل الله تعالى عليه حقاً .

كما يدل عليه ما رواه في البحار من كتاب تحف العقول في رسالة علي بن

الحسين عليه السلام المعروفة برسالة الحقوق قال عليه السلام :

و أما حقّ أهل بيتك عامّة ، فاضمار السلامة ، و نشر جناح الرحمة ، والرّفق بمسيئهم ؛ و شكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه و كفاه مؤنته و حبس عنك نفسه . فعمّمهم جميعاً بدعوتك و انصرهم جميعاً بنصرتك ، و أنزلهم جميعاً منك منازلهم ، كبيرهم بمنزلة الوالد ، و صغيرهم بمنزلة الولد ، و أوسطهم بمنزلة الأَخ .

و في هذه الرّسالة أيضاً و أمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك و مضاف إليك في عاجل الدّنيا بخيره و شرّه و انك مسئول عمّا وليته من حسن الأدب و الدلالة على ربّه و الممونة له على طاعته فيك و في نفسه فمثاب على ذلك و معاقب فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدّنيا المعذر إلى ربّه فيما بينك و بينه بحسن القيام عليه و الأخذ له منه و لا قوّة إلاّ بالله .

و في البحار من الفقه الرضوي أروى عن العالم عليه السلام ، أنّه قال لرجل : ألك و الدان ؟ فقال : لا ، فقال : ألك و لد؟ قال : نعم ، قال له : برّ و لدك يحسب لك برّ و الديك .

و روى أنّه قال : برّ و أولادكم و أحسنوا إليهم فانّهم يظنون أنّكم ترزقونهم

و في الفقيه قال الصادق عليه السلام برّ الرّجل بولده برّه بوالديه .

و في خبر آخر من كان عنده صبيّ فليتصاب له .

و في الوسایل من الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله ليرحم العبد لشدة حبه بولده .

و عن كليب الصيد اوى قال قال لي أبو الحسن عليه السلام : اذا وعدتم الصبيان ففوالهم

فانّهم يرون أنّكم الذين ترزقونهم ، إنّ الله عزّ و جلّ ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء و الصبيان .

و في الكافي في كتاب المعيشة في باب الحثّ على الطلب و التمرّض للرّزق

عن معلى بن خنيس قال : سألت أبو عبد الله عليه السلام عن رجل و أنا عنده ، فقيل : أصابته الحاجة

فقال : ما يصنع اليوم؟ قيل: في البيت يعبد ربّه قال : فمن أين قوته؟ قيل : من عند بعض إخوانه فقال أبو عبد الله ﷺ : والله الذي يقوته أشدّ عبادة منه .  
وفيه عن أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال : من طلب الدنيا استغافاً عن الناس وسعيّاً على أهله و تعطفاً على جاره لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليلة البدر .

ثمّ أنكر عليه ثانياً بقوله (أترى الله أحلّ لك الطيبات ) من الرزق والفاخرات من اللباس ( و هو يكره أن تأخذها ) و نبّه بهذه الجملة الانكاريّة على أنّ التخلية من الدنيا بالكلية ليست مطلوبة للشارع ، لأنّها توجب اختلال نظام العالم ، وفيه نقض لغرض الشارع و مقصوده الذي هو عمارة الأرض و بقاء النوع الانساني حيناً من الدهر و مدة من الزمان التي اقتضت الحكمة الالهية و المشيئة الربانية بقاءه إلى تلك المدة لمعبوده و يوحدوه سبحانه فيها ، لأنّ التعمير و التمدن و بقاء النوع لا يحصل و لا يتمّ إلاّ بتعاون أبناء النوع و تشاركتهم على القيام بمصالح البقاء و لوازمه و ترك الدنيا و الاعراض عنها منافع لذلك الغرض البتّة ، هذا .

وفي قوله ﷺ : أترى الله أحلّ لك الطيبات ، تلميح إلى قوله عزّ وجلّ «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، أي من حرم الثياب التي تتزين بها الناس و ساير ما يتجمل به مما أخرجها الله من الأرض لعباده من القطن و الكتان و الابریشم و الصوف و الجواهر و المستلذات من المآكل و المشارب

روى في الصافي من الكافي عن الصادق ﷺ بعث أمير المؤمنين عبد الله بن عباس إلى ابن الكوا و أصحابه و عليه قميص رقيق و حلّة ، فلمّا نظروا إليه قالوا : يا ابن عباس أنت خيرنا في أنفسنا و أنت تلبس هذا اللباس؟ قال : و هذا أوّل ما اخاصمكم فيه «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق» و قال الله «خذوا زينتكم عند كلّ مسجد» .

و عن الصادق ﷺ أنّه كان متكئاً على بعض أصحابه فلقيه عباد بن كثير



و عليه عليه السلام ثياب مروية (١) فقال يا أبا عبد الله إنك من أهل بيت النبوة و كان أبوك (٢) و كان (٣) فما لهذه الثياب المروية عليك ؟ فلو لبست دون هذه الثياب فقال له : و يملك يا عبّاد من حرّم زينته الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق إن الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبده نعمة أحبّ أن يراها عليه ليس بها بأس ، و يملك يا عبّاد إنمّا أنا بضعة من رسول الله فلا تؤذوني و كان عبّاد يلبس ثوبين من قطن . و في شرح المعتزلي روى ان قوما من المتصوّفة دخلوا بخراسان على عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام فقالوا له إن أمير المؤمنين (٤) فكّر فيما ولاه الله من الامور فرآكم أهل البيت أولى الناس أن تؤمّوا الناس و نظر فيكم أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس فرأى أن يردّ هذا الأمر اليك و الامامة تحتاج إلى من يأكل الجشب و يلبس الخشن و يركب الحمار و يعود المريض ، فقال عليه السلام لهم : إن يوسف كان نبياً يلبس أقبية الديباج المزرورة بالذهب ، و يجلس على متكآت آل فرعون ، و يحكم إنمّا يراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق و إذا حكم عدل و إذا وعد أنجز إن الله لم يحرم لبوساً ولا مطعماً ، ثم قرء « قل من حرّم زينته الله التي أخرج لعباده » الآية .

و قال ابن عباس في قوله « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » يعنى أن المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فأكلوا من طيبات طعامهم ، و لبسوا من جياذ ثيابهم ، و نكحوا من صالح نساءهم ، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا و ليس للمشركين فيها شيء .

و في الصّافي من الامالي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث : و اعلموا يا عبّاد الله إن المتقين حازوا عاجل الخير و آجله ، شاركوأ أهل الدنيا في دنياهم ، ولم

(١) الرواء بضم الراء و الدحسن المنظر ، منه . (٢) يعنى أمير المؤمنين (ع) منه .

(٣) أى زاهداً . (٤) أى المأمون الملعون ، منه .

يشار بهم أهل الدنيا في آخرتهم ، أباحهم الله الدنيا ما كفاهم وأغناهم قال الله عز وجل « قل من حرم زينة الله الآية سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون ، وشربوا من طيبات ما يشربون ، ولبسوا من أفضل ما يلبسون: و سكنوا من أفضل ما يسكنون ، و تزوجوا من أفضل ما يتزوجون ، و ركبوا من أفضل ما يركبون، و أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، وهم غداً جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون ، لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من اللذة ، فإلى هذا ياعباد الله يشق إليه من كان له عقل، هذا .

وقوله ﷺ ( أنت أهون على الله من ذلك ) يعنى أن أفعال الله سبحانه وأحكامه ليست كأفعال خلقه و أحكامهم ، فربما يعطى الواحد منّا ما لا آخر مع عدم نيب نفسه به بل على كره منه له أو يأذن له أن يسكن في منزله باقتضاء مصلحة لاحظها فيه من مداراة معه و نحوها مع كراهة له باطناً و أمّا الله القادر القاهر العزيز ذوا السلطان فأجلّ وأعلى من أن يكون ما أعطاه وأحلّه لعباده من باب المصانعة والمجاملة ، لأنهم أهون عنده تعالى من ذلك ، و أى ملاحظة للخالق من مخلوقه الذليل ، و مداينة للقاهر من مقهوره الضعيف المقيّد بقيد الرقية والعبودية .

( قال يا أمير المؤمنين هذا أنت ) إمامنا وقد وتنا حال كونك ( في خشونة ملبسك ) حيث قنعت من اللباس بطمريه (١) (وجشوبة ما كلك) حيث اقتصرت من الطعام بقرصيه فينبغي لنا أن نتأسي و نأتم بك و نحذ و نحذوك .

( قال ﷺ ويحك ) كلمة رحمة قالها شفقة و عطفة ( إنى لست كأنت )

يعنى أن تكلفى الشرعى غير تكليفك ، و أشار إلى وجه المغايرة بقوله : ( إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس ) أى يضيّعوا على أنفسهم فى المعاش بضيق الفقراء والضعفاء أو يقيسوا أنفسهم بهؤلاء و يكونوا شبيهاً بهم

(كيلا يتبيخ) و يغلب ( بالفقير فقره ) فيقل صبره فيعطب ، وذلك فان الفقير إذا رأى إمامه ومقتداه بزى الفقراء و معاشه مثل معاش المساكين كان له تسلية عما يتجرعه من غصص الفقر ونغص المسكنة ، هذا .  
و يؤيد ما ذكره عليه السلام من أن الفرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بالضعفاء :

مارواه في الصافي عن الصادق عليه السلام أنه قيل له : أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي طالب كان يلبس الخشن يلبس القميص بأربعة دراهم و ما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجيّد ، فقال عليه السلام له : إن علي بن أبي طالب كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر ، ولولبس مثل ذلك اليوم لشهر به ، فخير لباس كل زمان لباس أهله غير أن قائمنا عليه السلام إذا قام لبس ثياب علي بن أبي طالب عليه السلام و سار بسيرته فإنه يستفاد منه أن القائم عند ظهوره يسير سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، ويسلك مسلكه في اللباس وغيره ، لكونه مطمح نظر العموم كأمر المؤمنين ، وأما سائر الأئمة فلا ، و ما أجاب الصادق عليه السلام به للسائل فجواب إقناعي لاسكاته والجواب الحقيقي ما قاله عليه السلام في المتن من أن لا يتبيخ بالفقير فقره .

### تكملة

قال المشرح المعتزلي : و اعلم أن الذي رويته عن الشيوخ و رأيت به بخط أحمد بن عبد الله بن الخشاب :

أن الربيع بن زياد الحارثي أصابه نشابة في جبينه فكانت تمتص عليه في كل عام ، فاتاه علي عليه السلام عائداً فقال : كيف تجدك أبا عبد الله؟ قال : أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصرى لتمنيت زهابه ، قال : و ما قيمة بصرى عندك؟ قال لو كانت الدنيا لفيديته بها ، قال : لاجرّم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله يعطى على قدر الألم و المصيبة و عنده تضعيف كثير ، قال الربيع : يا أمير المؤمنين ألا أشكو اليك عاصم بن زياد أخي؟ قال عليه السلام : و ماله؟ قال : لباس العباء و ترك الملاء و غم أهله و حزن ولده ، فقال عليه السلام : ادعوا لي عاصماً ، فلمّا

أناه عبس وجهه وقال: ويحك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على الله من ذلك، أو ما سمعته يقول «مرج البحرين يلتقيان» ثم قال «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وقال «ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها» أما والله ابتذال نعم الله بالفعال (١) أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد سمعتم الله يقول «وأمّا بنعمة ربك فحدث» وقوله «من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال «يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم» وقال «يا أيّها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً» وقال رسول الله ﷺ لبعض نساءه: مالي أراك شعثاء مرهأ، سلتاء (٢) قال عاصم: فلم اقتصر يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب؟ قال ﷺ: إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدر ما لأنفسهم بالقوام كيلا يمتيغ بالفقير فقره، فما قام عليّ ﷺ حتى نزع عاصم العباء ولبس ملائنة.

قال الشارح: والرّبيع بن زياد هو الذي افتتح بعض خراسان، و أمّا العلاء ابن زياد السّدي ذكره الرّضي رحمه الله فلا أعرفه لعلّ غيري يعرفه.

**أقول:** و يؤيد ما ذكره الشارح رواية الكليني فأنه روى في الكافي في باب سيرة الامام عن عليّ بن محمّد عن صالح بن أبي حمّاد و عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد وغيرهما بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين عليّ عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاوشكاه أخوه الرّبيع بن زياد إلى أمير المؤمنين ﷺ أنه قد غمّ أهله وأحزن ولده بذلك فقال أمير المؤمنين: عليّ بعاصم بن زياد، فجيء به فلم أره

(١) أي استعمالها و اظهارها وتشهيرها بالفعال وهو الشكر الفعلي أحب إلى الله من

ابتذالها بالمقال وهو الشكر القولي وقد صرح بعض المحققين إن الشكر الفعلي أقوى دلالة

على تعظيم النعم من الشكر القولي هكذا في شرح ملا صالح على الكافي ٥٠

(٢) فيه انه لمن السلتاء والمرهأ، السلتاء التي لا تختضب والمرهأ التي لا تكتحل نهاية.

عس فى وجهه فقال له : أما استحييت من أهلك أما رحمت ولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك أو ليس الله يقول «والارض وضعا للأنام» فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام» أو ليس الله يقول «مرج البحرين يلتقيان» بينهما برزخ لا يبغيان» إلى قوله «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» فبالله لا يتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال ، وقد قال الله عز وجل «وأما بنعمة ربك فحدث» فقال عاصم : يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت فى مطعمك على الجشوبة وفى ملبسك على الخشونة؛ فقال: ويحك إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبئغ بالفقير فقروه، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملا. اللهم وفقنا لطاعتك بمحمد وآله.

## تنبيه

# على مذهب الصوفية وهداية

اعلم أنه قد ظهر لك اجمالا من هذا الكلام لأمر المؤمنين ﷺ الذى نحن فى شرحه أن سلوك نهج العبودية بغير ما قرره صاحب الشريعة زين و ضلال ، ووزر على سالكه ووبال ، وأنه من استهامة الشيطان اللعين و تسويله وتمويه النفس و تدليسه ، فأحببت باقتضاء المقام و مناسبتة بسط المقال فى هذا المرام و التنبيه على ضلال أقوام زاغوا عن نهج الرشاد و نكبوا عن طريق السداد ، و نبذوا أمر الله وراء ظهورهم و اشتغلوا بالمجادلات الكلامية و الهذيانات الفلسفية و أبدعوا عبادات مخترعة ، و أعرضوا عن حقايق علوم الدين و الملة ، و دقايق أسرار الكتاب و السنة ، و سموا أنفسهم بالمتصوفة و الصوفية .

وقبل الشروع فى المقصود لابد من تمهيد مقدمة شريفة وهى :  
إنه لاشك أن الغرض الأصلي والمقصود بالذات من خلق الانسان هو العبودية والعرفان ، كما شهد به الكتاب المكتون فى قوله « و ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» كما لاشك أيضا أن المقصود من بعث الأنبياء والرسل وإنزال

الصَّحَف والكُتُب لم يكن إلا ذلك أعنى جذب الخلق إلى الحق الأول عز وجلّ وأنهم عليهم السلام على كثرتهم واختلاف شرايعهم لم يكن غرضهم إلا شيئاً واحداً وهو التَّنْفِير عن الدنيا والترغيب إلى العقبى و القطع عن الخلق و الوصول إلى الحق و الإرشاد والدلالة على الصراط المستقيم المؤدى إليه و المحصل للقرب والزلفى لديه .

فبعثهم الله إلى الناس بما شرع لهم من الدين ليدلّوهم عليه و يعلموهم كيفية السلوك إليه ولم يدخل سبحانه خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة أو محجة قائمة .

فهم عليهم السلام أدلاء سبل الحق ، والهادون إليها ، والمعلمون لكيفية سلوكها بما أتوا به من الشرايع والأديان التي شرعها الله تعالى لطفاً منه في حق عباده ، ولم يتركهم سبحانه وآراءهم ولم يكلمهم في سلوك سبيله إلى عقولهم الناقصة وأهوائهم المختلفة وآرائهم المتشتمته ، فليس لهم أن يسلكوا طريق عبوديته بما يستحسنه العقول . وقد ورد في أخبار كثيرة أن دين الله لا يصاب بالعقول ، وأنه لاشيء أبعد عن دين الله من عقول الرجال .

و لو كانت العقول كافية في سلوك سبيل العبودية لم تكن إلى بعث الأنبياء والحجج حاجة ، كما أنه لو كان ما يرتضيه العقول ويخترعه من العبادات مرضياً عند الربّ مطلوباً له تعالى لم يكن داع إلى جعل الأديان والشرايع التي شرعها وبعث بها الأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى « ولكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وقال « وشرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً »

فقد علم بذلك أنّ اللازم على العبد إذا أراد أن يعبد الله ويتقرب إليه أن يعبده بالعبادات المجمولة في الشريعة الموظفة المشروحة فيها ماهية وهيئة وكماً وكيفاً ووقتا وعدداً بآدابها الموظفة وشرايطها المقررة وأركانها وأجزائها المختصة وستتها المعيّنة وغيرهما مما جعله صاحب الشرع وشرعه .

لأنّ المطلوب للحقّ والمقرب إليه ليس إلاّ لا يقبل عز وجلّ من العبادات إلاّ

ما أرسل به حججه وأنطق به أسنتهم .

ومن ذلك أنّ الشيطان اللعين لما أبى من السجود لآدم عليه السلام الذي كان مأموراً به ومطلوباً له تعالى مع أنه قال : يا ربّ اعفنى من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، صار مستحقاً للطرد والابعاد حيث أراد أن يعبد الله من غير الوجه الذي كان مأموراً به ، وقد قال الله له : لا حاجة لي في عبادتك إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد ، على ما مرّ في رواية عليّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام في أول تنبيهات شرح الفصل الحادي عشر من الخطبة الأولى وقد قال تعالى « ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » .

واتيان البيوت من الأبواب هو الأخذ بقول الحجج والرجوع في سلوك نهج الحق إليهم ، كما يدلّ عليه رواية الصافي عن أمير المؤمنين المتقدم في شرح الفصل الرابع من الخطبة الأولى .

ومرّ هنا رواية عليّ بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضى الرحمن للطاعة للإمام بعد معرفته أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجمع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيو اليه ويكون جميع أعماله بدالته ما كان له على الله حقّ في ثوابه .

فحاصل الكلام وملخص المرام أنّ العبادة المحصلة للقرب والرفق هي العبادة المتلقاة من بيت النبوة والولاية ، والمعلومة الثبوت في الكتاب والسنة فما لم يعلم ثبوتها فيهما مثل ما علم عدم ثبوتها بدعة وضلالة موجبة لسخط الرحمن ورضى الشيطان ، مؤدّية إلى العذاب الأليم والخزي العظيم .

إلا أنّ جماعة من العامة والجهّال الخاصة غفلوا عمّا قرّناه في هذه المقدمة واستبدوا بمقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة ، وسلكوا السبيل من غير دليل وأضلّهم الشيطان وضلّوا عن سواء السبيل ، ومع ذلك يزعمون أنّهم أهل السلوك والمعرفة والزهد والكشف والرياضة

و هم قوم يسمون بأهل الذكر و التصوف ، يدعون البراءة من التصنع و التكلف ، يلبسون خرقة ، و يجلسون حلقاً ، يخترعون الأذكار ، و يتغنون بالأشعار ، و يغلبون بالتهليل ، و ليس لهم إلى العلم و المعرفة دليل ، ابتدعوا شهيقاً و نهيقاً ، و اخترعوا رقصاً و تصفيقاً ، قد خاضوا في الفتن ، و أخذوا بالبدع دون السنن ، رفعوا أصواتاً بالنداء ، و صاحوا صيحة الشقاء ، أمن الضرب يتألمون؟ أم من الطعن يتظلمون؟ أم مع أكتافهم يتكلمون؟ إن الله لا يسمع بالمصماخ ، و لا يحتاج في سماعه إلى الصراخ ، أتنادون باعداً؟ أم توظون راقداً؟ تعالى الله لا تأخذه سنة ، و لا تحيط به الألسنة ، سبحوه تسبيح الحيتان في البحر ، و ادعوه تضرعاً و خيفة دون الجهر ، إن الله ليس منكم ببعيد ، بل هو أقرب إليكم من حبل الوريد .

و أنت إذا عرفت ما مهتدناه في هذه المقدمة فاستمع لما يتلى عليك من شرح حال هذه الطائفة و بيان عقايدهم و مذاهبهم و وجه تسميتهم ، و ما ورد من العلماء و العترة الطاهرة سلام الله عليهم في طعنهم و الإزراء عليهم و تفصيل ذلك في مقامات .

## المقام الأول في وجه تسميتهم بالصوفية

و ذكروا فيه أقوالاً :

الأول و هو الأشهر أن اشتقاقها من الصوف سموها بها لبسهم الصوف في الصيف و الشتاء ، و هذا الوجه هو المستفاد من الأخبار الآتية .

و رووا عن أنس بن مالك أنه قال : كان رسول الله ﷺ يجب دعوة العبيد تواضعاً ، و يركب الحمار غير مستنكف ، و يلبس الصوف غير متكف .

و قال الحسن البصري : لقد ادركت سبعين بدياً كان لباسهم الصوف و الشعر و في رواية الجمهور أيضاً عن امامهم البيهقي المشهور نقلاً عن عبدالله بن مسعود أنه قال : كانت الأنبياء يركبون الحمار ، و يلبسون الصوف ، و يجلبون الشاة .

و في البحار من اكمال الدين باسناده عن الحسين بن مصعب عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : خمس لا أدعن حتى الممات : الأكل



على الحضيض مع العبيد ، وركوبي الحمار مو كفا ، و حلب العنز بيدي ، و لبس الصوف ، و التسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدى .

و في بعض كتب أصحابنا و لقد روى عن رسول الله ﷺ بطريق أهل البيت عليهم السلام أن عيسى بن مريم كان يلبس الصوف و الشعر ، و يأكل من الشجر ، و يبني حيث أمسى .

و عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : يوم كلم الله موسى كان عليه جبة من صوف ، و سراويل من صوف ، و قلنسوة مدورة من صوف ، و نعلاه من جلد و يستفاد من هذه الأخبار وغيرها مما لا حاجة إلى إيرادها أن لبس الصوف مندوب شرعاً و أنه لباس الأنبياء و الأئمة و الصالحاء .

ولكن هذه الطائفة لما كان لبسهم له تكلفاً و تصيداً و قصداً للاشتهار و اظهاراً للفضل كما قال عليه السلام في الخطبة الثانية و الثلاثين في تعديد أصناف الناس : - و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه فتحلّى باسم القناعة و تزين بلباس أهل الزهادة و ليس من ذلك في مراح و لا مفدى - لا جرم كان ذلك موجباً للازراء عليهم .

و يشهد بما ذكرته النبوى المتقدم في شرح قوله عليه السلام في المتن : لبس العباء و تحلّى من الدنيا حيث قال لأبي ذرّ : قوم يلبسون الصوف في الصيف و الشتاء يرون لهم بذلك الفضل على غيرهم ، الحديث .

**الثاني** أنه مأخوذ من الصوف لا بالمعنى المتقدم بل بمعنى آخر نقلوه عن جنيدهم البغدادي أنه قال : الصوفي مشتق من العوف و الموف ثلاثة أحرف : صاد و واو و فاء ، و الماد صبر ، و صدق ، و صفاء ، و الواو ود ، و ورد ، و وفاء ، و الفاء فرد ، و فقر و فناء .

**الثالث** أنهم سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ كان يسكنها فقراء المهاجرين ، و كانت مسقفة بجريد النخل و كانوا أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن و لا عشاير يدرسون القرآن بالليل و يرضحون النوى بالنهار ، و يحتطبون على ظهورهم ، و يغزون مع كل سرية ، و كان رسول الله ﷺ

وأكثر أصحابه يوانسونهم ويأكلون معهم ، ويتعاهدونهم بالمعبرات .

وقد وصل رسول الله ﷺ يوماً إليهم و شاهد منهم فقروهم و طيب نفوسهم بالشدّة فقال : ابشروا يا أهل الصفة إنّ من أمتي من كان على حالكم و وصفكم و نعتكم التي أنتم عليها انكم وانهم رفقاءي في الجنة .

وقد رتبهم أبو نعيم الحافظ في حليته على ترتيب حروف المعجم ذكر من مشاهيرهم سلمان و أبانر و عمار و صهيب و بلال و أباهريرة و خباب بن الارت و حذيفة ابن اليمان و أباسعيد الخدري و بشر بن الخصاصية و أبامويبة مولى رسول الله ﷺ كان هؤلاء أزهدهم و أعلمهم بالكتاب و السنة في عهد رسول الله ﷺ ، لأنهم يلبسون الصوف و يخيطون ثيابهم بالأعصان الدّقيقة من الشجر .

ونقل في وصفهم : أنهم كانوا أضياف الاسلام إلا أن بعضهم زلت قدمه بعد وفاة رسول الله ﷺ و ركن إلى الدنيا و مال إلى حطامها كأبي هريرة و صهيب ، و الذين ثبتت قدمهم في الفقر و الزهد سلمان و أبوذر و حذيفة و بلال و أبوسعيد ، فانهم كانوا من السابقين الراجعين إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و كانوا يسمّون بالشيعة قال أمين الاسلام الطبرسي في قوله تعالى « و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً » إنّ الآية نزلت في سلمان و أبيذر و صهيب و غيرهم من فقراء أصحاب النبي ﷺ .

وذلك إنّ المؤلفه قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ عينية بن الحسين و الأقرع ابن حابس و ذووهم فقالوا : يا رسول الله إنّ جلست في صدر المجلس و نحييت عنّا هؤلاء و أرواح ضئنانهم (١) - و كانت عليهم جبات العوف - جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول إلا هؤلاء ، فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ فقال ﷺ : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا و الممات ، انتهى .

والحاصل أنّ الصوفية على زعمهم وادّعائهم لما شاكلت حالهم حال أهل الصفة لكونهم مجتمعين متألمين مصاحبين لله وفي الله قديماً وحديثاً في الرّبط والنزوايا قيل لهم : صوفيّة ، وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللّغوي إلاّ أن يراعى فيه الخفّة على اللّسان ، ولا بأس به من حيث المعنى .

الرابع أنّ هذه النسبة إلى صوفة كما يقال: الكوفي للمنتسب إلى كوفة ، وبني صوفة جماعة من العرب كانوا يتزهدون ويتقلّلون من الدنيا ، فنسب هذه الطائفة إليهم ، وفي القاموس صوفة أبو حنيفة من مضر ، وهو الغوث بن مرّ بن أرّ بن طابخة كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاجّ في الجاهلية أى يفيضون بهم من عرفات ، وأهمّ قوم من أفناء القبائل تجمّعوا فتشبهوا كتشبيك الصّوفة . وكذا في الصحاح وغيره من كتب اللّغة .

## المقام الثّاني

### في ابتداء ظهور هذه الطائفة على اختلاف

#### الأقوال والروايات

فأقول: قال المحدث الجزائري: إنّ هذا الاسم وهو التّصوّف كان مستعملاً في فرقة من الحكماء الزّايغين عن طريق الحق ، ثمّ قد استعمل بعدهم في جماعة من الزنادقة أى من الهنود والبراهمة ، و بعد مجيء الإسلام استعمل في جماعة من أهل الخلاف كالحسن البصرى وسفيان الثّوري وأبي هاشم الكوفي ونحوهم ، وقد كانوا في طرف من الخلاف مع الأئمة عليهم السلام ، فإنّ هؤلاء المذكورين قد عارضوا الأئمة وباحنوهم وأرادوا إطفاء نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون إلى أن قال : وقد استمرّ الحال إلى هذه الأعصار وما قاربها .

ثمّ إنّ جماعة من علماء الشّيعّة طالعوا كتبهم واطلعوا على مذاهبهم فرأوا فيها بعض الرّخص والمسامحات مثل قولهم ، بأنّ الفناء المحرّم هو الذي يستعمل في مجالس أهل الشرب وأهل الفسوق ، فأباحوا أفراد الغناء وأنواعه لمتابيعهم وكانوا

من أهل العلم والناس يميلون إلى من يسهل إليهم مثل هذه الأمور التي كان للنفس منها التذاذ ، وكثر كهم التزويج وإقبالهم على الغلمان الحسان ، والمعجب من بعض الشيعة كيف مال إلى هذه الطريقة مع اطلاعه على أنها مخالفة لطريقة أهل البيت اعتقاداً وأعمالاً .

وقال أيضاً : والدواعي لهم على اختراع هذا المذهب أمور :

الأول ما نقل أن خلفاء بني أمية وبني العباس لعنهم الله كانوا يحبون أن يحصلوا رجالاً من أهل العبادة والزهادة والتكلم ببعض المغيبات وإن لم يقع ، لأجل معارضات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وعلمهم وزهدهم وكمالهم حتى يصغروا أهل البيت وأطوارهم في أعين الناس ، فلم يجدوا أحداً يقدم على هذا سوى هذه الفرقة الضالة ، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور لعنهم الله وبنوا لهم البقاع وحملوا إليهم الأموال وطلبوا منهم الدعاء في مطالب دنياهم وقاسوهم بأهل البيت عليهم السلام ، وأين الثريا من يد المتناول .

الثاني سهولة هذا المسلك وصعوبة طريق العلم ، فإن العامي منهم قد يجلس في بيت ضيق مظلم أربعين يوماً ، وربما ترائي له إخوانه من الجن والشياطين فإذا خرج صار من رؤسائهم وحصل له درجة العالم الذي يحصلها في خمسين سنة وأكثر ، بل ربما كان اعتبار هذا بين رعاي الناس أزيد من اعتبار ذلك العالم .

الثالث أن هذا المذهب شرك لصيد الأولاد وجمع الأموال والجاه والاعتبار

ونحو ذلك .

وقال أبو القاسم القشيري الصوفي العامي في محكي كلامه من رسالته

المعروفة بالقشرية :

اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول ﷺ إذ لافضيلة فوقها فليل لهم : الصحابة ولما ادرك أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب

فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدع وحصل التّداعي بين الفرق فكل فريق ادعى أن فيه زهاداً فافتردوا خواص أهل الشريعة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكاابر قبل المأتين من الهجرة ، انتهى .  
ومن كتاب نفحات الانس ان أول من اخترع له هذا الاسم أبو هاشم الكوفي الشامي الصوفي المعاصر مع السفين الثوري .

وفي كتاب حديقة الشيعة أنه كان يلبس ثياباً خشنة من الصوف كالرهبان ويقول بالحلول والاتحاد لنفسه كالنصاري في عيسى عليه السلام ، وكان في الظاهر أمويًا جبريًا ، وفي الباطن ملحدًا دهرياً ، والطائفة التي ينتسب إليه باعتبار لباسه تسمى صوفية سواء لبست الحرف أولم تلبس ، وبهشمية وأبو هاشمية باعتبار كنيته وعثمانية وشريكية لأن اسمه واسم أبيه عثمان بن شريك .

قال في حديقة الشيعة : وكان غرض هذا الملعون من وضع مذهب التصوف هدم مذهب الاسلام ، وقد ورد من الأئمة عليهم السلام أحاديث في طعنه .  
ولما رأى سفين الثوري طريقته استحسنه وأضاف إليه الرتبة والمودة والتشبيه والتجسيم ووسّع دائرة التصوف ، فنسبت هذه الفرقة إليه ، فقالوا : ثورية وسفانية ثم نسبت إلى أبي يزيد البسطامي فسميت باليزيدية والبسطامية ، ثم بملاحظة قولهم بالحلول والاتحاد سميت حلولية واتحادية ، ثم لما بالغ بعضهم في الاتحاد وقال بوحدّة الوجود سميت وحدتية ، ونسبت إلى حسين بن منصور الحلاج فقيل منصورية وحلاجية ، وبملاحظة غلوهم في المشايخ وزعمهم حلول الحق فيهم قيل لهم : غالية وغاوية ، و لمكرهم وخديعتهم و تفتينهم للناس قيل لهم : زرافية و خداعية .

ولما اخترعوا مذهباً مضمناً للرهبانية والنصرانية والكفر والاسلام سماهم الأئمة عليهم السلام مبتدعة ، ولكونهم من أهل الرّياء سمّوا مرائية ، ولوضعهم التصوف سماهم العلماء بالمتصوفة ، ولكثرة صلفهم سمّوا بالمتصلفة ، ولهم أسماء اخر واشهر

ألقابهم و أسمائهم الصوفية و المتصوفة و المتصوفة و المبتدعة و الزرقية و الغلات و الغالية و الجلاجية انتهى كلامه رفع الله مقامه في أعلى عليين مع الذين أنعم عليهم بنعمة الايمان و ألبسهم لباس الكرامة و الشرف .

## المقام الثالث

### في عقايدهم الفاسدة و اعمالهم الباطلة .

و قد حَقَّقنا عقايدهم الفاسدة و بينا أعمالهم الباطلة إنشاء الله و ثبتنا أن عقايدهم مخالفة للشريعة الطاهرة بالدلائل العقلية و النقلية بعون الله الملك المتعال .

### أما العقائد: فمنها

اعتقادهم بالحلول و الاتحاد ، و قد نسب أكثر المتكلمين من الفريقين وغيرهم في مبحثي الحلول و الاتحاد من كتبهم الكلامية هاتين النسبتين إلى هذه الفرقة الضالة خذلهم الله تعالى .

قال المحقق الطوسي في رسالته الموسومة بقواعد العقائد :

ومنها أي من الصفات السلبية أنه تعالى لا يمكن أن يكون في جهة أو حين أو محلّ لاحتياج ما يكون كذلك إلى الحيّز و المحلّ ، و كذلك لا يمكن أن يشار إليه إشارة حسية ، و خالفت المشبهة و المجسّمة في ذلك إذ قالوا في جهة فوق أو جسم لا كغيره من الأجسام ، و ذهب بعض الصوفية إلى جواز حلوله في قلوب أوليائه و لعلّ مرادهم غير ما يعنى به من حلول الأعراض في محلّها ، انتهى .

وقال العلامة في شرح هذه الرسالة الموسوم بكشف الفوائد :

ذهب المحققون إلى أنه تعالى لا يمكن أن يكون في جهة أو محاذاة و لافي حيّز و مكان و لا في محلّ يحلّ فيه حلول العرض في محلّه ، لأنّ كلّ ما كان كذلك كان مفتقراً إلى الجهة و الحيّز و المحلّ بالضرورة لاستحالة حلول الغني عن المحلّ فيه و الاحتياج بنافي الوجوب ، و هذا المعنى لا يمكن أن يشار إليه إشارة حسية

بأنه هنا وهناك، لتوقف ذلك على الحصول في الحيز والجهة والمحل، وخالفت المجسمة والمشبهة في ذلك فقالوا: إن الله في جهة فوق وانه جسم لا كالأجسام وقد تقدم بطلانه وقال بعض الصوفية: بأنه تعالى حال في قلوب العارفين، فان عنوانه بحلول العرض في المحل فهو باطل بما تقدم، وإن عنوانه به شيئاً آخر فلا بد من بيانه.

وقال المحقق الطوسي في تلك الرسالة:

ولا يجوز عليه الاتحاد وهو صيرورة الشئيين شيئاً واحداً، بأن ينتفى أحدهما ويبقى الآخر أو ينتفياً معاً ويحدث شيء آخر، فإن ذلك محال عقلاً، وقال قوم من القدماء: كل من تعقل شيئاً تعقلاً تاماً اتحد بمعقوله ذلك، وإليه ذهب جمع من الصوفية، وذلك بالمعنى الذي ذكرناه غير معقول.

وقال العلامة في الشرح:

الاتحاد يطلق على صيرورة شئيين شيئاً آخر، بأن يعدم عن الأول شيء ويحدث فيه آخر كما يقال: صار الماء هواءً، فإن الصورة المائية زالت واتسفت بالصورة الهوائية أو بأن يمتزج شيئان ويحدث صورة ثالثة مغايرة للأول كما يقال صار الخشب سريراً، وهذان ممكنان لكن اطلاق الاتحاد عليهما بنوع من المجاز، وهذا المعنى وإن كان ممكناً في حق غيره تعالى إلا أنه يستحيل في حقه أيضاً لاستحالة انفعاله عن الغير و صيرورته جزءاً من غيره.

وأما الاتحاد الحقيقي وهو صيرورة الشئيين شيئاً واحداً لا بأحد المعنيين

بل بأن ينتفى الذاتان ويتحد إحداهما بالآخرى فهذا ضروري البطلان.

فإن الشئيين إن بقيا بعد الاتحاد بحالهما فهما اثنتان، وإن عدم أحدهما فلا اتحاد لاستحالة اتحاد المعدوم بالموجود، وإن عدمها مع وجود ثالث فلا اتحاد بل اعدام شيء وإيجاد آخر

وذهب فر فوريوس بعد المعلم الأول إلى أن من عقل شيئاً اتحدت ذاته بذلك المعقول، وإليه ذهب الرئيس في المبدء والمعاد، لأن الصورة العقلية إذا حلت الجوهر العاقل بالقوة صيرته عقلاً بالفعل وإنما يكون كذلك مع الاتحاد وإلا

لكان ما هو بالقوّة بعد بالقوّة والملازمة ممنوعة.

ثمّ لو اتحد العاقل بمعقوله لزم أن لا يعقل إلاّ شيئاً واحداً أو يتحد الذوات المعقولة في أنفسها أيضاً و قوم من الصّوفيّة إن الله تعالى يتحد بأبدان العارفين والكلّ غير معقول بالمعنى الذى ذكرناه .

وقال الفاضل المقداد في شرحه على الباب الحادي عشر :

قال: أى العلامة «قد» : ولا يجوز أن يكون فى محلّ والاّ افتقر إليه ولا فى جهة وإلاّ افتقر إليها .

أقول : هذان وصفان سلبيان ، الأوّل إنّه ليس فى محلّ خلافًا للنصارى وجمع من المتصوّفة والمعقول من الحلول هو قيام موجود بوجود على سبيل التبعيّة ؛ فان أرادوا هذا المعنى فهو باطل ، والاّ لزم افتقار الواجب وهو محال ، و ان أرادوا غيره فلا بدّ من تصوّره أو لا ثمّ الحكم عليه بالنفى والاثبات، انتهى ما أهمّنا نقله .

و قال أيضاً فى شرح قول العلامة «قد» ولا يتحد بغيره لامتناع الاتحاد مطلقاً. أقول : الاتحاد يقال على معنيين : مجازيّ و حقيقيّ ، أمّا المجازى فهو صيرورة الشئ شيئاً آخر بالكون والفساد ، إمّا من غير إضافة شئ، آخر كقولهم صار الماء، هواء و صار الهواء، ماء ، أو مع إضافة شئ. آخر كما يقال صار التراب طيناً بانضياق الماء إليه ، وأمّا الحقيقى فهو صيرورة الشئين الموجودين شيئاً واحداً موجوداً .

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ الأوّل مستحيل عليه تعالى قطعاً لاستحالة الكون والفساد عليه ، وأمّا الثانى فقد قال بعض النصارى إنّه اتحد بالمسيح فانهم قالوا اتحدت (١) لاهوتيّة البارى مع ناسوتيّة عيسى ، و قال التصيريّة : إنّه اتحد بعليّ عليه السلام و قال بعض المتصوّفة : انه اتحد بالعارفين ، فان عنوا غير ما ذكرناه فلا بدّ من تصوّره أو لا ثمّ يحكم عليه ، و إن عنوا ما ذكرناه فهو باطل قطعاً لأنّ



الاتّحاد مستحيل في نفسه، فيستحيل اثباته لغيره ، و أمّا استحالته فهو ان المتّحدين بعد اتّحادهما إن بقيا موجودين فلا اتّحاد ، لأنّهما اثنان لا واحد ، و إن عدمهما فلا اتّحاد بل وجد ثالث ، و إن عدم أحدهما بقى الآخر فلا اتّحاد أيضاً لأنّ المعدوم لا يتّحد بالموجود .

وقال الشيخ المفيد قدس في شرح عقايد الصدوق :

الجلابية حزب من أصحاب التّصوّف وهم أصحاب الاباحة والقول بالحلول، ولم يكن الحلاج يتخصّص باظهار التشيع و إن كان ظاهر أمره التّصوّف ، وهم قوم ملحدة زنادقة يموّهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم و يدعون للحلاج الأباطيل و يجرون في ذلك مجرى المجوس و دعويهم لندردشت المعجزات ومجرى النصارى في دعويهم لرهبانهم الآيات البيّنات ، و النصارى و المجوس أقرب إلى العبادات منهم وهم أبعد من الشرايع والعمل بها من النصارى و المجوس .

وقال الشارح القوشجي في شرح الهيّات التجريد:

ذهب بعض المتصوّفة إلى أنّه تعالى يحلّ في العارفين والنصارى إلى حلوله في عيسى، فان أرادوا بالحلول هذا المعنى فباطل ، و إن أرادوا أنّه غير ذلك فلا يمكن نفيه أو إثباته إلاّ بعد تصوّر ما هو المراد .

وقال الشارح البحراني في كتاب قواعد العقايد له :

انّه تعالى لا يتّحد بغيره ، خلافاً للنّصارى و بعض الحكماء السابقين و بعض المتصوّفة .

لنا أنّ المراد من الاتّحاد إن كان صيرورة الشّيئين شيئاً واحداً كما هو المفهوم من لفظه فهو باطل ، لأنّ المتّحدين إن بقيا موجودين فلا اتّحاد ، و إن عدماً معاً فالموجود غيرهما فلا اتّحاد أيضاً ، و إن عدم أحدهما دون الآخر فلا اتّحاد إذ المعدوم لا يتّحد بالموجود ، و إن أرادوا به معنى آخر فلا بدّ من إفادة تصوّره لننظر فيه .

وقال شارح الطوالع :

حكى القول بالاتحاد والحلول عن النصارى وجمع من المتصوفة ، فأنه حكى عن النصارى أنهم قالوا : اتحدت الأقانيم الأب والابن وروح القدس واتحدت ناسوت المسيح والآهوت وحلّ البارى في عيسى ، وحكى عن جمع من المتصوفة أنهم قالوا: إذا انتهى العارف نهاية مراتبه انتهى هويته وصار الموجود هو الله سبحانه ، وهذه المرتبة هي الفناء في التوحيد، وقالوا : إن الله تعالى يحلّ في العارفين ، فإن أرادوا بالاتحاد والحلول ما ذكرناه فقد بان فساده ، وإن أرادوا به غيره لا بدّ من تصوّره أو لا ليتأتى التصديق به نفيًا أو اثباتًا ، فأنه لا يمكن نفيه واثباته إلا بعد تصوّر ما هو المراد .

**وقال المحدث العلامة المجلسي في عقايد :**

والقول بحلوله تعالى في غيره كما قال بعض الصوفيّة والغلاة ، أو اتّحاده مع غيره كما قاله بعض الصوفيّة ، أو أنّ له تعالى صاحبة أو ولدًا أو شريكًا كما قاله النصارى ، أو أنّه تعالى جسم أو أنّ له مكانًا كالعرش وغيره ، أو جزءًا أو عضوًا فكلّ ذلك كفر إلى غير ذلك ممّا حكوه عنهم وشتموا عليهم .  
ثمّ لمّا رأى المتأخرون منهم فساد ما قاله متقدّموهم وبطلانه وشناعته وجّهوا كلامهم بأنّ مرادهم به وحدة الوجود لا الاتّحاد والحلول ، وهو من قبيل دفع الفاسد بالأفسد و توجيه الشنيع بالأشنع .

**وقال صاحب الشوارق فيه :**

قد اشتهر من مشايخ الصوفيّة القول بوحدة الوجود وأنّ الوجودات بل الموجودات ليست بمتكثّرة في الحقيقة بل هناك موجود واحد قد تمدّت شؤونه وتكثرت أطواره ثمّ قال : ولمّا كان ذلك بحسب الظاهر وبالمعنى المتبادر مخالفًا لما يحكم به بديهة العقل من تكثّر الموجودات بالحقيقة لا بمجرد الاعتبار تصدّى كثير من المحقّقين لتوجيه كلامهم ، انتهى .

**وقال القيصرى في شرح الفصوص لمحبي الدين :**

حقيقة الوجود إذا اخذت بشرط أن لا يكون معها شيء فهي المسمّاة عند

الصوفية بالمرتبة الأحادية المستهلكة لجميع الأسماء والصفات فيها ، و يسمى جمع الجمع و حقيقة الحقايق والعماء أيضاً ، و إذا أخذت بشرط شيء ، فامّا أن يؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمة لها كليتها و جزئها المسماة بالأسماء والصفات فهي المرتبة الالهية المسماة عندهم بالواحدية و مقام الجمع ، و هذه المرتبة باعتبار ايصال مظاهر الأسماء التي هي الأعيان والحقايق إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج تسمى مرتبة الربوبية ، و إذا أخذت لابشرط شيء آخر ولا بشرط لاشيء فهي المسماة بالهوية السارية في جميع الموجودات ، و إذا أخذت بشرط ثبوت الصور العلمية فيها فهي مرتبة الاسم الباطن المطلق والأول والعليم و رب الأعيان الثابتة - إلى أن قال- و إذا أخذت بشرط الصور الحسية العينية فهي مرتبة الاسم المصور و رب العالم الخيال المطلق والمقيّد . و إذا أخذت بشرط الصور الحسية الشهادية فهي مرتبة الاسم الظاهر المطلق والاخر و رب عالم الملك ، و مرتبة الانسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الالهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية و مراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود ، و يسمى بالمرتبة العمائية أيضا فهي المضاهية للمرتبة الالهية ، و لا فرق بينهما إلا بالربوبية و المرطوبة ، و لذلك صار خليفة الله ، و إذا علمت هذا علمت الفرق بين المراتب الالهية والربوبية والكونية، انتهى.

وقال صاحب الشوارق في كوه مراد في الفصل الذي سافه لبيان كيفية صدور المعلول من العلة ما محصله :

إن الصوفية قالوا إن صدور المعلول من العلة عبارة عن تنزّل العلة بمرتبة وجود المعلول و تطورها بطور المعلول و من هنا تفتنوا بوحدة الوجود بمعنى أن الوجود حقيقة واحدة سارية في جميع الموجودات ، و ليست مهبات الممكنات إلا أموراً اعتبارية و الموجودات بأسرها مظاهر تلك الحقيقة الواحدة بحيث لا يلزم الاتحاد والحلول ، لأنهما فرع الاثنينية ولا موجود إلا واحد.

قال : و فهم هذا المعنى بغاية الاشكال لأنهم ادعوا أن فهم ذلك لا يتيسر

بالمقول المتعارفة بل بالرياضة و المجاهدة و بطور وراء طور العقل ، و هو فنا . السالك في سلوكة من نفسه وعقله ومن جميع المعقولات و الموهومات فضلا عن المحسوسات و قصره همته في التوجه الى الحق و ذكره له بلسانه و قلبه بحيث لا يخطر بقلبه سواه ولا يبقى في قلبه غيره حتى يغيب عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله ، و إن لاحظها فمن حيث هي لاحظه لامن حيث هي مزينة بزينة الحق ، بل لا يكون الذكر أيضاً ملحوظاً فضلاً عن الذّاكر .

قال : وإذا داوم السّالك على ذلك يفيض عليه نور من أنوار الالهية يشاهد به حقايق الأشياء على ما هي عليها كما يشاهد المحسوسات بحسّ البصر .

قال : و نحن اعتقدنا بإمكان صدق هذه الدعوى بحسن ظننا بالسلف ، وليس المراد بهذا النور المذكور نور يفاض عليه من الخارج ، بل نور مودع في نفس الانسان ذواته ، والغرض من الرياضة و المجاهدة تصفيته و تجليلته من الأكدار الطبيعية و الحسية و الخيالية و الوهمية ، وإذا حصلت التصفية و التجلية بالرياضات العلمية و العملية و الاعتقاد بالحقائق صار هذا النور من القوة إلى الفعل ، ويرى به الأشياء ، و يشاهدها بعين اليقين ، اللهم بلغنا إلى ذلك المقام العالى باخراجنا عن هذا المنزل الفانى البالى ، انتهى ما أهمنا نقله من كلامه .

وقد سلك هذا المسلك صدر المتألهين و صرح به في كتبه الكلامية وغيرها في موارد كثيرة .

قال في الفصل الأوّل من إلهيات الأسفار الذى ساقه لاثبات وجود الواجب تعالى و الوصول إلى معرفة ذاته ما هذه عبارته :

اعلم أنّ الطرق إلى الله كثيرة لكن بعضها أوثق و أشرف و أنور من بعض ، و أسدّ البراهين و أشرفها هو الذى لا يكون الوسط في البرهان غيره بالحقيقة ، فيكون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود ، وهذه سبيل الصديقين الذين يستشهدون بذاته على صفاته و بصفاته على أفعاله واحداً بعد واحد .

وذلك لأنّ الرّبّانيّين ينظرون إلى الوجود و يحقّقونه و يعلمون أنّه أصل

كل شيء ثم يصلون بالنظر إليه إلى أنه بحسب حقيقته واجب الوجود ، وأما الامكان والحاجة والمعلولية وغير ذلك فأنما يلحقه للأجل حقيقته بل لأجل نقائص واعدام خارجة عن أصل حقيقته، ثم بالنظر فيما يلزم الوجود والامكان يصلون إلى توحيدها وخصائصه ومن صفاته إلى كيفية أفعاله.

و تقريره أن الوجود كما مر حقيقته عينية واحدة بسيطة لا اختلاف بين أفرادها لذاتها إلا بالكمال والنقص والشدة والضعف أو بأشياء زائدة كما في أفراد ماهية نوعية وغاية كما لها ما لا أتم منه وهو الذي لا يكون متعلقا بغيره ولا يتصور ما هو أتم منه ، إذ كل ناقص متعلق بغيره مفتقر إلى اتمامه .

فإن الوجود إما مستغن عن غيره ، وإما مفتقر لذاته إلى غيره ، والأول هو واجب الوجود وهو صرف الوجود الذي لا أتم منه ولا يشوبه عدم ولا نقص ، والثاني هو ما سواه من أفعاله وآثاره ولا فوام لما سواه إلا به . لما مر أن حقيقة الوجود لانقص لها وإنما يلحقه النقص لأجل المعلولية ، وقد مر أن الوجود إذا كان معلولا كان معمولا بنفسه (١) جملا بسيطا وكان ذاته بذاته مفتقرا إلى جاعل ، وهو متعلق الجوهر والذات بجاعله .

فإن قد ثبت واتضح أن الوجود إما تام الحقيقة واجب الهوية ، وإما مفتقر الذات إليه متعلق الجوهرية ، وعلى أي القسمين ثبت و تبين وجود واجب الوجود غنى الهوية عما سواه - إلى أن قال بعد جملة من النقص والابرام :

فإن حقيقة الوجود في كل موجود بحسبه وأما الوحدة التي تجمع الكل فهي ليست نوعية ولا جنسية بل ضرباً آخر من الوحدة لا يعرفها إلا الكاملون .

وقال في شرح الكافي في شرح الحديث الأول من باب جوامع التوحيد : «توحيد عرشي» اعلم أن ذاته تعالى حقيقة الوجود بلاحد ، وحقيقة الوجود لا يشوبه عدم ، فلا بد أن يكون بها وجود كل الأشياء وأن يكون هو وجود الأشياء كلها ، إذ لو كانت تلك الذات وجود الشيء بعينه أو الأشياء بعينها ولم تكن لشيء آخر أو لأشياء أخرى لم يكن حقيقة الوجود

(١) أي لا بالمرض والتبعية للمهية كما أن المهية معمولة بواسطة وتبعية منه .

وقد فرضناها حقيقة الوجود أو حقيقة الشيء، و صرفه لا يتعدد كالانسان مثلاً فإنه لا يمكن أن يتعدد من حيث هو انسان ، وليس التعدد في زيد و عمر إلا بأمر خارج عن حقيقة الانسانية فحقيقة الوجود لا يتعدد إلا بشيء خارج، ولكن الخارج ليس إلا العدم إذ المعاني والمهيات تابعة للوجود والعدم ليس بشيء ثابت فنبت أن لا يتعدد في الوجود إلا من جهة الاعدام والنقايس.

فاذن لما كان واجب الوجود محض حقيقة الوجود الصرف الذي لا أتم منه فلا خارج عنه إلا النقايس العدمية والاعدام فهو كل الذوات ولا يشذ عنه شيء من الموجودات من حيث كونه موجوداً بل من حيث كونه ناقصاً أو معدوماً .  
وقال في شرح الحديث الأول من باب أدنى المعرفة:

اعلم أن للتوحيد و ساير معارف الايمان أربع درجات كقشر الجوز، وقشر قشره ، و لبه ، و لب لبه .

الدرجة الأولى أن يقول باللسان: لا إله إلا الله و قلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق

والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد و ليس بعرفان .

والثالثة أن يعرف ذلك بطريق الكشف بالبرهان بواسطة نور الحق و هو مقام المقر بين ، و ذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار

الرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً و هو مشاهدة الصديقين و تسميته الصوفية بالفناء في التوحيد.

فالأول موحد باللسان و يعصم ذلك صاحبه عن السيف والسنان.

والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه.

والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا مؤثراً واحداً و يرى أنه لا فاعل

بالحقيقة إلا واحد ، والوسائط مترتبة في القرب و البعد منه تعالى لدورها منه

على الترتيب الضروري لالكونها علل الابداد بخلاف ما عليه الأشاعرة.

والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد الحق فلا يرى الكل من حيث هو كثير بل من حيث هو واحد ، لأن المهيئات المختلفة لا وجود لها إلا بالوجود ، والوجود بذاته موجود وله حقيقة واحدة متفاوتة الدرجات والمقامات ولكل مقام خواص و لوازم ينتزع منه و يصدق عليه و هي المسمّاة بالمهيئات والأعيان الثابتة التي ما شمت رائحة الوجود ، ولا هي مجعولة و كذا الأعدام والنقايس لا يتعلق بها جعل و تأثير ، إذ لا وجود لها فالحقيقة على صرافة وحدتها الذاتية التي لا مثل لها ولا شبه ولا نداء ولا ضد ، إذ ليست هذه الوحدة وحدة عددية يحصل بتكررها العدد ، سواء كان في العين أو في الذهن ، ولا جنسية ولا نوعية ولا مقدرية ولا غير ذلك من أقسام الوحدات .

فهذا هو الغاية القصوى في التوحيد و إن كانت الأذهان قاصرة عن إدراكها ولكن لا أقل من التسليم و عدم التلقّي بالوجود و الإنكار ، و الله ذو الفضل العظيم.

**وقال** في شرح الحديث الخامس من باب حدوث العالم:

إن مهيته تعالى إنيته بمعنى أن لامهية له سوى الحقيقة المحضة والانية البهتة والوجود الصرف الذي لا يشوبه عدم ولا عموم ولا خصوص فاليه الإشارة بقوله ﷺ : شيء بخلاف الأشياء .

لأن كل ما سوى حقيقة الوجود له مهية خاصة يعرضها عدم و قصور يلحقها كلبية و جزئية ، و كل منها يسلب عنها أشياء كثيرة وجودية ، فهذا جسم و هذه صورة ، و هذا فلك و هذا انسان ، فما هو فلك ليس بانسان ، و ما هو جسم ليس بعقل و ماهي صورة ليست بمادة .

و هذا بخلاف ذاته تعالى إذ هو كل الوجود و كلة الوجود و ما من شيء إلا و هو ذاته أو تبع و رشح لذاته ، و ما في الوجود إلا ذاته و صفاته و أفعاله .

**وقال** في شرح الحديث الرابع من باب اطلاق القول بأنه شيء:

و نسبة جميع الأشياء إليه تعالى نسبة ساير الأضواء و ظلالها إلى ضوء

الشمس الذي به يضيء كل شيء وهو مستغن عن غيره لو كان لضوئها قيام بنفسه ولكنّه يفاير الأول تعالى بأنّ الضوء فيها يحتاج إلى موضوع وهو محسوس ، والوجود الأول لاموضوع له ولا محسوس ، بل معقول لذاته وعاقل لذاته ولما سواه من الأنوار العقلية القاهرة والمدبّرة و ساير الصّور والأجرام وعوارضها والوجودات الفايزة منه كالأنوار والمهيئات التابعة لها كالظلال والأجسام كالظلمات، والله المثل الأعلى في السماوات . إلى غير ذلك ممّا لا يطيل بنقله.

و قال بعضهم :

كلّما في الكون وهم أو خيال أو عكوس في المرآيا أو ظلال  
وقال عامر بن عامر البصرى وهو من صوفيّة الشيعة كما في مجالس  
المؤمنين في مفتتح قصيدته التي سماها ذات الأنوار في معنى الوحدة الصرفة :  
إنّ ذلك ليس بحلول كما ظنّه بعض المتوهّمين ، وذلك لأنّ الحلول  
يقتضى وجود شيئين أحدهما حال والثاني محل ، وليس الأمر كذلك عند حلول  
المتوحّدين ، بل عندهم أنّ الواحد المطلق من كلّ الوجوه لا يبقى سواه ، وهو  
ظاهر بالكلّ للكلّ ، ولكلّ فرد من أفراد كثرتة الداخلة في حقيقة وحدته  
نصيب من عين تلك الوحدة ، ولا خروج له عنها ولا انعدام يطرأ على شيء .  
ثمّ شرع في القصيدة المسمّاة بذات الأنوار و قال في مطلعها :

تجلّى لي المحبوب في كلّ وجهة	فشاهدته في كلّ معنى وصورة
و خاطبني منى بكشف السرائر	تعالّت عن الأعيار لطفًا وجلّت
فقال أتدرى من أنا قلت أنت يا	منأى أنا إذ كنت أنت حقيقتى
فقال كذاك الأمر لكنّما إذا	تعيّنت الأشياء بى كنت نسختى
فأوصلت ذاتى باتّحادى بذاته	بغير حلول بل بتخصيص نسبة
فصرت فناء في بقاء مؤبّد	لذات بديمومية سر مديّة
إذا رمت إثباتا لانيّتي محا	هواه و جودى محوة أى محوة
فياخذني منى فأصبح سائلا	لنفسى عن نفسى حضوراً لغيبة



لذاتي بذاتي و هو غاية غايتي  
 علومي تمحوني و وهمي مثلتي

فشاهده العينان في كل ذرة  
 عموماً بوحداية صمدية  
 و ليس سواه إن نظرت بدقة  
 و إن شئت أن تحيي به فله مت  
 له كل اذن في البرايا و عية  
 له كل علم من علوم الخليقة  
 على صورتي كانت لخلقك خلقتي  
 كما أنا فرد كثيرتي تحت و وحدتي  
 وجدت حياتي فيه من بعد موتي

و انظر في مرآت ذاتي مشاهداً  
 فاعدو و أمرى بين أمرين واحد  
 إلى أن قال :

بداظاهراً بالكل للكل بيننا  
 و أشرق منه مطلق قيّد الوري  
 هو الواحد الفرد الكثير بنفسه  
 به كل حي و هوحي بذاته  
 له كل عين في الوجود يرى بها  
 له كل كف في الوري باطشأبها  
 لذلك ما قال الاله لآدم  
 فكثيرته مخفية تحت وحدة  
 بقيت به لهما فنيت له كما

إلى أن قال :

بغير شريك قد تقسّط بكثرة  
 صفات و ذات ضمنا في هوية  
 فضلل فيه كل قوم بحجة  
 له إن رآه باصر ببصيرة  
 حوى كثرة توحيدها بالضرورة  
 و جملتها موجودة بالمعية  
 سواك فرؤ يا ذاك من أحولية (١)

و محصله كما ترى أن ذات الوجود المطلق و الممكنات ليست إلا مجالاً

نظرت فلم ابصر سوى محض وحدة  
 تكثرت الأشياء و الكل واحد  
 يججب عنسا و اختفى بظهوره  
 فسائر ذرات الوجود مظاهر  
 محامكناات الوهم منه بواجب  
 و ذاك لأن لا شيء يوجد غيرها  
 لك الكل يامن لا سواء فمن رأى

دائماً بامن و ييوسته كبريزان ازم  
 كرديم تصفح ورقا بسد ورق  
 جز ذات حق و شئون ذاتية حق

(١) بامن آميزش او الفت موج است و كنار  
 مجموعه كون را بقانون سبق  
 حقا كه نخوانديم و نديديم در او

ومظاهره.

و بعبارة اخرى الوجود إذا اعتبر لا بشرط التعيّن و عدم التعيّن يكون حقيقة الواجب، و اذا اعتبر بشرط التعيّن بالماهية يكون عين حقيقة الممكنات فيكون حقيقة كل ممكن هو الوجود المتعيّن بالماهية، فاذا لم يعتبر فيه التعيّن كان عين حقيقة الواجب، تعالى عما يقول الجاهلون علواً كبيراً .

اذا عرفت ذلك فأقول :

إنّ بطلان هذا الاعتقاد الفاسد ممّا دلّ عليه العقل و النقل، و لكونه من مزالّ الأقدام يحتاج إلى بسط الكلام في ذلك المقصود و المرام، بعون الله المالك المهيمن السلام، و بالله أستعين و أستمدّ و وآله الطاهرين سلام الله عليه و عليهم أجمعين أتوسّل في كشف الحجاب عن وجه المرام .

اما الدليل العقلي على بطلانه

فموقوف على تمهيد مقدّمة متضمّنة للفرق بين الواجب تعالى شأنه و الممكن

وهو بوجوه :

### الاول

الافتقار و عدم الافتقار

بيانه : أنّ الموجود إمّا موجود بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره أي العلة الموجودة، أو موجود لا بنفسه بل مفتقر إلى العلة، و الحصر بينهما عقليّ دائر بين النفي و الاثبات، فلا يتصور بواسطة بين الافتقار و عدم الافتقار، فلا موجود خارجاً من القسمين و المتّصف بعدم الافتقار هو الواجب و بالافتقار هو الممكن .

أمّا الثاني فلا بدّ أن ينتهي وجوده إلى علة قائمة بذاتها موجودة بنفسها، إذ معنى افتقاره هو قبوله لا أثر العلة الذي هو الوجود، فلولم تكن العلة بنفسها موجودة لكانت فاقدة للأثر و الفاعل للشيء كيف يكون معطياً، و مجرد وصول الأثر بواسطة إلى محلّ لا يرفع الافتقار فلا بدّ من الانتهاء إلى المؤثر القائم بذاته و أمّا الأوّل أعني غير المفتقر في وجوده إلى غيره .

فأمّا بأن يكون وجوده علة لوجوده وهو غير معقول لاستلزامه تقدّم الشيء

على نفسه .

و إما بأن يكون نفسه عين الوجود أى لا يكون له ماهية ووجود كما في  
الممكنات بل يكون ماهيته انيته وهو المطلوب.

فان قلت : هل له تعالى ماهية ؟

قلت : الماهية لها معنيان :

أحدهما بازاء الوجود كما يقال وجود الممكن زايد على ماهيته و الماهية  
بهذا المعنى يعرضها العموم والاشتراك فليست له تعالى ماهية بهذا المعنى .

وثانيهما ما به الشيء وهو وهذا يصح له عز وجل وقد صرح به الصادق عليه السلام  
في جواب الزنديق في حديث طويل مروى في الكافي قال : قال له السائل : فله  
إنية و ماهية ؟ قال عليه السلام : نعم لا يشبث الشيء إلا بانية و ماهية .

### الثاني

أنه تعالى منزّه عن الحد والرسم والمثل والشبه والقتد والتد ، والتنزّه  
مقتضى ذاته و الممكن محدود ممثّل .

أمّا الأوّل فلما عرفت من أنه تعالى نفس الوجود و متعيّن الذات بوجوب  
وجوده و ليس له ماهية و وجود فليس بذى أجزاء و مالا جزء له لا جنس له و لا فصل  
له و مالا جنس له و لا فصل له لاحد له ، و إذ ليست له صفة لازمة و لا خاصّة فلا رسم  
له ، و ما لاحد له يمتنع إقامة البرهان عليه إلا أنه من حيث كونه مبدأ لأفعاله  
و آثاره و بارئاً لمخلوقاته ممّا يقام عليه البرهان كما يقال : العالم مصنوع مبني  
يقتضى أن له صانعاً بانياً ، فالعالم له صانع و إذا ثبت أن للعالم صانعاً ثبت  
وجوده ضرورة .

وأمّا الثاني فلتر كبه من الوجود و الماهية يكون ذا أجزاء و الوجود للممكنات  
أمر عقلي متصور في الذهن مشترك بين الموجودات زايد في التصوّر على المهيئات  
و قد عرفت أن المهية التي هي معروض الوجود أيضاً مما يعرضه العموم و الاشتراك  
فأفراد الممكنات بجميعها مشتركة في أمر جامع بينها به يشابه أحدها الآخر و يشاكله

ويتميز أحدها عن الآخر بأمر بائن ، وليس الحدّ إلاّ عبارة عن الجامع الفارق .  
 وأيضاً كلّ متصف بالوجود الامكانى فله مهية وجود .  
 أما المهية فلكونها غير الوجود يحتاج في موجوديتها إلى جاعل يجعلها  
 موجوداً إذ المهية لا تقتضى نفسها وجودها وإلاّ لكان وجودها قبل وجودها وهو محال  
 ضرورة تقدّم المقتضى على المقتضى .

وأما الوجود فلاّ أنّ كلّ وجود غير وجوده تعالى فهو يشوبه عدم و نقص  
 فيحتاج إلى وجود له حدّ معين من مراتب الوجود يحتاج إلى محدّد إذ لو كانت  
 نفس طبيعة الوجود تقتضى ذلك الحدّ لكان الجميع كذلك و ليس كذلك ، فاذن  
 الوجود في كلّ موجود نفس تعينه الخاصّ و وحدته الشخصية و تشخصه المحدّد  
 والمعين ، و كلّ ماله حدّ فله علة محدّدة تحدّده على ذلك الحدّ .

و هذا بخلاف الوجود الالهى الذي هو عين ذاته و تعينه بالوجود فلا قاهر  
 فوقه ولا محدّد له إذ ليس فيه إلاّ محض الحقيقة القدسية والتنزّه .

بل قد قال بعض الأساطين : إنّ انفكاك المهية من الوجود إنما هو في تحليل  
 العقل ، وأما فى الواقع فهى عينه حيث قال :

إنّ الوجود لا بدّ له عما يخرجّه عن الإيهام ، فلا يتحقّق إلاّ بعد التعيّن  
 التمام بالفصول المتنازلة إلى أن ينتهى إلى التشخص . فبعد التعيّن التام يتحقّق  
 والترتب إنما هو فى المرتبة والتحليل ، وهذا ما أشاروا إليه بقولهم: إنّ الشئ ما  
 لم يتشخص لم يوجد وما لم يوجد لم يتشخص ، وأنّ التشخص يساوق الوجود ، فانه  
 ذات الوجود و خلوه عنه سلب الشئ عن نفسه .

وبما حقّقنا ظهر أنّ الماهية عين الوجود ، وانما ينفكان فى التحليل ، فيحمل  
 الوجود على الماهية ويعرضها باعتبار كما أنّ الماهية تعرض الوجود باعتبار آخر  
 وفى الحقيقة ليس هناك إلاّ الوجود الخاصّ ، فالوجود الذى هو نقيض العدم بنفسه لا  
 يتقوم بل هو والحدّ والتحديد مستند إلى أمر وراء ذلك ، فالمبدء تعالى ليس له  
 ذات و وجود ، وإنما يعبر بعبارتين بالالغاء و ضيق المجال كما هو الحال فى جميع

صفات الجمال ، وهذا متن بيان مقتبس من مشكاة النبوة إلى أن قال :  
 ظهر من جميع ما تقدم أن إثبات المبدء تعالى لا ينفك عن التوحيد ، ضرورة  
 أن الحد ينافى الوجود والتعدد لا يعقل إلا بالحدود وقال :

وكشف الحجاب أن الوجود عين هويته ونفس الماهية كما هو محصل عروض  
 الوجود للماهية ، و التفكيك إنما هو بالتحليل وكذا الحمل والعروض ، فقبل  
 التحقق الذي هو عين الواقع والخارج لا وجود ولا ماهية ، ومعه لا تمايز .  
 فللحيوانية مثلاً نحو من الوجود لأن الحركة بالارادة والحس وجود  
 والمعدوم لا يعقل أن يكون حيواناً وحساساً ، وكذا النطق وهو إدراك الكليات  
 وملكة اكتساب النظريات نحو من الوجود والمعدوم ليس ناطقاً بالضرورة .

وكذا الحال في جميع الأجناس والفصول والأنواع الملتئمة منها المترتبة  
 فانه صرف الفرض وليس كون الانسان قبل الوجود انسانا و كون الوجود وجوداً  
 قبل التحقق إلا مجرد الفرض ، فعدم كون الانسان والوجود قبل التحقق وجوداً  
 وانساناً مخالف للفرض لأنه سلب للشئ . عن نفسه كيف وليس هناك شيء ولا نفس  
 إلا بالفرض .

ألا ترى أن اجتماع النقيضين لو كان اجتماعاً تحقيقياً لكان محققاً وإنما  
 هو مجرد فرض و تقدير ، فالانسانية الحقيقية و هو الحيوانية مع النطق لو  
 كانت غير الوجود فكيف يكون متحرراً بالارادة ومدركاً للمعقولات وهو لا وجود له .  
 و من خفى عليه هذا المعنى خبط خبطة عشواء فبين من ذهب إلى أن التقرير  
 مرحلة سابقة على الوجود ، ومن توهم أن بين الوجود والعدم مرحلة تسمى  
 بالحال ولم يتفطنوا أن ارتفاع النقيضين محال ، انتهى ما أهمتنا نقله من كلامه دام  
 عزه و علاه .

وقد اتضح منه كل الوضوح أن الممكن لا تحصل له إلا بالوجود والماهية  
 و أن الماهية بحسب الخارج عين الوجود وحده ، وأن معنى عروض الوجود  
 للماهية أن الملحوظ في الوجود إنما هو حده المعين لأن هناك عارضاً ومعرضاً

وعروضاً .

فانقدح منه أن قول الصوفيّة بأنّ الماهيّة ماهيّة حال المدم وهي المعبر عنها بالعين الثابت ، و قولهم بأنّ الأعيان الثابتة ما شمتت رايحة الوجود ممّا لامعنى له أو التفكيك بين الثبوت والوجود والقول باتّصاف الماهيّة بالأول دون الثاني سفسطة محضة .

### الثالث

أنّ الواجب تعالى وجوده تامّ فوق التّمَام ، والممكن موصوف بالقصور والنقصان ، والتّمَام مقتضى ذات الاول كما أنّ النقصان لازم وجود الثاني . والمراد بكونه تامّاً كونه جامعاً لجميع صفات الكمال إذ قد قلنا إنّهُ عين الوجود والكمالات كلّها وجود ، فتكون الكمالات جميعاً حاصله له بالفعل بنفسه من دون افتقار إلى الاستكمال بالغير ، وهذا من ضيق العبارة بل كما أنّ ذاته تعالى صرف الوجود كذلك صرف العلم والقدرة والاختيار والحياة وغيرها من الصفات الكماليّة ، وهذه الصفات عين ذاته كما قال أمير المؤمنين : علم كلّ قدرة كلّ حياة كلّهُ .

والمراد بفوق التّمَام كونه مع جامعيتته للكمالات و تماميتها له موجداً لوجود غيره و كمالاتهم جميعاً أيضاً .

وأما الممكن فلا ينفك عن وصف الافتقار والامكان والمهيبة والمعلوليّة والتركيب وغيرها من النقايس ، وما يتصوّر فيه من وصف الكمال فامّا أن لا يكون حاصله بالفعل بل بالقوّة كالانسان مثلاً ، أو يكون حاصله بالفعل ولكن حصوله ليس بنفسه بل بالغير ، فعلم من ذلك أنّ الواجب تامّ والممكن ناقص .

واذا عرفت هذه المقدّمة الشريفة ظهر لك فساد القول بوحدّة الوجود ، لأنّه

إذا كان الواجب علّة والممكن معلولاً ، والأول مستغنياً والثاني مفتقراً ، والأول منزهاً عن الحدّ والتعيس والثاني محدوداً متعيّناً بالماهية ، والأول بسيطاً والثاني مركّباً ، والأول تامّاً فوق التّمَام والثاني مكثفناً بالعدم والنقصان حسبما عرفته

في المقدمة التي مهدناها ، فكيف يعقل ترقى الثاني إلى مرتبة الأول ، فإن ذاتي الشيء لا ينفك عنه و المعلولية و المحدودية و الافتقار و النقصان من لوازم ذات الممكن فكيف يتصور أن يلقي الممكن إنيته على اصطلاحهم و يصل إلى مرتبة الواجب .

مع أن إنيته ليس إلا تعينه بماهيته و بعداد ارتفاع التعيين والتحدد لا يبقى ماهية ولا وجود ، فلا يكون هناك شيء أصلا .

و كذلك إذا كان الواجب تعينه بذاته و بكنهه و منزهاً عن الحدود لكونه صرف الوجود و كان تاماً فوق التمام كان مبيئاً للممكن غاية البيئونة كما قال الرضا عليه السلام في الحديث المروى عنه في الكافي : مبيئته إيّاهم مفارقتة إنيتهم ، فكيف يتوهم كونه سارياً في الموجودات .

وهؤلاء الجهلة لما سمعوا أن الواجب وجود خال من جميع الحدود و القيود ، وأن الوجود مفهوم واحد نقيض العدم ، فتوهموا أن الوجود الخالي من جميع القيود هو الوجود المطلق لا بشرط التعيين و عدم التعيين ، فيجتمع مع جميع التعيينات الامكانية ، و يكون عين حقيقة كل ممكن .

وهذا التوهم من الفساد بمكان لأن معنى خلوه الواجب من القيود ، هو خلوه من التعيينات الامكانية لا من مطلق التعيين ولو بذاته ، فتعينه سبحانه بوجوب وجوده الذي هو عين ذاته فعلى هذا يكون طرد الحدود و التعيينات الامكانية محالاً ، وليس معنى خلوه منها كونه مبهما سارياً في التعيينات مثل سريان الكليات في مصاديقها الخارجية المتعينة .

و بمباراة أوضح أن الواجب مع قطع النظر عن الحدود و التعيينات إما مبهم أو متعين .

أما الأول فتحققه مجال بالضرورة ، لأن الشيء ، مالم يتشخص لم يوجد ومن هنا قالوا إن الكلي الطبيعي أمر مبهم لا يمكن تحققه في الخارج إلا بضم التعيينات و تشخصات الأفراد .

وأما الثاني فإمّا أن يكون سرايته في المخلوقات مع تعيينه الذى هو له فهو محال ، لأنّه جمع بين النقيضين إذ التعمين الوجوبى مناف للتعيين الامكانى ومناقض له ، أومع إلقائه لتعيينه الذاتى وتعيينه بالتعيين الامكانى وهو فرع أن يكون متحرك غير واجب وممكن يكون في تلك المراتب ويكون واجبا تارة وممكنا اخرى وهو باطل .

والحاصل أن الواجب إمّا مبهم محض وجامع بين جميع الموجودات كما هو شأن الجامعة السارية ، وهو مستلزم لنفى وجود الصانع تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وإمّا أنه متعين بحب ذاته فيستحيل سريانه في الامور المتعينة بالحدود والقيود .

والى ذلك أشار المحقق الطوسى في شرح الاشارات حيث قال:

حقيقة الواجب ليست هى الوجود العام بل هى مجرد وجوده الخاص به المخالف لسائر الموجودات لقيامه بالذات .

وقال أيضاً : الوجود داخل في مفهوم ذات واجب الوجود لا الوجود المشترك الذى لا يوجد إلا في العقل بل الوجود الخاص الذى هو المبدء الأول لجميع الموجودات وإذ ليس له جزء فهو نفس ذاته وهو المراد من قولهم: مهيئته هى إنيته انتهى.

وقال المعلم الثاني في محكي كلامه من كتاب الجمع بين الرأيين:

إنّه لما كان البارى جلّ جلاله بانيّة ذاته مابيناً لجميع ماسواه وذلك له بمعنى أشرف وأفضل وأعلى بحيث لا يناسبه فى إنيته شيء ولا يشاكله ولا يشبهه حقيقة ولا مجازاً ، ثمّ مع ذلك لم يكن بدّ من وصفه واطلاق كلّ لفظة كمالية من هذه الألفاظ المتواطئة عليه ، فإنّ من الواجب الضرورى أن نعلم أن مع كلّ لفظة نقولها فى شيء من أوصافه معنى بذاته بعيداً من المعنى الذى نتصوره من تلك اللفظة وذلك كما قلناه بمعنى أشرف وأعلى حتّى إذا قلنا إنّه موجود علمنا مع ذلك أن وجوده لا كوجود سائر مادونه ، وإذا قلنا إنّه حى علمنا أنّه بمعنى أشرف من الحى الذى هو دونه وكذلك الأمر فى سائرهما ، انتهى.



و هو كما ترى نص صريح مثل الاخبار الآتية الواردة من معادن القدس والطهارة في أن مباينته لغيره بنفس ذاته . فلا يتصف بالماهية ولا بالوجود بالمعنى المتصور في الممكن ، بل إذا قلنا إنه موجود وصفناه بالوجود فهو بمعنى اعلا مما يتصوره العقل ، وهكذا إذا وصفناه بالعلم والحياة و ساير الصفات الثبوتية و هو معنى ما ورد في غير واحد من الأخبار الكثيرة من أنه سبحانه شيء لا كالأشياء فوصفه بأنه شيء من ضيق المجال والخروج من حد التعطيل ، و بأنه لا كالأشياء للتنزيه و التقديس و نفى التشبيه والاشارة إلى كونه بايناً من الأشياء و كونها باينة منه بنفس ذاته المقدسة .

والحاصل أنه تعالى ممتاز عما سواه بذاته ، و الوجود عين ذاته ، و الوجود التذى له عز وجل ليس بالمعنى الذى لها كيف والوجود الذى لغيره أمر بديهي يعرفه الكل كساير البديهيّات ، و الوجود المخصّص به لا يدرکه بعدالهمم ولا يناله غوص الفطن ، و غاية معرفتنا بذاته أننا لانعرف ذاته بيان ذلك أن كل مدرك باحدى القوى والحواس ظاهرية كانت أو باطنية و كل ما تدرکه المشاعر صورة كانت أو معنى فهو محدود متمثل تحده الحواس و تمثله الأفكار ، و كل ما هو كذلك فهو مخلوق مثلنا مصنوع بفكرنا ، و خالق الأشياء منزّه عنه فنعرف ذاته بأننا لانعرف ذاته إذ غاية ما يحصل لنا من الآثار و الأفعال كونه مبدء لتلك الآثار و الأفعال صانعاً لها ، و من ذلك يحصل الجزم بوجوده تعالى .

إذ لو لم يكن موجوداً ثابتاً لكان معدوماً منفياً إذ لا مخرج منهما ولا واسطة بين النفى والاثبات والوجود والعدم .

و يلزم من عدمه أن لا يكون في الوجود شيء أصلاً واللازم باطل بالبديهية فكذا الملزوم و وجه الملازمة أن الكل مفتقر في وجوده إليه فما هو معدوم في نفسه كيف يكون مفيضاً للوجود فثبت بذلك أنه موجود ممتاز بذاته عما عداه ، هذا .

والصوفيّة أولياء الشيطان لمّا ضاق بهم الخناق في إقامة البرهان على مذهبهم الفاسد و اعتقادهم الكاسداستندوا إلى الكشف والعيان .

**قال** بعض من له خوض في التّصوف :

إنّ مستند الصوفيّة فيما ذهبوا إليه هو الكشف والعيان لا النظر والبرهان ، فانّهم لمّا توجهوا إلى جناب الحقّ سبحانه بالثّورية الكاملة و تفرّغ القلب بالكلّيّة عن جميع التّعلّقات الكونيّة والقوانين العلميّة مع توحيد العزيمة ودوام الجمعيّة والمواظبة على هذه الطريقة بدون فترة ولا تقسيم خاطر ولا تشبّثت عزيمة من الله سبحانه عليهم بنور كاشف يريهم الأشياء كما هي .

و هذا النور يظهر في الباطن عند ظهور طور وراء طور العقل ، ولا تستبعدن وجود ذلك ، ف وراء العقل أطوار كثيرة يكاد لا يعرف عددها إلّا الله .

و نسبة العقل إلى ذلك النور كنسبة الوهم إلى العقل ، فكما يمكن أن يحكم العقل بصحّة ما لا يدركه الوهم كوجود موجود مثلاً لا خارج العالم ولا داخله ، فكذلك يمكن أن يحكم ذلك النور الكاشف بصحّة بعض ما لا يدركه العقل ، كوجود حقيقة مطلقة محيطّة لا يحصرها التقييد ولا يقيدها التعمين .

مع أنّ وجود حقيقة كذلك ليس من هذا القبيل فانّ كثيراً من الحكماء والمنكلمين ذهبوا إلى وجود الكلّي الطبيعي في الخارج .

والمقصود هنا رفع الاستحالة العقلية والاستبعادات العادية عن هذه المسألة لإثباتها بالبراهين والأدلة ، انتهى .

و هو سخيف جدّاً لا مناع أن يكون طور وراء العقل إلّا النّبوة ، و لو جوّز ذلك لبطلت الشرايع والأديان والأحكام النقلية والعقلية و ارتفع الأمان و انسدّ باب الايمان .

وليس نتيجة ما ذكر من الرّياضة والمجاهدة إلّا التلطيف السّر و تهذيب الباطن و تصفية القلب ليسهل النظر ويسرع الفكر و يصفو الذّهن من الكدر ، فيتجرّد المعقولات النظريّة عن الغواشي الوهميّة و يتميّز المعقول عن الموهوم ، وذلك

هو معنى الكشف و نور الله الكاشف لاما توهموه .

ومثله في السخافة استناد بعضهم في ذلك إلى الأدلة السمعية حيث قال :  
 إذا علمت أن الوجود هو الحق علمت سرّ قوله « و هو معكم وإنما كنتم »  
 « و نحن أقرب إليه من جبل الوريد » « و في أنفسكم أفلا تبصرون » « و هو الذي  
 في السماء إله » و قوله « الله نور السموات والأرض » « والله بكلّ شيء محيط »  
 و كنت سمعه و بصره ، و سرّ قوله : ولودليتّم بجبل لهبط على الله ، وأمثال ذلك  
 من الأسرار المنبهة للتوحيد بلسان الإشارة، انتهى.  
 ولا دلالة فيها على ما زعموه بوجه.

أمّا الآية الأولى فدلالتها على بطلان ما زعموه و فساده أظهر ، بل مكذبة  
 لدعواهم ، لأنّ وجود الأشياء عينها في الخارج لامعها ، وقد عرفت أنّ التغيرات في  
 طرف التحليل ، والمراد بكونه تعالى معنا في جميع الأماكن ما حققناه في شرح  
 الفصل السادس من الخطبة الأولى في شرح قوله ﷺ : مع كل شيء ، لا بمقارنة  
 و أمّا الآية الثانية فهي أيضاً مكذبة لهم لأنّ الاقربيّة مستلزمة للمغايرة  
 والمنافية للعينية ، والمراد بها القرب بالعلم والاحاطة أو باعتبار كون ذاته ووجوده  
 منه تعالى حدوثاً و بقاءً بحيث لو قطع النظر عنه آناً ما هلك و صار عدماً محضاً  
 لاستحالة بقاء المعلول من غير علّة

وأمّا الآية الثالثة فهي أيضاً دليل على البينونة والمغايرة ، لافادته كون نفس  
 الشخص آية على صانعه وهو استدلال إنتى و أين ذلك من الاتحاد .  
 و أمّا الآية الرابعة فالمراد بها انحصار الالهوية في جميع العوالم فيه تعالى  
 و هو أيضاً مكذب للعينية لمنافاة الالهوية لها .

وأمّا الآية الخامسة فالمراد بها أنّه هادلاً أهل السموات بلا واسطة ولأهل الأرض  
 بواسطة الأنبياء ، والرسل والأئمة ﷺ ، وقد ورد تفسيره بهذا المعنى في أخبار أهل  
 البيت سلام الله عليهم .

و أمّا الآية السادسة فهي أيضاً مكذبة لدعواهم لأنّ وجود الشيء ليس محيطاً

به بل هو في الخارج و في التحليل عارض له.  
وأما الحديث القدسي فلا دلالة فيه أيضاً على الاتحاد، بل المراد به معنى آخر  
أشار به في البحار.

فانه بعد ما روى من المحاسن عن عبدالرحمن بن حماد عن حنان بن سدير  
عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : ما تحبب إليّ عبدي  
بشيء أحب إليّ مما افترضته إليه، وأن عبدي ليحبب إليّ بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته  
كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها  
ورجله التي يمشي بها إذا دعاني أحبته وإذا سألتني أعطيتني .

قال: هذا الخبر يحتمل وجوها :

الأول أنه لكثرة تخلقه بأخلاق ربه ووفور حبه لجناب قدسه تخلّى عن شهوته  
و إرادته ، ولا ينظر إلاّ إليّ ما يحبه سبحانه ولا يبطش إلاّ إليّ ما يوصله إلى قربه  
تعالى و هكذا .

الثاني أن يكون المراد أنه تعالى أحبّ إليه من سمعه و بصره ولسانه ويده  
و يبذل هذه الأعضاء الشريفة فيما يوجب رضاه فالمراد بكونه سمعه أنه في حبه  
و اكرامه بمنزلة سمعه بل أعزّ منه لأنه يبذل سمعه في رضاه و كذا البواقي .

الثالث أن يكون المعنى كنت نور سمعه و بصره و قوة يده ورجله ولسانه  
والحاصل أنه لما استعمل نور بصره فيما يرضى ربه أعطاه بمقتضى وعده سبحانه  
«إن شكرتم لأزيدنكم» نوراً من أنواره به يميّز بين الحقّ والباطل ، وبه يعرف  
المؤمن و المنافق كما قال الله تعالى « إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين » و قال  
عليه السلام : المؤمن ينظر بنور الله ، و كذا لما بذل قوته في طاعته أعطاه قوة فوق طاقة  
البشر كما قال مولانا الأطهر : ما قلعت باب الخيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية  
و هكذا .

الرابع أنه لما خرج عن سلطان الهوى و آثر على جميع إراداته و مراداته  
و شهوته لرضى المولى صار الربّ تعالى متصرفاً في نفسه و بدنه ، مدبراً لقلبه

وعقله وجوارحه فبه يسمع و به يبصر و به ينطق و به يمشي و به يبطن كما ورد في تأويل قوله « وما يشاؤون إلا أن يشاء الله » وهذا معنى دقيق لا يفهمه إلا العارفون وليس المراد به المعنى الذي باح به المبتدعون فإنه الكفر الصريح والشرك القبيح انتهى كلامه رفع مقامه .

وأما الرواية الأخيرة فعلى تسليم صحة سندها وعدم كونها من موضوعات العمامة فمعناها إحاطته تعالى بجميع العوالم و عدم خلوه مكان منه عز وجل بهذا المعنى ، و أين هذا مما زعمه حزب الشيطان من أن الوجود هو الله ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فقد وضح و أتضح من هذا كله أن ما ذهب إليه الزنديق اللعين محيي الدين وأتباعه الذين هم أولياء الشيطان و هادمو أساس الشرع المبين من أن الوجود هو الحق الأول وأنه سار في الموجودات و أنها على كثرتها مجالي و مظاهر له ، رأن الواجب إذا اشتمل على الحد و التبعين صار ممكناً ، و إن الممكن إذا ارتفع عنه الحد و التبعين صار واجباً ففي قوس النزول يكون الواجب ممكناً ، و في قوس الصعود يكون الممكن واجباً ، غلط بين و كفر و زندقة و إلحاد .

و العجب من صدر المتألهين أنه مع ذكائه و براعته في فن الكلام و إذعانه بأكثر ما أوردناه في المقدمة الشريفة ، غفل عن نتيجتها و قلد الصوفية فيما هم عليه زعماً منه أن ما ذهبوا إليه من وحدة الوجود هو نتيجة كلمات الأساطين من الحكماء و المتكلمين ، ولم يتعمق المباينة ، ثم ذهب إلى كونه مشتركاً مقولاً على ماتحته بالتشكيك حسبما نقلناه .

قال في الأسفار:

« فصل » في أن مفهوم الوجود مشترك محمول على ماتحته حمل التشكيك

لاحمل التواطى .

أما كونه مشتركاً بين الماهيات فهو قريب من الأولييات ، فإن العقل

يجد بين موجود و موجود من المناسبة و المشابهة ما لا يجد مثلها بين الموجود

والمعدوم وأطال في إثبات الاشتراك بما لا طائل تحته إلى أن قال :  
 و أمّا كونه محمولاً على ماتحته بالتشكيك أعني الأوليّة و الأقدميّة  
 و الأشدّيّة ، فلأنّ الوجود في بعض الموجودات بمقتضى ذاته كما سيجي ، دون بعض  
 وفي بعضها أقدم بحسب الطّبع من بعض ، وفي بعضها أتمّ و أقوى .  
 فالوجود الذي لاسبب له أولى بالموجوديّة من غيره ، وهو متقدّم على جميع  
 الموجودات بالطّبع ، و كذا وجود كلّ واحد من العقول الفعّالة متقدّم على ناليه ، و وجود  
 الجواهر متقدّم على وجود العرض .

و أيضاً فإنّ الوجود المفارقي أقوى من الوجود المادّي ، و خصوصاً وجود  
 نفس المادّة القابلة ، فإنّها في غاية الضعف حتّى كأنّه يشبه العدم و المتقدّم  
 و المتأخّر و كذا الأقرى و الأضعف كالمقوّمين للموجودات و إن لم يكن كذلك  
 للماهيات .

فالوجود الواقع في كلّ مرتبة من المراتب لا يتصور وقوعه في  
 مرتبة أخرى لا سابقة و لا لاحقة و لا وقوع وجود آخر في مرتبته لا سابق و لا  
 لاحق ، انتهى .

واعترض عليه بعض أساطين مشايخنا المعاصرين أطال الله بقاء بقوله :

إنّ هذا الكلام يكشف عن أنّه لم يتعقل معنى الوجود و الماهيّة ، ضرورة  
 أنّ المتصف بالكلّيّة و الجزئية و التواطى و التشكيك إنّما هو الكلّي الطبيعيّ ،  
 فموضوع هذه الأحكام إنّما هو الماهية ، و أمّا الوجود المنسلخ عنها في التحليل  
 فهو كالعدم ، ومع عدم لحاظ الانسلاخ فيه لا تعدّد ولا تغاير ولا ماهيّة ولا وجود ،  
 بل هو حينئذ عينها وهي عينه كما لا يخفى ولا يصلح لأن يتصف بشيء من هذه الصفات  
 إلّا تبعاً للذات .

بل التحقيق أنّ الاعراض بأسرها على هذا المنوال فإنّها جهات تحليليّة  
 لا انيّة لها ولا ماهيّة و إنّما هي شئون المعروض ، فإنّ العروض بلحاظ ارتباطه  
 مع الغير فهو غير متأصل لا محالة كالقويّة و الابوّة و كذا ما يلزم من وجوده

التكرّر كالوجود .

وأما اللون وما شاكله فهو متأصل لا كما توهموه من أنّ له ماهية ووجوداً إلاّ أنّه في وجوده يحتاج إلى موضوع بخلاف الجوهر ، وإلاّ لكان المعروف من مقولة الأين بالنسبة إلى العرض مع أنّ وجود العرض لنفسه عين وجوده للغير لا أنّ هناك وجودين وهذا معنى الحلول وهو عبارة أخرى عمّا اشرنا إليه من أنّه نحو وجود المعروف ، فالوجود له ذات ووجود ولو وجوده شؤون وخصائص تسمى بالاعراض وأما الماهية فلا يعرضها إلاّ الوجود ، وأما الزّوجية في الأربعة وما يشابهها فليست عرضاً لماهية ، ضرورة أنّ الأربعة كم منفصل لماهية من الماهيات بل هو تحليل في تحليل في خصوصيات الوجود ولو على سبيل التقدير .

وأما ما توهمه من أنّ الوجود في بعض الموجودات بمقتضى ذاته فمرجه إلى كون الشيء علة لنفسه وأما الواجب تعالى فهذا التعبير بالنسبة إليه جلّ ذكره كساير التعابير ليس على ما توهمه بل مرجعه إلى أنّه تعالى مقدّس عن الوجود الذي هو نقيض العدم ونسبة الوجود إليه تعالى سلب نقص العدم عنه لإثبات الوجود (١) .  
و بالجملة فكون الوجود معلولاً للذات ضروريّ الاستحالة ، فإنّ الفاقد لا يكون معطياً مع أنّ تقدّم الشيء على نفسه أيضاً ضروريّ الفساد .  
وأما الأقدمية بحسب الطبع فهو أيضاً من الأغلاط لما عرفت من أنّه تعالى منزّه عن الطبع .

(١) يعني أنّ وجوده ليس على حدّ وجود سائر الموجودات الممكنة لأنّ الممكنات جميعها تتعلّق في طرف العقل إلى ماهية وجود عارض لها ومن هنا قالوا كلّ ممكن زوج تركيبى بل وجوده عزّ وجلّ نحو آخر من الوجود وهو عين ذاته وليس له ذات غيره بل ماهيته انبثت .  
والحاصل أنّه تعالى كما أنّه منزّه عن الماهية المعروضة للوجود فكذلك منزّه عن الوجود العارض عليها لأنّ الوجود بهذا المعنى مسبوق بالعدم وقد قال أمير المؤمنين (ع) في بعض الخطب المتقدمة: سبق الاوقات كونه والعدم وجوده فوجوده بمعنى آخر فتأمل جيّدًا من الشارح عفى عنه

وأما العقول فعلمي القول بها فلا تقدم لشيء منها على تاليه إلا بالعلية .  
وأما الجوهر فهو تقدم الموضوع على العرض وهونحو آخر من السبق التحليلي وهو عين العروض .

وأما اختلاف حال المجرّد والمادّي فليس مستنداً إلى اختلاف أنحاء الوجود بل إنّما الاختلاف بين الجواهر بالمادية والتجرّد بالذات وإن لم تكن موجودة ، والهيولي مع قطع النظر عن الوجود متميّز عن العقل وغيره من أقسام الجواهر كتميّز ساير الماهيات ، وضعف المادة عبارة اخرى عن كونها مادة محضة في الانفعال ، وهذه جهة ذاتية لا ربط لها بالوجود

وأما ما توهمه من أنّ الوجود الواقع في كلّ مرتبة من المراتب لا يتصور وقوعه في مرتبة اخرى آه فقد أخذه من أهل العلم من حيث لا يشعر ، ضرورة أنّ مقتضى مذهب أئمتهم من أنّ الوجود حقيقة واحدة أنّه لا تميّز بين الوجودات إلاّ بالاعتبار ، فالمراتب إنّما ترتبت باعتبار التّسزلات ، ففي قوسي النزول والصعود تتحرك العين في الوجود ، وهذا ما ذهبوا اليه من الحركة الجوهرية .

مع أنّ هذا مناف لهذا الكلام الذي تقدّم منه من الاختلاف بين العقل والهيولي مثلاً في شدة الوجود وضعفه ، فإنّ هذا إنّما ينطبق على ما ذهبوا إليه من أنّ الأعيان الثابتة ما سمت رايحة الوجود وإنما هي اضافات إرشاقية تختلف قوة وضعفاً باختلاف النزول والصعود والبعد والقرب ، ولهذا كان الناسوت أضعف الدرجات ، لأنّها منتهى قوس النزول واللاهوت أقوى حيث أنّه مبده لهذه الدرجات المتدرّجة . وبالجملة فاستحالة تبدّل الوجودات إنّما تتم على مذهب غير الصوفية ، فإنّ

العرض لا ينتقل ، وإنّما يتمّ هذا فيما لم يكن وجود في طول الآخر ، وأمّا في السلسلة الطولية فهو غلط صرف ، فشيء من الشخصين لا يتبدّل بالآخر كما أنّ الحمار أيضاً لا يتبدّل بالإنسان ، وأمّا النطفة فتكون علقة ومضغة وحيوانا وإنساناً وليس هذا من تبدّل الصّورة مع بقاء الهيولى ، وكذا الحال في تبدّل العناصر بعضها ببعض على



ماهو التحقيق ، فانه من تبدل وجود بأخر بمعني الترقی والصعود كما أن مراتب الفناء دركات النزول ، ولتحقیق هذه المسائل مقام آخر ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .  
وقال السيد محمد قطب السلسلة الذهبيّة في نظمه :

زعموا الوجود مشككاً سبحانه عن اشتراك وضيعها وشريفها  
في الاشتراكين التزام ضلالة قدضاع في نهج الهدى تقطيعها، هذا.  
وربما اعترض على القول بالتشكيك بامتناعه في الذاتيات ، و أجاب عنه  
القيصري في شرح الفصوص بالاطائل تحته ولا بأس بنقل كلامه وتعقيبه بما يتوجه  
عليه من النظر.

قال : وما يقال إن الوجود تقطع على أفراده لاعلى التساوى ، فانه يقع  
على العلة و معلولها بالتقدم و التأخر ، وعلى وجود الجوهر و العرض بالأولوية  
وعدمها ، وعلى وجود القار و غير القار بالشدة و الضعف ، فيكون مقولاً عليها بالتشكيك  
وما هو مقول بالتشكيك لا يكون عين ماهية شيء ، ولا جزئه .  
إن أراد وابه أن التقدم و التأخر والأولوية و عدمها و الشدة و الضعف باعتبار  
الوجود من حيث هو هو ، فهو ممنوع لكونها من الامور الاضافية التي لا يتصور إلا  
بنسبة بعضها إلى بعض ، ولأن المقول على سبيل التشكيك باعتبار العموم والكليّة  
والوجود من حيث هو هو لاعام و لا خاص .

وإن أراد وابه أنها يلحق الوجود بالقياس إلى الماهيات ، فهو صحيح لكن  
لا يلزم أن يكون الوجود من حيث هو مقولاً عليها بالتشكيك إذ اعتبار المعروضات  
غير اعتبار الوجود .

وذلك بعينه كلام أهل الله لأنهم ذهبوا إلى أن الوجود باعتبار تنزله في  
مراتب الامكان و ظهوره في خطائر الامكان و كثرة الوسائط يشتد خفاؤه ، فيضعف  
ظهوره و كمالاته و باعتبار قلتها يشتد نوريتها و يقوى ظهوره ، فيظهر كمالاته و صفاته  
فيكون إطلاقه على القوى أولى من إطلاقه على الضعيف ، انتهى .

وفيه ان الماهية مع قطع النظر عن الوجود و كذا الوجود مع قطع النظر

عن الماهية لايحكم عليهما بحكم لما عرفت من أنّهما تحليليّان لأمران متغايران ،  
فالشدة والضعف إنّما تعرضان الوجود الحقيقي الواحد للماهية ، لا المتسلخ عنها  
فالماهية يشتمد وجودها المنظم اليها

وما نسجته هذه الطائفة من أنّ الوجود هو الحقّ وأنّ الماهيات مظاهر ومجالى  
وأنّ الاختلاف إنّما هو في الدرجات التجليّ بحسب القرب والبعد وقلة الوسائط  
وكثرتها ، ممّا ليس له معنى محصّل .

وبالجمله فقد تحصّل ممّا ذكرنا كلّهُ أنّ وجوده تعالى مغاير لوجود غيره  
مباين له ، واتصافه بالوجود ليس كاتصاف غيره به إذ الوجود الذي له تامّ فوق  
التّمّام واتصافه به بمعنى أجلّ وأشرف وأعلى من أن يبلغه العقول والأوهام كما  
قال أمير المؤمنين عليه السلام في الفصل الثاني من الخطبة الأولى : الذي لا يدرّكه بعدالهمم  
ولا يناله غوص الفطن .

بل قد قال بعض المحقّقين : إنّ وصفه تعالى بالوجود من ضيق العبارة ، وإنّ  
معنى قولنا إنّهُ موجود إنّهُ ليس بعدم ولا معدوم فيكون مرجع اتصافه به إلى سلب  
العدم عنه لا اثبات الوجود الذي هو نقيض العدم له ، فأنّه تعالى منزّه عن ذلك ،  
لأنّ الوجود الذي هو نقيضه حدّه واقع في طرفه وقباله .

كما يتّضح ذلك بقولنا مثلاً خرج الشيء من العدم إلى الوجود ومن الوجود  
إلى العدم ، فإنّ الوجود والعدم متناقضان متقابلان صار كلّ منهما حدّاً للآخر  
وفي قبالة وطرفه ، والله سبحانه لما كان منزّهاً عن الحدود لا يمكن اتصافه بالوجود  
الذي هو حدّ العدم وطرفه .

ويوضح ذلك قوله عليه السلام في المختار المائة والخامس والثمانين : سبق الأوقات  
كونه والعدم وجوده ، وأيضاً الوجود الذي هو نقيض العدم إنّما يتصور فيما يتصور  
فيه العدم كالماهيات والله عزّ وجلّ منزّه عن الماهية وعن عوارضها .

والحاصل أنّ وصفه بالوجود كوصفه بسائر أوصاف الجمال مثل قولنا : إنه  
عالم أي ليس بجاهل ، وقادر أي ليس بعاجز ، وهكذا .

و أما غيره تعالى من الموجودات الممكنة فانما يتصف بالوجود المقابل للعدم المناقض له لكونه ذي ماهية مشخصة لوجوده كما أن وجوده كان مشخصاً له فان الشيء مالم يتشخص لم يوجد ومالم يوجد لم يتشخص .

وبعد هذا كله فكيف يزعم العاقل اتحاد وجود المخلوقات الذي هو من البديهييات الأولية على ما قيل مع وجود الخالق الذي إذا حاول الفكر المبرم من خطرات الوسواس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولمت القلوب إليه لتجرى في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته رجعت إذا جبهت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا يخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته ، فتعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

### و أما الدليل النقلي

فهو جميع الأخبار والأحاديث الدالة على تقديسه و تنزيهه عن التشبيه والتحديد ، والمفيدة لمغايرته لمخلوقاته ومباينته إياهم بنفس ذاته الأقدس ووجوده الأجل الأشرف الأعلى .

وأكثرها احتواءً لذلك خطب أمير المؤمنين الواردة في مقام التوحيد المتقدم في تضاعيف الكتاب ، ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما تقدم منه في الباب تذكرة وذكرى وما يذكر إلا لاول الألباب .

فمنه قوله عنه : في الفصل السادس من المختار الأول :

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة .

فان قوله عنه : موجود لا عن عدم نص صريح في أن وجوده ليس مثل وجود ساير موجودات المسبوق بالعدم المناقض له كما أن اثبات مغايرته لكل شيء ونفي مقارنته له صريحان في عدم الاتحاد والوحدة بل قوله : مع كل شيء أيضا لا يخلو عن الدلالة ، لأن المعية مقتضية للائتمانية المنافية للوحدة والعينية كما لا يخفى . ومحصل الجميع مباينة الحق للخلق بذاته و كونه معهم بالعلم والاحاطة

والقيومية والعلية فان المعلول لا يغيب عن علته .

ومنه قوله **عَلَى** فى المختار الرابع والستين :

لم يُحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم يمتأ عنها فيقال هو منها بائن .  
فان الفقرة الأولى صريحة فى أبطال الحلول والاتحاد كما هو مذهب قدماء  
الصوفية على ما حكينا عنهم سابقا ، والمراد بالفقرة الثانية نفى المباينة المتموّرة  
بين المتباينين المتباعد أحدهما عن الآخر ، فلا تنافي ما قد مناه من بينوته لها لذاته من  
أجل تنزّهه عن الحدّ و كونها مشتملة على الحدود مع قربه لها بالعلم و الاحاطة  
والافضال والرّحمة .

ومنه قوله **عَلَى** فى الفصل الثانى من المختار التسعين :

كذب العاد لون ( ١ ) بك إذ شبههوك بأصنامهم ومحلوك حلية المخلوقين  
بأوهامهم « إلى ان قال « فاشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعاذل  
بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك و نطقته عنه شواهد حجج بيّناتك .  
فانه كساير الأخبار المتواترة والآيات القرآنية فى كفر من شبهه عز وجلّ  
بالأصنام و زينه بزينة المخلوقات فكيف المتصوّفة الجاعلون إياه سبحانه عين  
الأصنام والمعتقدون أن هويته سارية فيها و ان وجودها عين وجوده الظاهر فى  
صورة الصنميّة و أنّها مجالى و مظاهر له و أن العبادة لها عبادة له تعالى عمّا  
يقول الملحدون علوا كبيرا .

**ولعلك** إذا سمعت نسبة هذا القول والاعتقاد منّا إلى هذه الطائفة الضالّة  
المضلّة نسبتنا إلى العصبية والعناد ، و بادرت إلى تكذيبنا و قلت كيف يمكن أن  
يعتقد هؤلاء مع كونهم من المسلمين المؤمنين على خلاف ما هو من ضروريات  
الدين بل ما هو أساس الدين و أصله أعنى توحيد الرّب و تفريده بالمعبودية الذى  
لم يكن بعث الأنبياء والرسل وانزال الكتب والصحف و تشريع الشرايع والأديان  
من لدن زمن آدم **عَلَى** إلى آخر الزّمن من إلا لأجله .

فان شئت أن تعرف صحة هذه النسبة وتعلم حقيقتها بعلم اليقين فاستمع لما يتلى عليك من كلام قطب أقطابهم الزنديق اللعين ابن العربي محيي الدين في الفصوص ومن كلام الفيضى في شرحه.

**قالا** في الفصّ الهاروني بعد ما ذكرنا غضب موسى عليه السلام على أخيه هارون لما شاهد من قومه عبادة العجل ما صريح عبارتهما :

«ثم قال هارون لموسى إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل فتجعلني سبياً في تفريقهم فان عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسامرى وتقليداً له و منهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه في ذلك فخشى هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه وكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل»

أى علم موسى ما اللذى عبده أصحاب العجل في الحقيقة «لعلمه بأن الله قضى ألا تعبد إلاّ إياه» كما قال تعالى: و قضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه.

«وما حكم الله بشيء إلاّ أوقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه» أى كان عتب موسى أخاه هارون لأجل إنكاره عبادة العجل وعدم اتساعه قلبه لذلك .

« فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فكان موسى يربى هارون تربية علم».

واعلم أن هذا الكلام وإن كان حقاً من حيث الباطن لكن لا يصح من حيث النبوة والظاهر ، فان النبى يجب عليه إنكار العبادة للأرباب الجزئية كما يجب عليه إرشاد الأمة إلى الحق المطلق ، و لذلك أنكر جميع الأنبياء عبادة الأصنام و إن كانت مظاهر للهوية الالهية ، فانكار هارون عبادة العجل من حيث كونه نبياً حقاً إلاّ أن يكون محمولا على أن موسى علم بالكشف أنه ذهل عن شهود الحق الظاهر في صورة العجل ، فأراد أن ينبئه على ذلك و هو عين التثبية والإرشاد منه عليه السلام وانكاره على السامرى وعجله على بصيرة، فان أنكار الأنبياء والأولياء لعبادة الأصنام التي هي المظاهر ليس كانكار المحجوبين فانهم يرون الحق مع كل شيء بخلاف غيرهم

بل ذلك لتخليصهم عن التقيّد بصورة خاصّة و تجلّى خاصّ إذ فيه إنكار باقى المجالى وهو عين الضلال.

«و لذلك» أى ولأجل أنّه كان مرّياً لهارون «لما قال له هارون ما قال رجوع إلى السامرى فقال له فما خطبك يا سامرى» أى ماشأناك و ما مرادك ، يعنى فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص وصنعك هذا الشبح من حلى القوم و تركك الاله المطلق .

«و فغلبت عليه الغيرة فحرّقه ثمّ نسف رماد تلك الصوّرة فى اليمّ نسفاً وقال له انظر إلى إلهك فسمّاه إلهاً بطريق التّشبيه للتّعليم» أى نبّه أنّه مظهر من المظاهر ومجلى من مجاليه - إلى أن قال:

«فكان عدم قوّة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ فى أصحاب العجل بالتّسليط على العجل كما سلط عليه موسى حكمة من الله ظاهرة فى الوجود ليعبد فى كلّ صورة و إن ذهبت تلك الصوّرة بعد ذلك فما ذهبت إلّا بعد ما تلبّست عند عابدها بالالوهيّة»

أى عدم تأثير هارون فى منعهم عن عبادة العجل أو عدم تسلّطه عليهم كما تسلّط عليهم موسى كان حكمة من الله ظاهرة فى الوجود الكونى فيكون معبوداً فى صور الأكوان كلّها وان كانت هذه الصورة ذاهبة فانية لأنّ ذهابها وفنائها إنّما هو بعد التّلبّس بالعبودية عند عابدها .

«ولهذا» أى ولأجل أنّه أراد أن يعبد فى كلّ صورة «ما بقى نوع من الأنواع إلّا و عبد إمّا عبادة تأله ، أو عبادة تسخير فلا بدّ من ذلك لمن عقل ، أمّا العبادة بالالهيّة كهعبادة الأصنام و غير ذلك من الشمس والقمر والكواكب والعجل ، وأمّا العبادة بالتّسخير فكما يعبدون الأموال و أصحاب البجاه والمناصب ، إلى أن قال بعد جملة من ترّهاته:

«والعارف المكتمل من رأى كلّ معبود مجلى للحقّ يعبد فيه و لذلك» أى ولأجل أنّ الحقّ هو الذى ظهر فى ذلك المجلى وعبد «سمّوه كلّهم إلهامع اسمه

الخاص بحجر أو حيوان أو شجر أو انسان أو كوكب أو ملك أو فلك هذا اسم الشخصية فيه والالوهية مرتبة تخيل العابد له، أي لمعبوده «إنّهم تبة معبوده الخاص وهي على الحقيقة مجلى للحق» انتهى كلامهما هبط مقامهما ببعض تايخيص منّا.

ومحصّل كلامهما كما ترى أنّ الأصنام جميعاً مجالى الحقّ ومظاهرة بل هي عين الحقّ بل الأشياء جميعاً مظاهره ومجاليه وعبدّة الأوثان والأصنام وكذلك العابدون للشمس والقمر والكواكب والشجر والحجر والنار والعجل، وكذلك عبادة المدّعين للالوهية من فرعون وشداد، وكذلك المنقادين للجبابرة وسائر الظلمة من أرباب الجاه والمناصب المسلطين على الرعية كلّهم جميعاً عابدون لله تعالى لأنّ هذه المعبودات كلّها هو الحقّ ظهر في هذه المظاهر وتصور بهذه الصور المختلفة فهي على كثرتها ليست في الحقيقة إلاّ واحداً.

ومنع الأنبياء والأولياء من عبادة الأصنام لم يكن من حيث إنّه عبادة باطلة مبغوضة لله تعالى بل من أجل حصر العابد للمصنّم أو الشجر أو الحجر مثلاً عبادته في هذا المعبود الخاص، فبعث الله الأنبياء ليرشدوا امتهم ويعلموهم أنّ الله شاء وقضى أن يعبد في كلّ صورة ومجلى، وأنّ المجالى كلّها إله فليس لكم أن تقصروا عبادتكم بمعبود خاصّ وتخصّصوه به وتتخذوه إلهاً دون غيره.

ومن هذا الباب كان غضب موسى على هارون فأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كان أعلم منه وكان يعلم أنّ الله شاء أن يعبد في كلّ صورة حتّى صورة العجل وما شاءه وقضاه عزّ وجلّ لأبد من وقوعه لامحالة وكان هارون لا يعلم ذلك ولذا أنكر على قومه عبادته فعتب موسى عليه لأجله ونبّه على عدم اتّساع قلبه وعلى غفلته وذمّه عن حقيقة الأمر والحاصل إنّ الأنبياء إنّما بعثوا ليأمروا امتهم بعبادة كلّ شيء من صنم أو غيره وليردعوهم عن قصر عبادتهم بشيء مخصوص معين فقط. وقد أوضح الرّجس الخبيث هذا الغرض في بعض فقرات الفصّ التّوحى.

قال في جملة ما نقل من كلام نوح وقومه: «ومكروا مكراً كبتاراً لأنّ الدّعوة إلى الله مكراً بالمدعو لأنّه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية فهذا عين المكّر على بصيرة فنبتّه أنّ الأمر له كلّه فأجابوه مكراً كما دعاهم».

قال شارحه القيصري : إى لمّا مكر نوح معهم مكرّوا مكرّاً كَبَّاراً في جوابه وذلك لأنّ الدّعوة إلى الله مكر من الداعي بالمدعو ، لأنّ المدعو ما عدم الحق من البداية حتى يدعى إليه في الغاية لأنّه مظهر هويته في بعض مراتب وجوده فالحقّ معه بل هو عينه فالداعي إذا دعى مظهرّاً ما يملك به فانه يريد إنّ الحق ليس معه أو هو غيره وهو عين المكر .

لكن مثل هذا المكر من الأنبياء إنّما هو على بصيرة كما قال : أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، أى يعلم النبيّ أنّه مظهر هوية الحقّ لكن يدعو له ليخلصه عن القيود و ترتفع عنه الحجب الموجبة للضلالة فيرى ذاته مظهرّاً للهوية و يشاهد جميع الموجودات مظاهر للحق و يعبدّه بجميع أسمائه و صفاته كما عبده من حيث اسمه الخاص ، و فاعل نبيه ضمير يرجع إلى نوح أو إلى الحقّ أى نبههم على أنّ الملك كله لله ليس كما تخيلوا أنّه لهم .

قال « فقالوا في مكرهم لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق و نسراً فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحقّ على قدر ما تركوا من هؤلاء فإنّ للحقّ في كلّ معبود وجهاً يعرفه من عرفه و يجهله من جهله فالعالم يعلم من عبد و في أى صورة ظهر حتى عبد ، وأنّ التفريق والكثرة كالاعضاء المحسوسة و كالتقوى المعنوية في الصورة الروحانية .

قال الشارح القيصري : فالعالم بالله ومظاهرة يعلم أنّ المعبود هو الحقّ في أى صورة كانت سواء كانت حسّية كالأصنام أو خيالية كالجنّ أو عقلية كالملائكة و يعلم أنّ التفريق و الكثرة مظاهر لأسمائه و صفاته وهى كالأعضاء في الصورة الانسانية ، فانّ العين مظهر للابصار و الاذن للسمع و الانف للشّمّ و اليد للبطش ، و كالتقوى الروحانية كالعقل والوهم والذاكرة والحافظة والمفكرة و المتخيلة فانها كلّها مظاهر لصفات الرّوح ، انتهى .

و محصّل كلامهما أنّ قوم نوح في عبادتهم للأصنام كانوا محقّقين لكونها مظاهر الحقّ كما أنّ العابدين لها كذلك لأنهم أيضاً كانوا مظهر الحقّ و كان



الحقّ معهم بل هو عينهم و كان نوح أيضاً يعلم أنهم على الحقّ إلا أنه أراد على وجه المكر والخديعة أن يصرّفهم عن عبادتها إلى عبادته .

و إنما كان هذا مكرّاً منه عليه السلام لأنه كان يقول لهم ما لم يكن معتقداً به ويموء خلاف ما أضمره و اعتقده إذ كان عالماً و على بصيرة من ربه بأن الأصنام مظاهر الحقّ و عبادتها عبادته إلا أنه عليه السلام أراد أن يخلّصهم من القيود حتى لا يقصروا عبادتهم فيها فقط ، بل يعبدوه في كلّ معنى و صورة .

ولما شاهد القوم منه ذلك المكر أنكروا عليه وأجابوه بما هو أعظم مكرّاً وأكبر من مكره فقالوا لا تتركوا آلهتكم إلى غيرها ، لأنّ في تركها ترك عبادة الحقّ بقدر ما ظهر فيها وقصر عبادته في سائر المجالي وهو جهل و غفلة لأنّ للحقّ في كلّ معبود وجهاً يعرفها العارفون سواء كان ذلك المعبود في صورة صنم أو حجر أو شجر أو بقراً أو جن أو ملك أو غيرها .

هذا محصل كلام هذين الرجسين النجسين النجسين و كم لهما في الكتاب المذكور من هذا النمط والاسلوب ، وسنشير إلى بعضها فيما سيأتي ، فلينظر المؤمن الكيس البصير إلى أنهما كيف هوّها الباطل بصورة الحقّ و أوّلا كلام الله بآرائهم الفاسدة وأحلامهم الكاسدة على طبق عقايدهم الباطلة ، وقد قال النبي ﷺ المختار من فسّر القرآن برأيه فليبوء مقعده من النار .

و لعمري أنهما و من حذاخذ وهما حزب الشيطان و أولياء عبدة الطاغوت والأوثان ، ولم يكن غرضهما إلاّ تكذيب الأنبياء والرسل وما جاؤا به من البيّنات والبرهان وهدم أساس الاسلام والايمان و إبطال جميع الشرايع والأديان ، و ترويج عبادة الأصنام وجعل كلمة الكفر العليا و خفض كلمة الرحمن .

و اقسام بالله الكريم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم إنهم المصدق الحقيقى لقول أمير المؤمنين عليه السلام في المختار السابع : اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً واتخذهم له أشراكاً فباض و فرخ في صدورهم و دبّ و درج في حجورهم فنظر بأعينهم و نطق

بألسنتهم فر كُتِبَ بهم الزَّلْزَلُ وزَيْنَ لهم الخطل فعل من شرَّكه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه .

ومع ذلك فالعجب كلَّ العجب أنهم يزعمون أنهم الموحِّدون العارفون الكملون وأنَّ غيرهم لمحبوبون و بالحقَّ جاهلون، بل يترقى بعضهم ويدعى الولاية و القطبية و يطفى آخرون فيدعون لأنفسهم الالهوية والرَّبوبية و يزعمون أن ربهم تجلَّى فيهم وظهر في صورهم المنحوسة .

فيقول ابن العربي في فتوحاته : إِنَّ الله تجلَّى لى مراراً وقال : انصح عبادي ويقول البسطامي : سبحاني و ما أعظم شأنى و لا إله إلاَّ أنا ، و يقول الحلاج : ليس في جيبتي سوى الله ، و يقول : أنا الحقُّ وأنا الله .

وبعضهم يبلغ الغاية و يجاوز النهاية فيقول و يهجر ، و يتكلم تكلم المجنون الذى لا يشعر ، فيخاطب الرَّبَّ عزَّوجلَّ و العياذ بالله مخاطبة الموالى للعبيد وهو قطبهم أبويزيد .

فقد نقل عنه القيصرى في شرح الفصِّ النوحى أنَّه قال في مناجاته عند تجلَّى الحقِّ له : ملكى أعظم من ملكك لكونك لى وأنا لك فأنا ملكك وأنت ملكى وأنت العظيم الأَعظم وملكى أنت فأنت أعظم من ملكك وهو أنا .

فلينظر الماقل إلى مهملات هذا الجاهل، ثمَّ لينظر إلى سوء أدبه وقبح خطابه ومناجاته حيث لم يرفع يده عن الانانيَّة فعبس بلفظ أنا وأنت غير مرَّة في مثل هذا المقام الذى هو مقام الفناء والتجلَّى على زعمهم و كيف يجتمع ذلك مع قولهم السائر :

بينى وبينك اننى ينازعى      فارفع بلطفك اننى من البين

و انما أطنبنا الكلام في المقام تنبيهاً على ضلالة هذه الجهلة الذين زعموا أنَّهم من أهل الكشف والشهود واليقين والموحِّدين المخلصين مع أنَّهم من الضالين المكذِّبين للأنبياء والمرسلين ، و تعالى الله عما يقول الظالمون و الملحِّدون علواً كبيراً .

ومنه

قوله **تَجَلَّى** في الخطبة المائة والثانية والخمسين :

الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزلّيته وباشتباههم على أن لا شبه له ، لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السّواتر ، لافتراق الصّانع والمصنوع ، والحادّ والمحدود ، والرّبّ والمربوب « إلى أن قال » ، والبائن لا يتراخي مسافة ، والظاهر لا برؤية ، والباطن لا بلطافة ، بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرّجوع إليه ، من وصفه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه .

وقد مضى شرح هذه الفقرات في محلّها وأقول هنا إن فيها جوها من الدلالة على بطلان مذهب هذه الملاحدة .

أولها قوله : لا تحجبه السّواتر آه .

فإنّ هذه الطائفة زعمت أنّه سبحانه وتعالى احتجب في مخلوقاته و سرت هويته فيها وصارت صور الموجودات حجاباً ساتراً له .

ويوضح ذلك ما قاله ابن الأعرابي في الفصّ الإبراهيمي من الفصوص « اتّما سمى الخليل ﷺ خليلاً لتخلّله وحصره جميع ما اتّصفت به الذات قال الشّاعر .  
قد تخلّلت مسلك الرّوح منّي      وبه سمى الخليل خليلاً  
كما يتخلّل اللون والمتلون      وتخلّل الحقّ وجود صورة إبراهيم وكلّ حكم يصحّ  
من ذلك ،

قال القيصري : أي سمى الخليل خليلاً لتخلّله كما سمى الخمر خمراً لتخميره العقل وتخلّله ﷺ عبارة عن سريانه في المظاهر الالهية والصفات الربوبية كسريان هويّة الحقّ فيها من حيث اسمه اللطيف ولكون اسم التخلّل هنا مجازاً عطف عليه قوله وحصره جميع ما اتّصفت به الذات الالهية وهو الصفات الشبوتية الحقيقية .

و المراد بالروح في البيت المستشهد الرّوح الحيواني أي سريت في ذاتي و قلبي كسريان الرّوح الحيواني في مسالكه فأورد مثالين أحدهما عقلي كقول الشّاعر لأنّ تخلّل عشق المحبوب مسالك الرّوح من المحبّ العاشق عقلي ،

والآخر حسى كقوله كما يتخلل اللون المتلون أى يتخلل الخليل الذات الالهية بالاختفاء فيها والاتصاف بصفاتهما كما يتخلل اللون المتلون بسريانه في جميع اجزاء المتلون بحيث يكون هو هو في الحس بحيث لا يفرق بينهما بالاشارة الحسية فيكون مكانه عين مكان المتلون ولا يكون بينهما امتياز في الحس .

وقوله: ولتخلل الحق عطف على قوله ولتخلله وحصره أى سمى الخليل خليلاً لتخلله ولتخلل الحق بظهور الهوية و سريانها في وجود إبراهيم في الخارج وعينه في العلم، وفي كل حكم يصح من ذلك الوجود من الصفات والكمالات اللازمة لتعيينه والمراد بالصورة عينه الخارجي .

ثم قال في المتن والشرح « اعلم انه ما يتخلل شيء شيئاً إلا كان محمولاً فيه ، لأن المتخلل هو الذي ينفذ في الشيء، ويدخل في جوهره فالداخل محمول ومستور فيه والمدخول فيه حامل له وظاهره .

« فالمتخلل اسم فاعل محجوب بالمتخلل اسم مفعول فاسم المفعول هو الظاهر واسم الفاعل هو الباطن المستور وهو غذاء له كالماء يتخلل الصوفة فتربوه وتوسع فان كان الحق هو الظاهر فالخلق مستور فيه فيكون الخلق جميع اسماء الحق سمعه وبصره وجميع نسبه وادراكاته وإن كان الخلق هو الظاهر فالحق مستور باطن فيه فالحق سمع الخلق وبصره ويده ورجله وجميع قواه كما ورد في الخبر الصحيح .

قال القيصري أى ما دخل شيء في شيء إلا كان الداخل مستوراً في المدخول فيه ، فالمتخلل الذي هو اسم الفاعل أى الداخل محجوب مستور في المتخلل الذي هو اسم المفعول أى المدخول فيه فالمدخول فيه هو الظاهر والباطن ، والظاهر إنما يغتذي من الباطن لأن الفيض عليه لا يحصل إلا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه ووجوده .

وإذا كان الأمر كذلك لا يخلو إما أن يكون الحق ظاهراً والخلق باطناً أو بالعكس ، فان كان الحق ظاهراً أى محسوساً بتجليه في مرتبة من مراتب الاسم الظاهر فالخلق مستور فيه وباطنه فيكون الخلق جميع أسماء الحق و صفاته من

السمع والبصر والارادة وغيرها وجميع النسب التي هي تلحقه بالحق شرعاً وإن كان الخلق هو الظاهر في مرآت الحق فالحق مستور فيه وباطنه فالحق سمع الخلق وبصره وجميع قواه الباطنة ، وهذا نتيجة قرب النوافل ، والأول نتيجة قرب الفرائض وإنما جاء باليد والرجلين اللذين من الظاهر مع أن كلامه في الباطن لورود الخبر المصحح كذلك وفي الحديث دليل على أن الحق عين باطن العبد وعين ظاهره ، انتهى كلامهما هبط مقامهما .

و محتمل ما قاله كما ترى : كون الخلق حجابا للخالق و الخالق حجابا للخلق ، و كون كل منهما عين الآخر و محجوباً به ، قد أبطله أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : لا تحجبه السواتر ، معللاً بافتراق المانع و الممنوع و الحاد و المحدود و الرب و المربوب ، و المفترقان كيف يكون أحدهما عين الآخر على ما توهمه هؤلاء الجهلة .

و العجب أن الكتاب و السنة بل جميع الأنبياء و المرسلين ينادون بأعلى أصواتهم و جمهورى أقوالهم بتوحيد الخالق و التفريق بينه و بين خلقه ، و هؤلاء الملاحدة وقفوا في قباهم و بالغوا في مقام الإنكار و المكابرة و المعارضة ، وأصرّوا في جعله عينه زاعمين أن ذلك عين التوحيد مع أنه عين الالحاد و الجحود و التشريك ، هذا .

مع ما يتوجه على ما قاله من وجوه الكلام و ضروب الملام .

أمّا أولاً فلأن نسبة إبراهيم عليه السلام ليس من أجل تخلّله في وجود الحق و تخلّل الحق فيه ، بل لأجل كماله في مقام الخلّة وهي المودة و الصداقة ، و الخلّ و الخليل المديق المختص ، فلاجل مزيد اختصاصه به و كرامته لديه سمى خليلاً ، ولو كان تسمية الخليل بهذا الاسم من أجل التخلّل في الوجود لما صح إطلاقه على سائر الأخلاء إلا بالمجاز ، لأن المعنى الحقيقي أعني تخلّل كل من الخليلين في وجود الآخر غير متصور ، فلا بد من ارتكاب المجاز و المصير إلى أن مودة كل منهما بلغت الغاية بحيث تخلّلت القلب و صارت خلاله و باطنه ، و بعد البناء على المجاز

فقيما نحن فيه أيضاً كذلك ، فيراد به مزيد الاختصاص لاستلزام كمال المودة ذلك وأما ثانياً فلأن البيت لاشاهد فيه على ما ادّعى ، إذ المراد به المبالغة في تخلل محبة محبوبه في قلبه بتشبيهها بتخلل الروح ، وليس المراد تخلل نفس المحبوب في ذاته كما قال : وبذلك السبب سمي الخليل خليلاً لكون محبته داخلية في قلب خليله ، مضافاً إلى أنه لا دلالة في البيت على أنه أراد بالخليل إبراهيم حتى يستشهد به على المدعا .

وأما ثالثاً فلأن وجه التسمية لو كان مازعم لما اختص الخليل ﷺ بالخلّة إذ على أصله الفاسد جميع المخلوقات متخللة فيه وهو متخلل فيها لكونها جميعاً مجاليه ومظاهره ، وقد صرح بذلك أيضاً أخيراً بقوله : فالمتخلل محجوب بالمتخلل إلى آخر كلامه ، وعلى ذلك فيكون الله سبحانه وتعالى خليل جميع الموجودات من الانسان والحيوان وغيرهما بجميع أنواعها وأصنافها ، وكذلك جميع الموجودات حتى الكلاب و الخنازير و العياذ بالله ثم العياذ بالله خليلاً له ، أفيرضى السفيه بهذا الاعتقاد فضلاً عن العاقل ؟!

وقد صرح بالعموم أيضاً في الفصّ الاسماعيلي بقوله :

« فلانتظر إلى الحق فتعريه عن الخلق ولا تنظر إلى الخلق وتكسوه سوى الحق »  
قال القيصري : أي لا تنظر إلى الحق بأن تجعله موجوداً خارجياً مجرداً عن الأكوان منزهاً عن المظاهر الخلقية عارياً عنها وعن صفاتها ، ولا تنظر إلى الخلق بأن تجعله مجرداً عن الحق مغايراً له من كل الوجوه وتكسوه لباس الغيرية وقد قال تعالى : وهو معكم أينما كنتم ، بل انظر إلى الحق في الخلق لترى الوحدة الذاتية في الكثرة الخلقية وترى الكثرة الخلقية في الوحدة الذاتية .  
وأما رابعاً فلأن قوله : فاسم المفعول هو الظاهر واسم الفاعل هو الباطن المستور وهو غذاء له ، فيه إنا لم نر إلى الآن في آية ولا رواية ولا في كلام حكيم أو متكلم أو محدث أو فقيه ولا عاقل ولا سفيه غير هذا المعنوه اطلاقاً أن الله غذاء للخلق والخلق غذاء الله ، مضافاً إلى فساده في نفسه لأنّ الغذاء بالمعنى الحقيقي

مستحيل ارادته ، و إن اريد به المجاز على وجه الاستعارة حسبما تمحله القيصرى وأشار إليه في قوله: والظاهر أنّما يفتدى من الباطن لأنّ الفيض عليه لا يحصل إلاّ منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده ، فبعد تسليم صحّة هذا التجوّز والغضّ عن استكراه الذوق السليم له واستهجانه عنده ، فيه أنّه إنّما يستقيم إذا كان الباطن المستور هو الحقّ لا الخلق ، وإلّا فيلزم افتقار الحقّ سبحانه و تعالى إلى الخلق في قوامه ووجوده وهو محال كما هو ظاهر .

وقد فصلّا غذائية كلّ منهما للآخر في النصّ اللقمانى قال فى المتن :

« إذا شاء الا له يريد رزقاً له فالكون أجمعه غذاء ،

« وإن شاء الا له يريد رزقاً لنا فهو الغذاء كما يشاء ،

قال الشّارح : أى إذا تعلقّت مشيئته بأن يريد له رزقاً فالكون بأجمعه غذاء له ، و قد تقدّم أنّ الحقّ من حيث أسمائه و صفاته لا يظهر فى الشهادة إلاّ بأعيان الأكوان ، و إن كان من حيث ذاته مع قطع النظر عن الظهور والبطون والأسماء والصفات غنيباً عن العالمين ، فالأعيان غذاء له من حيث إظهارها إيّاه ومن حيث فنائها واختفائها فيه ليظهر بوحده الحقيقتية كفاء الغذاء وانعدامها واختفائها في المغتذي وإن كان باعتبار آخر هو غذاء للأعيان .

وإليه أشار بالبيت الثاني وذلك لأنّ الغذاء هو ما يغتذي في عين المغتذي ويظهر على صورته ليقوم به والهويّة الالهية هي التي تختفى في أعيان الخلايق وتصير ظاهرة بصورتها مقومة لها ، فهي غذاء للأعيان ونسبة الاغتذاء والرّزق إليه مع أنّه يطعم ولا يطعم ونسبة كونه غذاء لنا بعينها كنسبة بعض الصفات الكونية إليه بقوله: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، ومرضت فلم تعدنى ، وأمثال ذلك ممّا جاء في الشّرع .

وهذه النسبة أيضاً من باطن الشّرع فإنّ النبيّ ﷺ أعطى الكتاب وأمر باخراجه إلى الخلق فلا ينبغي أن يسىء أحد ظنّه من المؤمنين في حقّ الأولياء والكاملين في أمثال هذه الأشياء ، انتهى .

ومقتضى ما ذكرناه من كون الكون بأجمعه غذاء له وبالعكس أن الكلاب والخنازير والميتة ونحوها غذاء له سبحانه وهو غذاء لها إن هو إلا كفر صريح وإلحاد صحيح .

وما اعتد به الشارح من ورود أمثال ذلك في الشرع فيه إنما تابعون للشرع فإذا ورد في الشرع وصفه ببعض الصفات الكونية فنحن أيضا نصفه به لثبوت الاذن فيه من الشارع ونؤوِّله على وفق الاصول الشرعية ، وأما ما لم يثبت الاذن فيه فنضربه على الجدار فضلا عما علم بطلانه وفساده من العقل والشرع .

وأما قوله : وهذه النسبة أيضا من باطن الشرع فإن النبي اعطى الكتاب و امر باخراجه إلى الخلق ، فأشار به إلى ما ذكره في ديباجة الفصوص بقوله : فأنني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم لسنة سبع وعشرين و ستّمائة بمحروسة دمشق ويده كتاب فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم خذهُ واخرج به إلى الناس ينتفعون به، انتهى .

ولعمري إن هذه الرؤيا إما إفك و افتراء لا أصل لها أصلا وإنما نسجتُها من تلقاء نفسه لثفتين مردته الحمقاء وترويج كتاب ضلاله ، أو أضغاث أحلام نفثها الشيطان في روعه وألقاها في امنيته وكيف يمكن أن يؤتبه النبي كتاباً فيه هدم أساس دينه وتخريب بنيان مذهبه وملمته .

وأما خامسا فلأن قوله: فالحق سمع الخلق وبصره ويده ورجله وجميع قواه كما ورد في الخبر الصحيح فيه إن هذا الخبر الذي استند إليه هنا وجعله سند مذهبه الفاسد في مقامات كثيرة من كتابه قد قدمنا روايته في ذيل الدليل العقلي وأوردنا في تأويله وجوها عديدة موافقة لأصول المذهب ونقلنا عن المحدث العلامة المجلسي هناك أن حملته على ظاهره كما ذهب إليه هذه الطائفة المبتدعة كفر صريح وشرك قبيح .

وأقول هنا : إن أظهر الوجوه المحتملة في معناه هو الوجه الأخير المتقدم ثمة ومحصله أن العبد إذا تقرّب إلى ربه بالفرايض والنوافل صار مقرّباً لديه



ومحبوا إليه ، فيفاض عليه التوفيقات الربانية ويحيط به الألفاظ الالهية فلا يشاء إلا أن يشاء الله ، ولا يصرف حواسه ومشاعره إلا بما فيه رضا مولاه ، وبإزاء ذلك من انهمك في الشهوات و غمر في بحر السيئات والخطيئات فيحيط به الخذلان ويكون قلبه عش الشيطان فلا يصرف مشاعره وقواه إلا بما فيه رضا فيشر كه في سلطانه وينطق بالباطل على لسانه .

والحاصل أن مساق هذه الرواية في حق عباد الله المقر بين مساق قول أمير المؤمنين عليه السلام في حق عبید الشيطان المبعدين حيث قال في المختار السابع: اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً واتخذهم له أشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب و درج في حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعمل من قد شره كه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه .

فكما أن المراد بهذا الكلام المجاز والاستعارة قطعاً للحقيقة، فكذلك الحديث المذكور كما هو غير خفي على ذوى البصائر إلا أن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، هذا .

ومما وقع التصريح فيه أيضاً في كلام ابن العربي بأن الحق مستور في الخلق والخلق سائر له ما صريح عبارته في الفص العيسوي ، فانه بعد ما ذكر كيفية إحياء عيسى عليه السلام للموتى ومشاهدة القوم ذلك منه وتحييرهم فيه في إحيائه لكونه من الخصائص الالهية قال :

« فآدى بعضهم إلى القول بالحلول وانه هو الله بما أحيى به من الموتى ولذلك نسبوا إلى الكفر وهو الستر لأنهم ستروا الله الذي أحيى الموتى بصورة بشرية عيسى، قال القيصرى : أى فآدى نظر بعضهم فيه إلى القول بالحلول فقال : إن الله حل في صورة عيسى فأحيى الموتى، وقال بعضهم : إن المسيح هو الله ، ولمآستروا الله بالصورة العيسوية المقيدة فقط نسبوا إلى الكفر .

« فقال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم فجمعوا بين الخطاء وبين الكفر في تمام الكلام كله ، أى جمعوا بين الكفر وهو ستر الحق بالمورة

اليسوية وبين الخطاء، وهو حصر هوية الله في كلمة العيسوية، والمراد بقوله في تمام الكلام أى بمجموع قولهم إن الله هو المسيح بن مريم، جمعوا بين الكفر والخطاء. ولا يقولهم هو الله ولا يقولهم ابن مريم، لأن قولهم هو الله أو الله هو صادق من حيث إن هويته الحق هي التي تعيّنت وظهرت بالصورة العيسوية كما ظهرت بصورة العالم كلّه وقولهم: المسيح بن مريم أيضاً صادق، لأنه ابن مريم بلاشك لكن تمام الكلام ومجموعه غير صحيح لأنه يفيد حصر الحق في صورة عيسى فقط وهو الباطل لأن العالم كلّه غيباً وشهادة صورته لا عيسى فقط، انتهى.

ومحصل كلامهما أن النصارى القائلين بالحلول إنما أرادوا بذلك أن لاهوتية الاله تغيّبت بناسوتية عيسى فاستتر الحق بالصورة العيسوية كما حكي الله تعالى عنهم ذلك بقوله: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح، فإن المراد بالكفر هنا معناه اللغوي وهو الاستتار الاصطلاحي، فيكون معني الآية: إن الذين قالوا إن الله هو المسيح قدستروه به وهم كانوا مصيبين في ذلك القول والاعتقاد لكون الهوية الالهية محتفية فيه وظهورها بصورته كاختفائها في أعيان الخلق كلّها وظهورها بصورها، لكنهم أخطأوا في حصرهم الحق في صورة عيسى فقط وجعله مظهرأ له دون غيره مع أن العالم كلّه مظهره لا عيسى فقط.

والحاصل أن النصارى إنما أخطأوا حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم ولم يقولوا إن الله هو العالم كله، فلو قالوا كذلك ارتفع عنهم الخطاء والمايية بالمرّة. أقول: هذا ملخص مراد هذا الملمد الضليل الذي أصل كثيره وضد عن سواء السبيل، فانظر الى أنه كيف بيّد كلمة الكفر بالاسلام وكلمة الاسلام بالكفر ويؤول كلام الله الظاهر بل النص في تكفير النصارى إلى معني يشتمن منه الطباع وتنفر عنه الأسماع.

فيا عجبا عجبا وما لي لأعجب من أن الله سبحانه وتعالى إنما حكم بكفر النصارى ولعنهم وطردهم وابعادهم من أجل قولهم بحلوله في عيسى فقط فكيف بمن يقول بحلوله

في جميع الأعيان والأكوان حتى الكلاب والخنازير نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من هذا الاعتقاد الفاسد ولعن الله المعتقدين به وعذبهم عذاباً أليماً لا يمتدّ به أحد من العالمين .  
**الوجه الثاني** من وجوه الدلالة قوله **عَلَيْهِ** : الظاهر لبرؤية والباطن لابلطافة .  
 يعني انه ظاهر بلا اقتراب وباطن بلا حجاب و بعبارة اخرى أنه عز وجلّ ظاهر بآياته ومحتجب بذاته وليس ظهوره كظهور ساير الأشياء بأن يكون مرئياً بحاسة البصر ، ولا بطونه لبطافة قوامه كالهواء والروح ونحوهما حسب ما عرفت تفصيلاً في مقامه واليه أشار سبحانه بقوله : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

وقال الرضا عليه التحية والثنا في الحديث الذي رواه في البحار من التوحيد والعيون عن الحسين بن خالد ، عنه **عَلَيْهِ** في تفسير أسمائه سبحانه وتعالى وبيان أن اطلاقها عليه عز وجلّ ليس على الوجه الذي يطلق على غيره وأن المعنى الذي يراد عند إطلاق اسم عليه سبحانه مخالف للمعنى المراد عند إطلاقه على غيره قال **عَلَيْهِ** :

وأما الظاهر فليس من أجل أنه على الأشياء بر كوب فوقها وعود عليها وتسمّم لذراها ، ولكن ذلك لظهوره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها « الى أن قال : » ووجه آخر أنه الظاهر لمن أراد لا يخفى عليه شيء ، وأنه مدبّر لكل ما يرى فأى ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تبارك وتعالى فانك لاتعدم صنعته حينما توجهت وفيك من آثاره ما يغنيك والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحدّه فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .  
 و أما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء ، بأن يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول الفائل : بطنته أى خبّرتة وعلمت مكتوم سرّه ، والباطن منّا بمعنى الغائر في الشيء المستتر فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى ، الحديث .

فقد علم بذلك كلّ بطلان مازعه الصّوفيّة ، فانهم يقولون : إن ظهوره عبارة عن ظهوره بصور الموجودات كما حكي لنا عن القيصري فيما سبق من قوله : إن حقيقة

الوجود إذا أخذت بشرط الصور الحسية الشهادية فهي مرتبة الاسم الظاهر المطلق ، وأن بطونه عبارة عن تخلفه واحتجابه بالخلق حسبما عرفت قريباً ، وعلى قولهم فيكون ظهوره برؤية البصر له في مجاله ومظاهره و بطونه للطافته وسراية هويته في الموجودات و اختفائه فيها .

وقد أشار إلى تفصيل ذلك ابن العربي في الفص<sup>٢</sup> الهودي حيث قال :  
« فالعالم صورته وهو روح العالم المدبر له ، فالعالم هو الانسان الكبير ، فالعالم من حيث إنته عالم صورة الحق والحق روحه المدبر له ، فالعالم هو الانسان الكبير فهو الكون كله وهو الواحد الذي قام كوني بكونه ولذا قلت يغتذى فوجودى غذاؤه وبه نحن نغتنى »

قال القيصري : أى الحق هو الوجود كله وهو الواحد بحسب الذات والحقيقة والقيوم الذى قام وجودى و وجود العالم كله بوجوده وذاته ، وقوله : ولذا إشارة إلى قوله قام كوني بكونه أى ولاجل أن وجودى قائم بوجوده ووجوده ظاهر بوجودى نسبت الغذاء اليه فغذاؤه وجود العالم وغذاء العالم وجوده وأسمائه لأن الغذاء عبارة عما به بقاء المغتنى في الخارج وذلك باختفائه وظهوره على صورة من يغتنى ، ولاشك أن وجودنا يحصل باختفاء هويته فينا وظهوره بمورنا وبقائنا أيضاً يحصل بإيصال الفيض الدائم اليها كذلك أعيان العالم يخفى في ذاته ويظهر وجوده و أسمائه و أحكامها في الخارج .

إلى أن قالاً بعد جملة من ترهاتهما :

« إذ هو الظاهر وهو باطنها إذ هو الباطن » لأن الحق هو الظاهر وظاهره بصور العالم والحق باطنها ، لأنه هو الباطن كما أنه هو الظاهر وهو الأول إذ كان ولاهي ، أى الحق هو الأول لأنه كان وليس صور العالم موجودة كما قال عليه السلام كان ولاشي معه «وهو الآخر إذ كان عينها عند ظهورها» أى هو الآخر لأنه عين أعيان العالم وصورها عند ظهورها في الخارج «فالآخر عين الظاهر والباطن عين الأول» .

قال القيصري : الآخر يطلق على معنيين :

أحدهما ما ذكره هنا وهو كون الحق عين الأعيان الخارجية الموجودة في الخارج لأنه آخر المراتب .

وثانيهما كون الأعيان مستهلكة في الحق بالفناء فيه ، فعلي الأول الآخر عين الظاهر والباطن عين الأول لكون الحق باطناً أولاً ولا ظهور للأشياء إلى أن قالوا : «وإذا كان الحق وقاية للعبد بوجه» وهو كون الحق ظاهر العبد «والمعبد وقاية للحق بوجه» وهو كون العبد ظاهر الحق «فقل في الكون ما شئت إن شئت قلت هو الخلق» كما يقول المحجوبون باعتبار صفات النقص «وإن شئت قلت هو الحق» كما يقول الموحدون باعتبار صفات الكمال «وإن شئت قلت هو الخلق» باعتبار الجمع بين الكمال والنقص «وإن شئت قلت لاحق من كل وجه ولا خلق من كل وجه» كما يقول المحققون الجامعون بين المراتب الإلهية والعبودية «وإن شئت قلت بالحيرة في ذلك» كما قيل: المعجز عن درك الإدراك إدراك .

«فقد بان تبعية المراتب ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق في الصور ولا وصفته بخلق الصور عن نفسه فلا تنظر العين إلا إليه ولا يقع الحكم إلا عليه» .

قال القيصرى . لما كان كون الحق عين الأشياء يوجب التحديد قال : ولولا التحديد واقعاً في نفس الأمر ما أخبرت الرسل بأن الحق يتحول في الصور كما جاء في الحديث الصحيح : إن الحق يتجلى يوم القيامة للخلق في صورة منكورة فيقول : أنا ربكم الأعلى فيقولون : نمون بالله منك ، فيتجلى في صورة عقايدهم فيسجدون له والصور كلها محدودة ، فإذ كان الحق يظهر بالصور المحدودة ونطق الكتاب بأنه هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، حصل العلم للمارف أن الظاهر بهذه الصورة أيضاً ليس إلا هو فلا تنظر العين إلا إليه ولا يقع الحكم إلا عليه إذ لا موجود سواه ليكون مشاهداً إياه بل هو الشاهد والمشهود عليه و الحاكم والمحكوم عليه ، انتهى .

ويتوجه عليهما أولاً أن البراهين المحكمة من العقل والنقل قد قامت على

استحالة رؤيته سبحانه بحس البصر، وقد تقدم ذكرها مكرراً في تضعيف الكتاب وقد قال تعالى صريحاً : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، فنصّ كلام الحق سبحانه وتعالى ناطق بأن ما قاله إفاك وبهت وافتراء .

وأما ثانياً فقد عرفت سابقاً واستعرف أيضاً مباينة الحق للمخلوق ومفارقة الصانع والمصنوع والربّ والمربوب والحادث والمحدود، ومع ذلك فكيف يمكن أن يكون الحق وقاية للعبد والعبد وقاية للحق ويتفرع على ذلك بطلان الوجوه الأربعة جميعاً لكونها كلها خلاف ما قاله الأنبياء والرسل والحجج المعصومون سلام الله عليهم أجمعين، نعم الحيرة في إدراك ذاته حق من جهة تنزهه عن التحديد لا بالمعنى الذى توهمه هذا الجاهل، فإن حجج الله المعصومين مع كونهم عالمين بحقائق الأشياء على ما هي عليها بالعلم اللدنى قد اعترفوا بالعجز عن إدراك ذاته وقد قال رسول الله ﷺ : ما عرفناك حق معرفتك ، فعلم أن عجزهم ليس من جهة استتاره فى الخلق واستتار الخلق فيه كما زعمه هذا الضليل .

وأما ثالثاً فإن ما نسبته إلى الرسل كذب فاحش والحديث الذى استدل به من أن الحق يتجلى للعبد يوم القيامة اه موضوع مجعول لكونه مخالفاً للعقل والنقل والضرورة .

ومثله فى الجعل مارواه الغزالي فى آخر كتاب احياء العلوم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنت جليساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته .

وروى عن صحيح مسلم عن صهيب قال : قرء رسول الله ﷺ قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ما هذا الموعد ألم يتقّل موازيننا و يبيّض وجوهنا و يدخلنا الجنة و يجرنا من النار ؟ قال: فيرفع الحجاب و ينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه الله .

قال الغزالي: وقد روى حديث الرُّؤبة جماعة من الصحابة .

أقول: ولوروى ألف صحابة حديثاً مفيداً لرؤيته سبحانه بحاسة البصر لطرحناء لكونه مخالفاً لنص الكتاب فضلاً عن البراهين الساطعة، نعم لو كان حديثاً معتبراً قابلاً للتأويل أو لتناه كما نؤول قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - وقوله: فلمّا تجلّى ربّه للجبل، ونحوهما بما لا يخالف أصول المذهب والله هو الهادي .

**الوجه الثالث** من وجوه الدلالة قوله ﷺ: بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه.

فإنه صريح في مبيّنته للأشياء بغلبته واستيلائه عليها وقدرته على إيجادها وإعدامها كما هو شأن الواجب تعالى وبخضوع الأشياء وذلّها في قيد الامكان ورجوعها وافتقارها في وجودها وكما لاتها إليه عز وجل كما هو مقتضى حال الممكن ومع ذلك فكيف يمكن جعل أحدهما عين الآخر على ما ذهب إليه المتصوفة.

**الوجه الرابع** قوله ﷺ: من وصفه فقد حدّه إلى قوله: فقد أبطل أزله .

وهو صريح في تنزّهه سبحانه عن الأوصاف والحدود الامكانية فيبطل القول بظهوره في صور الموجودات وائصافه بأوصافها وحدودها وتشكله بأشكال المختلفة كما هو مذهب الصوفية خذلهم الله تعالى.

ومنه

أكثر فقرات الخطبة المائة والثانية والستين:

فمنها قوله ﷺ فيها: حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبيها .  
أى أنه تعالى جعل للأشياء عند إيجادها أجزاء وذاتيات إن كان الحد بمعناه المنطقي أو حدوداً ونهايات إن كان بمعناه اللغوي ومحصّله أنه تعالى جعلها محدودة مشخصة بحدود معينة تقف عندها ولا يتجاوز عنها إلى غيرها .

وإنّما جعلها كذلك ليتمييز بعضها عن بعض ويفترق أحدها عن الآخر ، لأنّ الشخص مالم يتشخص لم يوجد ، والوقوف إلى حدّ معين لا بدّ له من علّة محدّدة إذ ماهية الشيء لو كانت مقترنة للاتهاء إلى ذلك الحدّ المخصوص لكان

(ج ١٣) الدليل الخامس من الأدلة النقلية في إبطال القول بالحلول والاتحاد (١٩١)

جميع أفراد تلك الماهية كذلك وليس فليس والعلّة المحدّدة لا بد أن يكون منزّها عن الحدّ والألّا فيحتاج إلى علّة أخرى فيتمسلسل.

و بعبارة أخرى الأشياء لكونها ذات ماهية مركّبة من الجنس والفصل محدودة بالحدّ المنطقي وكونها منتهية إلى حدّ معيّن و مقدار مشخص محدود بالحدّ اللغوي . وهو من لواحق الكمّ المتصل والمنفصل اللذين هما من أقسام العرض ، والواجب تعالى لكونه منزّها عن التّركيب المستلزم للافتقار لا يكون محدوداً بالحدّ المنطقي ، ولعدم كونه عرضاً امتنع أن يكون محدوداً بالحدّ اللغوي فيكون مبيّناً لمخلوقاته منزّها عن مشابهتها بنفس ذاته .

**وقال** في هذه الخطبة أيضاً بعد جملة كلام له :

تعالى عما ينحله المتحدّون من صفات الأقدار ونهايات الأقطار و تأثّل المساكن و تمكّن الأماكن فالحدّ لخلقّه مضروب وإلى غيره منسوب.

**وأوضح** منهما ما في البحار من التّوحيد للصدوق بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عن أمير المؤمنين في خطبة طويلة له **عليه السلام** قال: لما شبّهه العادلون بالخلق المبعوض في صفاته ذوى الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته وكان عزّ وجلّ الموجود بنفسه لا بأداته انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدره فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأندادوار تفاعاً عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفره العباد : وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوَّيات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ومثل هذه في الدلالة على تنزيهه سبحانه من التحديد والتشبيه أخبار كثيرة قريبة من النواتر بل متواترة.

**مثل** ما رواه في البحار من توحيد الصدوق عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: كتبت إلى الرجل يعني أبا الحسن **عليه السلام** إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التّوحيد : فمنهم من يقول : جسم ، و منهم من يقول : صورة ، فكتب **عليه السلام** بخطه : سبحانه من لا يحدّ ولا يوصف ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم أوقال البصير.

وفيه أيضاً عن الصادق **عليه السلام** أنّه قال لهشام : إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا



یشبهه شیء، و کلماته وقع فی الوهم فهو بخلافه.

قال وروی عنه رضی اللہ عنہ أيضاً أنه قال: سبحان من لا یعلم أحد کیف هو إلا هولیس کمثلہ شیء و هو السمع البصیر لا یحد ولا یحس ولا یدرکہ الأبصار ولا یحیط به شیء ولا هو جسم ولا صورة ولا بذی تخطیط ولا تحدید .

وفیه من التوحید عن هشام بن إبراهیم العباسی قال : قلت له یعنی أبا الحسن رضی اللہ عنہ : جعلت فداک أمرنی بعض موالیک أن أسألك عن مسألة قال رضی اللہ عنہ : ومن هو؟ قلت : الحسن بن سهل ، قال : وفي أي شیء المسألة ؟ قال : قلت : فی التوحید قال : وأي شیء من التوحید؟ قال : یسألك عن الله جسم أو لا جسم ، فقال رضی اللہ عنہ لي : إن للناس فی التوحید ثلاثة مذاهب : إثبات بتشبیه ، ومذهب النفی ، و مذهب إثبات بلا تشبیه ، فمذهب الإثبات بتشبیه لا یجوز ، ومذهب النفی لا یجوز ، و الطریق فی المذهب الثالث إثبات بلا تشبیه .

وفیه من التوحید عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله رضی اللہ عنہ قال : من شبّه الله بخلقه فهو مشرک إن الله تبارک و تعالی لا یشبه شیئاً ولا یشبهه شیء، و کلماته وقع فی الوهم فهو بخلافه.

وفیه من العقاید باسناده عن محمد بن زیاد قال : سمعت یونس بن ظبیان یقول : دخلت علی أبي عبد الله رضی اللہ عنہ فقلت له : إن هشام بن الحكم یقول قولاً عظیماً إلا أننی أختصر لك منه أحرفاً یزعم أن الله جسم لأن الأشياء شیئان ، جسم وفعل الجسم ، فلا یجوز أن یشبهه الصانع بمعنی الفعل و یجوز أن یشبهه بمعنی الفاعل ، فقال أبو عبد الله رضی اللہ عنہ : ویله أما علم أن الجسم محدود ومتناه والصورة محدودة متناهية فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً ، قال : قلت : فما أقول؟ قال : لا جسم ولا صورة وهو مجسم الأجسام ومصور الصور ، ولم ینجز أو لم یتناه ولم یتزاید ولم یتناقص لو كان كما یقول لم یکن بین الخالق والمخلوق فرق ، ولابین المنشیء والمنشأ ، لكن هو المنشیء فرق بین من جسمه

و صورته و أنشأه إذا كان لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً .

قال المحدث العلامة المجلسي بعد روايته ذلك:

استدل عليه السلام على نفي جسميته تعالى بأنه لو كان جسماً لكان محدوداً  
بحدود متناهياً إليها لاستحالة لاتناهي الأبعاد ، وكلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام  
بأجزائه متشاركة في الاسم والحدّ ، فله حقيقة كليّة غير متشخّصة بذاتها ولا موجودة  
بذاتها إذ هو مرّكّب من أجزاء حال كلّ واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقاً، أو  
بأنّ كلّ قابل للحدّ والنهية قابل للزيادة والنقصان لا يتأبى عنهما في حدّ ذاته  
وإن استقرّ على حدّ معيّن فإنّما استقرّ عليه من جهة جاعل.

ثمّ استدلّ عليه السلام بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى  
شأناً وأرفع قدراً من الموجد ، و عدم المشابهة والمشاركة بينهما وإلا فكيف يحتاج  
أحدهما إلى العلّة دون الآخر ، وكيف صار هذا موجداً بدون العكس ، و يحتمل  
أن يكون عدم المشاركة والمشابهة فيما يحتاج إلى العلّة فيحتاج إلى علّة  
أخرى ، انتهى .

فقد علم بذلك كلّه كونه سبحانه منزّهاً عن الحدّ والشبّه وأنه يجب تنزيهه  
عن التّحديد والتشبيه ، وأنّ القائل بهما كافر مشرك .

و ذهب محيي الدين على أصله الفاسد إلى أنّ القول بهما عين التّوحيد .  
و القائل بهما مؤمن موحد كامل ، و النافي لهما عنه تعالى جاهل ، و تبعه على  
ذلك القيصري .

قال في الفصوص في الفصّ النّوحي :

«اعلم أنّ التّنزيه عند أهل الحقايق في الجناب الالهي عين التّحديد والتقييد  
و المنزّه إمّا جاهل وإمّا صاحب سوء أدب» .

قال القيصري : اعلم أنّ التّنزيه إمّا أن يكون عن النقايس الامكانية فقط  
أو منها ومن الكمالات الانسانية أيضاً و كلّ منهما عند أهل الكشف والشهود تحديد  
للجناب الالهي وتقييده، لأنّه يميّز الحقّ عن جميع الموجودات ويجعل ظهوره في بعض

مراتبه وهو ما يقتضي التنزيه دون البعض وهو ما يقتضي التشبيه كالحياة والعلم والقعدة والارادة والسمع والبصر وغير ذلك ، وليس الأمر كذلك فإن الموجودات بذواتهم ووجوداتهم وكمالاتهم كلها مظاهر للحق وهو ظاهر فيهم ومتجلي لهم وهو معهم أينما كانوا فيه ذواتهم ووجودهم وبقاؤهم وجميع صفاتهم ، بل هو الذي ظهر بهذه الصور كلها فهي للحق بالأصالة والخلق بالتبعية ، فالمنزه إما جاهل بالأمر على ما هو عليه أو عالم بأن العالم كله مظهره ، فإن كان جاهلا وحكم بجعله على الله وقيدته في بعض مراتبه فهو جاهل وصاحب سوء أدب ، وإن كان عالما به فقد أساء الأدب مع الله تعالى ورسله بنفيه عنه ما أثبتته هو لنفسه في مقامه جمعه وتفصيله .

هذا في مقام الالهية ، وأما في مقام الأحدثية الذاتية فلا تشبيه ولا تنزيه إذ لا تمعد فيه بوجه أصلا قال الشيخ يعني محبي الدين في عنقاء المغرب مخاطبا للمنزه : غاية معرفتك به أن تسلب عنه نقايس الكون وسلب العبد عن ربه ما لا يجوز عليه راجع إليه ، وفي هذا المقام قال من قال : سبحاني دون التواني هيئات وهل يعرى من شيء إلا من لبسه أو يؤخذ شيء إلا من حبسه ومتى لبس الحق صفات النقص حتى تسلبها عنه أو تعريه والله ما هذه حالة التنزيه فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته وهو من جملة منحه لك وهباته والبارئ منزّه عن التنزيه فكيف عن التشبيه .

قال الماتن « ولكن إذا اطلاقه وقال به فالقائل بالشرايع المؤمن إذا نزّه ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك فقد أساء الأدب وأكذب الحق والرسل صلوات الله عليهم وهو لا يشعر ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفايث وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض » .

قال الشارح : أي الجاهل وصاحب سوء الأدب إذا اطلقا التنزيه وقال به كل منهما إما أن يكون مؤمنا بالشرايع والكتب الالهية أو غير مؤمن ، فالمؤمن إذا نزّه الحق ووقف عنده ولم يشبهه في مقام التشبيه ولم يثبت تلك الصفات التي هي

كمالات في العالم فقد، أساء الأدب و كذب الرسل والكتب الالهية فيما أخبر به عن نفسه بأنه الحي القيوم السميع البصير ولا يشعر بهذا التكذيب الصادر منه ويتخيل أن له حصلا من العلوم والمعارف و أنه مؤمن و موحد و ما يعلم أنه فأتت منه وهو كمن آمن ببعض وهو مقام التنزيه و كفر ببعض و هو مقام التشبيه ، وغير المؤمن سواء كان قائلًا بعقله كالفلاسفة أولم يكن كمقلديهم المتفلسفة فقد ضلّ وأضلّ ، لأنه ما علم الأمر على ما هو عليه وما اهتدى بنور الايمان الرفع للمحجب وإنما ترك هذا القسم لظهور بطلانه، انتهى كلامهما هبط مقامهما .

ومحصله أن اللازم على المؤمن الموحّد أن يكون جامعاً بين مرتبتى التنزيه والتشبيه ، بأن ينزّهه في مقام التنزيه من النقيص الامكانية ، و يشبّهه في مقام التشبيه بأن يثبت له صفات الكمال التي في المخلوقات من السمع والبصر و الارادة و الحياة و نحوها . لأن المخلوقات كلّها مظاهر له و كمالها كماله بل ليس في الوجود خلق تشاهده العين إلاّ و عينه و ذاته عين الحقّ الظاهر في تلك الصورة .

كما قال في الفصّ الهودي «و ما خلق تراه العين إلاّ عينه حقّ» و قال في الفصّ الاسماعيلي ما هذه عبارته:

« فلانظر إلى الحقّ فتعريفه عن الخلق ولا تنظر إلى الخلق وتكسوه سوى الحقّ

و نزّهه وشبّهه و قم في مقعد الصدق»

قال القيصري : أى لانظر إلى الحقّ فتجمله موجوداً خارجياً مجرداً عن الأكوان منزّهاً عن المظاهر الخلقية عارياً عنها وعن صفاتها ، ولانظر إلى الخلق بأن تجعل الخلق مجرداً عن الحقّ مغايراً له من كلّ الوجوه و تكسوه لباس الغيرية ، بل انظر الى الحقّ في الخلق لترى الوحدة الذاتية في الكثرة الخلقية و ترى الكثرة الخلقية في الوحدة الذاتية ، و نزّه الحقّ الذي في الخلق بحسب مقام أحديته عن كلّ ما فيه شايبة الكثرة والامكانية والنقصان ، و شبّهه أيضاً بكلّ صفات كمالية كالسمع و البصر و الارادة والقدرة ، فانك إذا جمعت بين التشبيه

والتنزيه كما هو عادة الكاملين فقد قمت مقام الصدق و هو مقام الجمع بين الكمالين.

وأوضح ذلك في الفصّ الالياسي وشرحه بقوله:

«وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلى كملت معرفته بالله فنزهه في موضع وشبهه في موضع» أى نزهه في موضع التنزيه تنزيها حقانيا و شبهه في موضع التشبيه تشبيهاً عيانياً فيكون تنزيهه الحقّ وتشبيهاه تشبيهه الحقّ

«ورأى سريان الحقّ بالوجود في الصور الطبيعيّة والعنصرية فما بقيت له صورة إلاّ ويرى عين الحقّ عينها وهذه المعرفة التامة فلا يمكن أن يخلو تنزيهه عن تشبيهه ولا تشبيهه عن تنزيهه».

وذلك لأنّ كلّ ما نزهته عنه من النقايس فهو ثابت له عند ظهوره في المراتب الكونيّة وهو التشبيه ، وكلّ ما شبهته به وأثبت له من الكمالات فهو منفيّ عنه في مرتبة أحديته وهو التنزيه ، وعلى ذلك فلا يجوز للمؤمن أن يقتصر في مقام التوحيد على التنزيه فقط .

أمّا أوّلاً فلأنّ التنزيه عن التحديد والتشبيه عين التحديد لأنّ التمييز عن كلّ شيء ، محدود بتمييزه عنها .

وأمّا ثانياً فلأنّ جهل بالله الكريم حيث إنّه قيده في بعض مراتبه ومييزه عن ساير مجاليه ومظاهره .

وأمّا ثالثاً فلأنّ أساء الأوب مع الله و مع رسوله حيث لم يثبت له صفات الكمال التي له في مجاليه .

وأمّا رابعاً فلأنّ كذب الله و رسوله فيما أخبرا به من اتّصافه بصفات الكمال ، هذا .

و أنت خير بتدليس هذا الجاهل الضليل وتلبيسه الباطل بصورة الحقّ والحقّ بصورة الباطل غير خفىّ على الفطن العارف لأنّ العقل والنقل والأنبياء والرسل جميعاً متفقون على تنزيهه سبحانه عن النقايس الامكانية و عن اتّصافه بصفات المحدثات و عن مشابهة المخلوقات و قد نزه ذاته وهو أعلم به من غيره في كتابه

الكريم بقوله: وما امرؤ إلا ليعبدوا إلهاً واحداً إلا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون  
وقال أيضاً: سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقال: فسبحان الله رب العرش  
عما يصفون، وقال: سبحان رب العزة عما يصفون، وقال: أم لهم إله غير الله  
سبحان الله عما يشركون إلى غير هذه من الآيات البيّنات.  
و أمّا الوجه التميّ استند إليها في عدم جواز الاقتصار على التتميزه  
فكلّها فاسدة .

أمّا الوجه الأوّل فلمنع كون التتميزه موجباً للتحديد إذ معنى التتميزه هو  
ابداً المغايرة بين الحقّ والخلق من أجل اتّصاف الخلق بصفات النقصان وعوارض  
الامكان، و كون الحقّ بريئاً منها من حيث وجوب وجوده و كونه تاماً  
فوق التمام .

و بعبارة اخرى جعله سبحانه خلواً من خلقه و خلقه خلواً منه من أجل  
كون الخلق محدوداً والحقّ منزهاً عن الحدّ، فحقيقة التتميزه هو إظهار كونه  
مبايناً لمخلوقاته مفارقاً لها بنفس ذاته الأقدس الأعلى من أجل اتّصافها بالحدود  
و النهايات، و ذلك لا يوجب كونه محدوداً بوجه أصلاً بالحدّ الاصطلاحي ولا  
بالحدّ اللغوي.

و إن أراد بقوله إنّه عين التحديد إنّ فيه تميز الحقّ عن كلّ ما سواه لما  
فيها من القصور و النقصان و المحدودية بحدود الامكان، فهذا هو محض الايمان  
المطلوب عقلاً و شرعاً فالمعنى للاستناد إليه في عدم الجواز.

بل أقول: إنّ عمدة الغرض من التتميزيات الواردة في الكتاب المبين والصادرة  
عن السنة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين والحجج المعمومين سلام الله  
عليهم أجمعين ليس إلاّ تمزيهه سبحانه و تقديسه تعالى عما نسبته إليه عزّ وجلّ  
هذه الطائفة المضلّة الضالّة من ظهوره في صور الموجودات و اتّصافه بصفات المحدثات  
فتعالى الله عما يقول الظالمون و سبحان الله ربّ العرش عما يصفون.

و أمّا الوجه الثاني فلمنع كونه جهلاً بل هو محض العلم والعرفان والتوحيد

والايمان ، و إنما الجاهل من قال بتجليه في مخلوقاته و بظهوره في صور مصنوعاته .  
وأما الوجه الثالث فلأن سيء الأدب من قال : سبحانى ما أعظم شأنى ، لامن  
قال سبحان الله و سبحان ربى ، و من قال : إننى أنا الله و ليس فى جبتى سوى الله  
لامن قال : لا إله إلا الله .

وأما الوجه الرابع فلأن المكذب للأنبياء والرسل أمثال هذا الجاهل القائل  
بتجليه في مخلوقاته و اتصافه بصفات محدثاته لا القائل بتنزّهه عن مجانسة  
مخلوقاته و اتصافه بنعوت العظمة والجلال و صفات العزّة والجمال بذاته ، و بعبارة  
اخرى المكذب للرسول والأنبياء من نزّه و شبه و قال : إنه كلّ الأشياء لامن  
قدس و نزّه و قال : إنه ليس كمثله شىء ، و إنه شىء لا كالأشياء .

والحاصل أنا ننزّهه من مشابهة غيره في ذاته و صفاته و نصفه بصفات الكمال  
بذاته و نقول : إنه حىّ قيوم عالم سميع بصير قادر خبير بمعنى أجلّ و أعلى على ما  
نبّه عليه الحجج المعصومون في شرح الأسماء الحسنى ، و نقدّسه من صفات المخلوق  
مطلقا سواء كانت صفة نقصان كالعجز والحاجة والافتقار أو صفة كمال كالعلم  
والارادة والقدرة والاختيار ، فإنّ هذه الصفات و ان كانت كمالات للمخلوق إلاّ  
أنّ اثباتها للمخالف بالاعتبار الثابت للمخلوق موجب لاتصافه بصفات المحدثات  
فتكون بالنسبة إليه تعالى نقصاً لا كمالاً .

وهذا هو الذى دلّ عليه السنّة والكتاب ، وصرّح به الأئمة الأطياب ، وحقّقه  
العلماء الراسخون واولو الألباب .

و أما ما قاله هؤلاء الجاهل : من أنّ صفات كماله هو عين صفات الكمال في  
مخلوقاته لكونها مجاليه و مظاهره ، فمما لم يرد به كتاب ولا سنة ، بل هو افك  
وفرية بيّنة ، وقد قال سبحانه : «أرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهار» ماتعبدون  
من دونه إلاّ أسماء سمّيتوها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان إن الحكم  
إلاّ لله امر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيمّ ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

و بالجملة فحالتنا و حال هؤلاء كمال قال تعالى في كتابه ، فنحن نقول :  
ربّنا ربّ السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططنا و هؤلاء  
قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسطان بينّ فمن أظلم ممن افترى على

الله كذبا .

وقد علم بذلك كلّه أنّ التنزيه ينافي التشبيه والتشبيهه ينافي التنزيه بل ليس  
الفرض من التنزيه إلاّ التنزيه من التشبيهه.

فظهر به أنّ ما قاله ابن العربي من أنه لا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيهه ولا تشبيهه  
عن تنزيه غلط صرف وخبط واضح .

وأفحش من ذلك غلطا وشططا كلامه الذي حكاه القیصری عن كتابه المسمّى  
بمعنقاء المغرب .

فإنّ قوله : إنّ تنزيه العبد لربه راجع إلى تنزيهه لنفسه ، وإنّ معني سبحان  
الله سبحاني لأنّ الله سبحانه لم يكن متصفاً بصفات النقص حتّى ينزّه عنها ولا  
متلبساً بها حتّى تسلب عنه ويعرى منها ، وإنّما المتصّف بها هو المنزّه بنفسه فهو  
المحتاج إلى التنزيه دون ربه فقول باطل و كلام فاسد ومن الفساد بمكان .

أمّا أوّلاً فلاّنّ تنزيه الرّب من النقص لا يستلزم اتّصافه بها في الواقع أوّلاً  
ثمّ يسلب لأنّ القضية السلبية لا يستلزم الايجاب وإلّا لم يصحّ قوله تعالى : والحمد  
لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدّل ،  
وبعد التنزيل نقول : إنّ المراد به تنزيهه عما وصفه به أهل الكفر والضلال ونسبه  
إليه السفهاء و الجهال من المشبهة و المجسّمة و الايصانية و المتصوّفة وغيرها من  
الجهال ، ولذلك قال تعالى في كتابه سبحانه : وتعالى عمّا يقول الظالمون ، وقال :  
فسبحان الله ربّ العرش عمّا يعفون ، وقد قال : قالوا اتّخذ الله ولداً سبحانه هو الغنيّ  
له ما في السموات وما في الأرض .

وأما ثانياً فلاّنّ قوله : تنزيه الرّب راجع إلى تنزيه نفس المنزّه و تطهير  
محلّه لا يقوله إلاّ سفيه أو مجنون لأنّ العيب والنقصان من لوازم ذات الممكن فكيف  
ينزّه المنزّه نفسه عنهما .

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى بقية كلامه الذي نقلناه عن الفصّ النوحی .

قال بعد جملة من ترهاته : «فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبّر



للصورة فيؤخذ في حدّ الانسان مثلاً باطنه وظاهره وكذلك كل محدود فالحق محدود بكلّ حدّ .

قال القيصري : أي إذا كان العالم صورة الحق وهو روحه فنسبة الحق إلى كل مظهر من صور العالم نسبة الروح الجزئي المدبّر للصورة المعيّنة إليها في كونه مدبّراً ، ولما كان ظاهر العالم ظاهر الحق وباطنه باطن الحق والباطن والظاهر مأخوذ في تعريف الايمان وتحديدده لأنّه معرف بالحيوان الناطق والناطق باطنه والحيوان ظاهره والهيئة الاجتماعية الحاصلة من الجنس والفصل ظاهره الذي به سرى الأحدثية فيه وحقايقهما المشتركة والمميّزة باطنه والحق مأخوذ في حدّه ، وكذلك كل محدود إذ لا بدّ في كل من المحدودات من أمر عام مشترك وأمر خاص مميّز وكلاهما ينتهيان إلى الحق الذي هو باطن كل شيء فالحق محدود بكلّ حدّ لأن كلّما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره ظاهره من اسمه الظاهر وباطنه من اسمه الباطن والمظهر عين الظاهر باعتبار الأحدثية فالحق هو المحدود .

قال الماتن : «وصور العالم لا ينضب ولا يحاط بها ولا يعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورة فلذلك يجهل حدّ الحق فأنّه لا يعلم حدّه إلا ويعلم حدّ كل صورة وهذا محال حصوله فحدّ الحق محال» .

قال الشارح : أي صور العالم وجزئياته مفصلاً غير منضبطة ولا منحصرة والحدود لا تعلم إلا بعد الاحاطة بصور الأشياء وحقايقها ، فالعلم بحدودها محال ، فحدّ الحق من حيث مظهره أيضاً محال .

قال الماتن : «و كذلك من شبهه ومانزّه فقد قيده وحدّه وده وما عرفه ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الاجمال لأنّه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بما في العالم من الصور فقد عرفه مجملاً لا على التفصيل» انتهى .  
و محصله أنّ الحق محدود بحدود غير متناهية لا يمكن معرفتها تفصيلاً بل اجمالاً وذلك لأنّه باطن العالم وصور العالم الذي هو مظهره غير متناهية ولا منضبطة ، وحدودها كذلك لأنّ كل صورة فلها حد معين فيعدّ بالحدود بتعين الصور وبتعدّد حدودها يتعدّد حدود الحق فلا يمكن معرفتها إلا إجمالاً كما لا يمكن معرفة صور

العالم وحدود تلك الصور إلا كذلك .

و قوله : و كذلك من شبهه آه عطف على ما سبق أى كما أن التنزيه بدون التشبيه عين التحديد والتقييد ومستلزم للجهل ، فكذلك العكس فمن شبهه ولم ينزهه فقد قيده بما يقتضيه التشبيه وحدده بحدود المظاهر، فلم يعرفه حق المعرفة لخلو معرفته من التنزيه ، فالعارف من جمع بين التنزيه والتشبيه ووصفه بهما على الاجمال لأن معرفة صور العالم التي تقيضها التشبيه غير ممكنة تفصيلا حسبما عرفت ، هذا محصل كلامه وقد عرفت فساده بما لا مزيد عليه .

وقالا في الفصل الهودى وشرحه: «ومارأينا قط من عند الله تعالى في حقه تعالى في آية أنزلها أو اخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد تنزيهاً كان أو غير تنزيه أو لها العماء الذي مافوقه هواء ولا تحته هواء، وكان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق» .

أى أول ذلك التحديد هو المرتبة العمائية التي أشار إليها النبي ﷺ عند سؤال الأعرابي أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال : كان في عماء مافوقه هواء ولا تحته هواء ، وانما كان العماء أول التحديدات لأنه لغة عبارة عن الضباب وفي اصطلاح أهل الله عبارة عن أول تعين ظهر للحق بحسب اسمه الجامع الالهي ، وكلاهما محدودان، وهذه المرتبة هي رتبة الانسان الكامل فانه أول ما تعين ظهر بالصورة المحمدية ﷺ ثم فصلها فخلق منها أعيان العالم علماً وخارجاً .

ثم ذكر انه استوى على العرش فهذا تحديد أيضاً لأن الاستواء عليه ظهور الاسم الرحمانى في صورة العرشية وهو أيضاً تحديداً لله يتعين فيظهر فيها .

ثم ذكر انه ينزل إلى السماء الدنيا فهذا تحديده أى ذكر الحق بلسان نبيه ﷺ أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له والنزول إلى المقام المعين تحديد .

ثم ذكر انه في السماء والله في الأرض كما قال : وهو الذى في السماء إله وفي الأرض إله، وكونه في السماء وفي الأرض تحديد .

«واته معنا أينما كتبنا» أي وذكر أنه معنا كما قال: وهو معكم أينما كنتم.  
«إلى أن أخبرنا أنه عيننا» أي حدد نفسه إلى أن جعله عيننا كما قال: كنت  
سمه وبصره الحديث .

« ونحن محدودون فما وصف نفسه إلا بالحدّ وقوله ليس كمثله شيء حدّ  
أيضاً إن أخذنا الكاف زائدة لغير الصفة، أي لا تكون للتشبيه ليفيد ليس مثل مثله شيء .  
«ومن تميّز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود فالاطلاق  
من التقييد تقييد والمطلق مقيّد بالاطلاق لمن فهم وإن حملنا الكاف للصفة فقد  
حدّ دناه، أي على التقديرين يلزم التحديد، أمّا على الأول فلا إن الممتاز عن المحدود  
لا يكون إلا محدوداً بكونه ممتازاً عنه كما أن الاطلاق المقابل للتقييد أيضاً تقييد  
بعدم التقييد والمطلق مقيّد بالاطلاق ، وأمّا على الثاني فلا إن نفي مثل المثليات  
للمثل وهو محدود فما يماثله أيضاً محدود .

« و إن أخذنا ليس كمثله شيء على نفي المثل تحقّقنا بالمفهوم وبالاخبار  
الصحيح أنه عين الأشياء والأشياء محدودة و إن اختلفت حدودها، أي وإن حملنا  
على نفي المثلية مطلقاً سواء كان زائداً أو غير زائد مع عدم القصد بوجود المثل بل  
المقصود المبالغة في التنزيه كما يقال: مثلك لا يفضب ، والغرض نفي الغضب منه يلزم  
التحديد أيضاً ، لأن ما يمتاز عن الشيء محدود بامتيازته عنه فسلب المثلية تحدّده ،  
وهو المراد بقوله : تحقّقنا بالمفهوم أي علمنا حقيقته بالمفهوم من الآية أنه محدود  
وكذلك تحديده بالخبر الصحيح وهو: كنت سمعه وبصره الحديث ، لأنه صار عين  
الأشياء والأشياء محدودة بحدود مختلفة وأن في قوله: وإن اختلفت حدودها للمبالغة.  
«فهو محدود بحدّ كلّ محدود فما يحدّ شيء إلا وهو حدّ للحق» لما كان الحدّ  
عبارة عن التعيين والحدّ الاصطلاحي إنما يسمى بالحدّ لأنه أيضاً يعين الشيء ويميّزه  
عن غيره نقل الكلام إلى الحدّ الاصطلاحي الموجب لتعيين الأشياء في العقل  
وإنما جملة محدوداً بحدّ كلّ محدود لأنه عين لكلّ محدود فحدّه حدّ الحق وقوله  
و هو عايد إلى الحدّ الذي يدلّ عليه قوله فما يحدّ ، انتهى كلامهما هبط مقامهما .

**أقول :** فيالله لهذا الرجل من سوء الاعتقاد والزيغ عن نهج الرشاد والاصرار في ترويج الزندقة والالحاد ، وصراف الآيات المحكمات عن ظواهرها إلى تصحيح عبادة الطاغوت والاستناد إلى المتشابهات في اثبات مذهب هو أوهن من بيت العنكبوت ، وقد قال عز من قائل : فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون .

فهل يحكم العاقل بدليل متشابه على أن الحق بكل حد محدود؟ أم هل يسلم القول بوحدة الوجود الذي هو في معني الكفر والجحود بمجرد الاستناد إلى كشف وشهود؟ وقد عرفت بطلان التشبيه والتحديد ببهان متين وبيان لاعليه مزيد .

والأدلة التي استند اليها هنا في اثبات تلك الدعوة غير خفية الفساد على ذوى العقل والنهى . أما الدليل الأول وهو حديث العما ، ففيه أنه من مجموعات العامة ويدل عليه الأخبار النسائية للزمان والمكان عنه تعالى وقد تقدم كثير منها في تضاعيف الشرح مضافاً إلى قيام الدليل العقلي أيضاً على ذلك كما أشار إليه الأئمة عليهم السلام في أخبارهم .

مثل ما رواه المحدث العلامة المجلسي «قد» في البحار من كتاب روضة الواعظين قال : روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال له رجل : أين المعبود؟ فقال : لا يقال له أين لأنه أين الأينية ، ولا يقال له كيف لأنه كيف الكيفية ، ولا يقال له ماهولاً لأنه خلق الماهية ، سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمت ، وحصرت الأبواب عند كرازيلته ، وتحيرت العقول في أفلاك ملكوته .

وفيه من كتاب التوحيد للصدوق قال : وروى أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام أين كان ربنا قبل أن يخلق سماءً وأرضاً؟ فقال : أين سؤال عن مكان كان الله ولا مكان .

وفيه منه باسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك ، لو كان عز وجل على شيء ، لكان محمولاً ، ولو كان في شيء ، لكان محصوراً ، ولو كان من شيء ، لكان محدثاً .

قال العلامة المجلسي : قوله . لكان محمولاً أى محتاجاً إلى ما يحمله ، وقوله :

محصوراً أى عاجزاً ممنوعاً عن الخروج من المكان أو محصوراً بذلك الشيء ومحوى به فيكون له انقطاع وانتهاء فيكون ذا حدود وأجزاء .

وفيه منه باسناده عن حماد بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كذب من زعم أن الله عز وجل في شيء أو من شيء أو على شيء .

قال الصدوق : الدليل على أن الله عز وجل لا في مكان أن الأماكن كلها حادثة وقد قام الدليل على أن الله قديم سابق للأماكن ، وليس يجوز أن يحتاج الغني القديم إلى ما كان غنياً عنه ، ولأن يتغير عما لم يزل موجوداً عليه فصح اليوم أنه لا في مكان كما أنه لم يزل كذلك .

وتصديق ذلك ما حدثنا به القطان عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن ساهمان المروزي عن سليمان بن مهران قال قلت لجعفر ابن محمد عليه السلام : هل يجوز أن تقول إن الله عز وجل في مكان ؟ فقال عليه السلام : سبحان الله وتعالى عن ذلك أنه لو كان في مكان لكان محدثاً لأن الكائن في مكان محتاج إلى المكان والاحتياج من صفات الحديث لا القديم .

وأما الدليل الثاني فقد عرفت الجواب عنه في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى وقلنا هناك : إن المراد بالاستواء في الآية هو الاستيلاء والسلطنة .

و قال أمير المؤمنين في رواية الاحتجاج عنه عليه السلام في جواب أسئلة الزنديق المنكر للقرآن : يعني استوى أمره وعلا تدبيره .

وأما الدليل الثالث فهو من مجعولات العامة أيضاً .

و يدل على ذلك صريحاً ما رواه في البحار من الأمالي والتوحيد والعيون عن الدقاق عن الصوفي عن الرزياني عن عبد العظيم الحسني عن إبراهيم بن أبي محمود قال : قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يروى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ؟ فقال عليه السلام : لعن الله المحرفين للمكلم عن مواضعه ، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك إنما قال صلى الله عليه وآله : إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة

في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادى هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأستغفر له ، ياطالب الخير أقبّل ويا طالب الشر أقصر ، فلا يزال ينادى هذا إلى أن يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء ، حدثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله ﷺ .

وفيه من الاحتجاج عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبي إبراهيم موسى عليه السلام قال:

ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ، فقال عليه السلام : إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل إنما منظره في القرب والبعد سواء لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه ، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، أمّا قول الواصفين إنّه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكلّ متحرّك محتاج إلى من يحركه أو يحركه به ، فمن ظنّ بالله الظنون فقد هلك وأهلك ، فاحذروا في صفاته من أن تفقوا له على حدّ من نقص أو زيادة أو تحريك أو تحريك أو زوال أو استئصال أو نوح أو قعود ، فإنّ الله عزّ وجلّ عن صفة الواصفين ونعت النّاعين ، وتوهّم المتوهّمين .

فانظر إلى هذا الحديث الشريف كيف أبطل ما يقوله الملاحدة بالدليل العقلي ،

فإنّ قوله : فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، يريد به أنّ النّزول المكاني إنّما يتصور في حقّ المتحرّك وكلّ متحرّك موصوف بالتقدّر وكلّ متقدّر متّصف بالنقص عمّا هو زايد منه وبالزيادة على ما هو أنقص منه أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان ، والوجوب الذّاتي ينافي ذلك لاستلزامه التجزّي والانقسام المستلزمين للإمكان .

وأيضاً كلّ متحرّك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به لأنّ المتحرّك إما

جسم أو متعلّق بالجسم والجسم المتحرّك لا بدّ له من محرّك لأنّه ليس يتحرّك بجسميته ، والمتعلّق بالجسم لا بدّ له في تحركه من جسم يتحرك به وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرّك وعن التغيّر بمغيّر وعن التعلّق بجسم يتحرك به .

وأما الدليل الرابع فإن معنى الآية الشريفة ليس ماتوهمه هذا الجاهل بسوء فهمه واعتقاده ، بل معنى آخر .

كما نبه عليه الصادق عليه السلام في الرواية المروية في البحار من التوحيد عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال قال أبو شاذان الديباني: إن في القرآن آية هي قولنا ، قلت : وما هي ؟ فقال : وهو الذي في السماء ، إله وفي الأرض إله ، فلم أدربما اجيبه فحججت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال : هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل له : ما اسمك بالكوفة ، فإنه يقول فلان ، فقل ما اسمك بالبصرة ، فإنه يقول فلان ، فقد كذلك ربنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي كل مكان إله ، قال : فقدمت فأنت أبا شاذان فأخبرته فقال هذه نقلت من الحجاز .

ومحصل جوابه عليه السلام أنه تعالى مسمى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض ، وقال أكثر المفسرين : إن الظرف متعلق بالإله لكونه بمعنى المعبود ، وقال البيضاوي في تفسير قوله : هو الله في السموات وفي الأرض : هو الله الضمير لله والله خبره وفي السموات وفي الأرض متعلق باسم الله ، والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله : هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله .

وروي في البحار من التوحيد بأسناده عن مثنى الحنظلي عن أبي جعفر أظنه محمد بن النعمان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : وهو الله في السموات والأرض ، قال : كذلك هو في كل مكان ، قلت : بذاته ؟ قال : ويحك إن الأماكن أقدار فإذا قلت في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك ولكن هو باين من خلقه محيط بما خلق علما وقدرة واحاطة وسلطانا ، وليس علمه بما في الأرض بأقل مما في السماء لا يبعد منه شيء ، والأشياء له سواء علما وقدرة وسلطانا وملكا واحاطة .

وأما الدليل الخامس فالجواب عنه يمثل الجواب عن سابقه ، فإن المراد به كونه معنا بالعلم والاحاطة والقيومية .

وإجاب عنها أمير المؤمنين عليه السلام بجواب آخر رواه في البحار من الاحتجاج

في جواب أسئلة الزنديق المنكر للقرآن قال عليه السلام : وقوله : وهو الذي في السماء إليه وفي الأرض إليه ، وقوله : وهو معكم أينما كنتم ، وقوله : وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابهم ، فانما أراد بذلك استيلاء امثاله بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه وأن فعلهم فعله الحديث .

وأما الدليل السادس فقد مر جوابه بما لا مزيد عليه قبل أوراق .  
وأما الدليل السابع فأوهن من الجميع ، لأن المراد بالآية هو التنزيه فقط ونفى المثل من جميع الجهات ، إما بجعل الكاف زائدة أو بمعناها الأصلية فداء للمبالغة في نفى المثل على حد قولهم : مثلك لا يبخل .

روى في الصافي من مصباح المتهجد في خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام ليس كمثله شيء ، إذ كان شيء الشيء من مشيئته فكان لا يشبهه مكوّنه .

وروى في البحار من روضة الواعظين عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنه قال : اتقوا أن تمثّلوا بالرب الذي لا مثله أو تشبّهوه من خلقه أو تلقوا إليه الأوهام أو تعلموا « تعملوا » فيه الفكر وتضربوا له الأمثال أو تمنعوه بنعوت المخلوقين ، فإن لمن فعل ذلك ناراً .

وأما مقاله من استلزام التنزيه للتقييد والتحديد معللاً بأن الإطلاق من التقييد تقييد والمطلق بالإطلاق مقيّد ، فقد عرفت فيما سبق ضعفه وأنه غير مستلزم له .

ونزيد توضيحاً ونقول : محصل مراده إن الآية محتملة لوجوه ثلاثة .

أحدها كون الكاف زائدة والمراد بها نفى المثل .

والثاني كونها للتشبيه والمراد بها نفى مثل المثل .

والثالث كونها للتشبيه أيضاً لكن المراد نفى المثل مبالغة وعلى جميع الوجوه

فهى مفيدة للتحديد .

أما على الوجه الأول فلا أن المعنى أنه ليس شيء من الأشياء مثله وشبهه ، والأشياء كلها محدودة بالحدود فإذا نقيت مشابهته بها وميزته عنها فقد أثبت له الحد



بتنزیهك إذ المتمیز عن المحدود محدود بأنه غیره والمغايرة لا تكون إلا بالحدود  
فيكون محدوداً بتمایزه عن المحدودات وهو معنى قوله : فالاطلاق من التقييد تقييد آه .  
وأما على الوجه الثاني فلا أنه يفيد اثبات المثل حيث إن المنفى مثل المثل  
لانفس المثل والمثل محدود فمثله وهو الله تعالى عن ذلك أيضاً محدود .

وأما على الوجه الثالث فلا أنه كالوجه الأول ليفيد التحديد بتمیزه عن المحدود  
فعلى جميع الوجوه يشبث كونه محدوداً ، و أنت خبير بأن هذا كله ناش من قلة  
الفهم إذ قد عرفت أن المراد بالآية هونفى المثل على الوجه الأول أو على الوجه الثالث  
والمقصود بها التنزيه من التشبيه .

وما توهمه من استلزام التنزيه للتقييد والتحديد ، فهو ظاهر في أنه لم  
يفهم معنى التنزيه والتمييز ولم يمييز بين تمايز الموجودات بعضها عن بعض وبين  
تمايز الواجب تعالى عنها وافتراقه لها .

فنقول : إن التمييز على قسمين :

أحدهما التمييز بالحد وهو الذي بين الموجودات فأنها جميعاً لكونها  
محدودة مركبة من الأجناس والفصول ومشملة على الأقدار والنهايات يكون  
تمييز كل منها عن الآخر بالحد المخصوص به .

وثانيهما التمييز عن المحدود وهو تمييز الواجب عن غيره كائناً ما كان ، فإن  
الممكنات بأسرها لمّا كانت محدودة يكون تمييز الواجب عنها بتنزيهه عن الحد  
وهو عبارة اخرى عن وجوب الوجود ، فإنه سبحانه لكونه صرف الوجود وكون  
وجوده عين ذاته وكون تعيينه بذاته يكون متميزاً عما تعيينه وتحصله بالحدود .  
فافهم واغتنم وعلى السراط المستقيم فاستقم .

ومنها قوله عليه السلام في الخطبة المذكورة أيضاً : لا تقدّره الأوهام بالحدود  
والحركات ولا بالجوارح والأدوات .

فإن الفقرة الأولى تدل على تنزيهه من الحدود حسبما عرفت آنفاً وعلى

تنزّهه من التحوّل في الصّور كما قال في الفصّ الالياسي « يتجلّي في القيامة بصورة فيعرف ثمّ يتحوّل في صورة فينكر ثمّ يتحوّل عنها في صورة فيعرف وهو هو المتجلّي في كلّ صورة ليس غيره » انتهى .

و تدلّ أيضاً على تنزّهه من النزول إلى السّماء الدنيا ومن التّنزل إلى مرتبة الممكنات و سراية هويّته فيها حسبما قدّما حكاية ذلك كلّه عن هذه الطائفة الضالّة .

والفقرة الثّانية تدلّ على تنزّهه من الجوارح والأعضاء فتدلّ على بطلان اتّصافه بها و كون أعضاء الانسان أعضاء له كما قال محيي الدين في غير موضع من الفصوص .

و صرح به في الفصّ اليهودي اجمالاً بقوله « فالغير يقول: السّمع سمع زيد والعارف يقول: السّمع عين الحقّ وهكذا ما بقي من القوى والأعضاء فما كلّ أحد عرف الحقّ فنفاضل النّاس وتميّزت المراتب » أي تفاضل النّاس في العلم بالحقّ وتميّزت مراتبهم فبان الفاضل والمفضول في الخلايق .

و في الفصّ السّليمانى تفصيلاً بقوله « والعمل ينقسم على ثمانية أعضاء من الانسان » .

قال القيصري : وهي اليدان والرّجلان والسّمع والبصر والجبهة واللّسان إذ باليدين يتمكّن من التّوضّي والتّطهر ، وعلى الرّجلين يقوم في الصّلاة ويسعى ويحجّ ، وبالسّمع يتمكّن من سماع كلام الله وكلام رسول الله ﷺ ، وبالبصر يتمكّن من المشاهدة في جميع أعماله ، وباللّسان يثنى على الله تعالى و يسبّحه ويقرّ، كلامه، وبالجبهة يسجد في صلاته .

« و قد أخبر الحقّ تعالى أنّه هويّة كلّ عضو منها فلم يكن العامل فيها غير الحقّ والصّورة للعبد والهويّة مندرجة فيه أي في اسمه لا غير » .

قال القيصري: أي أخبر الحقّ بأنّه عين كلّ عضو بقوله: كنت سمعته التّذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، والعامل بحسب الظّاهر

الشخص و أعضاؤه ، و الحق عينها فلا يكون العامل غير الحق غير أن الصورة صورة العبد والهوية الالهية مندرجة في العبد ، ولما كانت الهوية إتما تدرج في أسمائه فشر بقوله : أى في اسمه ، ليعلم أن عين العبد هو أيضاً اسم من أسمائه لا غير ليلزم اندراج الحق في غيره مطلقاً فيتم منه الحلول ، انتهى كلامهما هبط مقامهما .

وقد عرفت فيما تقدم أن المراد بحديث كنت سمعه وبصره معني آخر لاما توهمما ، فيبطل جميع ما فرغنا عليه .

ومنها قوله عليه السلام في الخطبة المذكورة أيضاً : الظاهر لا يقال ممّا والباطن لا يقال فيما ، لا شبح فيتمضي ولا محجوب فيحوى .

فإنه يدل على أن اتصافه بالظهور والبطون ليس بالمعنى المتبادر منهما في غيره ، وعلى أنه لا يتشخص بتشخص الممكنات وصور الموجودات كما هو مذهب هذه الفرقة الضالة حسبما عرفت تفصيلاً ، وعلى أنه لا يكون محجوباً بالحجاب فيدل على بطلان ما ذهبوا إليه أيضاً من كونه محتجباً بالخلق على ما عرفت تفصيلاً وأشار عليه السلام إلى دليل بطلان الاحتجاب بقوله : فيحوى ، يعني أنه لو كان محجوباً لكان محجوباً و كان حجابها حاوياً له محيطاً به فيكون له انقطاع وانتهاء ويكون ذا حدود وأجزاء وهو باطل .

ومثله ما رواه عنه عليه السلام في البحار من الارشاد والاحتجاج عن الشعبي روى أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : والتذى احتجب بسبع طباق ، فعلاه عليه السلام بالدرة ثم قال : يا ويلك إن الله أجل من أن يحتجب من شيء أو يحتجب عنه شيء ، سبحان الذى لا يحويه مكان ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فقال الرجل : أفأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام : لا لم تحلف بالله فيلزمك الكفارة وإنما حلفت بغيره .

و منه

قوله عليه السلام في المختار المائة والثمان والسبعين حين سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى؟ قال : وكيف

تراه ؟ قال : لا تدر كه العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان فان قوله <sup>١٥٤</sup> : لا تدر كه العيون بمشاهدة العيان يبطل القول بالكشف والشهود وأن الحق بكل صورة مشهود كما قال محبي الدين في الفص الهودي :

« وما خلق تراه العين إلا عينه حق » ولكن مودع فيه لها صورة حق ،

قال القيصري : أى ليس خلق في الوجود تشاهده العين إلا و عينه وذاته عين الحق الظاهر في تلك الصورة ، فالحق هو المشهود والخلق موهوم ، ولذلك يسمى به ، فان الخلق في اللغة الافك والتقدير وقال تعالى : إن هذا إلا اختلاق ، أى إفك و تقدير من عندكم ما أنزل الله بها من سلطان ، وقوله : ولكن مودع آه أى صور الخلق حق له بضم الحاء وهو جمع كالحقاق شبه صور الخلايق بالحقاق (١) والحق بما فيها والصور جمع صورة سكن الواو لضرورة .

وقال في ذلك الفص أيضا « بالقرب الالهى من العبد لاختفاء به في الاخبار الالهى فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى فهو أى العبد حق مشهود في خلق متوهم » .

قال الشارح القيصري : أى ظاهر في صورة خلق متوهم وهي الصورة الظلية ، وقد مر غير مرة أن كل ما يدرك ويشهد فهو حق والخلق متوهم لأن الحق هو الذى تجلّى في مرايا الأعيان فظهر بحسبها في هذه الصورة فالظاهر هو الحق لا غير .

« فالخلق معقول و الحق محسوس مشهود عند المؤمنين و أهل الكشف و الوجود و ما عدا هذين الصنفين فالحق عندهم معقول و الخلق مشهود ، وهم المحجوبون بالحكماء والمتكلمين والفقهاء وعامة الخلايق سوى المؤمنين بالأولياء و أهل الكشف لأنهم أيضا يجدون في بواطنهم حقيقة ما ذهب إليه الأولياء و إلا ما آمن .

وقال فيه أيضا « فلا تنظر العين إلا إليه ولا يقع الحكم إلا عليه » قال

الشارح : إذ لا موجود سواه ليكون مشاهداً إياه بل هو الشاهد والمشهود والحاكم والمحكوم عليه إلى أن قال « فمن رأى الحقّ منه فيه بعينه فذلك العارف » أى فمن رأى الحقّ الظاهر على صورته من الحقّ المطلق في عين الحقّ بعين الحقّ فهو العارف أو من رأى الحقّ من نفسه في نفسه بعين الحقّ فهو العارف « ومن رأى الحقّ منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف » أى من رأى الحقّ من نفسه بنفسه بعين نفسه فذلك غير العارف مع أنه صاحب الشهود لعدم اطلاعه على أنه لا يمكن ادراك الحقّ بعين غيره « ومن لم ير الحقّ منه ولا فيه وانتظر أن يراه بعين نفسه فذلك الجاهل » أى من لم ير الحقّ من نفسه ولا فى نفسه و انتظر أن يراه فى الآخرة بعين نفسه فهو الجاهل ، لأنه من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً .

إلى غير هذه من ترّ هاتهم ومن خرافاتهم التى لا طائل فيها وكلام أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا المختار وغيره مما مرّ وسيأتى دليل على بطلانها جميعاً .  
**واصرح** من كلماته عليه السلام كلّها ما رواه فى البحار من التوحيد والعيون عن الرضا عليه السلام فى خطبة طويلة له خطب بها فى مجلس المأمون فى توحيد الله سبحانه وتمجيده وتنزيهه قال عليه السلام فيها : ظاهر لا يتأويل المباشرة متجلى لا باستهلال رؤية .  
 التجلى الانكشاف والظهور يقال : استهّل الهلال بصيغة المعلوم والمجهول أى ظهر وتبين أى ظاهر ليس ظهوره بأن يباشره حاسة من الحواس بل ظاهر بأمانة غالب على كلّ شىء بقدرته و ظاهر أيضاً لا بظهور من جهة الرؤية كما هو زعم هذه الجهلة .

### ومنه

قوله عليه السلام فى المختار المائة والرابع والثمانين : الحمد لله الذى لا تدر كه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراها النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبعثه على وجوده وباشتباهم على أن لا شبه له .  
 فإنّ كلاً من هذه الفقرات دليل على بطلان مقالاتهم الزيفة . متقدمة كما لا يخفى على من أحاط خبراً بما قدمناه من ذوى الفطن الثاقبة .

وقال عليه السلام في هذا المختار أيضا : تلقاه الأذهان لا بمشاعرة ، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة .

و قد عرفت معناهما في مقامهما و أقول هنا : إن الفقرة الثانية دليل على بطلان قولهم بأن أعيان الممكنات مرايا للحق لظهوره فيها كما أن الحق مرآة لها باعتبار آخر ويستفاد من تقريراتهم أن مرآيتها بعنوان المحاضرة بل العينية وأشار إلى ذلك محيي الدين في الفص اليوسفي اجمالا وشرحه القيصرى تفصيلا قالوا : « فكل ما تدر كه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات ، أى كل ما تدر كه بالمدركات العقلية والقوى الحسية فهو عين وجود الحق الظاهر في مرايا أعيان الممكنات ، وقد علمت أن الأعيان مرايا للحق وأسمائه كما أن وجود الحق مرآة للأعيان ، فبالاعتبار الأول جميع الموجودات عين ذات الحق والأعيان على حالها في العدم لأن حامل صور الأعيان هو النفس الرحمانى ، والنفس الرحمانى إشارة الى ما قاله في الفص الهودى وشرحه .

قال الثامن « ولهذا الكرب تنفس فنسب النفس إلى الرحمن ، قال الشارح أى لكون الحق ذواته مشتملا على حقايق العالم وصورها وطلب ملك الحقايق ظهورها حصل الكرب في الباطن ولهذا الكرب تنفس الحق أى تجلّى لظهار ما في الباطن من أعيان العالم في الخارج فنسب أى الحق النفس الى الرحمن أى إلى الاسم الرحمانى بلسان نبيه عليه السلام في قوله : إني أجد نفس الرحمان من قبل اليمن ، والنفس عبارة عن الوجود المنبسط على الأعيان عيناً وعن الهيولى الحامل لصور الموجودات والأول مرتب على الثاني .

« لأنّه رحم ما طلبته النسب الالهية من ايجاد صور العالم التي قلنا هي ظاهر الحق ، أى نسب النفس إلى الرحمن لأن الحق بالنفس الرحمانى رحم الأعيان فاعطى ما طلبته النسب الالهية التي هي الأسماء والصفات من وجود صور العالم التي هي ظاهر الحق انتهى .

وهو أى النفس الرحمانى عين وجود الحق والوجود الاضافى الفايض عليها

أيضاً عين الحقّ فليس المدرك و الموجود إلا عين الحقّ والأعيان على حالها في العلم ، و هذا مشرب الموحد ، و بالاعتبار الثاني الأعيان هي الظاهرة الموجودة في مرآيا الوجود والوجود معقول محض ، وهذا مشرب المحجوبين عن الحقّ ومشرب المحققّ الجامع بين المراتب العالم بهما في هذا المقام الجمع بين الحقّ والخلق بحيث شهود أحدهما لا تحجبه عن شهود الآخر ، وذلك لجمعه بين المرأتين ، لأنّ المرآيا إذا تقابلت تظهر منها عكس جامع لما فيها ، فيتحد ما في المرآيا المتعددة بحكم اتحاد انعكاس أشعتها وإلى هذا الاعتبار أشار بقوله :

« فمن حيث هوية الحقّ هو وجوده ، أي فكلّ ما تدرّكه من حيث هوية الحقّ الظاهرة فيه هو عين وجوده » ومن حيث اختلاف الصور فيه ، أي في كلّ ما تدرّكه هو أعيان الممكنات » انتهى كلامهما هبط مقامهما .

وأنت قد عرفت فساد ذلك كلّهُ مضافاً إلى قوله عليه السلام هنا بما حققناه سابقاً من أنّ وجود الحقّ بذاته مباين لمخلوقاته فكيف يكون أحدهما آناً لآخر على أنّ مرآية الأعيان تستلزم التحديد والحواية للحقّ وعرفت منافاتهما لوجوب الوجود .  
و منه

أكثر فقرات الخطبة المائة والخامسة والثمانين التي تجمع من اصول علم التوحيد ما لا تجمعه خطبة حسبما يعرفه المتدبّر الخبير  
فمن جملة هذه الفقرات قوله عليه السلام : « ولا حقيقة أصاب من مثله ولا آية عنى من شبهه .

فانه صريح في التنزيه من التمثيل والتشبيه ، وقد عرفت أنّ هؤلاء يقولون بالجمع بين التنزيه والتشبيه كما قال في الفصّ النوحى :  
« فان قلت بالتنزيه كنت مقيداً      و ان قلت بالتشبيه كنت محدداً ،  
« و ان قلت بالأمرين كنت مسدداً      و كنت إماماً في المعارف سيداً ،  
وعرفت فساداً بما لا مزيد عليه .

ومنها قوله عليه السلام : « كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم في سواء معلول .

فانه مبطل لقولهم بتجلى وجود الحق في العالم وظهوره في مرابا الأعيان كما قال في الفصّ الابراهيمي «ويعطيك الكشف أنّ العالم ليس إلاّ تجليه في صور اعيانهم الثابتة التي يستحيل وجودها بدونه وانه يتنوع ويتصور بحسب حقايق هذه الأعيان وأحوالها» .

قال القيصري : أي يعطيك الكشف أنّ الحقّ هو الذي ظهر في صور العالم وتنوع بحسب أنواع الأعيان وتصور بصور هذه الحقايق وأحوالها ، فالأعيان باقية على عدمها والمشهود هو الوجود الحقّ لاغير ، انتهى .

وهو عبارة اخرى عن قولهم بأنّ وجود الحقّ سار في المخلوقات وانه متخلّل فيها مثل تخلل اللون المتلون حسبما قدّمنا حكايته عنهما من الفصّ الابراهيمي وبيننا فساده هناك .

ومنها قوله **إِلَّا** : غنيّ لا باستفادة .

يعني أنّ غناه بذاته لا تصافه بالوجوب لا كساير الأغنياء مستفيداً للغني من الغير، وإلّا لزم أن يكون ناقصاً بذاته مستكملاً لغيره وهو محال ، وهذا دليل على بطلان قولهم بأنّ الحقّ سبحانه من حيث ذاته الأحديّة غنيّ عن العالمين ، ولكن من حيث الالهية والربوبية والقادرية وغيرها من الأسماء والصفات محتاج اليها وقدصرّحنا بذلك في مواضع من المقصود وشرحه .

قال القيصري في شرح الفصّ العيسوي : قد مرّ في أوّل الكتاب أنّ الذات الالهية من حيث أحديتها موصوفة بالغني عن العالمين ومن حيث إلهيتها وأسمائها موصوفة بالافتقار حيث قال : فالكلّ مفتقر مالكل مستغن .

وقال محبي الدين في الفصّ الابراهيمي «ثمّ إنّ الذات لو تعرّت عن هذه النسب لم تكن إلهاً» .

قال القيصري : واعلم أنّ الاله اسم الذات من حيث هي هي مع قطع النظر عن الأسماء والصفات باعتبار ، واسم الذات مع جميع الأسماء والصفات باعتبار آخر، والمراد هنا الاعتبار الثاني ، والالهية اسم مرتبة حضرة الأسماء والصفات التي



هي النسب المتكثرة باعتبارات ووجوه تحصل للذات بالنظر إلى الأعيان الثابتة المتكثرة الثابتة في أنفسها واستعداداتها ، لأنّ المرتبة كما يستدعي من يقوم بها كذلك يستدعي من يجرى عليها أحكامها كالسلطنة والقضاء ، فلولم يعتبر هذه النسب لم يبق إلاّ الذات الالهية لا يشار إليها بوجه من الوجوه ولا يوصف بنعت من النعوت ، وهو مقام الهوية الأحدية التي تستهلك النسب كلها فيه فيكون الحق تعالى إليها أى في مرتبة حضرة الأسماء والنسب الالهية باعتبار أعياننا كما أنّ السلطان سلطان بالنظر إلى الرعية والقاضي قاض بالنظر إلى أهل المدينة فتلحق هذه النسب إليه بنا .

« وهذه النسب أحدثتها أعياننا فنحن جعلناه بمألوهيتنا إليها » .

قال القيصرى أى هذه الصفات إنّما ظهرت بأعيانها إذ لو لم يكن لما كان يظهر الخالق والرّازق والقادر والواسع والمير وغير ذلك من الأسماء والصفات الإضافية ، وليس المراد بالجعل الاحداث والايجاد لأنّما جمولون وموجودون فيجعل الحقّ وايجادها إيماناً تظهر تلك الصفات ، والمراد بالمألوهية عند هذه الطائفة مرتبة العبودية وبالمألوه العبد لا المعبود لا كما يقول المفسرون من أنّ الاله بمعنى المألوه وهو المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب . ومعناه نحن أظهرنا بعبوديتنا معبوديته وبأعياننا إلهيته إذ لو لم يوجد موجود قطّ ما كان يظهر أنه تعالى إله كما نطق به : كنت كنزاً مخفياً ، الحديث فالجعل ليس على معناه الحقيقي بل على معناه المجازى وهذا ليس بلسان أهل السحور فيه نوع من الشطح لما فيه من الرّعونة الغير اللايقة للمتأولين بين يدي الرّحمن ونظيره كما يقول لسان الرّعية والمريد والتلميذ : إنّ السلطان بوجوده صار سلطاناً وبارادتي وقرأتني عليه صار الشيخ شيخاً والاستاد استاداً . وقال في الفصّ الشعبي وشرحه : « وأما الإشارة من لسان الخصوص فإنّ الله وصف نفسه بالنفس بفتح الفاء وهو من باب التنفيس » أى وصف بلسان نبيّه في قوله إنّني أجد نفس الرّحمان من قبل اليمين نفسه بأنّ له التنفس وهو مأخوذ من التنفيس لانه إرسال الهواء الحارّ من الباطن وإيراد الهواء البارد لترويح المتنفّس عن

الكرب ، فالمتنفس إنما يتنفس دفعا للكرب فنسبة النفس الالهى بالنفس الانساني وأضاف الكرب اليه لامن حيث إنّه غنيّ عن العالمين بل من حيث إنه ربّ لهم وكر به طلب الأسماء الالهية الباقية في الذات الأحدية بالقوّة ظهورها وأعيانها فتتنفس واوجد أعيان تلك الأسماء فظهرت الالهية .

«وانّ أسماء الالهية عين المسمّى» أي من حيث الوجود واحدية الذات وان كانت غير أبا باعتبار كثرتها «وليس إلهو» أي وليس المسمى إلا عين هوية الحقّ «وانها طالبة ماتعطيها الحقايق» اي وأن الأسماء طالبة وجود ماتعطي الحقايق الكونية للحقّ من الأحكام و الصفات الكونية « وليست الحقايق التي يطلبها الأسماء إلاّ العالم فاللوهية تطلب المألوه» والرؤية تطلب المربوب لأنّ كلّ واحد من أسماء الصفات والأفعال يقتضي محلّ ولايته ليظهر به ، كالقادر للمقدور والخالق للمخلوق والرازق للمرزوق وهكذا غيرها ، والفرق بين الالهية والرؤية أنّ الالهية حضرة الأسماء كلّها اسم الذات والصفات والأفعال ، والرؤية حضرة أسماء الصفات والأفعال ، ولذا تأخرت عن المرتبة الالهية قال تعالى : الحمد لله رب العالمين .

«والا» اي وإن لم يكن الالهية والرؤية طالبة للمألوه والمربوب لا يكون شيء منها متحققا كما لا يتحقق الابوة إلاّ بالابن والبنوة إلاّ بالأب لانهما من قبيل المتضامين «فلاعين لها الأب» وجود أو تقدير «فلاعين للالهية والرؤية إلاّ بالعالم» سواء كان موجودا بالوجود الحقيقي أو مقدرأ «والحقّ من حيث ذاته غنيّ عن العالمين والرؤية مالها هذا الحكم» إذ لاغنا. لها عن المربوب «بقي الأمرين ما تطلبه والرؤية وما يستحقّه الذات من الغنيّ عن العالم» أي بقي الشأن بين الغنيّ الذاتيّ والافتقار الأسمائيّ فيجب أن ينزل كل منهما على مقامه فنقول : الغنيّ من حيث الذات لأنّ العالم كان أولم يكن لا يحصل التغيّر في الذات أصلا بل هي على حالها أزلا وأبداً عند وجود العالم وعدمه ، والافتقار من حيث الرؤية والالهية .

وامّا كانت الرؤية صفة الذات الغنية والصفة عين الموصوف في الأحدية قال :

« وليست الرؤية على الحقيقة والاتّاف إلاّ عين هذه الذات » فللذات الغنيّ عن

العالمين من وجه وهو وجه الأحدى المتعالية عن النسب والاضافات ولها الافتقار إليهم من وجه وهو وجه الواحدية الطالبة للنسب ومظاهرها ، انتهى كلامهما هبط مقامهما

وهو كما ترى صريح فى افتقاره تعالى فى صفاته المضافة إليه سبحانه سواء كانت صفة ذات كالعلم والالوهية والقدرة والربوبية وغيرها أو صفة فعل كالخلق والرزق والارادة والاماتة والاحياء ونحوها مما هو معانى أسمائه الحسنى إلى غيره و إن كان غنياً من حيث ذاته الأحدى العارية عن النسب والاضافات .

وهذا زعم فاسد وهم باطل لما قدّمنا فى المقدمة التى مهّدها سابقاً للدليل العقلي من أن الواجب تعالى تام فوق التّمَام ، وقلنا إن المراد بتماميته كونه جامعاً للصفات الكمالية كلّها وكونها جميعاً حاصله له بالفعل بنفسه من دون حاجة إلى الغير ، لأنّ الكمالات كلّها وجود وهو تعالى عين الوجود فكيف يكون ناقصاً فى ذاته مستكملاً بغيره ومفتقراً بذاته مستغنياً بمخلوقاته .

وهو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : غني لا باستفادة ، وقول الحكماء الالهيّين : واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات .

والحاصل إنّنا نقول : إنّه عزّ وجلّ إله ومعبود عالم قادر فاهر غالب ربّ رحيم سميع بصير خالق رازق غير مفتقر فى اتّصافه بهذه الصفات إلى مألوه وعابد ومعلوم ومقدور وهكذا بل كان هذه الصفات ثابتة له فى الأزل قبل وجود المخلوقات .

ويدلّ على ذلك صريحا قول أمير المؤمنين عليه السلام فى الخطبة التى رويها عنه من الكافي فى شرح المختار المائة والثامن والسبعين حيث قال فيها : كان ربّاً إذ لا مربوب ، وإلها إذ لا مألوه وعالماً إذ لا معلوم وسميعاً إذ لا مسموع .

ومثله بل أصرح منه قول الرضا فى الحديث الآتى روايته تماماً المروى عنه عليه السلام فى البحار من التوحيد والعيون حيث قال فيه : له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الالهية إذ لا مألوه ومعنى العالم إذ لا معلوم ومعنى الخالق إذ لا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع ليس مذخلق استحق معنى الخالق ولا باحدثه البرايا استفاد

معنى البرأئية .

قال المحدث العلامة المجلسيُّ : قوله عليه السلام : له معنى الربوبية أي القدرة على التريية إذ هي الكمال ، وقوله : إذ لا مالوه ، أي من له إلا له أي كان مستحقاً للمعبودية إذ لا عابد ، وإنما قال وتأويل السمع ، لأنه ليس فيه تعالى حقيقة بل يؤول بعلمه بالمسموعات ، وقوله : ليس من خلق استحق معنى الخالق ، إذ الخالقية التي هي كماله هي القدرة على خلق كل ما علم أنه أصلح ، و نفس الخلق من آثار تلك الصفة الكمالية ولا يتوقف كماله عليه والبرأئية ، بالتشديد الخلاقية .

فقد علم بذلك أن قول محيي الدين : إن الذات لو تعرت عن هذه النسب لم تكن إلها ، وقوله : هذه النسب هي التي أحدثتها أعياننا ، باطل جداً ، وما أعظم جسارته وأقبح هجره في قوله : ونحن جعلناه بما لو هيتنا إلهاً ، والشارح القيصرى لما رأى فرط شناعته وفضاعته أراد إصلاحه بصرفه عن ظاهره ولن يصلح العطارما أفسد الدهر .

و بالجملة فالقول بافتقار الله سبحانه في ذاته أو صفاته أو أفعاله إلى مصنوعاته ونقصانه بذاته والتماسه التمام بمخلوقاته إلحادٌ وجحودٌ وإنكارٌ لوجوب الوجود . فان قلت : لعل غرض هؤلاء ، إن الحق سبحانه كان متصفاً بتلك الصفات في الأزل من دون حاجة إلى غيره ، ولكن ظهور اتصافه بها كان موقوفاً على وجود المخلوق ومحتاجاً إليه ، وبعبارة أخرى انه مستغن في ذاته وصفاته عن غيره ولكن في اظهار هذه الصفات وتلك النسب والاضافات كان مفتقراً إلى ايجاد الموجودات .

قلت : نسبة الافتقار إلى الله تعالى شأنه بأي اعتبار كان غلط بين ، نعم إن قلنا إنه عز وجل كان متصفاً بصفات العظمة والكمال غنياً في ذاته وصفاته عن غيره ، ثم اقتضى العلم الأصلح والحكمة البالغة ابداع الموجودات وايجاد الممكنات فخلقهم وأبدعهم على ما شاء ، وأراد ، ولما أفاض الوجود علينا وصرنا موجودين ظهر لنا بما أرانا في الآفاق والأفانق من عجائب قدرته وبدايع صنعته وجوده وعلمه وقدرته وحكمته و ارادته وسائر صفاته الكمالية وعلمنا علماً يقيناً جامعيتها لجميع الكمالات التي هي

معني إلهيته ، كان قولاً حقاً دلنا عليه الكتاب المبين ، وأدلاء الحق من الأنبياء والمرسلين ، والحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، وهذا هو الاعتقاد الصواب الذي نطق به السنة والكتاب فيجب أن يدان به ويرفض غيره والله الهادي الى سواء السبيل الحق .

ومنها قوله عليه السلام : يخبر باللسان ولهوات ، ويسمع لا بخروق وأدوات ، يقول ولا يلفظ .

وهو مبطل لقولهم بأن الرب يتكلم وينطق بلسان العبد ويسمع بسمعه لتجليه فيه وفي جوارحه عموماً ، وقد مر بيان ذلك تفصيلاً .

وصرح محيي الدين بذلك أي بأن كلامه كلامه خصوصاً في الفص العيسوي حيث قال في تأويل قوله تعالى على رأيه الفاسد خطأ بالعيسى : أنت قلت للناس اتخذوني وامتي إلهين من دون الله ، مانص عبارته :

«فقال وقد تم التنزيه سبحانه فحد بالكاف التمي تقتضي المواجهة والخطاب» .  
قال الفيضري : أي نزاهة الحق أولاً عن مقام فيه وهو العبودية المنعوتية بالامكان ونقاياه اللازمة له ، وميزتين مقام الألوهية والعبودية بكاف الخطاب والمواجهة كما خاطبه الحق بضمير الخطاب ، وذلك التنزيه والتميز هو التحديد كما مر في الفص التوحي .

لذلك قال فحد بالكاف ما يكون لي من حيث أنا لنفسي دونك أن أقول ما ليس لي بحق أي ما يقتضيه هويتي ولذاتي ، قد مر مراراً أن لكل موجود جهتين : جهة الربوبية وجهة العبودية ، والثاني متحقق بالأول فقوله : ما يكون لي أي لنفسي من جهة العبودية والانانية مجردة من جهة الربوبية والهوية الإلهية ، أن أقول ما ليس لي بحق ثابت في نفس الأمر ، وقوله : أي ما يقتضيه هويتي ولا ذاتي تفسير لقوله : ما يكون لي ، ومعناه ما يقتضيه عيني وهويتي أن يظهر بدعوى الألوهية من حيث نفسها المتميئة كالغراعة وإلاً ما كنت نبياً ولان المرسلين .

دان كنت قلته فقد علمته لأنك أنت القائل في صورتني ومن قال أمراً فقد علم

ما قال وأنت اللسان الذى أتكلّم به، أي أنت القائل في صورتى وأنت اللسان الذى أتكلّم به بحكم أنّك متجلّى فى هويّتى وعينى، ومحلّها بتلك الكمالات «الكلمات ظ»، فهى لك فى الحقيقة ومالى إلاّ العدم، فان قلت ذلك تكون أنت القائل والقائل لا بد أن يعلم القول الذى صدر منه .

فان قلت : قوله : لأنك أنت القائل ، يدلّ على أن الحق هو المتكلّم ، وقوله : وأنت اللسان الذى أتكلّم به ، يدلّ على أن العبد هو المتكلّم لا الحق فينبهما منافاة . قلت : الأوّل إشارة الى نتيجة قرب الفريض ، والثانى إلى نتيجة قرب النوافل وفى الأوّل المتكلّم هو الحق بلسان العبد ، وفى الثانى المتكلّم هو العبد بلسان الحق ، فتغايرت الجهتان .

ولمّا فسّره بما هو مناسب الحديث الرّبّانى قال «كما أخبرنا رسول الله ﷺ عن ربّه فى الخبر الالهى فقال: كنت لسانه الذى يتكلّم به فجعل هويّته عين لسان المتكلّم ونسب الكلام الى عبده» أى قال الله فى حق عبده، فاذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه فبى بنطق وبى ببصرو بى يسمع فالمتكلّم والسّميع والبصير هو العبد لكن بالحق وذلك لأنّ هذا المقام أى مقام الفناء فى الصفّات مقام نتيجة النوافل لامقام الفناء فى الذات مقام نتيجة الفريض .

ثمّ تمّ العبد الصالح الجواب بقوله: تعلم ما فى نفسى، أى تعلم ما فى نفسى من هويّتك وكما لانك المتسترة فى هويّتى وما يخطر فى خاطرى «والمتكلّم الحق» أى والحال أن المتكلّم بهذا الكلم هو الحق من مقام تفصيله بلسان عيسى، والتاء للخطاب إلى مقام جمعه فهو السامع كما أنه هو المتكلّم «ولا أعلم ما فيها فنفى العلم عن هوية عيسى من هويّته لا من حيث هو قائل و ذو أثر» أى نفى الحق المتكلّم بلسان عيسى العلم عن هوية عيسى حتى لا يكون العلم بها، وذلك النفى من حيث هويّته العدمية لامن حيث قائل أو قادر فانه من هذه الحيثية حق لا غير ، وإنما قال ولا أعلم ما فيها ولم

يقول ما في نفسك كما في القرآن تنبيهها على أن نفسه عين نفس الحق في الحقيقة وإن كان غيره بالتعيين ، انتهى كلامهما هبط مقامهما .

**اقول :** فيالله ولهذين الجاهلين الضالين كيف يحرفون كلام الله و كلام رسوله عن مواضعه ثم يقولون هذا من عندالله وما هو من عندالله ، ويؤولون آيات الكتاب المجيد الواردة في التوحيد و التمجيد و التنزيه من التشبيه و التحديد إلى كلمة الكفر و الشرك و الضلال زعماً منهم أن هذا عين الاخلاص و التوحيد الذي غاب عن غيرهم ، واختصوا بعرفانه بالكشف و الشهود مع أنه عين الشرك و الالحاد و الجحود، وويل لمن كفره نمرود .

قال قطب الدين بن محيي الدين الكوشكتارى وهو من أجل مشايخ الصوفية أيما رجل من أهل الكشف و جدنا اسلوبه في عبارته عن مكشافته يغاير اسلوب صاحب الوحي علمنا أنه مدخول و كشفه معلول ، وأن الحرص و العجلة دعاءه إلى تركيب ما قذف في قلبه من التور البسيط و التصرف فيه و التخليط ، ثم إن هذا الاسلوب الذي انتشر في الأرض من صاحبي الفصوص و النصوص اسلوب هو عن المناسبة و المشابهة بأسلوب صاحب الوحي بعزل بالكلمة ، فيحصل لنا بمقتضى ذلك القانون العلم بأنهما معلولان و في كشفهما مدخولان ، فيكون سبيلنا مع كلامهما و كتبهما الهجران ، انتهى .

ونعم ماقال الفاضل الفيض ملا محسن القاساني في أواخر كتابه المسمى بشارات الشيعة ما عبارته :

هذا شيخهم الاكبر محيي الدين ابن العربي وهو من أئمة صوفيتهم و من رؤساء أهل معرفتهم يقول في فتوحاته : إنني لم أسأل الله أن يعرفني امام زماني ، ولو كنت سألته لعرفني ، فاعتبروا يا اولي الأبصار .

فانه لما استغنى عن هذه المعرفة مع سماعه حديث من لا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية المشهور بين العلماء كافة كيف خذله الله و تركه و نفسه ، فاستوته الشياطين في أرض العلوم حيران ، فصار مع وفور علمه و دقة نظره و سيره في أرض

الحقايق وفهمه للأسرار والدقايق لم يستقم في علم من علوم الشرايع ، ولم يعرض على حدودها بضرر قاطع ، وفي كلامه من مخالقات الشرع الفاضحة ومناقضات العقل الواضحة ما يضحك منه الصبيان وتستهزه به النسوان كما لا يحفى على من تتبّع تصانيفه ولا سيّما الفتوحات خصوصاً ما ذكره في أبواب أسرار العبادات .  
ثم مع دعاويه الطويلة العريضة في معرفة الله ومشاهدته المعبود وملازمته في عين الشهود و تطوافه بالعرش المجيد و فنائه في التوحيد تراه ذاشطح وطامات ، و صلف و رعونات في تخليط و تناقضات تجمع الأضداد ، وفي حيرة محيرة تقطع الأكباد ، يأتي تارة بكلام ذي ثبات وثبوت ، واخرى بما هو أوهن من بيت العنكبوت وفي كتبه و تصانيفه من سوء أدبه مع الله في الأقوال ما لا يرضى به مسلم بحال ، في جملة كلمات مزخرفة مخبّطة تشوش القلوب و تدهش العقول وتحيّر الأذهان ، و كأنه كان يرى في نفسه من الصور المجردة ما يظهر للمتخلّي في العزلة فيظن أنّ لها حقيقة وهي له ، فكان يتلقّيها بالقبول ويزعم أنها حقيقة الوصول ، ولعله ربما يختلّ عقله لشدة الرياضة والجوع ، فيكتب ما يأتي بقلمه مما يخطر بباله من غير رجوع ، انتهى .

و لعمري أنه كلام في شرح حال ابن العربي ليس فوقه كلام ، و هذا أيضا حال من حدّأخذوه من تلامذته ومتابعيه ، ومع هذا كله فالعجب كلّ العجب من ادّعائهم أنهم العارفون بالله وأنّ غيرهم لمحجوبون مع أنهم الجاهلون الضالون المكذّبون للأنبياء والمرسلين ، فويل لهم ثمّ ويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .

ولو أردت البسط من مزخرفاتهم لخرجنا عن وضع الكتاب ، وفيما أوردناه من أحاديث الأئمة الأطهار والأطياب ونقلنا من خطب أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في هذا الباب كفاية في تسفيه أحلامهم ، وإبطال مقالهم لأولى الألباب .  
و أكثر الخطب تضماً لهذا الغرض الخطبة المائة والخامسة و الثمانون التي نقلنا منها هنا أخيراً عدّة فقرات ، ومن أراد زيادة البصيرة فليراجع أصل الخطبة .



وتلونها خطبة اخرى لأبي الحسن الرضا عليه السلام وأكثر فقراتها و مضامينها مطابقة لخطبة جدّه سلام الله عليه وآله ، ولما كانت خطبته عليه السلام متضمنة لزيادات نفيسة ونكات بديعة خلّت عنها خطبة أمير المؤمنين عليه السلام أحببت روايتها .

و الناقد المتوقّد الخبير المحيط خيراً بما قدّمناه من الأدلّة النقلية في ابطال مقال هؤلاء الجهّال من أهل الضلال إن لاحظ هذه الخطبة بنظر الدقّة والاعتبار ، ووصل إلى فحويها وعمق في معناها عرف أنّها في الحقيقة فذلكة تلك الأدلّة ، وأنّها قالعة لأساس بنیان مذهب الصوفية أصابهم حاصبو لابقى منهم أبر حتّى لا يذكر من هذا المذهب ذاكر ، ولا يسمر فيه سامر ، فأقول وبالله التوفيق :  
 روى المحدث العلامة المجلسي في البحار من التوحيد والعيون قال :  
 حدّثنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو الكاتب عن محمد بن أبي زياد القلزمي عن محمد بن أبي زياد الجددي صاحب الصلاة بجدة ، قال : حدّثني محمد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد .

قال ابن أبي زياد : ورواه لي أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالا لبعضهم ، عن القاسم بن أيوب العلوي أنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام جمع بني هاشم فقال : إنّي أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي فحسده بنوه هاشم وقالوا تولّي رجلا جاهلا ليس له بصير بتدبير الخلافة فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به عليه ، فبعث إليه فاتاه فقال له بنوه هاشم : يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا نعبدا لله عليه .

فصعد عليه السلام المنبر فقعده مليّاً لا يتكلّم مطرراً ثمّ انتفض انتفاضة واستوى قائماً وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه وأهل بيته ثمّ قال :

أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه ، لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كلّ موصوف

أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كل صفة و موصوف بالاقتران ،  
وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث  
فليس الله من عرف بالتنشيه ذاته ، ولا إتياء وحده من اكنهه ، ولا حقيقته أصاب  
من مثله ، ولا به صدق من نهائه ، ولا صمد صمده من أشار إليه ، ولا إتياء عنى من  
شبهه ، ولا له تذلل من بعضه ، ولا إتياء أراد من توهمه ، كل معروف بنفسه  
مصنوع ، وكل قائم في سواه معلول ، صنع الله يستدل عليه ، وبالعقول تمتد معرفته  
وبالفطرة تثبت حجته ، خلقة الله الخلق حجاب بينه وبينهم ، ومباينته إتياءهم  
مفارقة أيمنيتهم « انيستهم » وابتدأه إتياءهم دليلهم على أن لا ابتداء له ، لعجز كل  
مبتدئ عن ابتداء غيره ، وأدوه إتياءهم دليلهم على أن لا أداة فيه ، لشهادة الأدوات  
بفاقة الماديين ، فأسماؤه تعبير ، وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه  
وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه ؛ وقد تعداه من  
اشتمله ، وقد اخطأه من اكنهه ، ومن قال كيف فقد شبهه ، ومن قال لم فقد علمه ،  
ومن قال متى فقد وقته ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال إلىم فقد نهائه ، ومن  
قال حتى م فقد غيابه ، ومن غيابه فقد غاياه ، ومن غاياه فقد جزاه ، ومن جزاه  
فقد وصفه فقد الحد فيه ، لا يتغير الله بانغيار المخلوق كما لا يحد بتحديد المحدود  
أحد لا بتأويل عدد ، وظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجلى لا باستهلال رؤية ، باطن لا  
بمزيلة ، مباين لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسم ، موجود لا بعد عدم  
فاعل لا باضطرار ، مقدر لا بجول فكرة ، مدبر لا بحرركة ، مرید لا بهمامة ، شاه لا  
بهمة ، مدرك لا بمجسة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، لانصحه الأوقات ، ولا تضمنه  
الأماكن ، ولا تأخذه السنوات ، ولا تحده الصفات ، ولا تفيده الأدوات ، سبق الأوقات  
كونه ، والعدم وجوده ، والابتداء أزاله ، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجويره  
الجواهر عرف أن لا جوهر له ، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له ، وبمقارنته  
بين الأمور عرف أن لا قرين له ، ضد النور بالظلمة ، والجلالية بالبهيم ، والجسوء  
بالبلل ، والسرور بالحرور ، مؤلف بين متعادياتها ، مفرق بين متدانياتها ، دالة بتفريقها

على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها ذلك قوله عز وجل « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ، شاهدة بغرايزها أن لا غريزة لمغرزاها ، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها ، له معنى الربوبية إذ لا ربوب ، وحقيقة الالهية إذ لا مالوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع ، وليس مذكول استحق معنى الخالق ، ولا باحدائه البرايا استفاد معنى البرائية ، كيف ولا تغيبه مذ ، ولا تدنيه قد ، ولا يحجبه لعل ، ولا يوقته متى ، ولا يشتمله حين ، ولا تقارنه مع ، إنما تحدت الأذوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظايرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتهما مذ القدمة ، وحمتهما قد الازلية ، وجنبتهما لولا التكملة ، افرقت فدللت على مفرقها ، وتباينت فاعربت عن مباينها ، بها تجلّى صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرؤية ، وإليها تتحاكم الأوهام ، وفيها اثبت غيره ، ومنها انيط الدليل ، وبها عرفتها الاقرار ، بالعقول بمتقد التصديق بالله ، وبالاقرار يكمل الايمان به ، لاديانة إلا بعد معرفة ، ولا معرفة إلا باخلاص . ولا إخلاص مع التشبيه ، ولانقى مع إثبات الصفات للتشبيه « بالتشبيه خ ل » فكلمًا في الخلق لا يوجد في خالقه ، و كلاً ما يمكن فيه يمتنع في صانعه ، لانجرى عليه الحركة والسكون ، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه ، ويعود فيهما هو ابتداء ، إذًا لتفاوتت ذاته ، ولتجزء كنهه ، ولا يمتنع من الأزل معناه ، ولما كان للبارى معنى غير المبرء ، ولوحد له وراء إذًا حد له أمام ، ولو التمس له التمام إذًا لزمه النقصان ، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث ، وكيف ينشي الأشياء من لا يمتنع من الانشاء ، إذًا لقامت فيه آية المصنوع ، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه ، ليس في محال القول حجّة ، ولا في المسألة عنه جواب ، ولا في معناه له تعظيم ، ولا في إبانته من الخلق ضيم إلا بامتناع الأزلي ان يثنى ، وما لا بد له أن يبدء ، لإله إلا الله العلي العظيم ، كذب العادلون بالله و ضلّوا ضلالاً بعيداً ، و خسروا خساراً مبيهاً ، و صلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

ورواه في البحار أيضاً من الاحتجاج مرسلان قوله ﷺ : وكان المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام إلى آخر الخبر .

ومن أمالي الشيخ عن المفيد عن الحسن بن حمزة العلوي عن محمد الحميري عن أبيه عن ابن عيسى عن مروك بن عبيد عن محمد بن زيد الطوسي الطبري قال : سمعت الرضا عليه السلام ينكلم في توحيد الله فقال: أوّل عبادة الله معرفته إلى آخر الخطبة .  
و من المجالس عن الحسن بن حمزة مثله بتغيير ما .

### بيان

قال المحدث العلامة المجلسي قد « ملياً » أى طويلا و الانتقاض ، شبه الارتعاد والاقشعرار .

قوله « أوّل عبادة الله معرفته » نظير قول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الأولى : أوّل الدين معرفته ، أى أشرف عبادته و أقدمها زماناً و رتبة ، لأن طاعة المعبود بعد معرفة نفس المعبود ، وقال بعض المحققين: المراد بالعبادة هنا العبودية أن كون العبد عبداً ، فأنه موقوف على معرفة المولى ، و أصل المعرفة التوحيد إذ مع اثبات الشريك أو القول بتر كـب الذات ، أو زيادة الصفات يلزم القول بالامكان المنافي للوجوب ، فالمشرك القائل بالتعدد لم يعرف الواجب .

قوله « و نظام توحيد الله نفي الصفات عنه » قد عرفت معناه في شرح الخطبة الأولى و نقول هنا إنّه عليه السلام استدل على نفي الصفات الزائدة بقوله « لشهادة العقول » إلى قوله « من الحدث » .

قال في البحار: و يمكن تقريره بوجوه :

الأوّل أن يكون إشارة إلى دليلين:

الأوّل أن كل صفة و موصوف لا بد أن يكونا مخلوقين لأن الصفة محتاجة إلى الموصوف لقيامها به و هو ظاهر ، و الموصوف محتاج إلى الصفة في كماله و الصفة غيره و كل محتاج إلى الغير ممكن ، فلا يكون شيء منهما واجباً ولا المركب منهما ، فنبت احتياجهما إلى علة ثالثة ليس به موصوف ولا صفة و إلا

لعاد المحذور .

الثاني أن الصانع لا بد أن يكون كاملاً أزلاً وأبداً ، لشهادة جميع العقول به ، فلا بد أن تكون الصفات الزائدة مقارنة له غير منفكة عنه ، ولا يجوز قدم الجميع لبطلان تعدد القدمات ، فيلزم حدوث الذات والصفات معاً ، فلا يكون شيء منهما واجباً ، فالمراد بقوله : شهادة كل صفة وموصوف شهادة كل موصوف فرض صانعاً وصفته أو الصفات اللازمة للذوات .

الوجه الثاني أن يكون إشارة إلى دليلين على وجه آخر :

الأول أنه لو كانت له صفات زائدة لكانت ممكنة لامتناع تعدد الواجب ، ولا يجوز أن يكون الواجب موجداً لها إما لامتناع كون الشيء قابلاً وفاعلاً لشيء واحد ، أو لأن تأثير الواجب فيها يتوقف على اتصافه بتلك الصفات إذ لو لم يتوقف التأثير في تلك الصفات التي هي منشأ صدور جميع الممكنات عليها لم يتوقف التأثير في شيء عليها ، فلا يثبت له تعالى شيء من الصفات ، فيكون معلولة لغيره تعالى ، ومن كانت جميع صفاته الكمالية من غيره لا يكون واجباً صانعاً لجميع الموجودات بالضرورة

الثاني أن التوصيف اقتران خاص يوجب الاحتياج من الجانبين كما مر ، والاحتياج موجب للحدوث المنافي للأزلية .

الوجه الثالث أن يكون راجعاً إلى دليل واحد .

و تقريره أنه لو كانت الصفات زائدة لكانت الذات والصفات مخلوقة ، وهذا خلف ، و بين الملازمة بقوله : و شهادة كل صفة وموصوف بالاقتران بنحو ما مر من الاحتياج المستلزم للإمكان .

وقد يقرر بوجه آخر وهو أن العقل مستقل بأن الموصوف والصفة مخلوقان ، لأن الذات لو كانت عين الوجود و لم تكن محدودة بحد معين لم تكن فاقدة لجهة من جهات الكمال الطارئة عليها ، ولم يتميز الموصوف عن الصفة حينئذ ، و كل محدود محتاج إلى محدده غيره ، و ذلك الغير لا بد أن يكون أحدي

الذات منزها عن الحد .

قوله **﴿فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته﴾** أي ليس من عرف ذاته بالتشبيه بالممكنات واجباً ، لأنه يكون ممكناً مثلها .

قوله **﴿ولا إياه عنى من اكنهه﴾** أي من بين كنه ذاته أو أراد الوصول إلى كنهه ، إذ لو كان يعرف كنهه لكان شريكاً مع الممكنات في التركيب والصفات الامكانية وهو ينافي التوحيد ، و بعبارة اخرى معرفة الكنه إنما تحصل بالاحاطة بالحدود من الأجناس والفصول ، وقد عرفت أنه سبحانه منزّه عن الحد ، فغاية معرفته تعالى أننا لانعرفه بل نقول : إن الاحاطة بأنواع الممكنات على كثرتها والاطلاع على شؤوناتها الغير المتناهية غير ممكنة ، مع أنها محدودة فكيف بالذات المنزهة عن الحد .

قوله **﴿ولا حقيقته أصاب من مثله﴾** أي جعل له شخصاً و مثلاً قال الفيروز آبادي : مثله تمثيلاً صورته له حتى كأنه ينظر إليه ، أو المراد من مثله في ذهنه و جعل الصورة الذهنية مثلاً له ، أو المراد أثبت له مثلاً وشبهه بغيره ، و قد تقدم في شرح الخطبة الماء والخامسة والثمانين تحقيق تنزهه من الشبه والمثل .  
قوله **﴿من نهاه﴾** بالتشديد أي جعل له حداً و نهاية ، و من جعله كذلك لم يصدق بوجوده بل بممكن غيره .

قوله **﴿ولا صدمده﴾** أي قصد نحوه **﴿من أشار إليه﴾** و قد مرّ تحقيق ذلك أيضاً في شرح الخطبة المذكورة .

قوله **﴿ولاله تذلل من بعضه﴾** أي من أثبت أجزاء و أبعاضاً فهو في عبادته و عبوديته لم يتذلل للحق المنزه عن ذلك ، بل عرفه و هو غيره .  
و قوله **﴿ولا إياه أراد من توهمه﴾** أي من تخيل له في نفسه صورة أو هيئة و شكلاً ، فإن ما ميّزه بوهمه مخلوق له مصنوع مثله .

و قوله **﴿كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم في سواء معلول﴾** قد تقدم تحقيقه في شرح الخطبة المذكورة ، ولما ذكر عدم إمكان معرفته بنفسه اتبعه

بقوله « بصرح الله يستدل عليه » إشارة إلى أن طريق معرفته هو الاستدلال عليه بآثاره و صناعه فقط .

و قوله « بالفطرة تثبت حجته » أى بأن فطرهم و خلقهم خلقه قابله للتصديق و الأذعان و المعرفة و الاستدلال ، أو بتعريفهم في الميثاق و فطرهم على ذلك التعريف .

و قوله « خلقه الله الخلق حجاب بينه و بينهم » أى كونه خالقاً و أن الخالق لا يكون بصفة المخلوق و يكون مبايناً له في الصفات صار سبباً لاحتجابه عن الخلق فلا يدر كونه بحواسهم و عقولهم

و الحاصل أن كماله و نقص مخلوقيه حجاب بينه و بينهم ، و بتقرير آخر لما خلق الله الخلق محدوداً و كان سبحانه منزهاً عن الحد حسبما عرفت سابقاً أوجب تحدهم و تنزهه الاحتجاب .

و الحاصل أن المخلوقية علة تاممة للاحتجاب ، لأن الاشتمال على الحد من لوازم ذات المخلوق فيستحيل إلقاؤه للحد و وصوله إلى مرتبة الواجب أو اشتمال الواجب على الحد و تنزله على مرتبة الممكن ، فيبطل ما قاله الصوفية من ترقى المخلوق إلى مرتبة الخالق ، و تنزل الخالق إلى مرتبة المخلوق في قوس صعود و النزول و احتجاب كل منهما بالأخر حسبما قد منا حكايته عن كلام محيي الدين في الفص الإبراهيمي وغيره .

و قوله « و مباينته إياهم مفارقتهم » أى مباينته تعالى ليس بحسب المكان حتى يكون في مكان و غيره في مكان آخر بل إنما هي بأن فارق أينيتهم فليس له أين و مكان وهم محبوسون في مطمورة المكان ، أو المعنى أن مباينته لمخلوقيه في الصفات صار سبباً لأن ليس له مكان .

و رواه بعض مشايخنا المعاصرين : مفارقتهم أى تحفةهم و وجودهم يعنى أن مفارقة الخالق للمخلوقات ليس كافتراق المخلوقات بعضها عن بعض ، لأن مفارقتها إنما هو بالحدود المميزة و إنما هو بمعنى أجل و أعلى و هو مفارقة وجوده

من حيث تنزّهه عن الحدّ لوجودها من حيث اشتمالها على الحدود ، و هذا أيضاً مبطل لقولهم : بأنّ الخلق عين الحقّ والحقّ عين الخلق كما عرفت سابقاً .

قوله « و أووه إياهم دليل على أن لا أداة فيه ، أى جعلهم ذوى أدوات يحتاجون إليها في الأعمال من الأعضاء والجوارح والقوى دليل على أنّه ليس فيه شيء منها ، لشهادة الأدوات فيما يشاهد في المادّين بفاقتهم و احتياجهم إليها ، وهو منزّه عن الاحتياج ، أو المعنى أنّ الأدوات التي هي أجزاء للمادّين تشهد بفاقتهم إلى وجود لكون كلّ ذى جزء محتاجاً ممكنناً فكيف تكون فيه تعالى .

قوله «فأسماؤه تعبير» أى ليست عين ذاته وصفاته حسبما يزعمه الصوفية على ما عرفت بل هي معبّرات عنها «وأفعاله تفهيم» ليعرفوه ويستدلوا بها على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته .

قوله «وذاته حقيقة» أى حقيقة مكنونة عالية لاتصل إليها العقول ، بأن يكون التنوين للتفخيم أو جديرة بأن تتّصف بالكمالات دون غيرها أو ثابتة واجبة لا يعتمريها التغيّر والزوال .

قوله «و كنهه تفريق بينه وبين خلقه» لعلّ الغرض بيان أنه لا يشترك فى ذاتى مع الممكنات بأبلغ وجه ، أى كنهه يفرق بينه وبينهم لعدم اشتراكه معهم فى شيء ، هكذا قال فى البحار ، والأظهر أنّ المراد به هو المراد بقوله المتقدّم : مباينته إياهم مفارقتهم أي انه سبحانه بذاته مفارق لهم لأن كنهه هو التنزّه من الحدّ و كنه المخلوق الاكتناف بالحدود .

ويؤيد ذلك قوله «وغيره تحديد لما سواه» أى مغايرته له أو جب التحديد ، يعنى أنّ مغايرته لما سواه ليس كمغايرة ما سواه من المخلوقات بعضها ببعض ، فإنّ مغايرتها بالحدود الذاتيّة ومغايرة الحقّ لها إنّما هو بالتنزّه من الحدّ لا غير . وقوله «من استوصفه» أى طلب وصف كنهه أو سأل عن الأوصاف والكيفيات الجسمانيّة فقد جهل عظّمته .

وقوله «وقد تعدّاه من اشتمله» أى تجاوز عنه ولم يعرفه من توهمه شاملاً



لنفسه ، فيكون ردّاً على القول بالحلول والاتحاد كما هو مذهب الصوفية ، و في بعض النسخ أشمله أى جعله شاملاً أو مشمولاً وعلى التقديرين ففيه أيضاً دلالة على بطلان مذهبهم.

قوله « وقد أخطأه من اكتنبه » أى من توهّم أنه عرف كنهه فقد أخطأ خطأ عظيماً .

قوله « ومن قال كيف فقد شبهه » أى من سأل عن الكيفيات الجسمانية فقد شبهه بخلقه في التكيف بالكيفية « ومن قال لم فقد علّمه » أى لم صار قادراً وعالمًا أولم صار موجوداً فقد علّل ذاته وصفاته ، وليس لذاته وصفاته علّة وإنما هو تعالى علّة الملل « ومن قال متى فقد وقتّه » لأنّ متي سؤال عن نسبة الشيء إلى الزمان فمن قال متى كان فقد وقت أول وجوده وليس له أول « ومن قال فيم فقد ضمّه » أى من سأل أنّه في أي شيء فقد جعله في ضمن ذلك الشيء وجعل ذلك الشيء متضمناً له وهو من خواص الأجسام والله سبحانه منزّه عن ذلك « ومن قال إلى م فقد نهّاه » أي إلى أي شيء ينتهى شخصه فقد جعله ذاتية وانقطاع « ومن قال حتى م » يكون وجوده « فقد غيّاه » أي جعل لبقائه غاية ونهاية « ومن غيّاه فقد غيّاه » أى من جعل له غاية فقد حكم باشتراكه مع المخلوقين في الفناء فيصحّ أن يقال غايته قبل غاية فلان أوبعد « ومن غيّاه فقد جزّاه » أي من حكم باشتراكه مع المخلوقين ولو في الجملة فقد جزّاه ، لأنّ ما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، فلا بدّ أن يكون ذا أجزاء بعضها جهة امتياز وبعضها جهة اشتراك .

ويحتمل أن يكون المراد أنّ السائل عنه تعالى بحتّم توهّم في حقه الغاية والنهاية والمتوهّم في حقه الغاية جعله ذاتية ينتهى إليها والجاعل له النهاية جعله مركباً من الأجزاء ، إذ النهاية من لوازم الكم المتصل والمنفصل والمتكمم المشتمل على الأجزاء ، وبعبارة أخرى الغاية والنهاية من عوارض الأجسام وذات الأوضاع والمقادير والأجزاء .

« ومن جزّاه » أى أثبت له الجزء « فقد وصفه » بصفة الامكان وأثبت له صفات

الممكنات المتجزأة ومن حكم بذلك فقد أُلْحِدَ في ذاته .

وقوله «لا يتغير الله بانغيار المخلوق كما لا يندح بتحديد المحدود» أي ليس التغيرات التي تكون في مخلوقاته موجبة للتغير في ذاته وصفاته الحقيقية ، بل انما التغير في الاضافات الاعتبارية كما أن خلقه للمحدودين حدوداً لا يوجب كونه منحدداً بحدود مثلهم .

و يحتمل أن يكون المراد أنه لا يتغير كتغير المخلوقين ولا يندح كتحدد المصنوعين المحدودين، أي لا يتغير بمثل تغيرهم ولا يندح بمثل تحددهم، والمعنى الأول أظهر ويؤيده ما في رواية المجالس: لا يتغير الله بتغير المخلوق ولا يتحد دبتحد دالمحدود. وقال بعض مشايخنا المحققين دام تأييده من الله : إن المراد به أن مغايرة المخلوق للخالق وقبوله للغيرية وانفعاله بذلك لا يوجب التغير فيه أصلاً إذ لم يحدث فيه جهة موجبة لمغايرته لمخلوقه ، بل كان كما كان وإنما حصلت الغيرية في المخلوق وتميز عن الخالق من أجل اتصافه بالحدود وتحدد كل نوع منه بحد مخصوص ، والواجب لم يخص بحد يوجب المغايرة والتميز به عن المخلوق وقوله كما لا يندح آه بمنزلة الدليل على ذلك ، لأن التغير بانغيار المخلوق إنما ينتزع من الاختصاص بحد مخصوص في قبال الحد الذي في المخلوق ، كما أن تغاير المخلوقات بعضها ببعض على ذلك الوجه أي من جهة أن لكل منها حداً مخصوصاً ليس في الآخر، والله سبحانه لما كان منزهاً عن الحد لا يوجب انغيار المخلوق الحاصل له من الاكتناف بالحدود تغييره البتة .

ومحصله ما قاله أمير المؤمنين في الخطبة المائة والخامسة والثمانين : وخرج بسُلطان الامتناع من يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره .

وقوله «أحد لا يتأويل عدده» يعني أنه إحدى الذات بسيط الحقيقة لاجزء له ذهنياً وعقلاً وخارجاً ، أو أنه واحد ليس كمثله شيء، وليست وحدته وحدة عددية لأن مالاثاني له لا يدخل في باب الأعداد .

وقوله «ظاهر لا يتأويل المباشرة» أي ليس ظهوره بأن يباشره حاسة من الحواس

أوليس ظهوره بأن يكون فوق جسم يباشره كما يقال : ظهر على السطح ، بل هو ظاهر بآثاره غالب على كل شيء بقدرته .

وقوله «متجلى لا باستهلال رؤية» أي ظاهر ليس ظهوره من جهة الرؤية .

وقوله «باطن لا بمزايلة» أي ليس بطونه بمفارقة مكان بأن انتقل من مكان إلى مكان فخفى عنهم ، أو بأن دخل في بواطنهم حتى عرفها بل لخباء كنهه عن عقولهم وعلمه ببواطنهم وأسرارهم .

وقوله «مباين لا بمسافة» أي ليس مباينته لبعده بحسب المسافة عنهم بل لغاية كماله وتماحه ونقصانهم وافتقارهم باينهم في الذات والصفات .

وقوله «قريب لا بمداناة» أي ليس قربه قرباً مكانياً بالذات من الأشياء ، بل بالعلم والغلبة والترتبة والرحمة .

وقوله «لطيف لا بتجسم» أي ليس لطفه بكونه جسماً له قوام رقيق أو حجم لطيف أو تركيب غريب و صنع عجيب ، بل لخلقه الأشياء اللطيفة و علمه بها أو لتجربته ذاته .

وقوله «فاعل لا باضطرار» أي هو فاعل مختار ليس بموجب .

وقوله «مقدر لا بجول فكرة» أي ليس في تقديره للأشياء محتاجاً إلى جولان الفكر .

وقوله «مدبر لا بحرارة» أي ليس في تدبيره محتاجاً إلى حركة ذهنية أو بدنية .

وقوله «مريد لا بهمامة» أي بعزم واهتمام .

وقوله «شاء لا بهمة» أي ذومشية لا بهمة وقصد وعزم .

وقوله «مدرک لا بمجسة» أي ليس إدراكه بحس اليد ولمسها أو بالتجسس والتفحص .

وقوله «لا تصحبه الأوقات» لكونه منزهاً من الزمان .

وقوله «لا تضمنه» بحذف إحدى التائين .

وقوله «ولا تأخذه السنن» كما قال تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ، لأنهما من

خواص الطبيعة الحيوانية .

وقوله «ولا تحده الصفات» أي لا تحده صفات الواصفين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام

لحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون .

قوله «ولا تفيد الأذوات» أي لا ينتفع بها ولا يحتاج في صنعه إلى الاستفادة منها كما هو شأن المخلوق .

وقوله «سبق الأوقات كونه» إلى قوله «لا مشعر له» فدمضى تحقيق ذلك كله في شرح الخطبة المائة والخامسة والثمانين فليراجع ثمة .

وقوله «بتجهيره الجواهر عرف أن لاجوهر له» أي بتحقيق حقايقها و ايجاد مهياتها عرف أنها ممكنة وكل ممكن محتاج إلى مُبْدِء فمبْدِء المبادى لا يكون حقيقة من هذه الحقايق .

وقوله «وبمضاداته بين الأشياء» إلى قوله «لاقرين له» قد تقدم تحقيقه أيضاً في شرح الخطبة المذكورة ولا حاجة إلى الاعادة وكذا تقدم هناك معني قوله «ضاد النور بالظلمة والجلالية بالبهيم» إلا أن هناك والوضوح بالبهمة ، بدله .

وقوله «والجسوء بالبلل» قال الفيروز آبادى: جسأ جسوءاً صلب وجسئت الأرض فهي مجسوءة من الجساء وهو الجلد الخشن والماء الجامد وفي الخطبة المذكورة : والجمود بالبلل ، بدله .

وقوله «والصرد بالحرور» الصرد بفتح الراء وسكونها البرد فارسيّ معرب والحرور بضم الحاء الحرارة وبفتحها الريح الحارة .

وقوله «مؤلف بين متعادياتها» إلى قوله «على مؤلفها» قد تقدم تحقيقه أيضاً في شرح الخطبة المذكورة .

وقوله : «ذلك قوله عز وجل : ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» استشهاد لكون التأليف والتفريق ، دالين على الصانع بالتقريب الذي قد مناه في شرح الخطبة المذكورة وقال بعض المفسرين: المراد بالشيء الجنس وأقل ما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كل جنس نوعان كالجوهر فمنه المادى والمجرد، ومن المادى الجماد والنماهي ومن النماهي الثنبات والمدرك الصائمات والنطاق، وكل ذلك دليل على أنه واحد لا كثرة فيه وقيل : كل موجود دون الله ففيه زوجان اثنان : كالمهية والوجود، والوجوب والامكان ، والمادة والصورة ، والجنس والفصل ،

وأيضاً كلّ ما عداه يوصف بالمتضايين كالعملية والمعلوليّة والقرب والبعد والمقارنة والمباينة والتألف والتفرّق والمعاداة والموافقة وغيرها من الامور الاضائية فقوله : لعلمكم تذكّرون أي تعرفون من اتصاف كلّ مخلوق بصفة التركيب والزوجية والتضاي أن خالقها واحد لا يوصف بصفاتنا .

وقوله « ليعلم أن لا قبل له ولا بعد » يدلّ على عدم كونه تعالى زمانياً ، ويحتمل أن يكون المعنى عرفهم معنى القبليّة والبعدية ليحكموا أن ليس شيء قبله ولا بعده . و قوله « شاهدت بغرائزها أن لا غريزة لمغزها » أي شاهدت بطبايعها على أن لا طبيعة لموجد طبائعها ومغيضها عليها ، و يمكن حملها و أمثالها على الجعل البسيط « والمفاوت » بصيغة الفاعل من جعلها بينها التفاوت « و توقيتها » تخصيص حدوث كلّ منها بوقت معيّن و بقائها إلى وقت معيّن .

و قوله « حجب بعضها عن بعض » أي بالحجب الجسمانية أو الأعمّ ليعلم أن ذلك نقص و عجز و هو منزّه عن ذلك ، بل ليس لهم حجاب عن الربّ إلا أنفسهم لامكانهم و نقصهم و قال بعض المحقّقين : المراد أنّه قد قرّر لكلّ واحد من الممكنات حداً معيّنأ لا يتعداه ، فلا يمكن أن يكون أحدها عين الآخر ، و بذلك يعلم أن لا حجاب بين المخلوق و بين الخالق إلاّ نفس المخلوق ، لأنّ المخلوق محدود و الخالق منزّه عن الحدّ فالحجاب في جهة المخلوق لا في جهة الخالق . قوله « له معنى الرّبّ بويّبة » إلى قوله « معنى البرّ أئيمة » قد تقدّم معناها قريباً في أواخر ذكر الأدلة النقليّة .

و قوله « كيف ولا تعييبه مذ » أي كيف لا يكون مستحقاً لهذه الأوصاف والأسماء في الأزل والحال أنّه لا يصير كلمة هذا الموضوع لأوّل الزمان سبباً لأنّ يغيب عنه شيء ، فإنّ الممكن إذا كان قبل ذلك المبدء أو بعده يغيب هذا عنه ، والله تعالى جميع الأشياء مع أزمنتها حاضرة في علمه في الأزل ، أو أنّه ليس لوجوده زمان حتّى يغيب عن غيره فيقال مذ كان موجوداً كان كذا .

« و لمّالم يكن زمانياً » لا تدنيه كلمة قد ، التي هي لتقريب الماضي إلى الحال

أوليس في علمه شدة و ضعف حتّى تقرر به كلمة قدالمتي للمتّحقّق الى العلم بحصول شيء، « ولا تحجبه كلمة لعلّ » التي هي لترجى أمر في المستقبل، أي لا يخفى عليه الامور المستقبلية « وليس له أول » وقت « حتّى يقال له متى » وجد أومتى علم أومتى قدر و هكذا « ولا يشتمله حين ولا زمان » لأنّه خالق الحين والزمان فكيف يكونان شاملين له و محيطين به « ولا تقارنه مع » أي لا يوجب كلمة مع المفيدة للمصاحبة اقتراحه بالأشياء زمانا أو مكانا ، و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: في الخطبة الاولى : مع كلّ شيء لا بمقارنة ، أي معيّته للأشياء ليست بعنوان المقارنة التي في المخلوقات بل بالعلم والاحاطة والقيومية والتسريّة .

و قوله « إنّما تحدّ الأدوات أنفسها » إلى قوله « لولا التكملة » قد تقدّم شرح هذه الفقرات و تحقيقها في شرح الخطبة المائة و الخامسة و الثمانين بما لا مزيد عليه .

و قوله « افتقرت فدلّت على مفارقة » أي افتقرت الأدوات والآلات باختصاص إدراك كلّ منها بنوع خاص من المدركات، او اختصاص كلّ منها بحدّ مخصوص ، فدلّت على مفارقة ففها وخصصها بحدّ مخصوص .

و قوله « وتباينت فاعربت عن مباينها » أي تباينت بعضها مع بعض لاختصاص كلّ منها بوضع خاص فأظهرت عن صانعها الموجد للمباينة بينها أو عن صانعها المباين لها في الصفات و في التنزه عن الحدّ كما قال تعالى : ومن آياته اختلاف ألستكم و ألوانكم .

و قوله « بها تجلّي صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية » قد تقدّم معناها أيضا في شرح الخطبة المذكورة ، و قال العلامة المجلسي : أي بالعقول احتجب عن الرؤية لأنّ الحاكم بامتناع رؤيته هو العقل ، و إلى العقل تتحاكم الأوهام عند اختلافها .

قوله « و فيها أثبت غيره » أي كلّما يشبّه و يرتسم في العقول أوفي المشاعر فهو غيره ، و يحتمل أن يكون غيره مصدرا بمعنى المغايرة أي بالعقول يشبّه مغايرته

تعالى للممكنات ، و يمكن إرجاع الضمير إلى الأوهام أى القول بالشريك له تعالى  
فعل الوهم لا العقل لكن فيه تفكيك.

و قوله « و منها انيط الدليل » أى من العقول يستنبط الدليل على الخالق  
« و بهاعرّتها الاقرار » أى بالمقول عرف الله العقول أو ذويها الاقرار به عز وجل .  
و قوله « لادبابة إلا بعد معرفة » مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة  
الأولى : أول الدين معرفته ، أى لا تدين بدين لله إلا بعد معرفة الله « ولا معرفة  
إلا باخلاص » أى باخلاص الحقّ مما لا يليق بذاته المقدسة من نقايص الامكان « ولا  
إخلاص مع التشبيه » له بمخلوقاته في الذات والصفات « ولا نفى » للتشبيه « مع  
إثبات الصفات » الزائدة على الذات .

فقوله « للتشبيه » متعلق بالنفى أى لم ينف التشبيه من أثبت له الصفات  
الزائدة ، و في بعض النسخ بالتشبيه بدل قوله للتشبيه أى بنفى التشبيه المستفاد  
من قوله : ولا إخلاص مع التشبيه ، فالمراد أن لا نفى له مطلقا بنفى التشبيه أى  
لا يلزم النفى المطلق مع إثبات الصفات الكمالية له على وجه لا يستلزم النقص  
بنفى تشبيهه لغيره كما نقول : شيء لا كالأشياء و عالم لا كعلم المخلوق و قادر  
لا كقدرتنا و هكذا ، فيكون إشارة إلى وجوب إخراجه عن حدّ النفى وحدّ التشبيه .  
و قوله « فكلمّا في الخلق لا يوجد في خالقه و ككلمّا يمكن فيه يمتنع في  
صانعه » تفرّيع على ما سبق وتصرّيح بتمنّزه عن مشابهة مخلوقاته ونصّ في ابطال  
مقال الصوفية القائلين بأنّ جميع ما للمخلوقات من الصفات فهى صفات الخالق ،  
لأنّهم مظاهر الحقّ و مجاله حسبما عرفت فيما سبق .

و قوله « ولا يجرى عليه الحركة و السكون » إلى قوله « لزمه النقصان » قد  
تقدّم تحقيق معانى هذه الفقرات في شرح الخطبة المائة والخامسة والثمانين أيضاً .  
و قوله « كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث » استفهام في معرض  
الانكار أى لو التمس التمام والاستكمال بالغير لزم اتّصافه بالكمالات الحادثة وعدم  
امتناعه من أن يحدث فيه تلك الحوادث ، و من كان كذلك و كان محلاً للحوادث

لا يكون أزلياً واجب الوجود.

و قوله «و كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء» وهو أيضاً في معرض الإنكار، أي لو التمس التمام لاحتاج في تماميته إلى غيره لينشئ له صفات الكمال الموجبة لتمامه و كماله، و من كان كذلك كان ممكناً فلا يمكن أن يكون منشئاً للأشياء أي الممكنات جميعاً لأنّ إنشائها من شأن الواجب.

ثم استدل عليه السلام على جميع ما تقدم بقوله «إذاً لقامت فيه آية المصنوع و لتحول دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه» أي لو كانت فيه تلك الحوادث والتغيرات و إمكان الحدوث لقامت فيه علامة المصنوع و لكان دليلاً على وجود صانع آخر غيره كسائر الممكنات لاشتراكهم في صفات الامكان و ما يوجب الحاجة إلى العلة لا مدلولاً عليه بأنّه صانع.

و قوله «ليس في مجال القول حجة» أي ليس في إثبات هذا القول المجال أي إثبات الحوادث والصفات الزائدة له حجة «ولا في المسألة عنه» أي في السؤال عن هذا القول لظهور خطائه و بطلانه «جواب ولا في معناه له تعظيم» أي في إثبات معنى هذا القول له تعالى و توصيفه بصفات الممكنات تعظيم له بل هو نقص في حقه حسبما عرفت «ولا في ابانته من الخلق» و تنزيهه من صفاتهم «ضيم» أي نقص و ظلم في حقه تعالى شأنه «إلا بامتناع الأزلي أن يشئ و ما لا بد له أن يبدء (١)» أي لانقص له في ابانته من خلقه إلا بأنّ الأزلي يمتنع من الاثنيينية و بأنّ ما لا بد له أي لا مبدء له يمتنع من أن يبدء و يكون له مبدء، و ما نسبوه إليه تعالى ممتار مستلزم لكونه تعالى ذامبده و علة.

والحاصل أنّه لا يتصور في تفريقه تعالى من خلقه و من صفاتهم ظلم و نقص له تعالى إلاّ بهذا الوجه و الحال أنّه ليس بظلم أصلاً و لا نقص، بل هو عين الكمال، والاستثناء في قوله عليه السلام كما في قول الشاعر:



ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتاب

وهو من قبيل إخراج المدح بما يشبه الذم

وقوله « كذب العادلون بالله » أي الجاعلون له عديلاً وشيهاً وتعالى الله

سبحانه عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

واقول: يا أولي الألباب والضمائر وذوى الأبصار والبصائر إن تدبّرتم في

معاني هذه الخطبة الشريفة حق التدبّر وجدتموها كنزاً مشحوناً بأنواع الدر

والجواهر ، و بجرأً موجاً في علم التوحيد ليس له ساحل ، ولو استقصيتم فيها

التنظر وبذلتهم عميقات الفكر عرفتم أن كل فقرة من فقراتها دليل مستقل في

بطلان مقالات أولياء الشيطان و اخوان عبدة الأوثان الزاعمين أنهم أهل اليقين

والعرفان ، والخلصون في التوحيد والمعرفة والايمان لقولهم بوحدة الوجود ،

و أن ليس غيره في الحقيقة بموجود ، وذلك ظنّ السّدين كفروا فويل للذين

كفروا من النار .

ثم أقول : أنت إذا أحطت خبراً بما قدّمنا علمت فساد القول بوحدة الوجود

وسخافة ما يترتب على تلك الشجرة الملعونة من الثمرات الخبيثة ، و عرفت أن

وجوده سبحانه وجون خاص به قائم بذاته ممتاز عن ساير الموجودات بنفس ذاته وبكونه

مبدء لكل وهو أيضاً نفس ذاته و ممتاز عن المهيئات بكونه وجوداً خاصاً بخلاف

شيء من المهيئات ، فانه ليس وجوداً أصلاً لا خاصاً ولا مطلقاً ، فليس له تعالى مهية

وحقيقة يشارك بها شيئاً من الممكنات ، فلا يحتاج إلى مميّز ذاتي يميّزه عما به

المشاركة الذاتية مع غيره ، فحقيقته هوية بسيطة ووجود خاص ممتاز عن

كل ما سواء بتجرّده وتنزّهه من الحدود ، ويكون كل ما سواء محدوداً ،

و لنقتصر في هذه المسألة على ذلك ولنعد إنشاء الله تعالى إلى ذكر ساير عقايدهم

الفاسدة ، فأقول وبالله التوفيق والاعتماد .

## و منها

قولهم : بأن الكفار غير مخلدين في النار .  
 وهو خلاف اجماع المسلمين ، وخلاف ما دلّت عليه آيات الكتاب المبين  
 وأخبار الحجج المعصومين .

قال ابن العربي في الفصّ البيونسي من الفصوص « وأما أهل النار فما لهم  
 إلى النعيم ولكن في النار إذ لا بدّ لصورة النار بعد انتهاء مدّة العقاب أن يكون  
 برداً و سلاماً على من فيها وهذا نعيمهم فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم  
 خليل الله حين القي في النار » .

قال القيصري : أي ومآل أهل النار إلى النعيم المناسب لأهل الجحيم إمّا  
 بالخلّاص من العذاب أو الالتذاذ به بالتعود أو تجلّي الحقّ في صورة اللطف في عين  
 النار كما جعل النار برداً و سلاماً على إبراهيم ، ولكن ذلك بعد انتهاء مدّة العقاب  
 كما جاء ينبئ في فعر جهنّم الجرجير (١) وما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود  
 في النار ولا يلزم منه خلود العذاب .

وقال القيصري أيضاً في شرح الفصّ الهودي : واعلم أن كلّ من اكتحلّت عينه  
 بنور الحقّ يعلم أن العالم بأسره عباد الله وليس لهم وجود وصفة وفعل إلاّ بالله وحوله  
 وقوته ، وكلّهم محتاجون إلى رحمته وهو الرّحمن الرّحيم ومن شأن من هو موصوف  
 بهذه الصّفات أن لا يعذب أحداً عذاباً أبداً و ليس ذلك المقدار من العذاب أيضاً إلاّ  
 لأجل إيصالهم إلى كما لا تتم المقدرة لهم كما يذهب الذّهب و الفضة في النار لأجل  
 الخلاص ممّا يكدره وينفّس عياره ، فهو متضمّن لعين اللطف والرّحمة كما قيل :

و تمذيبكم عدل و سخطكم رضی و قطعكم وصل و جوركم عدل

أقول : فلينظر العاقل إلى هذين الضّلّيلين كيف يخالفان اجماع المسلمين  
 وينبذان آيات الكتاب المبين وراء ظهورهما بآرائهم الفاسدة والاستحسانات الكاسدة

ويعتمدان في ذلك على أخبارهم المجمعولة وأحاديثهم الموضوعية.

وقد تبعمهما في حديثهم المرسل المجمعول المتمعوف الجامي في شرح منتخب الفصوص حيث نقل عن رسول الله ﷺ أن بعض أهل النار يتلاعبون بالنار، ونقل عنه ﷺ أيضاً أنه قال : سيأتي على جهنم زمان ينبت من قعرها أو من قعرها الجرجير .

و هذه الأحاديث مضافاً إلى مخالفتها لريح الآيات و روايات المتواترة قد نصّ في أخبارنا بأنها مجمعولة كاذبة كما نصّ على ردّ ما توهموه من انقطاع العذاب وإنقاد العقاب .

فقد روى عن الكليني في الكافي باسناده عن أبي بصير مولى أبي عبد الله عليه السلام عن موفق مولى أبي الحسن عليه السلام قال : كان مولاي أبو الحسن عليه السلام إذا أمر بشراء البقل يأمر بالاكثر منه ومن الجرجير فيشرى له وكان يقول عليه السلام : ما أحق بعض الناس يقولون : إنه ينبت في وادي جهنم ، والله عز وجل يقول : و قودها الناس والحجارة ، فكيف ينبت البقل .

وروى عن البرقي في المحاسن عن العبيدي عن الأهوازي عن النضر بن سويد عن درست عن الأ حول عن حمران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنه بلغنا أنه يأتي على جهنم حين يصطق (١) أبوابها فقال : لا والله إنه الخلود قلت : خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، فقال عليه السلام هذه في الذين يخرجون من النار .

وأما ما قاله القيصرى : من أنه ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود في النار ولا يلزم منه خلود العذاب فنأش من جهله بآيات الكتاب فقد قال تعالى : كلّمنا نضجت جلودهم بدلّناهم جلوداً غير هالذوقوا العذاب ، وأمثال هذه الآية كثيرة في القرآن غير عزبزة .

و هل هذه الدعوى الباطلة و المقالة الفاسدة في مقابلة النصوص الصريحة

١- اصطفت الاشجار اهتزت بالريح وهو كتابة عن الخلو من الناس (منه)

المستفيضة بل المتواترة إلا الملاعبة بالدين والتكذيب للأنبياء والمرسلين .  
وأعظم من ذلك جرئتهم على تأويل الآيات الواردة في النعمة والعقاب للكفار  
وأهل العذاب بالرّحمة والثواب ، مثل ما تمحله ابن العربي في الفصّ اليهودي في  
الآيات الواردة في عاد قوم هود وهي قوله تعالى : فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم  
قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم يتدمر كل شيء  
بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ، قال ما لفظه  
« ألا ترى عاداً قوم هود كيف قالوا هذا عارض ممطرنا فظنوا خيراً بالله »  
قال القيصري : أي ألا ترى أن قوم هود كيف قالوا لما تجلّى عليهم الحقّ  
في صورة السحاب ان هذا عارض أي سحاب ممطرنا وينفعنا فظنوا أنّ الله تجلّى  
لهم بالحقّ والرّحمة « وهو عند ظنّ عبده به فاضرب لهم الحقّ عن هذا القول  
فأخبرهم بما هو أتمّ وأعلى في القرب ، أي أضرب بقوله بل هو ما استعجلتم به  
أي هو مطلوب بكم الذي يوصلكم إلى كما لكم ويعطيكم الخلاص من آياتكم ويخرجكم  
من عالم التّضاد والظلمة إلى عالم الوفاق والرّحمة .  
وانّما كان هذا المعنى أتمّ وأعلى « فأنه إذا أمطرهم فذلك حظّ الأرض  
وسقى الحبّة » المزروعة فيها « فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر إلاّ عن بعدلأنّ  
المطر إذا سقى الحبّة المزروعة لا بدّ ان يمضي عليها زمان طويل ومدّة كثيرة حتّى  
تحصل نتيجه ويحصل منها الغذاء الجسماني وهو من حظوظ أنفسهم المبعّدة لهم عن  
الحقّ » وهذا الاهلاك يوصلهم في الحال إلى ربّهم و يقربهم منه فقال لهم بل هو ما  
استعجلتم به ريح فيها عذاب « وانّما كان استعجالهم في وصولهم إلى كما لهم وقربهم  
من غاية مرتبتهم .

ولمّا كان هذا المطلوب لا يمكن إلاّ بفنائهم في الحقّ أهلكتهم الله عن أنفسهم  
وأفناهم عن هياكلهم وهي أبدانهم الجسمانية الحاجبة لهم عن إدراك الحقائق  
« فجعل » أي الحقّ « الرّيح إشارة إلى ما فيها من الرّاحة فانّ بهذا الرّيح أراحهم  
من هذه الهياكل المظلمة والمسالك الوعرة وفي هذه الرّيح عذاب أي أمر يستعذبونه

إذا ذاقوه إلاّ أنّه يوجعهم لفرقة المآلوفات ، أى الرّيح المهلكة وإن كانت في الظاهر مولمة موجعة لهم لاخراجهم عن العالم الجسماني المتألّفة قلوبهم به لكن فيها لطف مستور ، لأنّ في كلّ قهر لله تعالى أظافاً خفيّة يستمدّبونه إذا وصلوا إليه عقيب الوجع « فباشروهم العذاب » أى اهلكهم « فكان الأمر إليهم أقرب ممّا تخيلوه » أى الأمر الذي كان مطلوبهم بالحقيقة كان أقرب إليهم من المطلوب المتخيّل لهم وهو ما يحصل من المزروعات « فدمرت كلّ شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم أى جنبّتهم التّمتى عمرتها أرواحهم الحقيّة » .

**ومحصل** كلامهما أنّ قوم هود عليه السلام مع العتوّ والكفر والانكار لم يكونوا من المعذبين بل صاروا بذلك من المقرّبين المنعمين وأوصلهم الكفر والضلال إلى درجة الفضل والكمال ، واستحقّقوا بالجحود العظيم الزلّقي وحسن المآل .

والآيات وإن كانت ظاهرة في الاهلاك والتعذيب لكن الظواهر غير مرادة بل المراد معنى آخر يعرفه أهل الكشف والشّهود لا أهل الحجاب . وهو أنّ الرّيح في الآيّة مأخوذة من الرّوح والراحة والعذاب من العذوبة والحلاوة والغرض من إهلاكهم بالرّيح التعجيل في إراحتهم من العلايق البدنية وإخراجهم من الهياكل الجسمانية وإيصالهم إلى مرتبة القرب والزلّقي والبقاء بالفناء ، وقد أعطاهم الله خيراً ممّا يرجون وأفضل ممّا يأملون ، فانّهم لمّا رأوه عارضاً ممطراً حسبوا أنّه ينزل منه المطر ينتفع به ويسقى به الحرث والزّرع فقال تعالى : بل هو ما استعجلتم ، أى ليس هذا ما ذهبت إليه ظنونكم بل هو خير منه ، فانّ العارض الممطر فيه منفعة مؤجّلة دنيويّة ، وفي الرّيح منفعة معجّلة أخروية والأولى قليلة فانية والأخرى كثيرة باقية هذا حاصل مراد هذين الملحدين .

**اقول** يا أهل المرؤة والانصاف المجانين للهوى والاعتساف انشدكم بالله العظيم هل يرتضى ذو شعور أن يكون مراده تعالى من تلك الآيات ما قاله هذا الجاهل الزّنين .

ثم أقول : يا قائد الجهّال و قطب أهل الضلال هب أنتك خالفت اجماع المسلمين بل اتفاق جميع المليين و نابذت آيات الكتاب المبين في مسألة تخليد الكفّار والمشرّكين ، وزعمت عدم كونهم في النار مخلّدين معذبين ، فهالاً استحييت من الله رب العالمين أن جعلت آيات كتابه لعبة للاعبين و مسخرة المستهزئين؟! فما أقلّ حيأوك في هتك ناموس الاسلام ، و أعظم جرءتك في هدم أساس ملّة سيّد الأنام .

أفيجوز الجاهل السّفيفه فضلا عن العاقل النّسيه أن مراد الحقّ من هذه الآيات الشّريفة هذه التّأويلات السّخيفة؟ أم يتوهّم أنّ هذه الألفاظ والكلمات قوالب تلك المعانى التّرهات؟ أفيفقى بعد البناء على أمثال هذه المزخرفات اعتماد بالكتاب عند الضّرورة و الاحتياج؟ أو يمكن به الاستدلال في الاصول و الفروع في مقام الاحتجاج؟

ثمّ كيف يزعم من دان بكلمة الاسلام أن قوم عاد و ثمود و قوم نوح و لوط أقرب إلى الله من المؤمنين الموحّدين ، حيث عجل في إفناء الأولين ايصالاً لهم إلى مراتب الزلّفي و حبس الآخريين في سجن الدنيا ، و حرّمهم من تلك النعمة العظمى حاشا ثمّ حاشا .

و العجب مع هذا كلّهُ أنه اشتبّه في حقّ نفسه وزعم أنه محبي الدين وخاتم ولاية المحمديّين ، ولمعرى أنه ماحى الدين بل مبطل أساس جميع شرايع النّبیین .

ثمّ العجب من القيصري فأنه بعد ذكر ما قدّمناه قال : والشيخ يعني ابن العربي إنّما يشير في أمثال هذه المواضع إلى ما فيها من الرّحمة الحقيانيّة ، وهي من المطلعات المدركة بالكشف ، لأنّه ينكر وجود العذاب وما جاء به الرّسل من أحوال جهنّم فإنّ من يبصر بعينه أنواع التعذيب في النشأة الدنيا ويّته بسبب الأعمال القبيحة كيف ينكره في النشأة الأخرأويّة وهو من أكبر ورثة الرّسل صلوات الله عليهم أجمعين ، فلا ينبغي أن يسيء أحدظنّه في الأولياء الكاشفين لأنّ سرّ الحقّ بأمره انتهى .

أقول: هذا مقام أن يقال :

يا ناعي الإسلام قم فانه قدمات عرف وبدا المنكر

فانتك خبير بآته مع هذا الاصرار المؤكّد كلّه من الشيخ في نشر كلمات الضلال ، لم يبق للحمل على الصّحة مجال ، فهذا ليس موضع سوء الظنّ بل مقام علم اليقين ، وكيف يكون المكذب للأنبيا والمرسلين من أكبر ورثة النّبیین ؟ أم كيف يكون حامى الكفّار والمشرکين من الأولياء الكاشفين ؟ لعن الله المضلّين والمبطلين ، وعذبّ بهم عذاباً لا يعذبّ به أحدٌ من العالمين .

وأعظم من ذلك ما قاله في حقّ أشقي الأولين والآخريين المعارض الصريح في سلطان رب العالمين ، المعلن بقول أنا ربّكم الأعلى في قبال ديّان الدين أعني فرعون المتمرد عن طاعة الرّحمن المتمادى في العتوّ والكفر والطغيان ، حيث قال: إنه تاب فطاب وندم وأتاب وطهرو صار من أهل الايمان مع أن كونه من المخلّدين نصّ آيات الكتاب المبين ، و كونه من أهل التابوت وأشدّ الناس عذاباً صريح أخبار سيد المرسلين ، وسقوط ايمانه من درجة الاعتبار مفاد : الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين .

فيالله ما أجره هذين الضالّين على الله ، وكاين لهما من يد طولى في تغيير معاني كتاب الله وتأويل الآيات البيّنات على المذاهب الفاسدة ، وتطبيق النصوص المحكمات بالمقالات الباطلة .

فقد قال في الفصّ الموسوى وشرحه «فقال لفرعون في حقّ موسى انه قرّة عين لى ولك فيه» اى فى موسى «قرّة عينها بالكمال الذى حصل لها وكان قرّة عين لفرعون بالايمان الذى أعطاه الله عند الغرق» وذلك لأنّ الحقّ تكلم بلسانها من غير اختيارها وأخبر بآته قرّة عين لها و لفرعون فوجب أن يكون كذلك فى نفس الأمر «فقبضه» أي الحقّ طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث لأنّه قبضه عند ايمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام والاسلام يجبّ ما قبله وجعله آية على عنايته سبحانه بمن شاء. حتى لا ييأس أحد من رحمة الله فانه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون فلو كان فرعون ممن ييأس ما بادر إلى الايمان .

قال الشارح : لما كان ايمان فرعون في البحر حيث رأى طريقاً واضحاً عبر عليه بنو اسرائيل قبل التفرغ وقبل ظهور أحكام الدار الآخرة مما يشاهد و نه عندا الغرغرة ، جعل ايمانه صحيحاً معتدأ به ، فانه ايمان بالغيب لأنه كان قبل الغرغرة وهو بعينه كايما ن من يؤمن عند القتل من الكفار ؛ وهو صحيح من غير خلاف وانما كان ايمان المتفرغ غير صحيح لظهور أحكام الدار الآخرة له من النعيم والجحيم والثواب والعقاب، وجعله طاهراً مطهراً من الخبث الاعتقادي أى من الشرك ودعوى الربوبية لأن الاسلام يجب ما قبله كما ورد في الخبر الصحيح ، ولم يكتسب بعد الايمان شيئاً من الآثام والعصيان ، وقوله تعالى : الآن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين ، نوع من العتاب عند التوجه إلى الحق والايمان به ، وهو لاينا في صحة ايمانه ، إلى ان قال بعد تأويل جملة من الآيات الدالة على خلوده وتعذيبه على (١) زعمه الفاسد :

وفائدة ايمانه على تقدير التعذيب عدم الخلود في النار ، و التعذيب بالمظالم و حقوق العباد مما لا ير تفقع بالاسلام لاينا في أيضاً الاسلام والطهارة من الشرك و خبث العقيدة ، فلا ينكر على الشيخ ما قاله مع أنه ما مور بهذا القول إذ جميع ما في الكتاب مسطور بأمر الرسول ﷺ فهو معذور كما أن المنكر المعزور معذور ، وقوله : وجعله آية على عنايته ، إشارة إلى قوله تعالى : فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ، وهذا أيضاً صريح في نجاته لأن الكاف خطاب له أى ننجيك مع بدنك من العذاب لوجود الايمان الصادر منك بعد العصيان ؛ والله أعلم بالسراير من كل مؤمن وكافر ، انتهى كلامهما هبط مقامهما .

ويتوجه عليهما وجوه من الكلام وضروب من الملام .  
 الأول أن قوله تعالى : وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، لادلالة فيه على المدعى ، لأنها إنما قالت ذلك من جهة أنه لم يكن له ولد فأطمعته في الولد بهذا الكلام ، مع أن المروى عن ابن عباس في تفسير الآية نقض صريح لقول ابن العربي .



فقد روى في مجمع البيان وغيره إن أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاؤوا ليقتلوه فمنعتهم ، وقالت لفرعون : قرّة عين لى ولك لا تقتلوه ، قال فرعون : قرّة عين لك ، فأما لى فلا ، قال رسول الله ﷺ : والذى يُحلف به لو أقرّ فرعون بأن يكون له قرّة عين كما أقرت امرأته لهداه به كما هداها ، ولكنّه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه .

الثاني إن كثر فرعون محقق وإيمانه لم يقم عليه دليل بل الدليل إنّما قام على عدمه ، وذلك لأنّه إنّما آمن حيث لم ينفعه الايمان لكونه ايمان إلجاء لا يستحقّ به الثواب ولا ينجيه من العقاب لوقوعه حال الغرق وعند الاياس من الحياة واليقين بالهلاك كما يشهد به قوله تعالى : حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ، فأنكره عزّ وجلّ عليه وقال : الآن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين ، أى أتو من الان حين لا ينفع الايمان ولا يقبل ، لأنّه حال الالجاء وقد عصيت بترك الايمان في حال ينفعك فهلا آمنت قبل ذلك ، فلو كان ايمانه صحيحاً مقبولاً لما استحقّ التوبيخ والتقريع والانكار .

ويشهد بذلك صريحاً أى بعدم منفعة الايمان في تلك الحال قوله تعالى : فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمناً بالله وحده و كفرنا بما كنّا به مشركين ❦ فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا سنة الله التّبيّ قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون .

روى في الصّافي من العميون عن الرضا عليه السلام أنّه سئل لأىّ عملة غرق الله فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيدّه ؟ قال عليه السلام : لأنّه آمن عند رؤية البأس ، والايمان عند رؤية البأس غير مقبول ، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى : فلمّا رأوا بأسنا ، الآيتين .

وفيه من الكافي قدّم إلى المتوكّد رجل نصرانيّ فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم ، فقيل : قد هدم ايمانه شرّكه وفعله ، وقيل : يضرب ثلاثة حدود ، وقيل غير ذلك ، فأرسل المتوكّد إلى الهادى عليه السلام وسأله عن ذلك ، فكتب عليه السلام : يضرب حتّى يموت ، فأنكروا ذلك وقالوا : هذا شيء لم ينطق به كتاب ولم

تجىء به سنة، فسألوه ثانياً البيان فكتب هاتين الآيتين بعد البسمة ، فأمر المتوكل فضرب حتى مات .

و بهذا الحديث علم أيضاً أن إيمان الكافر حين القتل ليس بصحيح مطلقاً كما قاله القيصري ، وإنما يصح إيمان من اريد قتله لأجل كفره مثل الكافر الحربي فإنه لو آمن حين القتل قبل إيمانه ويذره عنه القتل بسبب الإيمان .

الثالث أن قوله : حتى لا ييأس أحد من رحمة الله فإنه لا ييأس أحد من رحمة الله إلا القوم الكافرون ، فيه إن الفرعون داخل في المستثنى أغنى الكافرون الآيسين ، لا في المستثنى منه كما يدل عليه صريح قوله تعالى : فأخذناه و جنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و جعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون و اتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ، أى أردفناهم لعنة بعد لعنة وهى البعد عن الرحمة والخيرات .

وبالجملة رحمة الله سبحانه قريب من المحسنين دون الكافرين ، وهو سبحانه أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة ، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة ، وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة .

الرابع أن قوله تعالى : فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية ، ليس المراد بالنجاة فيه النجاة من العذاب كما زعمه القيصري ، ولا من كونه آية أنه آية عنايته كما توهمه ابن العربي ، بل معناه نلقيك على نجوة من الأرض وهى المكان المرتفع ليرك بنو إسرائيل لتكون لمن وراءك وهم بنو إسرائيل آية أى علامة يظهر لهم عبوديتك و مهانتك وأن ما كنت تدعيه من الربوبية محال وكان في أنفسهم أن فرعون أجل شأننا من أن يفرق .

وعن تفسير علي بن إبراهيم ان موسى أخبر بنى إسرائيل ان الله قد أغرق فرعون ، فلم يصدقه فأمرا الله عز وجل البحر فلفظه به على ساحل البحر حتى رأوه ميتاً .

وفى الصافي من العيون عن الرضا عليه السلام في حديث غرقه وقد كان فرعون من

قرنه إلى قدمه في الحديد و قد لبسه على بدنه ، فلما غرق ألقاه الله تعالى على نجوة على الأرض يبذنه ليكون لمن بعده علامة فيرونه مع ثققله بالحديد على مرتفع من الأرض ، وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك آية وعلامة - إلى أن قال - ولئلا يشك أحد في إهلاكه أنهم كانوا قوما اتخذوه رباً فأراهم الله عز وجل إياه جيفة ملقاة بالساحل ليكون لمن خلفه عبرة وعظة ، هذا .

والعجب من القيصرى ، فأنه بعد مشاهدته لهذا الخبط العظيم كله من ابن العربي لم يرفع يده عن العصبية له و يقول إنه مأمور بهذا القول من جانب الرسول ﷺ كما أنه مأمور من جانبه بجميع ما يقوله في الفصوص فهو معذور .

**اقول :** ولقائل أن يقول له : يا أحق الرجال و مفتتن الجهال أي أمر رسول الله ﷺ بنشر الافك والضلال؟ أفهذا من أسرار الرب المتعال؟ أم يأذن بتحريف آيات القرآن والعصبية في حق فرعون و هامان أهذا من مقتضيات رحمة الرحمن؟ لا والله بل هو من امنيات الشيطان، و كيف يسوغ عبادة يفرث ويعوق واللاة والعزى بزعم أن عبادتها عين عبادة العلي الأعلی و إن الحق تعالى فيها تجلّى إن هذا الاختلاق وافتراء ، و قد نطق الكتاب المبين علي رغم ابن العربي ما حي السيدين و رغم ساير الصوفيين القائلين بوحدة الوجود بأن عبادته يحصل لعبادة كل معبود: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبدت ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبدت لكم دينكم ولي دين .

أبقى بعد هذا التفكيك الصريح ، والبيان الفصيح ، والتبيين النصيح ريب في بطلان القول بالوحدة والاتحاد أو معتذر للقائلين به في عتبي رب العباد أم لا؟ فأنتي يؤفكون أم أين يعرفون تعالى الله عما يقول الظالمون ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين هذا .

و لنعد إلى ما كتبنا فيه من مسألة تعذيب الكفار و خلودهم في النار أقول: إن ما ذهب إليه ابن العربي من نفي العذاب في حق قوم عاد و فرعون ذى الأوتاد وساير الكفار والمشركين مبنى على أصل فاسد أسسه في الفص الإسماعيلي،

وهو أن خلف الوعد من الله غير جازب بخلاف خلف الوعيد قال:

« الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الالهية تطلب الثناء بالذات المحمودة فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل يتجاوز فلا تحسبن الله مخلف وعده ورسله ولم يقل و وعيده بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم مع أنه توعد على ذلك فأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الامكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح» .

قال القيصري : أى قد زال في حق الحق إمكان وقوع الوعيد إذ لا شك أن الحق تعالى وعد بالتجاوز فقال : ويتجاوز عن سيئاتهم ، و قال : إن الله يغفر الذنوب جميعا ، و قال : ويعفو عن كثير من السيئات و أمثال ذلك ، و وقوع وعده واجب وهو التجاوز والعفو والغفران ، فزال إمكان وقوع الوعيد ، لأن وقوع أحد طرفي الممكن لا يمكن إلا بمرجح ، و ما ثم ما يطلب الوعيد إلا الذنب ، وهو يرتفع بالتجاوز فزال سبب وقوع الوعيد وعدم العلة موجب لعدم المعلول :

فلم يبق إلا صادق الوعد وعده و ما لوعيد الحق عين تعين أى إذا زال سبب الوعيد فلم يبق إلا تحقق وعده وحده ، لأنه صادق في وعده وما بقى لوعيد الحق عين تعين على البناء للمفعول لزوالها بالمغفرة و العفو في حق العصاة ، و أما في حق الكافرين والمنافقين لانقلاب عذابهم بنعيم يناسبهم كما قال :

وإن دخلوا دار الشقاء فأنهم على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد و بينهما عند التجلي تباين

أى مباين لنعيم جنات الخلد ، قوله : فالأمر واحد ، إشارة إلى أن التجلي الالهى على السعداء والأشقياء ليس إلا واحداً . والتباين إنما يقع بحسب القوابل ، و كل منها يأخذ بحسب استعداده و قابليته كما ، واحد نزل من السماء فصار في موضع سكرأ و في موضع حنظلا .

يسمى عذاباً من عذوبة طعمه و ذلك له كالقشر والقشر صائن

أى يسمّى ذلك التّعيم الذي لأهل الشقاء عذاباً لعذوبة طعمه بالنسبة إليهم فإنّ العذاب مأخوذ من العذب في الأصل ، وذاك أى لفظ العذاب له أى للعذب كالقشر و القشر صاين لله من الآفات ، فلفظ العذاب يصون معناه عن إدراك المحجوبين الغافلين عن حقايق الأشياء، انتهى كلامهما هبط مقامهما .  
و محصل ما استدلاّ به وجوه :

الأول إنّ الله سبحانه يحمّد ويثنى بالعمو والغفران لا بالتّعذيب والانتقام، وهو طالب للمحمّد والثناء ، فيجب الصدق في الوعد بالثواب لا الوعيد بالعقاب.  
الثاني إنّ الله تعالى قال : فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله ، ولم يقل ووعيده فالخلف في الوعيد جازي .

الثالث إنّ الله تعالى قال : أولئك الذين تمّ قبيل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ، فلا بدّ من وقوع التّجاوز عن السيئات لأنّه وعد الصدق ، وليس بمخلف وعده.

الرابع إنّ الله إذا كان التّجاوز عن السيئات والذنوب لازم الوقوع فلا يمكن وقوع الوعيد لأنّ بقاء المعلول من دون علته محال، وقد كانت علّة الذنوب ارتفعت بالتّجاوز.  
**اقول** : وأنت خير بأنّ هذا كلّه ممّا نسجه عدوّ الله الشيطان اللعين على لسان وليّه عدوّ رسول الله ما حى الدّين ، إغراء للكفّار على الكفر والعدوان ، و للمصاة على التّمرد والعصيان كما قال تعالى : و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الانس والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربّك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون\* و لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون

ويبطل ما ذكره كلّه قوله تعالى : إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المائة والخامسة والسبعين : ألا وإنّ الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب ، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك

بأنه قال الله سبحانه : إن الله لا يغفر أن يشرك به ، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات ، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً .  
فإن هذه الآية والحديث يخصان التجاوز عن السيئات في الآية السابقة بالمؤمنين و بغير مظالم العباد ، فيبقى الوعيدات الواردة في حق الكفار وفي حقوق الناس على حالها لعدم ارتفاع عللها .

و يستفاد هذا التخصيص من صدر الآية السابقة أيضاً ، فإن قوله تعالى :  
ننقبّل عنهم أحسن ما عملوا ، يدل على أن المراد بالآية المؤمنون خاصة ، إذ الكافر ليس له عمل صالح حسن مقبول .

و أيضاً لو أبقينا التجاوز عن السيئات على عمومها لكان الوعيدات الالهية كلها لغواً و عبثاً ، لاستحالة وقوعها بعد ارتفاع عللها ، بل يلزم أن يكون الله سبحانه في أخباره المتضمنة للوعيد كاذباً ، و من أصدق من الله قيلاً ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ثم إن صدور أمثال هذه المقالات من هذه الطائفة و قبول أمثالهم تلك الخيالات منهم صار سبباً لغلط أعظم من غلطهم المتقدم ، و هو إثباتهم للمتصلبين من الكفار مزية و فضيلة بقدر تصلبه و إصراره على الكفر و الجهالة حتى أن بعضهم سمى إبليس رئيس الموحدين ، مثل أحمد الغزالي فقد قال الشارح المعتزلي في شرح الفصل الثاني عشر من الخطبة الأولى : و كان في المسلمين ممن يرمي بالزندقة من ذهب إلى تصويب إبليس في الامتناع من السجود ويفضله على آدم عليه السلام وهو بشار بن برد والهرغث و من الشعر المنسوب إليه :

النار مشرقة والأرض مظلمة و النار معبودة مذ كانت النار  
و كان أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ أخو أبي حامد الغزالي الفقيه  
الشافعي قاصداً لطيفاً و واعظاً موهوباً ، و هو من خراسان من مدينة طوس و قدم  
إلى بغداد و وعظ بها و سلك في وعظه مسلكاً منكراً ، لأنه كان يتعصب لابليس ويقول  
إنه سيد الموحدين .

و قال يوماً على المنبر : من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديقاً مرأناً يسجد لغير سيده فأبى .

و لست بضارع إلا إليكم و أما غيركم حاشا و كلاً  
و قال مرة أخرى لما قال له موسى عليه السلام : أرني ، فقال : لن ، قال : هذا شغلك  
تصطفى آدم ثم تسود وجهه و تخرجه من الجنة و تدعوني إلى الطور ثم تشمت  
بي الأعداء هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء .

و قال مرة أخرى وقد ذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أن  
أظاير القضاء إذا حكّت أدمت ، و أن قسى القدر إذازمت أصمّت ، ثم قال لسان حال  
آدم عليه السلام ينشد في قصته و قصة إبليس :

و كنت دليلي في صعود من الهوى فلعماً توافينا ثبت و زلت

و قال مرة أخرى : التقى موسى و إبليس عند عقبة الطور فقال موسى : يا  
إبليس لم لم تسجد لآدم عليه السلام ؟ فقال : كلاً ما كنت لأسجد لبشر كيف أوحده ثم  
ألتفت إلى غيره ، و لكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت إلى الجبل فأنا  
أصدق منك في التوحيد .

و كان هذا النمط من كلامه ينفق على أهل بغداد و صار له بينهم صيت مشهور  
و اسم كبير

و حكى ابن الجوزي في التاريخ أنه قال على المنبر : معاشر المسلمين كنت دائماً  
أدعوكم إلى الله و أنا اليوم أحذركم منه ، والله ما شدت الزنا نير إلا في حبه ولا  
أديت الجزية إلا في عشقه .

و قال أيضاً إن رجلاً يهودياً أدخل عليه ليسلم على يده ، فقال له : لا تسلم  
فقال له الناس : كيف يمنعهم من الاسلام ، فقال : احملوه إلى أبي حامد يعني أخاه  
ليعلمه ، لا إلى المنافقين ثم قال : و يحكم أتظنون أن قوله لا إله إلا الله منشور  
ولايته زامنشور عزله ، و هذا نوع يمرّفه الصوفية بالغلو و الشطح .

و يروى عن أبي يزيد البسطامي منه كثير ، فمما يتعلق بقصة إبليس مارووه

بعض من مردته عنه من قوله:

فمن آدم في البين ومن ابليس لولا كما فتنت الكلب والكل مع الفتنة يهاكا انتهى  
وقال عبدالرزاق الكاشي في شرح الفصّ النوحى من الفصوص : كلما كان  
المدعو أصلب في دينه وأشدّ إباء للدّاعى إلى ضدّ مقامه كان أشدّ طاعة وقبولا  
لأمر ربّه وحكمه ، حتّى أن إباء ابليس عن السجود وعصيانه واستكباره بحسب  
ظاهر الأمر عين سجوده وطاعته وخدمته وتواضع لرّبّه باعتبار الارادة؛ انتهى.

و نقل بعضهم عن سهل بن عبدالله التستري من مشاهير مشايخهم أنّه رأى  
إبليس فتكلّم معه ووبّخه على عدم إطاعته في سجدة آدم وابعاد نفسه عن تناول  
الرحمة ، فقال له إبليس: كيف تبعدني عن رحمته هلاّ قرأت في القرآن: ورحمتي  
وسعت كلّ شيء؟ وأنا داخل في كلّ شيء، فرحمته تسعني بمقتضى وعده ، فافحم  
الشيخ بذلك فسكت وفارقه ثمّ رجع إلى القرآن فوجد الآية مقيدة بقوله: فسأ كتبها  
للذين يتّقون ، فدخلت الحسرة عليه بعدم تذكّر هذا القيد حتّى يجيبه ويلزمه  
به، وكان يتمنّى أن يراه مرّة أخرى فاتّفق ذلك واستبشر برؤيته فقال له: إن الآية التي  
تمسّكت به مقيدة بقيد ، فقرأ تمام الآية وظنّ أنّه غلب عليه وأفحمه بالحجّة  
من أجل خروجه بالقيد ، فضحك إبليس ونظر إليه نظر تعجّب من عقله و عرفانه  
وقال له: إنّ تقمى بعرفانك كانت أكثر من ذلك ، قال الشيخ: وكيف؟ قال ابليس  
اللّعين : إننى كنت معتقداً بمعرفتك بأنّه ليس في طرف الحقّ قيد بل هناك الاطلاق  
كلّه وإنّما التقييد من جهتك فتبيّن لى خلاف اعتقادى في حقّك، فاعترف الشيخ  
بغلطه واعتذر منه لما رأى أنّه يتكلّم على اصطلاحهم ويستعمل الألفاظ الدائرة  
بينهم و علم أنّه أعرف بمقاصدهم ومطالبهم منه.

و نقل عن المتصوّف الجامى في بعض حواشيه على كتاب نقد النصوص في  
شرح نقش الفصوص نقل هذه القصّة بوجه إجمالى.

قال: إنّ سهلاً التستري رأى إبليس فقال له: هل ترجو رحمة من عند الله؟  
قال: نعم لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء ، فقال سهل: لكنّه قيدها بقوله: فسأ كتبها



لَّذِينَ يَتَّقُونَ، الآية فقال إبليس: مه يا سهل فإن التقويد صفتك لاصفته، انتهى.  
و أعجب من هذه أن الجامي قد نظم في مبحثه مباحثه بين موسى عليه السلام وبين  
إبليس من هذا القبيل و هذه منظومه:

پور عمران بدل آن غرقه نور  
دید در راه سر دوران را  
گفت گز سجده آدم بچه روی  
گفت عاشق که بود کامل سیر  
گفت موسی که بفرموده دوست  
گفت مقصود از آن گفت و شنود  
گفت موسی که اگر حال اینست  
بر تو چون از غضب سلطانی  
گفت کاین هر دو صفت عاریتند  
گر بیاید صد از این یا برود  
ذات من بر صفت خویشتم است  
تا کنون عشق من آمیخته بود  
داشت بخت سیه و روز سفید  
ایندم از کشمکش آن رستم  
لطف و قهرم همه یگر نک شده  
عشق شست از دل من نقش هوس  
و ترجمه ما نظمه: إن موسی بن عمران ذهب إلى الطور للمناجاة فرأى  
له إبليس اللعين في أثناء الطريق فقال عليه السلام له: لم أبيت عن السجدة لآدم أجبني  
صدقاً، قال إبليس: العاشق الكامل في السير والسلوك لا يسجد غير معشوقه، فقال  
عليه السلام: نعم ولكن العاشق الصادق يطبع معشوقه في كل ما يأمر ويريد، قال إبليس:  
لم يكن المطلوب بالذات من الأمر إلا الامتحان لا السجود، فقال عليه السلام: لو كان

الأمر على ما زعمت لم صرت رجيماً واستوجبت اللعن والطرده والابعاد ولم انتزعت منك كسوة الملكية وتلبست بلباس الشيطنة؟ قال إبليس: كل من هذين الوصفين لباس العارية لمدخلية لهما في اتحاد الذات والتغير في الصفات باللغة ما بلغت لايوجب التغير في الذات والذات باقية بحالها في جميع الصور المتبدلة وعشقه لازم لذاتي و كان عشقى غير ممحّض و أمرى دائراً بين الخوف والرجا حتى إذ آبيت السجود تمحّضت في مقام التوحيد وعمودية المعبود ، فلم يبق فرق بالنسبة إلى بين القهر والرحمة ولا بين الجحيم والجنة .

**أقول:** الظاهر أن راوى هذه المناظرة هو نفس إبليس اللعين رواهاً وليائه المتصوفين و أثبت فيه غلبته على موسى عليه السلام و تسليم موسى عليه السلام له كما قال تعالى: و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس و الجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً و لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة و ليقترفوا ما هم مقترفون .

و يظهر من ولعهم بروايته و نظمهم له في أشعارهم ابتهاجهم بتلك المحاجة و امتنانهم من إبليس ، لكونه صوفي المذاق ، بل يظهر من ذلك أن أصل المؤسس لمذاهبهم هو إبليس حيث أسس الأصل في مسألة وحدة الوجود فأوحى بذلك إلى أوليائه الملحدين فأطاعوه و اتخذوه لهم ديناً و جعلوا أنفسهم للشيطان قريناً فساه قريناً ، لعن الله الضالين و المضلين و الهادين و المهديين و المرادين و المريرين و عذبهم عذاباً أليماً .

## و منها

قولهم بالجبر كالأشاعرة :

و هو لازم القول بوحدة الوجود ، فإن الخلق إذا كان عين الحق و كان سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و جميع جوارحه على زعمهم حسبما عرفت فيما تقدم فيكون جميع ما يصدر منه مستنداً إليه تعالى كما تقدم التصريح بذلك

فيما حكينا عن فصوص ابن العربي من الفص العيسوي ، حيث قال هناك في تأويل قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : إن كنت قلته فقد علمته ، لأنك أنت القائل في صورتني و من قال أمراً فقد علم ما قال ، و أنت اللسان الذي أتكلّم به كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ربه في الخبر الإلهي ، فقال : كنت لسانه الذي يتكلّم به فجعل هو يته عين لسان المتكلّم ، و نسب الكلام إلى عبده ، و قد صرح بمثل ذلك في غير موضع من الفصوص ، و تكرر في كلامه و كلام غيره أن لافاعل إلا هو .

و قال شيخهم الشيخ محمود الشبستري في كتاب كلشن راز :

هر آنكس را كه مذهب غير جبر است نبی فرمود كو مانند گبر است  
**اقول** : لما كان مذهب الجبر فسر الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله و هو قوله صلى الله عليه وآله : القدرية مجوس هذه الأمة ، بما فسر ولا يخفى أن الجبرية يقولون إن القدرية هم المفوضة لانكارهم قضاء الله و قدره في أفعال العباد ، و المفوضة يقولون إن القدرية هم الجبرية لقولهم بالقضاء الحتم و القدر اللازم في أفعال العباد والذي يستفاد من عدة أحاديث أنهم المفوضة ، ويستفاد من بعض الأخبار أنهم الجبرية ، وهو المستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يأتي ذكره في شرح أو ايل باب الحكم عند شرح قوله و من كلام له عليه السلام لما سأله سائل : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله و قدره آه ، فأننا إن ساعدنا التوفيق أنشاء الله نروى هناك من الكافي وغيره عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال بعد إبطال الجبر : تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان و خصماء الرحمن و حزب الشيطان و قدرية هذه الأمة و مجوسها .

قال بعض الأفاضل : والجمع بين الأحاديث يقتضى أن يكون الجبرية و المفوضة كلهم قدرية و مجوس هذه الامة ، و المؤمن المحق من قال بالأمر بين الأمرين . و الحاصل أن الصوفية متحدون مع الأشاعرة في القول بالجبر إلا أن مشربهم فيه مختلف ، فإن مسلك كل من الطائفتين يخالف مسلك الآخر في ذلك .

قال السيد حيدر بن عليّ العبيدي الحسيني وهو من صوفية الشيعة كما في مجالس المؤمنين في محكيّ كلامه من كتابه المسمي بجوامع الأسرار ومن شرحه على الفصوص :

إنّ بعض الناس توهم أنّ الأشاعرة الذين نسبوا أفعال العباد حسناً وقبحاً إلى الله والفائلين بأنه لفاعل إلاّ هو موافقون في توحيد الأفعال مع أهل الكشف والحال ، مع أنّ ما قاله الأشاعرة خطأ محض ، وذلك لأنهم وإن كان بحسب ظاهر كلامهم وعبارتهم يقولون : لا فاعل إلاّ هو ، كما يقوله أهل الكشف ولكن بحسب الباطن و المعنى بينهما بون بعيد ، لأنّ الأشاعرة مختفية في الظلمات محجوبة بالحجاب مشرّكة بالشرك الخفيّ ، لأنهم لم يخلصوا بعد من رؤية الغير ، ولم يملوا إلى مرتبة التوحيد الوجودي الذي هو مشاهدة وجود الحقّ من دون ملاحظة وجود الغير ، وأما أهل الكشف والحال فانهم قد تكلموا بهذا الكلام وقالوا هذا القول بعد الفناء في الحقّ والفراغ عن رؤية الخلق قال شاعرهم :

قومي نه زظاهر نه زباطن آگاه      وأنگه زجهالت بضاللت گمراه

مستمغرق شر كند حقيقت گویند      لا فاعل أصلاً أبداً غير الله هذا

وأنت بعد ما عرفت بطلان القول بوحدة الوجود من أصله تعرف بطلان القول بالجبر الذي يقوله الصوفية ، لكون هذه المسألة من فروع تلك المسألة ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتمعت من فوق الأرض مالها من قرار .

وأما بطلانه على ما يقوله الأشاعرة فستعرفه بما لا مزيد عليه إنشاء الله تعالى في باب المختار من الحكم إن ساعدنا التوفيق والمجال ، ووفقنا الله العزيز المتعال والله هو الموفق والمعين على كلّ حال .

## ومنها

اعتقادهم بأنّ السالك إذا عبد الله وبلغ إلى مرتبة الوصول واليقين سقطت عنه العبادات ولا يبقى له حاجة إليها لقوله تعالى : فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين ،

واليقين عندهم هو العلم والعرفان وعند أهل البيت عليهم السلام اليقين هو الموت ويشهد بأن اعتقادهم ذلك ما قاله العلامة الجليّ قدّس الله روحه في كتاب نهج الحقّ حيث قال :

شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولينا الحسين عليه السلام وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالساً ولم يصلّ ، ثم صلّوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص ، فسألت بعضهم عن ترك ذلك الشخص لصلاته فقال : وما حاجته هذا إلى الصلاة وقد وصل أيجوز أن يجعل بينه وبين الله حاجباً ، فقلت : لا فقال : الصلاة حاجب بين العبد والربّ .

قال «قد» : فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء وعقائدهم في الله تعالى كما تقدّم وعبادتهم كما سبق واعتذارهم في ترك الصلاة كما مرّ ، ومع هذا فانهم عندهم الأبدال ، فهؤلاء اسم أجهل الجهال ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وروى بعض أصحابنا عن ابن أبي جمهور الاحسائي في كتابه الموسوم : مجلّى مرآة المنجى قال : قال في أواسط الكتاب المذكور :

من هذا التقرير علم أنّ التكليف البدني لا يتمّ بدون التكليف العقلي ، وأنّه متى خلا منه كان غير صحيح فالتوجّه و الاقبال و دوام الفكر شرط في صحة العبادة البدنية ؛ ولا يكفي حصولها من البدن من دون ذلك التوجّه و الاقبال المستلزمين لدوام الفكر والحضور المعنوي عند المعبود على ما تحققّ عند أهل هذه الطريقة ردّاً على أهل الظاهر .

وعلم أيضاً أنّ التوجّه و الاقبال والحضور المعنوي من دون الأعمال الصّورية الظاهرة بالقوى البدني غير كاف ، ولا مخرج من عهدة التّكليف العقلي ، خلافاً للإباحية القائلين بأنّ العارف الواصل لا يحتاج إلى هذه الصّورة الظاهرة لانقطاعه عنها و وصوله إلى ما وراءها ، فتكون حاجبة له ؛ وهو عند التّحقيق وأهل الله من الأوهام الشيطانية ، فإنّ ملاحظة الصّور كما لا يتمّ بدون المعاني كذا لا يتمّ المعاني بدون الصّور ، و الأعمال مظاهر هذه المعاني ، فلا يتمّ حصولها بدون مظاهرها ،

(ج ١٣) ومن عقايدهم سقوط العبادات عن السالك اذا بلغ مرتبة الكمال (٢٦١)

والمقصود من الوصول ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل فتدبره فإنه به تم هذا الموضوع ، وما أحسنه من سر لا يطّلع عليه إلا بفكرة صادقة .

و به ينحلّ ما يرد من الشكوك من جماعة الإباحية كما قد وقع لي مع بعض الإباحية من المباحثة فأجيبته بهذا الجواب فانقطع .

وذلك أنه قد ذكر لي وأنا يومئذ مقيم بأرض نجد ببلاد يقال لها الدرعية إن في جبل بها رجلا منقطعاً عن الناس معتزلاً بنفسه عن مخالطة أحد من بني نوعه وأنه في الأصل رجل من أهل اليمن ورد غريباً وانقطع إلى هذا الجبل .

فجئت إلى موضعه وسلمت عليه فردّ السلام فرأيت رجلاً نبيلاً حسن المنطق عليه أثر الملاح ، فحادثته في فنون العلم فرأيت له ذوقاً جيداً .

فقلت له : ما أحسن ما أنت فيه من هذا الانقطاع إلا أنني سمعت أنك لا تصلي الصلوة الشرعية بالصورة الظاهرة التي جاء بها الشرع المحمدي ، أفلمت على ملته ؟

فقال : بلى ولكن ما أعمل بهذه الصورة الظاهرة أنها حجاب للواصل مرتبة الحضور المنقطع عن هذه الصور المشاهد الحقاني الذي لم يفارق باب الملك ، أو لا تعلم أن الصلوة مشتقة من الصلّة وبها يتوصل المحجوب بالصورة إذا لاحظ بها القرب المعنوي ؟

قلت : بلى

فقال : فما احتياج الواصل إلى ما به يتوصل إنّه قد استغنى بالوصول عن الموصول ويعمل الحاجّ بالراحلة إذا وصل إلى مكّة وتمّ نسكه وقصده المجاورة فإنه حينئذ يغني عنها

فقلت : وأنت من أهل الوصول والاتصال بحضرة ذي الجلال ؟

فقال : نعم .

فقلت : على تقدير تسليم وصولك فهل وصولك أمّ من وصول نبيك محمد ﷺ ؟ وهل اتصالك أعلى من اتصاله ؟

فقال : حاشا و كلاً بل الواصل الحقيقي هو لا غيره و به يتصل الكل و جميع الخاصة و خاصة الخاصة عنه أخذوا مراتبهم و مقاماتهم في النشاطين .  
 فقلت : فكيف هو مع ذلك الوصول التام و الاتصال الكامل لم يترك هذه الصور الظاهرة و لا العبادات الشرعية ، بل كان دائم المواظبة عليها شديد العناية بها .  
 فقال : إنه ﷺ وصل وُردّ و أنا وصلت و ما رددت .  
 فمجيبت من كلامه و فهمت منه ظاهره و خفي على في بادي الحال باطنه ،  
 فقلت : إذا يلزمك أن تكون أفضل منه إذ لا يشك كل عاقل أن غير المردود أفضل من المردود .

فضحك عن تهافت فهمي عن إدراك ما أرا من معنى الرد .

فقال لي : وهذا منك ضم جهل إلى جهل .

فقلت له : أبن لي عن مقصودك و أفهمني مرادك لأقوم لك بالعدر .

فقال : إنه ردّ إلى تكميل الخلق و إيصالهم إلى بارئهم و منشئهم على الطريقة المرضية لما علم الله فيه من القوة الملكية و النفس القدسية البالغة في حد الكمال إلى مرتبة القدرة على التكميل و الإرشاد لهذا الخلق و الجمع بين الجانبين ، فلا يمنعها الاشتغال بتكميل الخلق عن الحضور بين يديه في أغلب أوقاته و أخذ ما يحتاج إليه الخلق منه ، ولا يمنعها الحضور بين يديه و الاشتغال بخدمته عن هداية الأنام و تكميلهم لما فيه من القوة الجامعة بين الأمرين ، و أنا المسكين لما لم أكن في هذه المرتبة بل و لا قريباً من بعض البعض منها لم أكن من أهل الردّ و لا من المستحقين له ، بل شأني و منتهى ما تقتضيه قوتي لزوم باب الملك و الحضور بين يديه و التلقي لنفحات و إرادته ، فأنا في مرتبة قولهم : لو نطق العارف هلك ، فهذا معنى قولي : إنه ﷺ وصل وُردّ و أنا وصلت و ما رددت ، لا كما ذهب إليه وهمك الردي و فهمك القاصر .

ثم قال : فإذا علمت أنه ﷺ من المردودين لتكميل الخلق و إيصالهم إليه بطريق الشريعة و الطريقة و الحقيقة على مراتبهم لم يحسن منه بل ولم يجزله ترك

(ج ١٣) ومن عفايدهم سقوط العبادات عن السالك اذا بلغ مرتبة الكمال (٢٦٣)

الصورة الظاهرة و لا رفض الأعمال البدنية لأنه المقتدى به والمتبوع اثره فصلاته وعباداته لا للتوصل والتقرب بها ، لأنه في الحقيقة واصل قريب بل هو الأقرب الذي ليس وراءه قرب ولا بعد وصوله وصول ، بل لتقتدى به العامة ويتوصل بآثاره وأطواره الخاصة ، و أما أنا فلا حاجة لي إلى هذه الصورة لانقطاعي عنها بمشاهدة الحقائق .

فسحرتني بكلامه وبهرقلمى بزخارف تقريراته حتى غلب عليّ الوهم أنه محقّ أو قريب من التحقيق، ثمّ أيدني الله بمنّه فرجعت إلى نفسي وثاب إليّ عقلي و قلت له في الحال بلا إمهال : ليس بالوصول ينقطع العمل ، و لا الأجله يترك الأوامر الشرعية ، فإنّ ذلك وهم شيطانيّ مهلك ، و خيال إبليسيّ مردٍ ، بل الوصول عند أهل الوصول ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل .

فسكت و انقطع عن الجواب و بقي ساعة متفكراً ثمّ قال : يا هذا قد أشغلتنى عمّا أنا فيه فلا تكثر على الكلام و لا تعاودني بشيء من الخطاب . فقم عنّي عجلاً و دعني و شغلي فما انقطعت في هذه المفازة إلّا خوفاً من أمثالك .  
فخرجت عنه و انقطعت حجّته و بان عجزه و علمت أنّ الوهم المردى هو الذي أهلكه ، فعلم أنّ انقطاع حجج الأباحية إنّما يكون بملاحظة هذا السرّ فلا تغفل عن تدبّره ، انتهى .

**أقول** يا أهل البصيرة والبصر وأولى الأربّة و الفكر انظروا بنظر الدقّة والعبر إلى عقيدة هذا الصوفي الذي عن الخلق اعتزل ، و بزعمه إلى مقام الزلّفي وصل ، والحال أنّه تاه و ضلّ ، و هو بمعزل عن الحقّ عزّ وجلّ ، فليكنكم من العيان السّماع ، و من الغيب الخبر ، فقس على اعتقاده عقيدة من مضى منهم و من غير ، تعرف بذلك أنّ من دان بهذه العقيدة كالأنعام ، بل أضلّ سيّلا ، فلعن الله المتدينّ بها بكرة و أصيلا ، و عذبهم عذاباً أليماً و بيلاً .

والمعجب من ابن أبي الجمهور كيف سلّم لهذا الجاهل هذه الترهات ، و لم يردعه من تلك السقطات ، ولم يكفّرّه في أول الأمر و لم يقل إنّ دعواك الوصول



نَفَخَ بِغَيْرِ ضَرْمٍ ، وَ مَشَى بِلا قَدَمٍ . كُنْتَ تَدْعَى أَنَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَنَّكَ مِنَ الْمَشْرُكِينَ ، وَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَ أَنْتَ فِي تِلْكَ الدَّعْوَى مِنَ الْمُبْطِلِينَ . لِأَنَّ الرَّاجِبَ عَلَى الْمَتَدِينِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ ، وَالْمُسْتَنْبَسَةَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ أَوْلِيَاءَ أَمْرِهِ الْكِرَامَ ، فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ مِنَ التَّكَالِيفِ وَ الْأَحْكَامِ .

وَ أَعْظَمُ تِلْكَ التَّكَالِيفِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ عَمُودُ الدِّينِ ، وَ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ كَمَ مِنْ آيَةٍ مُتَضَمِّنَةٍ لِخُطَابِ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَ كَأَيِّنَ مِنْ رِوَايَةٍ قَائِمَةٌ عَلَى وَجُوبِ إِقَامَتِهَا فِي الْأَوْقَاتِ الْمَوْضُفَاتِ ، بِإِلْزَامِ ضَرُورَةِ الدِّينِ قَاضِيَةً بِعَدَمِ جَوَازِ تَرْكِهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَالَاتِ ، حَتَّى حَالَةَ الْإِشْرَافِ عَلَى الْمَوْتِ وَ الْإِيَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَمَا هَذَا شَأْنُهَا كَيْفَ يُمْكِنُ سَقُوطُهَا فِي حَالَةِ الْوُصُولِ ، مَعَ أَنَّ الْوُصُولَ بِالْمَعْنَى الَّتِي تَقُولُ غَلَطَ غَيْرَ مَقْبُولٍ .

وَ بِالْجُمْلَةِ فَالْإِلْزَامُ عَلَى ابْنِ أَبِي الْجَمْهُورِ أَنْ يَجِيبَ هَذَا الْجَاهِلَ السُّتْقِيهَ الْمَعْتَمُوهَ بِمَجْرَدِ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ وَجُوبَ الصَّلَاةِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ ، فَأَيُّ دَلِيلٍ دَلَّ عَلَى سَقُوطِهَا مِنَ الْوَاصِلِينَ ، بَلْ لِمَا جَعَلَهَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ بِمَنْزِلَةِ عَمُودِ الْفَسْطَاطِ كَانَ تَارِكُهَا هَادِمًا لِفَسْطَاطِ دِينِهِ مَتَرْدِيًا فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ .

وَ لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ صُوفِيًّا الْمَذَاقِ وَ لِذَلِكَ سَلَكَ فِي كِتَابِهِ مَسْلَكَ الْمَلَا حِدَةِ الْكُتَّامِ وَ الْمُنْتَصِفَةِ الْعَوَامِ أَصْنَى إِلَى طُولِ مَقَالِ هَذَا الْجَاهِلِ ، وَأَطَالَ فِي سَوَالِهِ وَ جَوَابِهِ بِالْطَائِلِ ، ثُمَّ أَجَابَ بِمُصْطَلِحَاتِ الصُّوفِيَّةِ عَلَى مَقْتَضَى مَذَاقِهِ وَ سَلِيْقَتِهِ ، وَلَمْ يَجِبْهُ بِالْأَصُولِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُمَهَّدَةِ حَسْبَمَا أَجْبَنَاهُ ، لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ جَنُودَ مَجْتَنَّدَةَ ، وَ إِنَّمَا الْفَيْلُ يَأْلَفُ الْفَيْلًا .

فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ جَلَّ جَلَالُهُ إِنَّ الْإِبَاحِيَّةَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بَلْ جَمِيعَ الْمَدْعِيِّينَ لِلْوُصُولِ لَنَا كِبُونَ عَنْ طَرِيقِ السَّدَادِ ، وَ زَائِفُونَ عَنْ نَهْجِ الرِّشَادِ ، مَسْتَحَقُّونَ اللَّعْنِ وَ الطَّرْدِ وَ الْإِبْعَادِ ، مَحْجُوبُونَ عَنْ حَضْرَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَ مِنْ أَضَلِّ أُمَّةٍ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ ،

ولنكتف من ذكر عقايدهم الفاسدة بما أوردناه ونعطف عنان القلم إلى ماسواه فأقول  
وبالله التوفيق :

## و أما الافعال و الاعمال

التي انحرفوا فيها عن النهج المقررة في الشريعة واستبدوا فيها بأرائهم  
الفاسدة وعقولهم السخيفة فأكثر من أن تحصى ولنشر إلى بعضها فأقول :

### منها

اعتمادهم على الأحاديث المجهولة و تأويلهم على الأخبار المجعولة كما  
يظهر ذلك لمن راجع إلى كتبهم ؛ بل يجوز بعضهم وضع الأحاديث الكاذبة مع  
ما سمعوه من قول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه بين الفريقين : من كذب  
على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار حسبما يأتي في المختار الآتي .

ويشهد بتجويزهم للموضع ما قاله قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني  
القاهري الشافعي في شرح رسالة كتبها في علم الدراية وسمّاها بنخبة في مصطلح  
أهل الأثر بعدما ذكر بعضاً من القرابين التي يدرك بها الوضع :

والحامل للموضع على الوضع إما عدم الدين كالزنادقة أو غلبة الجهل كـ بعض  
المتعبددين، أو فرط العصبية كـ بعض المقلّدين، أو اتباع هوى بعض الرؤساء أو الأحزاب  
بقصد الاشتهار و كل ذلك حرام باجماع من يعتد به .

إلا أن بعض الكرامية وبعض الصوفية نقل عنهم إباحة الوضع في الترغيب  
والترهيب، وهو خطأ من فاعله نشأ من جهل، لأن الترغيب والترهيب من  
جملة الأحكام الشرعية و اتفقوا على أن تعمد الكذب على النبي ﷺ من الكبائر .  
وبالغ أبو محمد الجويني فكفر من تعمد الكذب على النبي ﷺ ، و اتفقوا  
على تحريم رواية الموضوع إلا مقررناً ببيانه لقوله ﷺ : من حدث عني بحديث  
يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين ، أخرجه مسلم ، انتهى .

وقال السيد نظام الدين أحمد بن إسحاق من كتاب الأربعين المسمى بنظم الثالبي الملاح في الأحاديث العوالي الصحاح :

لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وفيما لاحكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك ، فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح باجماع المسلمين الذين يعتد بهم .

خلافاً للكرامية المبتدعة في زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب ، و تابعهم على هذا كثير من الجهلة المنتسبين إلى الزهد ، وشبهه زعمهم الباطل أنه جاء في رواية من كذب على متعمداً ليضل به الناس فليتبوا مقعده من النار .

وقد أجاب العلماء عنه بأجوبة أحسنها وأخصرها أن قوله : ليضل به الناس زيادة باطلة باتفاق الحفاظ على إبطالها وأنها لا تعرف صحيحة بحال .

الثاني جواب أبي جعفر الطحاوي أنها لو صحت لكانت للتأكيد كقوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس .

الثالث أن اللام في ليضل ليست لام التعليل بل هي لام الصيرورة والعاقبة معناه أن عاقبة كذبه ومصيره إلى الاضلال كما في قوله تعالى : فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، ونظائره في القرآن وكلام العرب أكثر من أن تحصى وعلى هذا يكون معناه فقد يصير أمر كذبه إضلالاً .

ونقل الجامي في شرحه على منتخب الفصوص : إن سلطان العارفين أبا يزيد البسطامي قال لبعض علماء الرسوم ونقله الأحكام والآثار والأخبار : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت .

أقول : وهذا تعريض منه على المحدثين ورواة أحاديث المعصومين عليهم السلام بل هو

تعريض بنقصهم وانحطاط درجاتهم سلام الله عليهم .

و نقل مثل ذلك الجزايري في الأنوار النعمانية قال : وقد كان في زماننا رجل

من الصوفية يزعم أنه من علماء الشيعة وكان يخطب أصحابه يوماً فقال وهو على

المنبر : إنني كتبت الاصول الأربعة يعني الكافي والتهذيب والاستبصار والفقيه وقرأتها وصححتها ولما رأيتها عديم الفائدة بعثتها بدرهم واحد ورميت ذلك الدرهم بالماء ، فانظر إلى ايمان هذا الرجل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقد علم بذلك أن الصوفية سنيًا كانت أو شيعيًا لا جريحة لهم في أمر الدين ، ولا مبالاة في ملاحظة مدارك الشرع المبين ، فتارة يجوزون وضع الأحاديث ، وتارة يعتمدون على أخبار المرسله والمجهولة ، بل على الموضوعه والمجمولة في إثبات مطالبهم الفاسده ، وثالثه يستخفون الأخبار المعتبرة ويستحرقون روايتها ويستنهضون لنقله الأحاديث والأخبار ، و ذلك كله لبعدهم عن قوانين الشريعة ، ومع ذلك يزعمون أنهم وصلوا الحقيقه ، والحال أنهم لم يعرفوا الشريعة فضلا عن الطريقة و الحقيقه .

## و منها

التزامهم بكون و رودهم و صدورهم في مقام السير والسلوك بدلالة المرشد زعمًا منهم أنه أعرف بطرق السير ومتابعته أسرع في الايصال والوصول ، وذكروا في آداب السالك انه :

يجب أن يكون كامل الاعتقاد في حق الشيخ بحيث لا يرى أكمل منه في عصره من حيث الارشاد والتربية والتهديب والتأديب ، إذ لو كان ضعيف الاعتقاد لم يكن له وقع عنده فلا يؤثر فيه أقواله وافعاله ، وكلما كان اعتقاده به أشد كان تأثير أقواله وأفعالها فيه أكد .

ويجب أيضا أن يقوم في مقام التسليم والاذعان حتى لو رأى منه منكراً لا ينكره ولا يطمئن به عليه ويذكر في ذلك قصة موسى والخضر عليهما السلام .

ويجب أيضاً أن يسلب عن نفسه بكلية الاختيار ويكون مطيعاً له في كل ما يأمر وينهى من الأمور الدينية كالأكل والشرب والنوم واللباس والقيام والقعود والحركة والسكون وغيرها ، أو الأمور الدينية حتى العبادات المندوبة

من الصوم و الافطار و الاكثار من النوافل و الاقتصار على الفرائض و الذكر و التلاوة و المراقبة وغيرها ، فلا يقدم على شيء منها إلا باذنه ولو رأى أنه يكرهها لا يجوز إقدامه عليها .

و يجب أيضاً أن ينتظر و يترصد ما يصدر عن لسان الشيخ فيتبعه لكونه واسطة كلام الحق إلى غير ذلك مما ذكره في آداب السالك ومحصل ذلك كله أن يشرب المرید قلبه حب الشيخ ويكون راسخ الاعتقاد في حقه و يأخذ معالم دينه عنه ، لأنه صاحب الولاية الجزئية ، ومن مجالى الولاية الكلية وللولى أن يكون نافذ التصرف في حق المولى عليه .

وأول من أسس هذا الأصل الفاسد وادعى لنفسه الولاية وتلقاه أتباعه منه بالقبول هو الرّجس الخبيث، ابن العربي ، فأنه لكونه سنياً ضالاً منحرفاً عن أولياء الدين والحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ادعى أنه خاتم الأولياء ثم سرى ذلك الوهم الباطل والغلط الفضيح منه إلى الأعقاب حتّى جهال الشيعة المتصوفة فسمّوا مرشديهم بالأولياء .

و ينبغي إشباع الكلام في المقام لأنه مما زلت فيه أقدام أقوام من العوام فأقول :

زعم ابن العربي ماحى الدين وهادم أساس الشرع المبين أنه خاتم الولاية المحمّدية ، وقد أشار إلى ذلك في مواضع من الفصوص والفتوحات ولنشر إلى موضع واحد .

قال في الفصوص في الفصّ الشّيبى « ولما مثل النبى ﷺ النبوة بالحائط من اللبن و قد كمل سوى موضع لبنة واحدة فكان ﷺ تلك اللبنة غير أنه لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة وأمّا خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرّؤيا فيرى مأمثله به رسول الله ﷺ ويرى في الحائط موضع لبنتين واللبنتان من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ويكمل الحائط بهما لبنة ذهب ولبنة فضة فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكمل الحائط »

قال القيصري : أى لمّا مثل خاتم الرّسل النبوة بالحايط ورأى نفسه تنطبع فيه لا بدّ أن يرى خاتم الولاية نفسه كذلك لما بينهما من المناسبة والاشترك فى مقام الولاية .

« والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرّسل فى الظاهر وهو ، أى كونه تابعاً « موضع اللبنة الفضيّة وهو ظاهر وما يتبعه فيه من الأحكام ، أى موضع اللبنة الفضيّة صورة متابعة خاتم الأولياء لخاتم الرّسل عن الأحكام و صورة ما يتبعه فيه و انطباعه موضع اللبنة يكمل المتابعة ولا يبقى بعده متابع آخر كما لا يبقى بعده ولى آخر .

« كما هو أخذ عن الله فى السرّ ما هو بصورة الظاهرة متبّع فيه ، أى خاتم الولاية تابع للشرع ظاهراً كما أنه أخذ عن الله باطنياً لما هو متبّع فيه للصورة الظاهرة « لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بدّ أن يراها هكذا ، أى لأنه مطلع على ما فى العلم من الأحكام الالهية و مشاهد له و إلا لم يكن خاتماً « وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن » أى كونه رائيّاً للأمر الالهى على ما هو عليه فى الغيب هو موضع اللبنة الذهبية « فانه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرّسول ، وهو الحق تعالى ، هذا .

ونقل القيصري عنه فى شرح هذا الفص انه قال فى فتوحاته :

أنّه رأى حائطاً من ذهب وفضّة وقد كمل إلا موضع لبنتين إحداهما من فضّة والأخرى من ذهب ، فانطبع موضع تلك اللبنتين وقال فيه وأنا لاشكّ أنى أنا الرّائى ولا أشكّ أنّى أنا المنطبع موضعهما وبى كمل الحائط ، ثمّ عبّرت الرّؤيا باختتام الولاية بى و ذكرت المنام للمشايع التّدين كنت فى عصرهم و ما قلت من الرّائى فعبّروا بما عبّرت به .

و الظاهر ممّا وجدت فى كلامه فى هذا المعنى أنّه خاتم الولاية المقيّدة المحمّدية لا الولاية المطلقة التّي لرتبته الكلّية .

ولذلك قال في أول الفتوحات في المشاهدة : فرآني أي رسول الله و رأى الختم لاشترك بيني وبينه في الحكم فقال له السيد هذا عدليك وابنك و خليلك والعديل هو المساوى .

قال في الفصل الثالث عشر من أجوبة الامام محمد بن علي الترمذى: الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية مطلقاً ، وختم يختم الله به الولاية المحمدية .

فأمّا ختم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرّسالة فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً لأولى بعده فكان أول هذا الأمر نبي وهو آدم عليه السلام وآخره نبي وهو عيسى عليه السلام أعني نبوة الاختصاص فيكون له حشران حشر معنا وحشر مع الأنبياء والرسل .

وأما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب أكرمها أصلاً وبدءاً وهو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسائة ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده و كشفها لي بمدينة فامن حتى رأيت خاتم الولاية منه وهى الولاية الخاصة لا يعلمه كثير من الناس وقد ابتلاه الله بأهل الانكار عليه فيما تحقق به من الحق في سره .

و كما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه وآله نبوة التشريع كذلك ختم الله بالختم المحمدى الولاية التي تحصل من الوارث المحمدى لا التمي تحصل من ساير الأنبياء فان من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى وهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدى؛ هذا ختم الولاية المحمدية

وأما ختم الولاية العامة الذى لا يوجد بعده لى فهو عيسى .

وقال في الفصل الخامس عشر منها : فانزل في الدنيا من مقام اختصاصه استحق أن يكون لولايته الخاصة ختم يواطى (١) اسمه اسم صلى الله عليه وآله ويجوز خلقه وما هو بالمهدى المسمى المعروف المنظر فهو ذلك من عترته و سلالته الحسينية والختم ليس من سلالته الحسينية ولكن من سلالة أعرافه وأخلاقه والكل إشارة إلى

(١) يشير إلى نفسه لأن اسمه محمد بن علي العربي الاندلسى (منه)

نفسه ، انتهى ما نقله الفيضى .

فقد علم بذلك كَلَّمَهُ أَن هَذَا الْخَبِيثَ الْمَلْحَدَ قَدْ ادَّعَى دَعْوَى أَعْظَمَ مِنْ فِيهِ  
حَيْثُ إِنَّهُ ادَّعَى تَارَةً أَنَّهُ خَاتَمُ الْوَلَايَةِ ، وَآخَرَى أَنَّهُ عَدِيلُ النَّبِيِّ وَمَسَاوِلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
فِي الرَّتْبَةِ ، وَثَالِثَةً أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ لَتَلْقِيَهُ الرَّوحُ بِبَلَا وَسِطَةٍ مِنَ  
الْحَقِّ وَتَلْقَى الرَّسُلَ لَهُ بِوَسِطَةِ الْمَلِكِ كَمَا قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ : فَاتَّهَ بِأَخْذٍ مِنَ  
الْمَعْدَنِ الَّذِى يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلِكُ الثَّنْذَى يُوحَى بِهِ إِلَى الرَّسُلِ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى

وَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ هَذِهِ الْهَذْيَانَاتِ سَلِمُوا لَهُ ذَلِكَ لِمَا اسْتَحْوِزَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ  
اللَّعِينُ وَأَضَلَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَسَرَى ذَلِكَ الْفَسَادُ وَالضَّلَالُ إِلَى الْأَعْقَابِ وَإِلَى أَتْبَاعِ  
كُلِّ نَاعِقٍ مِنْ مَتَصَوِّفَةِ الْعَامَةِ فَسَمَوْا مَرشِدَهُمْ بِالشَّيْخِ وَالْوَلِيِّ وَوَصَفُوهُمُ بِالْوَلَايَةِ .  
ثُمَّ تَعَدَّى عَنْهُمْ إِلَى جِهَاتِ الْخَاصَّةِ الْمَتَصَوِّفَةِ فَاحْتَدَوْا حُدُودَهُمْ وَاتَّخَذَ كُلُّ  
سَلْسَلَةٍ مِنْهُمْ مَرشِدًا مَخْصُوصًا وَوَصَفُوهُ بِالْوَلَايَةِ وَفَوْضُوا عَلَيْهِ زِمَامَ أُمُورِهِمُ الدِّيُونِيَّةِ  
وَالدِّيْنِيَّةِ وَعَنْهُ أَخَذُوا الْأَذْكَارَ الْمُخْتَرَعَةَ وَالْأَوْرَادَ الْمُبْتَدَعَةَ ، وَوَقَرُّوهَ وَعَظَّمُوهُ  
وَمَجَّدُوهُ وَزَارُوهُ ، بَلْ رُبَّمَا يَنْقُشُونَ صُورَتَهُ الْمَنْحُوسَةَ فِي قِرطَاسٍ أَوْ لُوحٍ وَيَجْعَلُونَهُ  
فِي مَصَالِحِهِمْ يَزُورُنَ تِلْكَ الصُّورَةَ وَيَقْبَلُونَهَا وَيَضَعُونَهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ فِي الْغَدْوِ وَالرَّوَّاحِ  
يَلْتَمَسُونَ بِذَلِكَ الْخَيْرَ وَالْبِرَّكَ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّ تَقَرُّبَهُ مُوجِبٌ  
لِتَقَرُّبِهِمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَصْنَامِيُّ : هُوَ لَأَنْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ .

وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ كَلَّمَهُ بَدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ لِكَوْنِهِ مُخَالِفًا لِلْأَصُولِ الشَّرْعِيَّةِ وَلِقَوَاعِدِ  
مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ .

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَلَايَةَ الْكَلْمِيَّةَ وَالسَّلْطَنَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَوَجُوبَ الْإِطَاعَةِ بِنَصِّ آيَةٍ : إِنَّمَا  
وَلِيكُمْ اللَّهُ الْآيَةَ وَآيَةٍ : أَطِيعُوا اللَّهَ الْآيَةَ وَغَيْرَهَا مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ وَأَحَادِيثِ الْأُئِمَّةِ  
الْأَطْيَابِ مَنْحَصَرَةٌ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَفِي رَسُولِهِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَعْنَى الْأُئِمَّةِ الْهَدَاةِ  
وَالْقَادَةِ الدَّعَاةِ وَالسَّادَةِ الْوَلَاةِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، فَيَجِبُ طَاعَتُهُمْ وَالرَّجُوعُ  
إِلَيْهِمْ وَأَخْذُ مَعَالِمِ الدِّينِ عَنْهُمْ فِي زَمَانِ حُضُورِهِمْ .

وَأَمَّا فِي زَمَانِ الْغَيْبَةِ الْكُبْرَى وَالطَّامَةِ الْعَظْمَى فَيَجِبُ الرَّجُوعُ إِلَى مَنْ



أرجعنا أولياء الأمر عليهم السلام إليه وفرضوا علينا أخذ التكليف الشرعية منه وأوجبوا علينا متابعتهم وطاعته ، وهم المجتهدون الجامعون لشرايط الافتاء والقابلون لنيابة الامام فقط .

فلقد قال صاحب الأمر عجل الله فرجه في حقهم : و أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله .

وقال الصادق عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة الطويلة الواردة في حق المتخاصمين : ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما فاني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا كافر راد على الله وهو على حد الشرك بالله .

ونحوهما أخبار لاجابة إليها فبمقتضى هذه الأخبار وسائر الأدلة التي ذكرها أصحابنا رضی الله عنهم في كتب الاصول لايجوز التعويل والاعتماد على غير هؤلاء . فالصوفية الذين يتخذون لهم مرشداً ودليلاً ويسمونه شيخاً وولياً و يأخذون آداب السير والسلوك إلى الله منه مع كونه جاهلاً صلاً عن طريق الهدى إلى سمت الردى مثلهم إنما مثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، بل مثل من أسس بنيانه على شفا جرف هارفاً نهار به في نار جهنم .

وذلك لأنهم قد سلكوا الطريق بغير دلالة الدليل الواجب الاتباع وهو المجتهد الجامع لشرايط الافتاء ، بل قلّدوا جاهلاً لا يعرف الباطل والحق ولا يفرق بين النعق والنق ، ولئن قلت لهم : أنتم قلّدتم هذا الجاهل فيستوحشون منه وينكرون غاية الانكار مع أن التقليد ليس عبارة إلا عن أخذ قول الغير من غير مطابقة الدليل وهذا حالهم مع هذا الضليل .

وقد أشير إلى بطلان مثل هذه المتابعة والتقليد وإلى النهي عنها في آيات

وأخبار كثيرة .

مثل ما رواه في الوسائل عن الكليني بإسناده عن محمد بن عبيد قال : قال لى أبو الحسن عليه السلام : يا محمد أنتم أشدّ تقليداً أم المرجئة ؟ (١) قال : قلت : قلّدنا وقلّدوا فقال عليه السلام : لم أسألك عن هذا ، فلم يكن عندى جواب أكثر من الجواب الأوّل فقال أبو الحسن عليه السلام : إن المرجئة نصبت رجلا لم تفترض طاعته وقلّدوه وأنتم نصبتهم رجلا ورفضتم طاعته ثم لم تقلّدوه فهم أشدّ منكم تقليداً .

و بإسناده عن أبي بصير (٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ، فقال عليه السلام : أما والله مادعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون .

و بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله فقال عليه السلام : والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم .

و بإسناده عن عبد الله بن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ايّاكم و هؤلاء الرّؤساء الذين يتراسون فوالله ما خفقت النّعال خلف رجل إلاّ هلك و أهلك .

و بإسناده عن أبي حمزة الثّمالي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام إيّاك و الرّياسة و إيّاك أن تطأ أعقاب الرّجال ، قلت : جعلت فداك أمّا الرّياسة فقد عرفتها وأمّا أن تطأ أعقاب الرّجال فما نلت ما في يدي إلاّ ممّا وطئت أعقاب الرّجال ، فقال عليه السلام

(١) وفي الأحاديث المرجعي ، يقول من لم يصل ولم يصم ولم يفتسل من الجنابة وهدم الكعبة ونكح امه فهو على ايمان جبرئيل وميكائيل قال بعض أهل المعرفة بالملل: المرجئة هم الجبرية سميت مرجئة لانهم يؤخرون أمر الله وير تكبون الكبار، وذكر في مجمع البحرين له معاني اخر . منه .

لي : ليس حيث تذهب ايباك أن تنصب رجلا دون الحجّة فنصدّقه في كل ما قال .  
 وفي الوسائل من الاحتجاج في حديث طويل عن الحسن العسكري عليه السلام  
 قال : و كذلك عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر و العصبية الشديدة  
 و التكلب على الدنيا و حرامها فمن قلد مثل هؤلاء فهو مثل اليهود الذين ذمهم الله  
 بالتقليد لفسقة علمائهم ، فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً  
 على هواه مطيعاً لمولاه فللعوام أن يقلدوه ، و ذلك لا يكون إلاّ بعض فقهاء الشيعة  
 لا كلّهم ، فإنّ من ركب من القبائح و الفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا  
 منهم عنّا شيئاً ولا كرامة ، وإنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنا أهل البيت لذلك  
 لأنّ الفسقة يتحمّلون عنّا فيحرفونه بأسره لجهلهم و يضعون الأشياء على غير وجهها  
 لقلّة معرفتهم ، و آخرون يتعمّدون الكذب علينا ، إلى غير هذه ممّا لا نظيل  
 بروايتها .

و الحديث الأخير و إن كان في حقّ العلماء السوء و مقلّديهم إلاّ أنه يشمل  
 كلّ من يأخذ أمر دينه ممن ليس له قابلية لأن يؤخذ منه مثل ذلك إما لجهله أو  
 لفسقه كالصوفية و مشايخهم الفسقة الجهال .

وأيّ فسق أعظم من تجويز التصفيق و الرقص و الغناء و اختراع الأذكار و الأوراد  
 المبتدعة بكيفيات خاصة و شرايط مقرّرة عندهم من حيث العدد و الوقت و الزمان  
 و المكان و غيرها ممّا ليس منها في الكتاب و السنة عين و لا أثر .

ثمّ العجب أنّ أتباع هؤلاء الفسقة يقصدون بالتقرّب إليهم و بتوفيرهم  
 و تمجيدهم و تعظيمهم التقرّب إلى الله ، وهكذا كانت حال عبدة الأصنام كما قال الله  
 تعالى في وصفهم : و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله  
 زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار .

و الضمير في يختلفون للكفرة و مقابليهم أولهم و لمعبودهم ، فإنهم يرجون  
 شفاعتهم وهم يلعنونهم .

و أعجب من ذلك تبرّكهم بتمثال المرشد و تعظيمهم و تقبيلهم و زيارتهم له

وقد قال إبراهيم عليه السلام لعبدة الأصنام : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ؟ قال لقد كنتم أنتم وآبائكم في ضلال مبين .

## ومنها

الغناء والرّقص والتصفيق ، وهو أعظم عباداتهم يقومون بها في الأوقات الشريفة المخصوصة وقد عاتب الله أهل الجاهلية الكفار بذلك فقال : وما كان صلوتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية ، أي يقيمون المقيمير والتصفيق مكان الصلاة .  
قال الصوفية في أسباب حصول الجذبة والحالة التي تحصل للمريد يلزم سماع الغناء .

قال الغزالي : اعلم أنّ السماع أوّل الأمر ويشمر السماع حالة في القلب تسمّى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمّى الاضطراب وإما موزونة فتسمّى التصفيق والرّقص .

قال أبو طالب المكي : لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدادات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا ، فأدر كنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعون الناس التلحين وقد أعدّهنّ للصوفية .

قال : وقال الجنيد : ينزل الرّحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع : عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلاّ عن فاقة ، وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلاّ في مقامات الصديقين ، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقاً .

قال بعد الاستدلال على حليته بالقياس والاستحسانات العقلية الفاسدة وبالآخبار الموضوعية وبعد تفصيل الموارد التي يتغنّي فيها مثل الغناء لتهمّيج الحجيج وتشويقهم إلى الحجّ ولتحريض الغزاة على الجهاد وفي أيام السرور والعيد ونحوها واستقامها إلى سبعة ما لفظه :

السّابع سماع من أحبّ الله وعشقه واشتاق إلى لقاءه ، فلا ينظر إلى شيء

إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه فارع إلا سمعه منه أوفيه، فالسماع في حقه مهيب لشوقه ومؤكده عشقه ومورز ناد قلبه، ومستخرج منه أحوال الأمن المكاشفات والملاطفات لا يحيط بها الوصف يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسبه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدأ مأخوذ من الوجود والمصادفة أي صادف من نفسه أحوال لم يكن يصادفها قبل السماع، ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتتابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مكاشفات ومشاهدات وهي غاية مطالب المحبين لله فالمفضى إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات.

ثم ذكر آداب مجلس السماع للغناء إلى أن قال :

الأدب الرابع أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء، وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص وتباكي فهو مباح إذا لم يقصد به المراة لأن التباكي استجلاب للحنن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه إلى أن قال :

والأدب الخامس موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أوقام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة، فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم، وقول القائل : إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة، فليس كل ما يحكم باباحته منقولاً من الصحابة وإنما المحذورات ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة إلى أن قال :

ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح

للجمع منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لاستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كان من أرباب القلوب محك للصدق إلى أن قال :

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أنّ السماع قد يكون حراماً محضاً ، وقد يكون مباحاً ، وقد يكون مكروهاً ، وقد يكون مستحباً .

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .  
و أما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن .

و أمّا المستحب فهو لمن غلب عليه حبّ الله و لم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة ، انتهى ما أهمنا نقله من لغويّات كلامه .

وإنما أطيننا بنقله تنبيهاً لك على سوء أعمالهم و أفعالهم و استباحتهم لما ثبت حرمة بالكتاب والسنة بل حكمهم باستحبابه بمقتضى قياساتهم الفاسدة والاستحسانات الساقطة عن درجة الاعتبار ، و كفانا مؤنة أدلة التحريم ذكر أصحابنا رضوان الله عليهم لها في كتاب المكاسب من الفقه و في كتب الأخلاق و غيرها ، ولنعم ما قيل في حق هؤلاء :

أبا جيل التصوّف شرّ جيل

أفني القرآن قال لكم إلهي

وإذا عرفت أقوالهم في جواز التغمّي والسماع والرّقص فلمن ذكر مواظبتهم بأعمالها في مجالس ذكرهم لأنّ إحقاق ذكر الفعل بالقول و إقران العمل بالعلم أكمل و أبلغ في إيضاح مذاق هؤلاء الفسّاق فأقول :

قال هبة الله بن محمّد في شرح الحديث الخامس من رسالة المسمّاة بالأحاديث الخمسين المروية عن آليس : سمعت من قطب الأولياء و السالكين ظهير الملة والدين حكاية أبيه الشيخ الرّباني نجيب الدين عليّ بن يزعش الفارسي أنّه قد حضر

سماعاً في دار شيخ مشايخ الاسلام شهاب الملة والدين السهروردي وكان الشيخ على أعلى السطح ، فلما شرع المطرب القول والضرب اقتصر الاصحاب على السماع المجرد وهو بلا حركة مبرد ، فصاح الشيخ من فوق وقال يا أصحابي :

السماع بلا كشكش كبستان بلامشمش .

فتواجد القوم كلهم وأنشد مطربهم هذا:

أينا جبلي نعمان بالله خلياً	نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
فان الصباريح إذا ما تنسمت	على قلب محزون تجلّت همومها
أجد بردها وتشف مني حرارة	على كبد لم يبق إلا صميمها
ألا إن أو دائي بليلي قديمة	وأقتل داء العاشقين قديمها

و كان هناك فقير قاعد في الحاشية عند مواقف الحاشية إن اقره المطرب هذه الأبيات وقع في الاضطراب على أعجب الحالات وتلا منه نور وحرقة بحيث أدّش جماعة الفرقة ، فأخذوا في الذوق والبكاء والجزع والغلق إلى آخر المجلس فما أفاقوا . قال ذلك الفقير : أندرون يا صحبي مامعنى جبلي نعمان و أي شي . وقع في

خاطري من المناسبة و ما المراد للفقراء عند إطلاق هذا اللفظ ؟ فقال بعضهم الخوف والأمل ، و قال بعضهم : النفس الحيوانية والطبيعية ، و قال بعضهم الملك والشيطان ، و قال بعضهم : الامارة واللّوامة ، و هو ما التفت إلى هذه الأجوبة فقالوا قدرضينا بجوابك وسيرك فمرنا بأمرك فقال : ما أقول إلا بحضور الشيخ ، فاستحضروا خدمة شيخهم و جلس و قال : أجب لهم يستفيدون منك فقال : إنهما محمد و إبراهيم صلوات الله عليهما وشرائعيهما ما يخليان أن يهب نسيم الروح إلى المشاق و قدسد طرق الانبساط والأذواق و وضعا سلاسل الأحكام على أيدي الخواص و العوام ، و رسما مراتب العبادات ووسما كل شخص بسمة في الدرجات و الدرجات ، فاستحسنه الشيخ وأصحابه ، و فتحو للعيش أبوابه ، واشتغلوا بالسماع إلى الصباح من المصباح ، و أمر الشيخ بأن السماع عند من له قلب و سمع من أشرف الطاعات بعيداً عن أرباب العادات انتهى .

و هذا المجلس انموزج ساير مجالسهم و به عرف أن الغناء الذي استحلوه لأجل كونه مهيباً للوجد و المكاشفات على زعمهم لم يكن مهيباً له بل منتجا للأقوال والأباطيل والهزل والهذيان ، و محصلاً لا اعلان عداوة النبي ﷺ و عداوة خليل الرحمن ، حيث قيّدهم بقيد الشريعة ولم يخليّتهم و أنفسهم كالبهايم المرسلّة والانعام المهملّة يرتعون ما يشتهون و يعملون ما يشاؤون تبعاً لو ليسهم الشيطان ، و ذلك لأنّهم في تحليل الغناء به اقتدوا و من بحره استقوا ، و على منها جروا . كما يدل عليه ما عن العياشي في تفسيره عن جابر عن النبي ﷺ قال : كان إبليس أول من ناح و أول من تغنى و أول من حدا ، قال ﷺ : لما أكل آدم من الشجرة تغنى ، فلمّا اهبط حدا به ، فلمّا استقرّ على الأرض ناح فاذا كره ما في الجنّة الحديث ، هذا .

و العجب كلّ العجب من متصوّفة الامامية أنّهم مع اذعانهم بأئمة التدين و اعتقادهم بولاية الحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين قد أخذوا في مقام العمل مسلك العامة العميا المنحرفين عن أئمة الهدى و التاركين للحنيفيّة البيضاء ، فاحتذوا حذوهم في أصل التصوف و تشييد بنيانه ، ثم في الأخذ بفرعه وأغصانه ، و أوردوا في مؤلفاتهم نظماً و نثراً ما هو مفيد لحسن السّماع والرّقص ، مع أنّه خلاف الاجماع و الكتاب و النّص ، حسبما تعرفه في ضمن الأخبار الآتية إن شاء الله قال بمض أقطابهم :

في لحن داود عهد الله يدكر  
والطير عن ذكره للسمع يبتدر  
من نظم امجاد أهل الله يبتدر  
نظماً بديعاً به يصعد الحجر  
هو الأسير لدى الدنيا و ينصر  
شمّ الجبال و منها يخضع الخدر  
مسافرون و في الرّجعى لهم سفر

و حين يسمع ذكر الله سامعهم  
طوبى لهم يا جبال أوّبي معهم  
و حين يستمع الأشعار منصتهم  
يتلو بنعمة حسن الصوت مطربهم  
كلامهم من جنود الله يأخذ من  
يكاد يندك من ألحانه طرباً  
هم كالمجانين عند الغافلين وهم



وروى قطبهم الآخر في كتابه أنه أنشد بحضرة رسول الله ﷺ شعر مشتمل على ذكر الحبيب فطفق يهتز ويهزول ويكرّر قول : يا حبيب يا حبيب ، فقال معاوية : ما أحسن لعبك يا رسول الله ، فقال : مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز بذكر الحبيب .

وعلّمه نقله من كتب العامة والاهتزاز والهزولة واللعب بسماع الشعر لايقاً به ﷺ ر بمنصب النبوة .

وقد روى مثله في كتب العامة قالوا : وقد انشد شخص بحضرته :

لسعت حية الهوى كبدى      فلا طيب ولا راق  
إلا الحبيب الذى كلفت به      فانه منى وترياقى

فتمايل عليه وسقط رداؤه من أعلاه فتقاطعه تبركا فواعجبا من ركون قوم على الافك والأباطيل ، و عكوفهم على ترهات الأفاويل ، و من اعتمادهم في الاصول والفروع على الاخبار الموضوعة المجعلولة ، و إعراضهم عن الصحاح و موثقات المقبولة ، و اتخاذهم ثقات العلماء و المحدّثين حرباً ، والأفّاكين من الشياطين حزباً ، و من إقبالهم على النوافل والمندوبات ، و إدبارهم عن الواجبات والمفروضات ، و عنائتهم بالعبادات المبتدعة ، و العادات المخترعة ، و توقيهم عن المكروهات ، و ترحمهم في الشبهات و المحرّمات ؛ إن سألت أحدهم عن أشعارهم الجاهليّة و غزليات الصوفيّة ينمسط و يجيب بلاهمل ، و إذا سألت عن حدود الصلاة المفروضة من الأجزاء والأركان والسهو والشكّ والطمانينة ينقبض و يرتطم ارتطام الحمام في الوحل ، يتركون الأدعية المأثورة بالاسناد المعبّرة ، و يداومون بالأذكار الجليّة والخفيّة المتلقّاة من مشايخهم الفجرة ، ولو قرؤوا القرآن في بعض الأحيان من باب التقيّة يتغنّون في تلاوته بجميع النغمات الموسيقيّة .

فما أشبه حالهم بحال مولا جارية حكاها الزمخشري في ربيع الأبرار عن أبي العيّن قال : رأيت جارية في النخاس تحلف لانرجع إلى مولاها فقلت : لم قالت : يواقنى من قيام ، و يصلّى من قعود ، و يشتمنى باعراب ، و يلحن في القرآن ،

و يصوم الاثنين والخميس و يفطر في رمضان ، و يصلّي الضحى و يترك الفجر ، هذا .  
و أمّا ما ورد في الأخبار العاميّة من قوله ﷺ : ما أذن الله لشيء كاذنه  
لنبيّ ﷺ يتغنّى بالقرآن .

فالجواب عنه بعد الغضّ عن سنده ما أجاب به الشّريف الرضّى رضّى الله عنه  
حيث قال في محكيّ كلامه من كتابه الموسوم بمجازات الآثار النبوية : ومن ذلك  
قوله ﷺ ما أذن الله لشيء كاذنه لنبيّ يتغنّى بالقرآن ، وهذا القول مجاز والمراد ما  
استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يدوم تلاوة القرآن فيجعله دأبه و ديدنه و هجيرانه  
و شغله كما يجعل غيره الغناء متروّح حزنه و مستفصح قلبه ليس هناك غناء به على  
الحقيقة ، وهذا كما يقول القائل : قد جعل فلان الصوم لذتة والصلاة طربه إذا قامهما  
مقام شغل غيره باللذات و طربه إلى المستحسنات

وقد قيل إنّ المراد بذلك تحزين القراءة ليكون أشجى للسامع و آخذ بقلب  
العارف ، فسمّى هذه الطريقة غناء على الاتّساع لأنّها يقوّد زينوا أصواتكم بالقرآن  
في حديث آخر ، وليس المراد بذلك تلحين القراءة و تطريبها ، فإنّ الأخبار قد  
وردت بدمّ هذه الطريقة حتّى ذكر ﷺ في أشراف الساعة أموراً عدّها ثمّ قال :  
و أن يتخذ القرآن مزامير .

و قال بعضهم : معنى يتغنّى بالقرآن أى يذكر القرآن ، من قولهم تغنّى  
فلان بفلان إذا ذكره في شعره إمّا هجواً و إمّا مدحاً .

فأمّا الحديث الآخر وهو قوله ﷺ : ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن ، فليس  
المراد به هذا المعنى ، و إنّما أراد ﷺ ليس منّا من لم يستغنّ بالقرآن  
عمّا سواه ، و تغنّى ههنا بمعنى استغنّى و هو تفعلّ من الاستغناء لا من الغناء ،  
قال المعجاج :

أرى الغواني قد غنين عني و قلن لى عليك بالتغنّى

أى استغنين عني و قلن لى استغنّ عني كما استغنيما عنك ، و هذا عند موت

الشّباب و انقضاء الارباب ، و يؤكّد ذلك الحديث الآخر و هو قوله ﷺ : من قرء

القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيراً وصغر عظيمًا ، ولو كان المراد بالتغنّي في هذا الخبر ترجيع الصوت بالقرآن لكان من لم يقصد هذه في تلاوته ويعتمدها في صلاته داخلا تحت الذم ومقارفاً للذنب ، لأنّه رَبِّهِ قال : ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن ، فبان أن المراد بالاستغناء لا الغناء، انتهى كلامه رفع مقامه .

و لبعض الأعلام كلام في المقام ليس فوقه كلام في إيضاح المرام في ابطال ديدن الصوفيّة في مسألة الغناء وكشف سائر سواآتهم و بيان نكتة سراية التصوف من العامة إلى الخاصة ، يعجبني نقله تنبيهاً للمتصوفة الخاصة من نومة الغفلة والجهالة ، و ايقاظاً لهم من رقدة الضلالة فأقول:

قال الشيخ عليّ بن الشيخ محمد العاملي في محكميّ كلامه من كتاب الدرّ المنشور من المأثور وغير المأثور عند شرحه الحديث السابق في الغناء نقلا من الكافي ما هذه عبارته :

ومن ذلك ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإيتاكم ولحون أهل الفسوق وأهل الكباير فأنّه سيجيء من بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لانجوز تراقيهم قلوبهم مقلوّبة و قلوب من يعجبه شأنهم.

أقول: هذا الحديث يدلّ صريحا على أن الغناء يحصل بترجيع القرآن على النحو المتعارف في هذا الزمان ، و يدلّ على تفسير الغناء بالترجيع المطرب والطرب خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور كما ذكره أهل اللّغة ، و في كون فعلهم كفعل أهل الفسوق والكباير و عدم جواز التراقي و قلب قلوبهم و قلوب من يعجبه ذلك ما هو ظاهر لمن عقله كيف لا؟ و هو كلام سيّد البشر صلوات الله و سلامه عليه وآله، وهل سمعت أو رأيت أحداً يقرء القرآن بالمثاني والطنبور والأوتار و نحوها حتّى تخصّ الغناء بمثل ذلك و يسهل طريق سماع ما صار متعارفاً شايعاً بعد ما ظهر أنّه عناء في غير القرآن أيضاً لصدق الغناء عليه بما عرفته ، و سنوضحه

فيما بعد وهل لذلك وجه غير إجابة الشيطان و ميل الطبع.

وقد سرى ذلك من صوفية المخالفين و ملاحظتهم ميلا إلى طريقتهم واعتقادهم

و كراهة لما ورد من طرقنا من النّهى عن مثله.

وقد خصّ المحرّم منه مثل الغزالي و أحزابه بما يستعمل في مجالس الشرب

و أهل الفسوق ، فقلّده في ذلك من أعجبه و أحسن الظنّ به مع إساءة ظنّه بالأئمة

عليهم السلام و علماء شيعتهم ، ولم ينظر إلى نضبه و عداوته للأئمة عليهم السلام و علمائهم ،

فالغناء إن كان هو الترجيع الذي ذكره علماءنا فهو صادق على مثل ذلك ، و إن

كان راجعاً إلى العرف كما قيل كان صادقا أيضاً فاتا لم نعرف في عرف بلاد العرب

إذا سمعوا من ينشد الشعر و غيره على الطريق المعهود إلاّ أنّهم يقولون هذا يغنى

و هذا مغنّ

وقد ذكر الصوفيّة في أسباب حصول الجذبة والحالة التي تحصل للمريد

أنّه يلازم سماع الغناء ، و تارة يقولون : إنّ من أسبابها سماع الغناء ، فهذا اعتراف

منهم بأنّ مثل ما يفعلونه و يسمعونه غناء ، فان قلت بالعرف فقد اعترفوا به، وان

رجعت إلى التّرجيع المطرب فكونه كذلك بديهي ، و إذا ثبت ما يتحقّق

معه الغناء كان حراما على مذهب الامامية للأدلة الواردة في الكتاب و السنة

و اتفاق علمائنا .

فظهر أنّ تقسيم الغناء إلى المحرّم و غيره لا يجامع مذهب الامامية بوجه ،

وقد استثنى أهل شرعنا من الغناء الحدى للابل بدليل خاصّ ، فليت شعري كون

الحدى من الغناء عرفاً و ما يدعى أنّه ليس منه هل هو إلاّ من حبك الشّيء بمعنى

و يصمّ .

و ما ورد من لفظ الأّلحان كما في هذا الحديث و فهم المعنى المنهى عنه منه

ناش من ضيق الفطن عن معرفة مواقع الألفاظ و مقامات استعمالها ، و ذلك لتألف

طبيعة أهل الغناء بكون مثل النغمة والأّلحان تنصرف إلى المعنى المتعارف بينهم ،

كما يحمل بعض الحكمة في مثل قوله تعالى : و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً

كثيراً ، على حكمتهم فيتوهمون أنه قد يفارق الغناء فيكون العناناً ولا يكون غناءً ، وإلاً فالألحان والنغمات والأصوات معان متقاربة تختلف معانيها باختلاف مقاماتها فتصدق من الغناء وغيره والكلام في لحن يصدق عليه الغناء أولاً يصدق ومما يثبت من له قلب ما في هذا الحديث من التعبير بالألحان العرب ولحن أهل الفسوق .

و بالجمله فهيل النفس إلى شيء مع مساعدة الشيطان يزينان للإنسان ارتكاب ما لا يحسن ولا يليق ، وهذا شأن صاحب كل شيمة ركبت في ذهنه وطبعه وكره النزوع عنها ، فأنه يتشبث لاثباتها بمثل هذه التتمجلات لئلا يغلب هواه على ما استقر عنده ودعاء .

ولو فرض عدم تحقق كون مثل هذا غناءً فاحتماله راجح أو مساو ومن يميل إلى تقوى الله هل اللابيق بحاله اجتناب مثله أم لا ، كيف وما ذكر سابقاً من الحديث وغيره شاهد عدل على كون مثله غناء .

وقد سرى هذا وما هو أعظم منه من معاشره أهل الخلاف ومن ضارعهوم ومطالعة كتبهم وعدم تمييز الغث منها من السمين والميل إلى طريقتهم لما فيها من التساهل وغير ذلك ، نسأل الله الهداية ونعوذ به من الخذلان والاملاء والغواية إنّه جواد كريم .

واعلم أن هذا الاسم وهو التصوف كان مستعملاً في فرقة من الحكماء الزائفين عن طريق الصواب ، ثم من بعدهم كان يستعمل في جماعة من الزنادقة وجماعة من أهل الخلاف بعد حصول الاسلام وكان أعداء آل محمد كالحسن البصرى وسفيان الثورى وأبي هاشم الكوفي ونحوهم ومن أعظم رؤسائهم حسين بن منصور الحلاج ، وله قصص منقولة في كتب أصحابنا ككتاب الغيبة والاقتصاد للشيخ الطوسى وغيرهما ، وادعى الالهية وورد التوقيع من صاحب الأمر بلغه كما في كتاب الاحتجاج وغيره ، وصنف الشيخ المفيد كتاباً في الرد عليه وعلى متابعيه .

ولم يستعمل هذا الاسم أحد من الامامية لافي زمن الأئمة عليهم السلام ولا بعد غيبة

صاحب الأمر عليه السلام .

ثمّ لما انتهى الأمر إلى هذا الزمان و ما قاربه طالع بعض الامامية كتب الموفية فمنهم من أعجبه منها ما يلبق ولا منافاة له لقواعد الشريعة فأعجبه ذلك لكن كان متمسكا بقوانين الشرع فلم يتجاوز ما هو موافق ولم يلتفت إلى ما سوى ذلك .

ثمّ سرى الأمر إلى تعلق بعض بجمع طريقتهم ورأوا أنّ من تبع بعض مسالكهم كان من هذه الفرقة فصار لهم كالمستند في ذلك فانتهدت الحال إلى جعل الرقص والصّفق والغناء من العبادة ، بل صارت أفضلها وأكملها عندهم ، ونسوا أوتنا سوا ما ورد ممّن ينتسبون إليهم ظاهراً من النهي عن ذلك ، و صار اعتقادهم في التواصب والزنادقة أنّهم على الحق فتركوا امور الشريعة وأظهر والضعيفي العقول والعوام حسن هذه الطريقة ، و هو عليهم أشياء يدعون أنّها من باب الكشف والكرامات ، واستخفّوهم لذلك فأطاعوهم وساعدتهم على ذلك رفع المشاق التكاليف الشرعية و ميل الطبع إلى ما فيه لذّة النفس حتّى النظر إلى صورة الذكور الحسنة ، وادّعوا أنّهم تنكشف عليهم الامور من غير واسطة بشر أو غيره ، فتبعمهم رعا الناس و غثاؤهم ، و أتعبوا أنفسهم في الرياضات المنهي عن مثلها في شرعنا لعلّ أذهانهم تصفو بذلك .

وليت شعري لو حصل من هذا شيء ممّا يدعون فأى فرق بين المؤمن والكافر والمسلم والزنديق ، فأنّه قدشاع وذاع أنّ كفار الهند وغيرهم لكثرة ما يرتاضون ربّما أخبروا بمثل ما يدعون بل بما هو أبلغ ، و أهل التسخير والشعبدة والسحر ربّما ظهر منهم أشياء فوق ما يدعيه هؤلاء من غير صحة لمن تفحص و تحقق ذلك . وأهل الكرامات والمعجزات هم الذين كانت تظهر لهم هذه الامور من غير الرياضة ولم يكونوا من أهل التسخير والشعبدة والسحر ونحو ذلك ، و أهل التقوى الذين هم محل لأنّ تظهر منهم الكرامات لم يدعوا ولا ادّعي لهم شيء من ذلك ، وكانت

تريدهم الدنيا فيفرون منها فرارك من الاسد .

و ترى هؤلاء يضيّعون العمر فيما يلبسونه لغاية انقياد العوام إليهم ليمبلغ ذلك الأكاير والحكام ويشيع خبرهم فيصلون بهم وبخدمتهم ويجعلون ذلك وسيلة إلى التقرب إليهم وجلباً لقلوبهم وسبباً إلى التردد إليهم ، ومع ذلك يتوقّمون منهم ويأخذون منهم الأموال وربما تعزّز بعضهم بعدم قبول اليسير شركاً لوقوع الكثير أوجباً للثبات الجاه وبقاء الميل إليهم .

ولو كان تركهم الدّنيا لله وللآخرة لم يكن شيء من ذلك ولعلموا :

بقول رسول الله ﷺ : لا يستكمل العبد الايمان حتّى يكون قلّة الشيء أحب إليه من كثيره وحتّى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف .

وبقول الباقر عليه السلام في وصيته لجابر : اعتمد من أهل زمانك خمساً : إن حضرت لم تعرف ، وإن غبت لم تمتد ، وإن شهدت لم تشاور ، وإن قلت لم يقبل قولك ، وإن خطبت لم تزوج الحديث وهو طويل وهذا وأمثاله هو الزهد والتقوى كما قيل :

هذى المكارم لاقعبان من ابن شيبان بما فعادا بعد أبوالا

ثم وصل الأمر إلى أن صار التّصوف غير مشروط بالعلم ولو بعلمهم الذي يدعون ، بل بمجرد تغيير اللباس المتعارف عند أكثر الناس ، و تلبيس الظاهر بذلك وترك الباطن إمّا فارغاً ممّا ينبغي أو مملوئاً ممّا يعلمه الله و صار من زهده وصلاحه بطريق الشريعة ممقوتاً عندهم وما ذاك إلاّ أنّه لو سئل لقال قال رسول الله وقال أمير المؤمنين وغيرهما ، و هم يدعون أنّهم يقولون قال الله من غير واسطة ، وقد يقول بعضهم قال الرسول ولكن بدعوى مشافهته له وإن كان بينهما ألف سنة فما زاد فيلبس أنّه رآه في صورة المثال وكذلك الأئمة عليهم السلام وأنّهم يسألونهم عن كلّ ما يريدون ونحو ذلك من الخرافات التي لاتقبلها عقول المجانين .

نعم لا يبعد أن الشياطين تتراعى لهم في صور مختلفة أو أنّه يحصل لهم خبط و تغيّر مزاج بحيث يرون ما يوهم مثل ما يدعون و قد ينضم إلى ذلك استعمال بعض المغيّرات للمزاج الباعثة على مثل ذلك

واني لأعجب ممن يدعون ذلك على اختلاف مذاهبهم فكلّ يدعى كشفاً يوافق اعتقاده ، فالغزالي مع دعواه الوصول إلى هذه المرتبة انكشف له فضل أبي بكر على علي بن أبي طالب عليهما السلام بمراتب كما هو ظاهر على من طالع إحياءه الذي هو إحياء الباطل .

و كما انكشف له عدم جواز سب يزيد لعنه الله لأنه رجل مسلم ولو كان قاتلاً للحسين عليه السلام لم يجز ذلك ، لأن غاية هذا أنه فعل كبيره وذلك لا يجوز سبّه .

وانكشف له بطلان مذهب الامامية بعد أن ترك التدريس وانقطع في دمشق ومكة المشرفة نحو عشر سنين ملازماً للخلوة في آخر عمره ، فصنف كتاباً سماه المنقذ من الضلال، يتضمن الرد على من يدعى العصمة وابطال مذهبهم وسماهم أهل التعليم، و ضرب لهم مثلاً بأخذهم عن المعصوم بمن تلوث بجميع النجاسات ثم طلب ماء يتطهر به منها وسعى في ذلك ، فلما انتهى إلى ذلك الماء لم يجده ماء يطهره ويزيل عنه الاخبث فبقى مرتكساً في النجاسات طول عمره وتكرّمه في الاحياء وغيره: قالت الرّواضة وافض خذلهم الله .

وقال فيه : إنه لوجاه إلينا راضياً وادعى أن له طلب دم عند أحد قلنا له : دمك هدر، لأن استيفاءه مشروط بحضور إمامك فاحضره حتى يستوفي إلك ، ومثل ذلك كثير وما نقلته مضمون كلامه ومعناه كان بخاطري ولم يحضرني عين الفاظه وعباراته وإن لم تصدق فعليك بالمراجعة .

وقد صرح في كتابه المنقذ أنه كان يستفيد من الأنبياء والملائكة مع مشاهدتهم على وجه القطع كلّمًا يريد .

نعم ينسب إليه كتاب يسمى سر العالمين فيه مقالة (١) يظهر منها ميله إلى الحق أو نظفه به ليكون حجّة عليه ، فان كان سابقاً فقد ضلّ بعده عن الحق ،

(١) وقد تقدّم لك المقالة في أواخر المقدمة الثانية من مقدمات الخطبة الثالثة

المعروفة بالشقية فليراجع هناك (منه)



وظاهر المنقذ انّه كتب في أواخر عمره حتّى أن بعضهم ينكر كون سرّ العالمين له أو أن المقالة المذكورة تلحقه من غيره ، فإنّ بقيّة الكتاب ليس فيها شيء من هذا القبيل .

و لو فرض كونه له و أنّه كتبه آخر جميع ما كتب صار يستحقّ بذلك جميع ما يذكر في شأنه ، وكان ممّن قد صرفوا أعمارهم في حفظ شريعة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وخاطروا بأنفسهم حتّى بلغت لذلك أمرهم على غير الحقّ بسبب سلو كهم غير هذا الطريق المظلم الذي لا يستضاء فيه بمصابيح الدنيا .  
وحكى الشيخ محيي الدين في فتوحاته : أنّه أسرى به مراراً أظنّها سبعاً أو تسعاً في كلام طويل يتضمّن صورة الاسراء وذكر في هذا المقام أو ما يناسبه أنّه رأى أبابكر الصديق لماً وصل إلى العرش بعد أن كان يرى في كلّ سماء واحداً من الأنبياء مثل نبيّنا ﷺ وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ، فكانت مرتبته أعلى من مرتبتهم ومساوية لمرتبة تعالى أو مقارنة لها .

و ادعى في أوّل الفصوص أنّه من إماء رسول الله ﷺ و أمره له بعين ما كتبه ، وسمّى نفسه خاتم الولاية لمانم رآه وغير ذلك له ولغيره مما يتعجب منه .  
فيالله العجب من مكاشفات يظهر منها للناصبي أنّه على الحقّ وللملحد أنّه على الحقّ ولعابد الوثن ، أنّه على الحقّ ، وللإمامي أنّه على الحقّ وكذا غيرهم فما أدرى أيّ حقّ و أيّ دين هذا؟ و أيّ مكاشفة هذه؟ وما وجه الجمع والتوفيق في ذلك؟ فلو كانت هذه المكاشفات للغزالي ونحوه حقاً كان للإمامي أن يعتقد بطلان مذهب الامامية إن قلّدهم وإن انكشف ذلك له كما انكشف لهم كان أظهر في البطلان .  
ومن العجب الاعتقاد في مثل هؤلاء والشهادة لهم بالتحقيق والتكفير أجلاء علماء الامامية بل كلّهم بكنائيات أبلغ من التصريح كتسميتهم: إنّنا وجدنا ، يكون إشارة إلى قوله تعالى : إنّنا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون ، ومثل

يابني<sup>١</sup> اركب معنا ، أى ولا تكن من الكافرين بعد التشنيع عليهم بالخصوص كالسيد المرتضى و الشيخ المفيد و أمثالهما ، وبما يقتضى شمول الجميع باستلزامه ذلك من حيث ثبوت ذلك لكل<sup>٢</sup> من خالف طريقته التمي اختراعها ، و لم يوجد من الامامية عالم سلك هذا الطريق و حاصل بعنه انه سلك طريقاً لا يفضى إلى الاختلاف في شيء كدعوى الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال والاختلاف جعله من أسباب التكفير .

و قد جعل الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن في قوله تعانى وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، الصوفية وفي هذا رد على من خصهم بالرسول والأئمة عليهم السلام كما هو مذكور في باب من الكافي وغيره مشتمل على أحاديث عنهم عليهم السلام تدل على اختصاصهم بذلك .

وهذا سبيل من يدعى العلم منهم والكشف بسبب تحصيل هذا العلم والرياضة فما ظنك بأقوام منهم وهم أكثرهم في هذا الزمان فانك لو فتشت عن حالهم واخبرت حقيقة مقالهم وجدتهم كالبهائم الهائمة لا يعرفون مسألة من دين الله ولا حراماً ولا حلالاً ، ولا يجدون لهم إلى حسن التكلم مجالاً ، و ترى الناس يقبلون عليهم ويهرعون إليهم ويكادون يسجدون لهم كفعل الكفار بأصنامهم ومآل اعتقادهم فيهم إلى ما قيل في أبي بكر انه أفضل الصحابة لأمر وقر في نفسه ، وحاش البهايم أن يشبه بها مثل هؤلاء فانها ليست مكلفة وتركت ما كلفت به بل منقادة لما سحرت له مسبحة بحمد ربها منزهة عن مثل هذه الرذائل .

ولقد شاهدت بعض هؤلاء وتفحصت عن من لم أره منهم فانكشف إلى من حالهم ما ليس من باب الكشف الذى يدعونه أو يدعى لهم ، وقل تعجبي ممن يعبد الخشب والحجر وزاد يقيني في هوان الدنيا وسوء أحوالها .

ومن تأمل أحوال الدنيا وخسستها قديماً وحديثاً رأى لهذا نظائر وأشباهها ، وليس من أعطاه الله العقل مع ارسال الرسل وانزال الكتب والأمر باتباعهم بمعذور في ترك التأمل والمتابعة والمجاهدة ، فان كلاماً ميسراً لما خلق له ولا تكليف

لما لا يطاق .

واعلم أنه لما سرت سيرة الصوفية إلى الامامية كان في أول الأمر من يفرق بين القشر واللباب والذهب والتراب ، فكان من يميل إلى طرف من مقالتهم يختار منه اللباب ويترك القشر إذا كان اللباب حسناً إماماً خوداً من كلام الأنبياء والأوصياء أو من يحذو وحذوهم من العلماء والأتقياء ، فانهم كانوا يدخلون مثل ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم ليحسن الظن بهم لكونه مثل كلام أمير المؤمنين ونحوه .

ثم بعد ذلك يترقون إلى تأويله تدريجاً بما يوافق مطالبهم ويناسب مآربهم ، وكان من يختارونه ينتخب ما ذكر بجعله وسيلة إلى تطهير النفس وتزكيتها وابعادها عن الرذائل ، ومع ذلك فالمطلب الأسنى عنده والخلة الحسنى لديه سلوك طريق الشرع وإنقاد العمر فيه كما يراه من عرف حال مثل جدى الشهيد الثانى وغيره من علماء الفرقة المحقة .

ثم تلاشى الأمر ووصل إلى ارتكاب ما سلكوه والاعتماد على ما قالوه ولو بسماع بعضه من غير تمييز و فرق إلى أن وصل الأمر إلى التنفّر من الشرع وأهله ودخل تحت هذا الاسم وهو الصوفية من يسمّى به ، وينتسب إليه فقط ، فاقصر المدعى على ذلك واكتفى المرید به فصار الملحوظ محض الاسم في الغالب والإفلامشاحة في التسمية إذا كان المسمّى مبنياً على أساس صحيح ثابت .

و هذا من مفساد هذا الاسم المشتمل على ما ذكرناه ، ولو بقى ما هو متعارف سابقاً من الزهد والصالح والتقوى والورع وأمثال ذلك وهو الذى كان شايعاً بين أهل الإيمان وورد به القرآن والأخبار لم يطرّق إليه هذا الغش ولم يترتب عليه هذه المفسادات التي ترتبت على لفظ التصوّف ومعناه .

فدخل الغش فيهما والتبس على غير المميّز أمرهما بل على المميّز أيضاً إذ الم يعمل بعقله وتميزه ، ومحك الفرق والتمييز الميل إلى جانب الشرع وأهله والتنفّر منه ومن أهله . وعلاجه التنفّر منه التنفّر من أهله .

و ربّما اظهروا التنفّر من أهله متعللين بتقصير يدّعونه فيهم ، وهذه خدعة

إبليس ، لأنّ المتنفر عن الشرع ليس لهم فيه مصلحة ولا صرفة فأبطنوه وأخبروه إلى وقت يمكنهم اظهاره ، و تعلّموا بالقدح في أهله فلو كان تقصير من حاملبي الشرع لا يلزم منه القدح منه في الشريعة و عدم متابعتها .

وسكان هذا الزمان الذي ذكره سيّد المرسلين صلوات الله و سلامه عليه وآله في وصايا طويلة لأبي ذرّ رضي الله عنه حيث قال من جملة ما:

يا أباذرّ يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصّوف في صيفهم و شتائهم يرون الفضل بذلك لهم على غيرهم اولئك تلعنهم ملائكة السماء والأرض نقل ذلك ورام ابن أبي فراس و غيره بالسند المذكور في محله وهي مشهورة في كتب أصحابنا. و من مواعظ عيسى عليه السلام و حكمه من الانجيل و غيره وهي مشهورة مكرّرة في كتب أصحابنا أيضاً:

بحقّ أقول لكم إنّ شرّ الناس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبّها و طلبها و جهد عليها حتّى لو استطاع أن يجعل الناس في حيرة و ماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشّمس و هو لا يبصرها ، و كذلك لا يغني من العالم علمه إذا هولم يعمل به ، ما أكثر ثمار الشجر و ليس كلّها تنفع ولا يؤكل ، و ما أكثر العلماء و ليس كلّهم ينتفع بما علم ، و ما أوسع الأرض و ليس كلّها يسكن ، و ما أكثر المتكلمين و ليس كلّ كلامهم يصدق ، فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصّوف منكسوا رؤوسهم إلى الأرض يزورون بها الخطايا ، يطرفون من تحت حواجبهم كما ترمق الذّئاب ، و قولهم يخالف فعلهم ، وهل يجتني من العوسج العنب؟ و من الحنظل التين؟ و كذلك لا يثمر قول العالم الكاذب إلاّ زوراً و ليس كلّ من يقول يصدق ، انتهى المنقول من كلامه صلوات الله عليه.

فان قيل : كلام عيسى يدخل تحته كلّ عالم غير عامل و ترى كثيراً من علماء الشرع من هذا القبيل .

قلت : قدورد في شأن العالم بغير عمل في كلام غير عيسى أيضاً من كلام الأنبياء والأئمّة والحديث القدسي ما يقصم الظهور كما هو معلوم لمن تتبّع ،

ولكن علماء الشرع إن تساهلوا في العمل و مالوا إلى حب الدنيا وهم الأقلون قبل هذا الزمان فاتتهم مع تساهلهم في العمل طريقهم و اعتقادهم في العلم غير مستودع و إن كانوا ملومين غير معذورين بالنسبة إلى العمل.

و هذا بخلاف ترك ما هو طريق العمل فإنه مع عدم العلم أو مع عدم اعتقاد العلم يكون العمل مبنياً على غير أساس إن حصل ما يسمى عملاً في الجملة أولم يكن عمل ، على أن الما طريق له من العمل لا يستحق صدق اسم العمل عليه فالذي يفنى عمره في مثل ذلك لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أتى و الأول يكون تاركاً لأقبح القبيحين والآخر تابع له و إن كان العلم مقروناً إلى العمل فإن أجابه والآرتحل عنه .

و احتجاج أبي عبد الله عليه السلام على الصوفية لمآذخلو إليه فيما ينهون عنه من طلب الرزق بما يتعلق بسفيان الثوري و غيره مشهور في الكافي و غيره ، انتهى كلامه رفع مقامه .

أقول هذا كلام جيد في توضيح المقام و رفع الحجاب عن وجه العرام لكنه ينبغي أن نفضّل بعض ما أجمله و نبّه على ما أهمله من خبط الغزالي وابن العربي و غلطهما ، فأقول :

### تذييل

أمّا محيي الدين فقد نقلنا في إبطال القول بوحدة الوجود فصلاً وافياً من كلامه و أردفناه بالتّنبيه على هفواته و آثامه ، و أمّا دعوته الاسراء به إلى السماء فهو من ثمرات رياضاته و نتایج مجاهداته التي حصلت له مرض الخيالات التي نشأت منه أمثال تلك الخرافات ، و يشهد بسجّة ما ادّعاه رؤيته أبابكر في أعلى الطبقات و الأنبياء في أدناها ، كدعوى الثعلب والشاهد عليه ذنبها .

و أمّا الغزالي فما أشار إليه من أغاليطه و أباطيله و ترفّاته و هذياناته أمور .

### الاول

عدم تجويز اللعن على يزيد .

و أنا أتقرب إلى الله و إلى رسوله بلعنهما كليهما و أقول : عليهما لعابن الله  
و الملائكة و الناس أجمعين بما لأمزيد و على من حدا حدوهما من كل كفار عنيد  
و شيطان مرید .

و تفصيل ما قاله في ذلك العنوان ما ذكره في إحياء العلوم في باب آفات  
اللسان حيث قال :

الآفة الثامنة اللعن و اللعن عبارة عن الطرد و الابعاد من الله تعالى ، و ذلك  
غير جائز إلا على ما يتصف بصفة تبعده من الله تعالى و الصفات المقتضية ثلاثة :  
الكفر ، و البدعة ، و الفسق . و اللعن في كل واحدة منها ثلاث مراتب .  
الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك : لعنة الله على الكافرين و المبتدعين  
و الفسقة .

الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك : لعنة الله على اليهود و النصارى  
و المجوس و على القدرية و الخوارج و الرافض .

الثالثة اللعن للشخص المعين ، و هذا فيه خطر كقولك : زيد لعنة الله و هو  
كافر أو فاسق أو مبتدع .

و التفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فيجوز لعنته كقولك :  
فرعون لعنة الله و أبوجهل لعنة الله ، لأنه ثبت أن هؤلاء ما توا على الكفر و عرف  
ذلك شرعاً أمّا شخص بعينه في زماننا كقولك : زيد لعنة الله و هو يهودي مثلاً فهذا  
فيه خطر لأنه ربّما يسلم فيموت مقرّباً عند الله فكيف يحكم بكونه ملعوناً .

فان قلت : يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم : رحمه الله لكونه  
مسلماً في الحال و إن كان يتصور أن يرتد .

فاعلم أن معناقولنا : رحمه الله أي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة  
و على الطاعة ، و لا يمكن أن يقال : ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة ، فان هذا  
سؤال الكفر و هي في نفسه كفر بل الجائز أن يقال : لعنة الله إن مات على الكفر  
ولا لعنة الله إن مات على الاسلام ، وذلك غيب لا يدري ، و المطلق تردّ دين الجهتين .

ففيه خطر .

وإذا عرفت هذا في الكافر فقي زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى إلى أن قال:  
فلا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره .

فان قيل : هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين أو أمرأ به ؟

قلنا : هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنّه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلاً  
عن اللعنة ، لأنّه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق .

فان قيل : فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله

قلنا : الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله ، لأنّه  
يحتمل أن يموت بعد التوبة ، فإنّ وحشياً قاتل الحمزة قتله و هو كافر ثم تاب عن  
الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر فاذا  
لم يقيد بالتوبة و اطلق كان فيه خطر و ليس في السكوت خطر و هو أولى  
انتهى كلامه لعنه الله تعالى و خذله و ضاعف في عذابه .

**أقول :** لما صادف نقل كلام هذا الناصب اللعين في ليلة القدر وهي الليلة

الثالثة والعشرون من شهر الصيام كما يستفاد من أكثر أخبار الأئمة عليهم السلام وكان الناس  
مشتغلين وقتئذ في المساجد الجامعة و المشاهد المشرفة بالعبادات و الطاعات ،  
مقربين إليه تعالى بالتلاوة والتسبيح والتفديس والدعوات ، مبتهلين متضرعين  
إليه عز وجلّ في غفران الذنوب والزلات ، فرأيت اشتغالي بما يلوح من المطاعن  
على هذا الناصب الملعون أهم وأحرى ، وأحتسب بذلك الأجر والزلفى لديه تعالى  
وأقرّب به إلى أئمة الهدى تعصّباً لخامس آل العباء سلام الله عليه وعليهم تترى ، وأستشفع  
بهم إلى الله سبحانه أن يثبت ما أكتبه هنا في صحايف حسناتي ، و يجعله ممحاة  
سيئاتي ، ويحشرني في زمرة موالى و ساداتي إنّه مجيب الدعوات ، و وليّ الخيرات  
والحسنات ، وهو الغفور الرحيم والشكور الكريم .

**فأقول :** يتوجّه على هذا الناصب وجوه من الكلام و ضرب من المثالب والاملام .

الاول أن اللعن في اللغة هو الطرد والابعاد من الله و رحمته ، ومن الخلق

طلب الطرد والدعاء بالعذاب ، فمعنى قولنا : لعن الله الكافرين والظالمين والمبتدعة

والتواصب و منهم الغزالي باعدهم الله من رحمته وضاعف عليهم العذاب لاستحقاقهم له بما صدر عنهم من الكفر والظلم والنصب والبدعة ، والكتاب والسنة مشحونة بلعن هؤلاء وقد ثبت الاذن والترخيص لنا قولاً و فعلاً و تقريراً في لعنهم ، ولا فرق فيه بين الأنواع والأشخاص .

والتفرقة بين النوع والشخص بتجويزه في الأول دون الثاني كما توهمه الناصب شطط من الكلام و غلط .

أما اولاً فلأن احتمال توبة الشخص الكافر و جواز رجوعه إلى الاسلام لا يوجب رفع اليد عن لعنه المترتب على كفره المحقق كساير الأحكام المترتبة على كفره ، لأن اليقين لا تنقض الإيقين مثله ، و لو كان مجرد الاحتمال كافياً لجاز الصلاة عليه و دفنه في مقابر المسلمين و تجهيزه و تكفينه مثل ساير المسلمين و ليس فليس .

و أمّا ثانياً فلأن معنى لعن أشخاص الكفار طلب العذاب في حقهم لاستحقاقهم بالفعل له ، و تجويز توبتهم لا يمتنع من جواز الدعاء عليهم ، لتبدل الأحكام بتبدل الموضوعات ، ألا ترى أن الله يكره الفاسق و يبغضه حال فسقه و يجب عليه حال توبته مع أنه عالم بما يؤل أمره .

و أمّا ثالثاً فلأن قوله: معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الاسلام التذي هو سبب الرحمة و لا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فيه أنه لم يفهم معنى الرحمة و اللعنة إذ ليس معناهما طلب التثبيت على الاسلام و الكفر ، بل طلب الثواب لمن كان ثابتاً على اسلامه ، و طلب العقاب على من كان ثابتاً على كفره .

و أمّا رابعاً فلأنه لا فرق بين جواز اللعن على اليهود عموماً و بين جوازه على أشخاصهم ، لأنه إن كان معناه طلب الثبات والاستمرار على الكفر على ما توهمه فلا يجوز مطلقاً ، و إن كان المراد منه الابعاد عن رحمة الله فالكل بعيد منها حالة اليهودية الأشخاص والانواع، وجواز التوبة كما يمكن في حق الشخص يمكن



في حقّ النوع ، والقرب والبعد لا يتفاوت فيه أحكام الشريعة ، وبالجملة النوع ليس إلاّ عبارة عن الأشخاص المجتمعة ، والتفرقة بينهما سفسطة.

**الثاني** أن قوله: فلا خطر في السكوت عن لعن إبليس فضلا عن غيره ، يظهر منه أن بينه وبين إبليس محابّة واخوة لا يرضى بلعنه ، ولا غروفي ذلك لأنّه قائد الضلال بوسوسته وهذا قائد الضلال بسفسطته، وهو كافر بالله ، وهذا كافر بولاية وليّ الاله ، فلهما اشتراك في المذهب ، ومشاركة في المذاق والمشرّب ، وإلاّ فلم لا يرضى بلعنه مع أن استحقاق الكفّار والظالمين للعن والطرّد والابعاد إنّما هو لأجل الكفر والظلم وهذا الملعون أوّل كافر بالله كما يدلّ عليه قوله تعالى :  
أبى واستكبر وكان من الكافرين .

و أيضاً فلما برسول الله ﷺ أسوة حسنة ، وكلّما جرى على لسانه الشّريف ذكر هذا الملعون أردفه باللعن واللعن فيجب لنا اتّباعه ﷺ في أقواله وأفعاله ، ولو كان السكوت عن لعنه حسناً لم يتّخذّه ﷺ سنة .  
مع أن التبرّي من أولياء الضلال ظاهراً وباطناً باى نحو كان واجب ، واللعن من جملة أنحاء التبرّي كالأهانة والاذلال والتّوهين والسبّ والازراء ونحوها .

**الثالث** ما قاله في حقّ يزيد اللّعين ابن اللّعين من أنّه لم يثبت كونه أمراً بقتل الحسين عليه السلام دليل على جهله بكتب التّواريخ والسير التي صنفها علماء وهم فضلاً عن علمائنا ، إذ لم ينكر أحد منهم ذلك ولا خلاف بينهم في أن يزيد ولى ابن زياد عليه اللعنة والعذاب على العراقيين لهذا الغرض ، وأنّه أنهض العساكر وعبأ الجيوش والكتائب لقتاله سلام الله عليه و أمره بالقتل أو البيعة قال الأمر إلى ما آل .

وقد قيل لبعض القضاة : كيف يستحقّ يزيد اللعن على قتل الحسين بن عليّ و كان في الشام و قتل هو بالعراق؛ فأنشد :

سهم أصاب وراميه بذى سلم من بالعراق لقد أبعدت مراك

فإذا ثبت أمره بقتله ثبت وجوب لعنه ، لأن فرط محبة رسول الله ﷺ للحسين ولأخيه الحسن عليهما السلام ومزيد اختصاصهما به غنى عن البيان ، مستغن عن البيئنة والبرهان .

وقوله ﷺ فيهما : من أبغضهما أبغضته و من أبغضته أبغضه الله أصلاه جهنم وسائر مصيراً ، رواه المحدثون فأوجب النار في بغضهما فكيف لقتلها . وقد روت الخاصة والعامّة حتى الغزالي قوله ﷺ فيهما : هما وديعتي في أمّتي .

وروا أيضاً قوله ﷺ اللهم إنني استودعكهما واصلح المؤمنين .

وقوله ﷺ أنا من حسين وحسين مني إلى غير ذلك ممّا لا حاجة إلى ذكرها .

ويدل ذلك ككفه على أنّه ﷺ يؤذيه ما يؤذي الحسين عليهما السلام فضلا عن قتله والتذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم كما في آية التوبة ، وفي آية الأحزاب إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً الرابع قوله : لا يجوز نسبة المسلم إلى كبيرة من غير تحقيق .

أقول : هذا مسلمٌ ولكن كفر يزيد وظلمه وارتابه مالم يرتكبه أحد من الكفار بلغت مبلغ اشتها الشمس في رابعة النهار ، لأن زمان ذلك الملعون كان ككفه ظلماً وقتنة ، فانه بعد قتل الحسين عليهما السلام وقتل من قتل معه جهز الجيوش إلى ابن الزبير وبعث بها إليه مع عقبة بن مسلم إلى مدينة الرسول ﷺ وهي حرمة الذي حرّمه كما أن إبراهيم حرّم مكة ولعن رسول الله ﷺ من أحدث في المدينة حدثاً فقتل أهلها ، وأباح قتلهم ثلاثه أيام يقتل فيها الرجال ويسبى النساء وتنهب الأموال ، ثم سار إلى مكة فمات في طريق مكة لعنه الله تعالى فولى يزيد ابن الحصين مكانه ، فانتهى إلى مكة فأباحها وأضر النار في أستار الكعبة فاحترقت وأحرق سقفا وسقط جدارها وهي حرّم الله الذي حرّمه وعظّمه غاية التعظيم وقال في حقّه : ومن يرد فيه بالحد بظلم نذقه من عذاب أليم .

و لم يقدم المشركون مع شر كههم ولا أهل الجهالة على جبهاتهم على أدنى شيء مما فعل تعظيما له ورعاية لحرمةه ، ومن هذا شأنه فكيف يكون مسلما .

نعم هذا الملعون كأبيه وجدّه معاوية وأبي سفيان الملعونين أظهر الاسلام توسلا به إلى ارابه وأبطن الكفر وقد نقل أنه ذكر عنده رسول الله ﷺ يوما فقال الملعون:  
تلاعب بالبرية هاشمي  
بلا وحى أتاه ولا كتاب

وهذا منه قدح قديح في النبوة وسنذكر مثله منه في الأشعار الآتية .

**الخامس** أن قوله : الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فيه : أن مجرد الاحتمال غير كاف في ارتفاع اللعن والظعن والويل والنكال .

و كيف يكون تائبا و قد صدر منه بعد قتله سلام الله عليه ما هو أعظم خزيا من الحركات الشيعية في حق العترة الهاشمية من سبى الحرير والنساء وأمره بأن يسار بهم في سكك الشام على أقتاب بغير وطاء سوق السبايا و الاماء ثم إحضارهم إلى مجلسه مكررا ابتهاجا به وفخرا وسرورا .

ويكشف عن عدم ندمه مضافا إلى هذا وضعه الرأس الشريف بين يديه وتمثله بقول ابن الزبير :

ليت أشياخي بيدد شهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا و استهلوا فرحا	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من حنذف إن لم انتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خير جاء ولا وحى نزل
أفي حق من بتلك الأشعار	يتمثل يجوز الندم و يحتمل و لنعم ما قال

ابن هاني المغربي :

بأسياف ذاك البغي أول سلها	أصيب علي لاب سيف ابن ملجم
و بالحق قد جاهلية أنه	إلى الآن لم يذهب و لم يتمرم

فلعن الله تعالى على يزيد بن معاوية عدد الحجر والمدر والنبات والشجر

وعلى المتعصبين له من أمثال الغزالي اللعين ذوى الأنفس الخبيثة ، و العقول المختلّة ، و العقائد الفاسدة ، و الهمم الساقطة ، و الأديان المدخولة ، و الأحلام الطائشة ، و الأقوال الواهية ، و القلوب التي لا تهتدى إلى رشاد ، و العيون التي لا تنظر إلى سداد ، و قد غطى عليها الغين ، و فيهيم يقال : أعمى القلب والعين ، و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا .

### الثاني من اغلاط الغزالي

دعويه أنه يستفيد من الملائكة و الأنبياء و مشاهدته لهم على وجه القطع كلما يريد .

و على ذلك الغلط جرت سيرة الصوفية فانك ترى كثيراً منهم يستندون ما يأفكون إلى الأنبياء و الرسل ، و يدعون رؤيتهم إما بالكشف و الشهود ، و إما في المنام ، بل ربما يترقّي بعضهم ويدّعي رؤية الله تعالى ظاهراً بحسّ البصر ، و لا بأس بنقل بعض خرافاتهم .

**فاقول :** من أعظم مشايخ هذه الفرقة محيي الدين الملحد و الغزالي الناصب و قد نقلنا من كلام الأول فيما سبق كثيراً .

و أعظم مما مرّ كلّ ما نقله أبو الفتح محمد بن مظفر الدين المعروف بالشيخ المكّي في كتابه المسمى بالجانب الغربي في حلّ مشكلات ابن العربي قال في محكيّ كلامه من خاتمة الكتاب المذكور عند ذكر كراماته .

و منها أنّ الشيخ - يعنى محيي الدين - قال : كان محبوبى يتجسّد لى كما أنّ جبرئيل يكون مجسّداً لرسول الله وأنا لا أقدر على النظر إليه ، و كان يتكلّم بى وأنا أسمع كلامه وأفهمه ، و كان مشاهدته يمنعنى من الغذاء عدّة أيام ، و كلما احضرت المائدة كان يقف فى جانب منها و يقول بلسان أسمعته : تأكل و أنت تشاهدنى ، و كان ذلك مانعاً لى من الطعام ، و ما كنت أجد ما كان بى من الجوع و كان النظر إليه عوضاً عن الغذاء و الماء ، وهكذا كان حالى فى أكثر الأيام لا أدوق فيها شيئاً و لا يكون محبوبى غائباً عن نظرى ، و كان يقوم لقيامى و يقعد

لقعودى، انتهى .

وهذه منه دعوى مشاهدة الرب تعالى وتقدس بالصورة الجسمية بعين الكشف ولا يبعد أن شيطانه تجسده ليحكمه إغواؤه ويشدد إضلاله حسب ما نشير إلى تفصيله تحقيقاً لإنشاء الله .

وأما رؤيته للنبي ﷺ فقد أدهاه في ديباجة الفصوص حيث قال:  
أما بعد فإني رأيت رسول الله في مبشرة (١) أريتها في العشر الآخر من المحرم لسنة سبع وعشرين وستمئة بمحروسة دمشق وبيده كتاب فقال لى : هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولى الأمرمتا (٢) .

وإدعى أيضاً رؤيته ورؤية سائر الأنبياء جميعاً في الفصّ الهودى قال هناك :  
واعلم أنه لما اطلمعنى الحقّ وأشهدنى أعيان رسله وأنبيائه كلّمهم البشريين من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين فى مشهد (٣) أقمت فيه بقرطبة (٤) سنة ست وثمانين وخمسائة ما كلّمنى أحد من تلك الطائفة إلا هود ﷺ فإنه أخبرنى بسبب جمعيتهم ورأيتهم رجلاً ضخماً فى الرجال حسن الصورة لطيف المحاوراة عارفاً بالأمور كاشفاً لها .

قال القيصرى : قيل : كان سبب جمعيتهم إنزاله مقام القطبية ليكون قطب الأقطاب فى زمانه و كلام هود ﷺ بشارته انه خاتم الولاية المحمدية ووارث الأنبياء والمرسلين كما ذكره من نفسه فى مواضع من فتوحاته تصريحاً وتلويحاً .

وأما رؤية الغزالى للرسول ﷺ فقد نقل عن شرح المثنوى انه قال :  
إن الامام أبا حامد الغزالى المشهور قال لأخيه أحمد الغزالى يوماً : نعم الفقيه أنت لو اجتهدت فى الشريعة أكثر من هذا ، فقال له الشيخ أحمد : و نعم

(١) أى روبا مبشرة .

(٢) أى من جنسنا وأهل ديننا، شرح الفصوص

(٣) أى مقام حصل هذا الشهود فيه، قيصرى .

(٤) مدينة بيلاد المغرب

العالم أنت لو اهتممت في الحقيقة أكثر من هذا ، فقال الامام : ازمع أن لي السبب في مضمار الحقيقة ، فقال الشيخ : مناع التصور والحسبان ليس كثير رواج في سوق الاسرار ، فقال : وليكن بيننا حكم ، فقال الشيخ : و حكم هذا الطريق رسول الله ﷺ فقال الامام : وكيف لنا به بذلك حتى نرى مكانه ونسمع بيانه ، قال : ولما يجد حظاً من الحقيقة من لم يره حيث أراد ولم يسمع من أسرارهِ وحقايقهِ فاشتمل من أثر هذا الملام نائرة الغيرة في باطن الامام .

ثم إنهما جعلاً رسول الله ﷺ حكماً لهما أنفسهما وافترقا ، حتى إذا جاء اللبيل أخذ كل منهما طريق تبعده .

فبالغ الامام في التصرع والبكا ، والتوسل إلى أن سخنت عيناه ، فرأى أن رسول الله ﷺ دخل عليه مع رجل من أصحابه وبشره بشرف المعرفة بهذا الأمر و كان على يدي ذلك الصحابي طبق من الرطب ، ففتح عن طرف منه وأعطاه من ذلك تمرات ، فلما أفاق الامام رأى تلك التمرات موجودة في يده على خلاف ساير مناماته ، فقام مبتهجاً مسروراً إلى حجرة أخيه ، وجعل يذوق الباب بقوة فاذا هو يقول من وراء الباب : لا ينبغي مثل هذا العجب والدلال على تمرات معدودة .

فزاد تحيّر الامام من دهشة هذا القول : فلما دخل على أخيه فقال : وكيف علمت ما لحقني من التشريف ؟ فقال الشيخ : ولم يعطك رسول الله ﷺ ما أعطاك حتى لم يعرضه على سبع مرات ، وإن لم تصدقني في ذلك فقم إلى رف الحجرة وانظر ما ذا ترى .

فلما قام الامام رأى ذلك الطبق الذي كان على يدي الصحابي هناك وقد نقص من طرف منه بمقدار تلك التمرات ، فعلم أن ما بلغه منه أيضاً كان من بركات أنفاس الشيخ .

ثم إنه أخذ في طريقة السير والسلوك واستكشاف أسرار الحقايق إلى أن صار مقتدى أصحاب الطريقة بلا كلام ، انتهى .

اقول : هذه القصة إما مجموعة من ناقلها ، أو من المنامات الشيطانية وإلا فكيف يتصور من رسول الله ﷺ عنايته وموادته لمن حاد الله ورسوله ؟ وقد منع الله سبحانه المؤمنين من موادتهم وقال : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

ومن أعظم محادّة الله تعالى ورسوله من الناصب المتمنّت ؟ وقد علمت نصب أبي حامد الغزالي به الامزيد عليه ونصب أخيه أحمد يعلم ممّا ذكره القاضي نور الله في مجالس المؤمنين عند ترجمة أخيه أبي حامد ، بل قد علمت سابقاً كفره والحاده حيث حكينا عنه تعصّبه لابليس عليه اللعنة وتسميته له : سيّد الموحدين وغير ذلك من ترهاته .

وكم للصوفية من دعوى أمثال تلك المكاشفات وادّعاء مشاهدة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام إما بالرؤية أو بالرؤية .

وأعظم من ذلك دعوى رؤساء كل طبقة والكملين منهم على زعمهم تجلّى الربّ تقدّس وتعالى فيهم ومعانيهم له سبحانه بالكشف والشهود ، مع أنّ بعضهم مؤمن وبعضهم ملحد وبعضهم شيعي وبعضهم سنّي والشيعي أيضاً بعضهم إمامي وبعضهم غير إمامي ، والسنّي بعضهم ناصبي وبعضهم غير ناصبي .

على أنّ كلّاً من هذه الفرق على اختلاف مذاهبهم ولعن بعضهم بعضاً وتبرّأ بعضهم من بعض مشاربهم في السير والسلوك والرياضات والأوراد والأذكار والعبادات المبتدعة أيضاً مختلفة .

فبعضهم جلاليّ ، وبعضهم خاكساريّ ، وبعضهم نقشبنديّ ، وبعضهم طيفوريّ ، وبعضهم نعمة اللهيّ ، وبعضهم ذهبيّ ، وبعضهم سفاريّ إلى غير هذه من سلاسلهم الكثيرة ، وكلّ سلسلة يخطئها السلسلة الأخرى ، فلو كانت هذه المكاشفات التي يدّعيها الكلّ صحيحة صادقة لصحّت مذاهب هذه الفرق كلّها ولم تكن الناجية

منحصرة في واحدة .

مع ان رسول الله ﷺ قال في الحديث الذي رواه الكلّ : إن أمة موسى افترقت بعده على احدى وسبعين فرقة فرقة منها ناجية وسبعون في النار ، وافترقت امة عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة فرقة منها ناجية واحدى وسبعون في النار وان أمتي ستفترق بعدى على ثلاث وسبعين فرقة فرقة منها ناجية واثنان وسبعون في النار .

فعلم بذلك كلمته أن ما يدعون كلمته تدليس وتلبيس وتمويه وتخريق وتزويق (١) كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوآه حسابه والله سريع الحساب .

فان قيل : سلمنا هذا كلمه ولكن يستبعد جداً اتفاق هؤلاء على كثرتهم على الكذب في دعوى المعايمة .

قلت : هو كذلك ولكن مرجع تلك الدعوى إلى أحد أمور :

الاول أنهم بما اعتادوه من تحمل المشاقّ و الرياضات المبتدعة و الجلوس في بيت مظلم أربعين يوماً والتزام ترك الحيوانى ونحو ذلك ربما يحصل لهم خبط وتغير مزاج مضافا إلى شرب بعضهم للمبنيج ونحوه من الأدوية المسببة، فيوجب ذلك الاختراعات الخيالية فيتوهم المتخيّل محسوساً مع أنه لأصله كالسراب الذى يراه الناظر من بعد ما .

و قد أشار الى ذلك النفيسى فى شرح الأسباب حيث قال : وقد يبلغ الفساد فى بعضهم إلى حدّ يظنّ أنه يعلم الغيب و كثيراً ما يخبر بما سيكون قبل كونه ، وقد يبلغ الفساد فى بعضهم إلى حدّ يظنّ أنه صار ملكا ، وقد يبلغ فى بعضهم إلى أعلا من ذلك فيظنّ أنه الحقّ تعالى عن ذلك ، و اكثرهم يرون انهم يلزمون التقوى وحسن السيرة بنوحشهم وانصرافهم عن الناس ، وقال بعد شطر من كلامه :

(١) موه الشيء طلاه بذهب أو فضة وتعته نعاس أو حديد، والتخريق كثرة الكذب

والتزويق التحسين والتزيين (منه) .



قد عرض هذا المرض لكثير من الفلاسفة كأفلاطون ونظرائه .

وقال الطبرى : قد رأيت جماعة من الأفاضل تفرّدوا بأنفسهم وتركوا الاشتغال بغير العلوم ولزموا مجانبية الناس فاحترقت أخلاطهم وحدث بهم المايخوليا ، منهم الفارابى فانه كان لا يختلط بالناس ويتجنبهم واذا عاب إنساناً عابه بأنه يجالس العامة والسوقة ، فحدث به ضرب من المايخوليا كان يخرج إلى السوق ويقعد ويهذي بالمنطقيات ويلعب به الصبيان والسوقة ، انتهى مجملاً .

**الثانى** أنهم لانحرافهم عن النهج القويم و عدولهم عن الصراط المستقيم وأخذهم بالبدعات وركوبهم للضلالات ، شملهم من الله الخذلان ، وترى لهم الشيطان وتجسّم فى نظرهم و حضر فى مجلسهم و تكلم معهم وخطبهم ، فأسمعهم وتلاطف بهم تهيئةً لما أسسوه من بنیان الزبغ و الضلال ، وتشيداً لما أقاموه من أركان الوزر والوبال

وقد أشار إلى ذلك الشيخ على سبط الشهيد الثانى قدس الله روحهما فى محكى كلامه من كتابه المسمى بالسهم المارقة من أعراض الزنادقة حيث قال : نعم لا يبعد أن الشياطين تترائى لهم فى صور مختلفة فربما يغويهم الشيطان ويقول لهم : أنا امامكم بل أنا إلهكم ، وحضور الجن والشياطين عند أهل الرياضيات والتسخير وغيرهم شائع مشهور ولا بعد فيه من جهة العقل والنقل .

و فى الأحاديث تكررت تشكىل الجن بأشكال بني آدم فاستبعاد هذا أو نفيه نفي واستبعاد لكمال قدرته تعالى وردّ لأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام .

قال: وحكى فى بلادنا جماعة عن رجل قريب من هذا العصر أن أباه كان يخبر بأخبار البلاد المتباعدة وما يقع بها و يرسل كتابات يصل من مثل الشام إلى مكة فى أوقات يسيرة يعلم ذلك من تاريخها ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ونحوه ، فلمّا توفي الأب أخبر الولد أن بعد وفات أبيه جاء شخص بصورة عبد أسود طويل فقال له : أنا كنت خادماً لأبيك فى حياته فان أردت أن أكون لك كما كنت لأبيك فعلت

إن تقوم بشرط كان بيني وبينه ، وهو أنني شرطت عليه أن يسجد لي دون الله فقبل  
وفعل ، فامتنع الولد من ذلك فانصرف ولم يره بعده نقل جماعة و أظن أن بعضهم  
حكى أنه أدرك ذلك الولد .

قال «ره» ولا بعد أيضاً في أنه يحصل لهم خبط وتغير مزاج بحيث يرون ما يوهم  
مثل ما يدعون ، وقد ينضم إلى ذلك تنازل كثير من التتراكيب المغيّرة للمزاج  
الباعثة على مثل ذلك ونحوها من المغيّرات ، انتهى كلامه رفع مقامه .

**اقول:** ما قاله قدس سره من ترائي الشياطين لهم في صور مختلفة فهو نص  
الكتاب الكريم والأخبار الكثيرة الدالة على ظهورهم وترائيهم لأولياء الضلال  
قال سبحانه : «هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم  
يلقون السمع وأكثرهم كاذبون» أي تنزل الشياطين على كل كذاب فاجر كثير  
الاثم .

قال الطبرسي : يلقون السمع معناه أن الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى  
الكهنة والكذابين ويخلطون به كثيراً من الأكاذيب ويوحونه إليهم .

وفي الصافي أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنوناً  
وامارات لمقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يابق أكثرها ، انتهى .  
ولعمري أن الصافي هم أظهر مصاديق هذه الآية ، وكذا الآية الأخرى في  
سورة الجاثية وهو قوله تعالى «ويل لكل أفك أثيم» يسمع آيات الله تملئ عليه  
ثم يصير مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم» وإذا علم من آياتنا شيئاً  
اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين» ومن ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا  
شيئاً ولما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم .

ومن أحاط خبراً بما قد مناه من أفك ابن العربي وأباطيله الكثيرة كدعويه  
رؤية النبي ﷺ وتجلي الحق فيه وإسرائه إلى السماء وتلقيه الأحكام من المعدن  
الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسل ، وادعائه أنه خاتم الولاية

واستهزأه بآيات الله وتأويله لها على المعاني الباطلة وتمجيحه لعبادة من دون الله من الأصنام والأوثان إلى غير ذلك مما قدمناه نقله منه ، عرف أن ذلك الملحد أظهر أظهر مصاديق تلك الآية .

و أما الاخبار فمنها ما رواه في الكافي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل قال : ليس من يوم و ليلة إلاّ وجميع الجنّ و الشياطين تزور أئمة الضلال و يزور امام الهدى عددهم من الملائكة حتّى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى وليّ الأمر خلق الله أوقال قبض الله عزّ وجلّ من الشياطين بعددهم ، ثمّ زاروا اولى الضلالة فأتوه بالافك و الكذب حتّى لعله يصبح فيقول : رأيت كذا و كذا فلوسئّل وليّ الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً أخبرك بكذا و كذا حتّى يفسّره تفسيراً ويعلمه الضلالة .

ومنها أن الحسن البصرى و هو رئيسهم مرّ به أمير المؤمنين بعد حرب الجمل و هو يتوضأ فقال عليه السلام : يا حسن اسبغ الوضوء ، فقال يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس اناساً يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا ؟ فقال : والله لا صدّقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أوّل يوم فاغتسلت و تحنّطت و صببت عليّ سلاحي وأنا لأشكّ في أنّ المتخلّف عن امّ المؤمنين كفر فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة نادا مناديا حسن إلى أين ارجع فانّ القاتل والمقتول في النار ، قال عليّ عليه السلام : صدقت ، أفندرى من ذلك المنادى ؟ قال : لا ، قال عليه السلام : أخوك ابلّيس و صدقك أن القاتل والمقتول منهم في النار .

و قد مرّ رواية ذلك الحديث بتمامه من الاحتجاج عن ابن عبّاس في شرح المختار الثالث عشر فليراجع هناك .

و يفهم منه أنّ الشياطين ربّما ينادون أولياءهم و يخاطبونهم من غير أن يظهر لهم .

و يدل على ذلك ما قدمنا روايته في التذييل الثاني من شرح الفصل الثاني

من فصول المختار المائة والحادى والثمانين عن أمير المؤمنين عليه السلام في قصة أصحاب الرّس بعدما ذكر أنّه كانت لهم اثنتي عشرة قرية وفي كلّ منها صنوبرة يعبدونها . قال عليه السلام وقد جعلوا في كلّ شهر من السنّة في كلّ قرية عيداً يجتمع اليه أهلها فيضربون على الشجرة النّبي فيها كلّ من حرّير فيها أنواع الصّور، ثمّ يأتون بشاة و بقر يذبونها قرباناً للشجرة و يشعلون فيها النّيران بالحطب ، فاذا سطع دخان تلك الدّبايح و قثارها في الهواء وحال بينهم وبين النّظر إلى السّماء خرّوا سجّداً يبكون و يتضرّعون إليها أن ترضي عنهم ، فكان الشياطين يجيئ فيحرك أغصانها و يصيح من ساقها صياح الصّبي أن قد رضيت عنكم فطوبوا نفساً فيرفعون رؤوسهم عند ذلك إلى أن قال عليه السلام : حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم و كبيرهم فضرّوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصّور و جعلوا له اثنتي عشر باباً كلّ باب لأهل قرية منهم و يسجدون للصنوبرة خارجاً من السّرادق و يقرّبون لها الذبايح أضعاف ما قرّبوا للشجرة في قريتهم، فيجئ إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً و يتكلّم من جوفها كلاماً جهورياً ، ويعدهم ويمنّيهم بأكثر ما وعدتهم و منتهم الشياطين كلّها ، فيرفعون رؤوسهم عن السجود ولهم من الفرح والنشاط ما لا يفقهون ولا يتكلّمون الحديث ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى الإطالة .

**الثالث** تعمّد بعضهم في الكذب والافك وادّعائه ما ليس له أصل أصلاً.

فانهم لانحرافهم عن جادة الشريعة وضلالهم عن الحقّ واضلالهم كثيراً من العوام كالأغنام والرّاعع الدين يصغون إلى كلّ ناعق بما أظهره من خوارق العادات النّبي نشير إلى منشئها إنشاء الله ، نسبوا إلى أنفسهم ما لا أصل له من رؤية الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، تشبّهوا لمتابعيهم المفتتن بهم على ما اعتقدوه في حقّهم من مقام القطبية والولاية .

ونظير ذلك ما نقل من أنّ أبا الطيب المتنبى الشاعر المعروف ادّعى لنفسه النّبوة بحبسه للمطر ، فافتتن به كثير من أهل أطراف الشّام .

نقل عن الخطيب التبريزي أنه قال في شرح ديوان أبي الطيب ، قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، قدم الممتنبي اللاذقية في سنة نيّف وعشرين وثلاثمائة ، وضري (١) إلى فأكرمه وعظّمته لمارأيت من فصاحته وحسن سمته ، فلما تمكّن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناما المشاهدته واقتباساً من أوجه وأعجبني مارأيت ، فقلت : والله إنك لشابٌ خطر تصلح لمنادمة ملك كبير ، فقال لي : ويحك أتدري ما نقول ؟ أنا نبيّ مرسل ، فظننت أنه يهزل ، ثم ذكرت أنني لم احصل عليه كلمة هزل منذ عرفته ، فقلت له : ماتقول ؟ فقال : أنا نبيّ مرسل ، فقلت له : مرسل إلى من ؟ قال : إلى هذه الامّة الضالّة المضلّة ، فقلت تفعل ماذا ؟ قال : املكها عدلاً كما قد ملكت جوراً ، فقلت : بماذا ؟ قال : بإدراك الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الأعناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبى فقلت : إن هذا أمر عظيم أخاف منه عليك وعذلته على قوله ، فقال بديها :

أيا عبد الاله معاذ أنتي . خفي عنك في الهيجا مقامي

القطعة ، فقلت له : ذكرت أنك نبيّ مرسل إلى هذه الامّة أفبوحى يوحى إليك ؟ قال : نعم قلت : فانل على شيئاً من الوحي إليك ، فأنتى بكلام مامرّ بسمعي أحسن منه ، فقلت : وكم اوحى عليك من هذا ؟ فقال : مائة عبرة وأربع عشر عبرة فقلت : وكم العبرة ؟ فأنتى بمقدار أكبر الآى من كتاب الله تعالى ، فقلت : ففى كم مدة اوحى إليك ؟ قال : جملة واحدة ، قلت : فاسمع فى هذه العبرات كل طاعة فى السماء فماهي قال : حبس المدرار لقطع أرزاق العصاة والفجار قلت : أتحبس من السماء قطرها ؟ قال : أى والذى فطرها أفماهي معجزة ؟ فقلت : بلي والله ، قال : فان حبست ذلك عن مكان تنظر اليه ولا تشكّ فيه هل تؤمن بي وتصدّقني على ما أتيت به من ربّي ؟ قلت : اى والله ، قال : سأفعل فلاتسألني عن شيء بعدها حتّى آتيك بهذه المعجزة ولانظهر شيئاً من هذا الأمر حتّى يظهر ، وانتظرت ما وعدنيّه من غير أن أسأله .

فقال لي بعد أيام : أتحبّ أن تنظر الى المعجزة التي جرى ذكرها ؟ فقلت :

بلى والله ، فقال لي : إذا أرسلت احد العبيد فار كى معه ولا تؤخّر ولا يخرج معك أحد قلت : نعم .

فلما كان بعد أيام تعيّمتم السماء في يوم من أيام الشتاء وإذأ عبده قد أتبل فقال : يقول اركب للموعد ، فبادرت بالرّكوب معه وقلت أين ركب مولاك ؟ قال : إلى الصحراء ، و لم يخرج معه أحد غيرى واشتدّ وقع المطر فقال : بادربنا حتّى نستكنّ معه من هذا المطر فأنه ينظرنا بأعلى تلّ لا يصيبه فيه المطر ، قلت : وكيف عمل قال : أقبل ينظر إلى السماء أوّل ما يبدء السحاب الأسود وهو يتكلّم بما لا أفهم ثم أخذ السّوط فأداربه في موضع ستنظر اليه من التلّ وهو يهيمهم والمطر ممّا يليه ولا قطرة منه عليه .

فبادرت معه حتّى نظرت اليه و إذا هو على تلّ على نصف فرسخ من البلد فأتيته وإذا هو قائم ما عليه من ذلك المطر قطرة واحدة وقد خضت في الماء إلى ركبتي الدابة والمطر في أشد ما يكون ، ونظرت إلى مأتى ذراع في مثلها من ذلك التلّ يابس ما فيه ندى ولا قطرة مطر ، فسلمت عليه فردّ علىّ فقال لي : أترى ؟ قلت : ابسط يدك فاني أشهد أنّك رسول الله ، فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته .

ثمّ قال لي : ما قال هذا الخبيث لمادعى بك يعنى عبده فشرحت له ما قال لي في الطريق لما استخبرته ، فقتل العبد وقال وقد جاوز حدّ الاساءة :

أي محلّ ارتقى أي عظيم اتقى .

وكلّ ما قد خلق الله وما لم يخلق محقّقر في همّتي كشعرة في مفرقي وأخذت بيعة لأهلي ، ثمّ صحّ بعد ذلك أنّ البيعة قد عمّت كلّ مدينة بالشّام ، وذلك بأصغر حيلة تعلّمها من بعض العرب وهي صدحة المطر يصرفه بها عن أيّ مكان أحبّ بعد أن يحوى عليه بعضا وينفث بالصدقة التي لهم

ورأيت لهم كثيراً منهم بالسّكون وحضر موت والسّاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاضدونه حتّى أن أحدهم يصدح عن غنمه وابله وبقره وعن القرية من القرى ، فلا يصيبها من المطر قطرة ويكون المطر ممّا يلي الصدقة ، وهو ضرب من السحر ،

ورأيت لهم من السَّحَرِ ما هو أعظم من هذا وسألت المتنبِّيَ بعد ذلك هل دخلت السَّكُونُ ؟  
فقال : نعم ووالدي منها أما سمعت قولي ؟

أمنسي السَّكُونُ وحضرموتا  
ووالدتي و كندة والسبيعا  
فقلت : ومن ثم استفاد ماجوزَه على طعام أهل الشَّام ، وجرت له أشياء بعد  
ذلك من الحروب و الحبس و الانتقال من موضع إلى موضع حتَّى حصل عند  
سيف الدَّولة ، انتهى .

**اقول :** وإلى مثل ذلك يرجع خرافات أكثر رؤساء الفرق الثلاث الضالَّة المضلَّة :  
الصُّوفِيَّة ؛ والشيخيَّة ، والبايئة خذلهم الله جميعاً هذا كله تحقيق ما يتعلق بالمكاشفة  
بعنوان الشهود والرؤية والعيان .

وأما الكشف بالرؤيا وال المنام وعلية مدار أكثر دعاوى المتصوفة وأباطيلها  
حيث إن أعظم بضاعتهم: اريت البارحة وقد جرت عادتهم على أنهم ينقلون ما يرون  
في المنام إلى مرشديهم فيعتبره على ما هو مناسب لمذاق التصوف .  
فتحقيق الكلام فيه ما أفاده المفيد قدس الله سره .

فقد روى في البحار من كنز الفوائد للكراجكي قال : وجدت لشيخنا المفيد  
رضي الله عنه في بعض كتبه أن الكلام في باب رؤيا المنامات غزير ، وتهاون أهل النظر  
به شديد ، والبليَّة بذلك عظيمة ، وصدق القول فيه أصل جليل .

والرؤيا في المنام تكون من أربع جهات :

إحداها حديث النفس بالشيء و الفكر فيه حتَّى يحصل كالمنطبع في النفس  
فيخيَّل إلى النَّائم ذلك بعينه وأشكاله ونتايجه ، وهذا معروف بالاعتبار .

والجهة الثانية من الطباع وما يكون من قهر بعضها لبعض ، فيضطرب له المزاج  
ويتخيَّل لصاحبه ما يلازم ذلك الطبع الغالب من مأكول ومشروب ومرئي ومنكوج  
وملبوس ومبهج ومزعج ، وقد ترى تأثير الطبع الغالب في اليقظة والمشاهد حتَّى أن  
من غلبت عليه الصفراء ويصعب عليه المعود إلى المكان العالِي يتخيَّل إليه وقوعه  
منه ويناله من الهلع والزعج ما لا ينال غيره ، ومن غلبت عليه السوداء يتخيَّل به أنه

فدصد في الهواء وناجته الملائكة ويظن صحة ذلك حتى أنه ربما اعتقد في نفسه النبوة وأن الوحي يأتيه من السماء وما أشبه ذلك .

والجهة الثالثة أُلطاف من الله عز وجل لبعض خلقه من تنبيه و تبشير واعذار وانذار ، فيلقى في روعه ما ينتج له تخيلات امور تدعوه إلى الطاعة و الشكر على النعمة وتزجره عن المعصية و تخوفه الآخرة ويحصل له بها مصلحة و زيادة فائدة و فكري يحدث له معرفة .

والجهة الرابعة أسباب تأتي من الشيطان و وسوسته يفعلها الانسان يذكره بها اموراً تحزنه و أسباباً تنمته و تطمعه فيما لا يناله أو تدعوه على ارتكاب محظور يكون فيه عطبه ، أو تخييل شبهة في دينه يكون منها هلاكه ، وذلك مختص بمن عدم التوفيق لعصيانه و كثرة تقريظه في طاعات الله ، و لن ينجو من باطل المنامات و أحلامها إلا الأنبياء و الأئمة صلوات الله عليهم و من رسخ في العلم من الصالحين .

وقد كان شيخي رضي الله عنه قال لي : كل من كثر علمه و اتسع قلبه مناماته فان رأى مع ذلك منامات و كان جسمه من العوارض سليماً فلا يكون منامه إلا حقاً ، ويريد بسلامة الجسم عدم الامراض المهيجة للطباع و غلبة بعضها على ما تقدم به البيان، و السكران أيضاً لا يصح له منام و كذلك الممتملي من الطعام لأنه كالسكران .  
ولذلك قيل : إن المنامات قل ما يصح في ليالي شهر رمضان ، فأما منامات الأنبياء فلا يكون إلا صادقة وهي وحي في الحقيقة و منامات الأئمة جارية مجرى الوحي وإن لم تسم وحيّاً ولا تكون قط إلا حقاً و صدقاً و إذا صح منام المؤمن لأنه من قبل الله كما ذكرناه .

و قد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال : رؤيا المؤمن جزء من سبعة وسبعين جزء من النبوة .

وروي عنه ﷺ انه قال : رؤيا المؤمن تجرى مجرى كلام تكلم به الرب عنده فأما و سوسة شياطين الجن فقد ورد السمع بذكرها ، قال الله تعالى : «من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس» وقال : «وان الشياطين



ليوحون إلى أوليائهم ليجاذلوكم» وقال: «شياطين الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً» وماورد به السمع فلا طريق إلى دفعه .  
فأما كيفية وسوسة الجنى للإنسى فهز إن الجن أسبام رقاتى لطاف فيصح أن يتوصل أحدهم برقة جسمه ولطافته إلى غاية سمع الانسان ونهايته فيوقر فيه كلاما يلبس عليه إذ اسمعه ويشبهه عليه بخواطره ، لأنه لا يرد عليه وورد المحسوسات من ظاهر جوارحه ويصح أن يفعل هذا بالنائم واليقظان جميعاً وليس هو فى العقل مستحيلاً .

وروى جابر بن عبدالله أنه قال : بينا رسول الله ﷺ يخطب إذ قام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنى رأيت كأن رأسى قد قطع وهو متد حرج، فقال له رسول الله ﷺ : لا تحدث بلعب الشيطان بك . ثم قال : إذ لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدثن به أحداً .

وأما رؤية الانسان للنبي ﷺ أو أحد الأئمة ؑ فى المنام ، فان ذلك عندى على ثلاثة أقسام :

قسم أقطع على صحته ، و قسم أقطع على بطلانه ، و قسم أجوز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال .

فأما الذى أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبي ﷺ أو أحد الأئمة ؑ وهو فاعل لطاعة أو أمر بها وناه عن معصية أو مبين بقبحها ، وقائل لحق أوداع إليه ، وزاجر على باطل أو ذام لمن هو عليه .

وأما الذى أقطع على بطلانه فهو كلما كان ضد ذلك لعلمنا أن النبي ﷺ والامام صاحباً حقاً و صاحب الحق بعيد عن الباطل .

وأما الذى أجوز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبي ﷺ والامام وليس هو أمراً ولا ناهياً ، ولا على حال يختص بالدِّيانات مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك .

فأما الخبر الذى يروى عن النبي ﷺ من قوله : من رآنى فقد رآنى فان

الشیطان لا یتشبه بهی ، فانه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصیص دون أن يكون في كل حال ، ويكون المراد به القسم الأول من الأقسام الثلاثة لأن الشيطان لا یتشبه بالنبي ﷺ في شيء من الحق والطاعات .

وأما ما روى عنه من رأني نائماً فكأنما رأني يقظاناً ، فانه يحتمل الوجهين . أحدهما أن يكون المراد به روياء المنام ، ويكون خاصاً كالخبر الأول على القسم الأول التذي قد مناه .

والثاني أن يكون أراد رؤية اليقظة دون المنام ، ويكون قوله : نائماً حالاً للنبي ﷺ وليست حالاً لمن رآه ، فكأنه قال : من رأني وأنا نائم فكأنما رأني وأنا منتبه ، والفائدة في هذا المقام أن يعلمهم بأنه يدرك في الحالتين إدراكاً واحداً فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده وهو نائم أن يغيظوا فيما لا يحسن أن يذكره بحضرتة وهو منتبه .

وقد روى عنه ﷺ أنه غفى ثم قام يصلى من غير تجديد وضوء ، فسئل عن ذلك فقال : إنني لست كأحدكم تنام عيناي ولا ينام قلبي ، وجميع هذه الروايات اخبار آحاد ، فان سلمت فعلى هذا المنهاج .

وقد كان شيخى رضى الله عنه يقول : إذا جاز من بشر أن يدعى في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلبه حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة فما المانع أن يدعى إبليس عند التائم بوسوسته له أنه نبي مع تمكن إبليس بما لا يتمكن عنه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام .

ومما يوضح لك أن من المنامات التي يتخيل للانسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم ما هو حق ومنها ما هو باطل :

أنك ترى الشيعى يقول : رأيت في المنام رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام يأمرنى بالاعتقاد به دون غيره ويعلمنى أنه خليفة من بعده وأن أبابكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه ، وينهانى من موالاتهم ويأمرنى بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة .

ثم يرى الناصبي يقول : رأيت رسول الله في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرني بمحبتهم وينهايني عن بغضهم ويعلمني أنهم أحقّاء في الدنيا والآخرة وأنه معهم في الجنة ونحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبية .

فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ثابت الدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه ، والباطل ما أوضحت الحجّة عن فساده وبطلانه ، وليس يمكن الشيعي أن يقول للناصبي : إنك كذبت في قولك إنك رأيت رسول الله ﷺ لأنه لا يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه .

وقد شاهدنا ناصبياً تشيع وأخبرنا في حال تشيعه بأنه يرى منامات بالصدّ مما كان يراه في حال نعبه ، فبان بذلك أن أحد المنامين باطل وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك ، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله سبحانه لعبده على المعنى المتقدم وصفه .

وقولنا في المنام الصحيح : إن الانسان رأى في نومه النبي ﷺ إنما معناه انه كان قد رآه ، وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي ﷺ وأى بصريدرك به حال نومه ، وإنما هي معان تصوّرت في نفسه تخيل له فيها امر لطف الله تعالى له به قائم مقام العلم ، وليس هذا بمناف للخبر الذي روى من قوله ﷺ : من رأى فقد رأى ، لأن معناه فكأنما رأى وليس يغلط في هذا المكان إلا من ليس له من عقله اعتبار ، انتهى كلامه رفع الله تعالى في أعلا علمين مقامه .

وانما نقلناه بطوله لاشتماله على فوايد جمّة وفيه قلع أساس منامات الصوفية حيث إنهم يستندون أكثر بأبطالهم إلى الرؤيا والمنام ، فان كانوا صادقين في أصل الرؤيا فأنما هي من أضغاث الأحلام وعمل الشيطان .

وكفى بذلك شاهداً أن محيي الدين حسبما نقلناه عنه سابقاً نسب كتاب الفصوص الذي هو من كتب الضلال يقيناً إلى رسول الله ﷺ وذكر في أوّل الكتاب أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام بمحروسة دمشق ويده كتاب فقال له : هذا كتاب فصوص الحكم خذ واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، وقد ذكر في الكتاب المذكور

مضافة إلى سائر أباطيله منامات كلها مخالفة لدين الاسلام وشريعة سيدالانام كما يعرفه من رجع إليه من ذوى البصائر والأفهام .

## ومنها

منعهم من طلب الرزق زعماً منهم أنه مناف للتوكل .

و قولهم بذلك إفراط حيث إنهم يحرمون ما أحل الله كما أن تجويزهم للغناء والرقص ونحوهما تفريط وتحليل لما حرم الله .

قال آية الله في العالمين العلامة الحلي قدس الله روحه وجعل مقامه فى أعلا عليين فى كتاب مناهج اليقين فى اصول الدين :

منع الصوفية من طلب الرزق لأن الحلال قد اختلط بالحرام بحيث لا يمكن تمييزه فيجب اجتنابه ، ولأن فيه مساعدة الظالمين لطلب الخروج والضمان ، ولأنه تعالى أمر بالتوكل وهو ينافى الطلب ، وهذا خيال ضعيف ، فان المكلف إذا عرف الشىء المعين فداختلط فيه الحلال بالحرام اجتنبه اما مع فقد العلم فلا ، والمساعدة ليست مقصودة بالذات ، والتوكل لا ينافى الطلب .

وقال الشيخ مقداد فى كتابه إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين عند شرح قول العلامة قدس الله روحه : ويجوز طلبه ، يعنى الرزق لأنه يندفع به الضرر ولقوله تعالى : «فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله» وغير ذلك من الآيات مالفظة : اعلم أن الرزق يجوز طلبه بل قد يجب كما إذا لم يكن ثم وجه غيره ، وقد يستحب ، وقد يباح ، وقد يحرم كما إذا اشتمل على وجه نهى الشارع عنه ، وقد يكره كما إذا اشتمل على ما ينبغى التنزه عنه .

ثم إن الرزق قد يكون تفضلاً منه تعالى بأن لا يكون للمكلف فيه لطف وقد يكون فيه لطف وذلك فيما يجتهد فى تحصيله ، ووجه لطفيته أن يحصل للطالب عقيدة بأن المنافع الدينية إنما تحصل بالتعب وكذا الاخرى ، وذهبت الصوفية إلى أنه لا يجوز السعى فى طلبه

والدليل على ما قلناه من وجوه :

الأول أن طلب الرزق مما يدفع به الضرر عن النفس ودفع الضرر عن النفس واجب .

الثاني قوله تعالى : «فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» ، وقوله : «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم» ، وقال المفسرون : الابتغاء التكتسب والفضل الرزق وغير ذلك من الآيات .

الثالث قوله ﷺ : «سافروا تغنموا» ، وقوله ﷺ : «الرزق عشرة أجزاء تسعة منها في التجارة» ، وغير ذلك من الأخبار .

واحتجّت الصوفية بوجوه :

الأول أن الحلال مختلط بالحرام ولا يتميز فلا يجوز طلبه .

الثاني أن في الطلب مساعدة للظالم باعطائه الطمأنينة وغيرها ومساعدة الظالم حرام فكذا ما يؤدي إليها .

الثالث قوله تعالى : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

تفد وخماصاً وتروح بطاناً ، وإذا كان التوكيل مأموراً به كان الطلب منهيأ عنه .

والجواب عن الأول إن أردتم أن كل الحلال مختلط فهو ممنوع ، وإن أردتم

بعضه فمسلّم لكن التكليف مشروط بالعلم فمع عدم العلم لا حرمة خصوصاً واليد

ظاهرة في الملك ، وأورد عليهم شيخنا سالم بن محفوظ أنه يلزم من هذا أنه لا يجوز

أكله كما لا يجوز طلبه ، ولهم أن يقولوا إنا نأكل قدر الضرورة لكن الواقع منهم

بخلافه .

وعن الثاني أن المساعدة ليست مقصودة ولا مرادة بل تؤخذ قهراً .

وعن الثالث أن التوكيل لا ينافي الطلب والمكتسب في حال طلبه متوكّل

أيضاً ولهذا أردفه ﷺ بالغدو ، مع أنه ليس في الحديث نهى عن الطلب الذي هو

مناط البحث بل بين فيه أنكم لو اشتغلتم بالطاعة عن الطلب لرزقكم ما يقيم به

أبدانكم كما يرزق الطير ما يقيم به أبدانها بتهيئة الأسباب ، لكن أردفه بالغدو الذي

هو الطلب ، انتهى كلامه رفع مقامه .

**أقول :** ويرد على دليلهم الأ<sup>و</sup>ل أيضاً أن قولهم: الحلال مختلط بالحرام، إن أرادوا به الحلال والحرام الواقعين ففيه أنا لسنا مكلفين بتحصيل الحلال الواقعي ولا بترك الحرام الواقعي لعدم السبيل إليهما، وإن أريد بهما ما هو حلال وحرام في ظاهر الشرع فالاختلاط إنما هو في بعضهما لا الجميع وعلى ذلك فكل شيء فيه حلال وحرام فهولنا حلال حتى نعرف الحرام منه بعينه فنُدعه، ولو كان جميع الحلال مختلطاً بالحرام لم يقل رسول الله ﷺ: حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك ، ولا قال أمير المؤمنين عليه السلام مثل ذلك ، فتقسيمهما الأشياء إلى ثلاثة أقسام دليل على وجودها جميعاً ، وقد حقه الأصحاب في كتب أصول الفقه بما لا مزيد عليه ، نعم لو كان المختلط شبهة محصورة لوجب الاجتناب أيضاً والتفصيل في محله .  
والأخبار في طلب الرزق كثيرة :

منها ما رواه في مجمع البيان عن عمرو بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :  
إني لأركب في الحاجة التي كفاها الله ما أركب فيها إلا التماس أن يراني الله  
اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه : «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في  
الارض وابتغوا من فضل الله» أرايت لو أن رجلاً دخل بيتاً وطين عليه بابه ثم قال :  
رزقي ينزل عليّ كان يكون هذا ؟

**ونقل** عن كتاب نور الحقيقة ونور الحديقة لوالد شيخنا البهائي قدس سرهما  
قال : ذكر جماعة عند رسول الله ﷺ رجلاً بخير فقالوا يا رسول الله خرج معنا جناً  
فاذا انزلنا منزلاً لم يزل يصلّي حتى نرحل فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله تعالى  
حتى نزل ، فقال : من كان يكفيه علف ناقته و صنع طعامه ؟ فقالوا : كلنا ، فقال  
ﷺ كلكم خير منه .

**وعن الكافي** عن عدة من أصحابنا عن البرقي عن محمد بن عليّ عن هارون بن حمزة  
عن عليّ بن عبد العزيز قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام ما فعل عمر بن مسلم ؟  
قلت : جعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة ، فقال : ويحه أما علم أن

تارك الطلب لا يستجاب له إن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ لما نزلت : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب » أغلقوا الأبواب و أقبلوا على العبادة و قالوا : قد كفيينا ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتهم ؟ فقالوا : يا رسول الله تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة ، فقال: إنّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً لاجتاجة اليها ، و نعم ما قيل: الزهد في الدنيا قصر الأمل لائيس العبا ، وليس الزاهد من لا يملك شيئاً ولكنه الذي لا يملكه شيء ، و إن الدرهم مرهم لأنها تداوى كل جريح و يشتري بها الآخرة كما يشتري بها الدنيا .

إذا عرفت ذلك فاستمع لما نحكيه عليك من عجيب مزخرفات ابن العربي في فتوحاته ، قال في محكي كلامه من الباب التاسع والعشرين من الفتوحات . كل عبد إلهي توجّه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله سبحانه بقدر ذلك الحق فان ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان فلا يكون عبداً مخلصاً ، وهذا هو الذي يرجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق ولزومهم السياحات و لزومهم البراري والسواحل والفرار من الناس والخروج من ملك الحيوان ، فانهم يريدون الحرية من جميع الأكوان و لقيت منهم جماعة كثيرة في أيام سياحتي .

ومن الزمان الذي حصل لي هذا المقام ما ملكت حيواناً أصلاً ولا الشوب الذي ألبسه فأتى لألبسه إلا عارية لشخص معين أن لي في التصرف فيه ، والزمان الذي أتملك الشيء فيه أخرج عنه ذلك الوقت إما بالهبة أو بالعتق إن كان ممّا يعتق . وهذا حصل لي لما أراد التحقق بعبودية الاختصاص لله .

قيل لي : لا يصح ذلك حتى لا يقوم لأحد عليك حجة .

قلت : لا والله ولا الله إن شاء الله .

قيل لي : و كيف يصح أن لا يقوم لله عليك حجة ؟

قلت : إنما يقوم الحجج على المنكرين لا على المعترفين ، و على أهل الدعاوى و أصحاب الحظوظ لا على من قال مالي حقّ ولا حظّ ، انتهى كلامه هبط مقامه .

اقول : و يتوجّه على هذا الجاهل :

أو لأنّ المخلص للعبودية لله سبحانه هو من يستنّ بسنة النبي ﷺ ويسلك مسلكه و يكون له في رسول الله ﷺ اسوة حسنة ، و الرّهبانية و الانقطاع عن الخلق و السياحة خلاف سنته ، و قد قال ﷺ : إن سياحة امتي و رهبا نيّتهم الجهاد و يأتي انشاء الله أخبار كثيرة في هذا المعنى .

و ثانياً أنّ الخروج من ملك الحيوان و إرادة الحرية من جميع الأكوان محال عادة ، و قد خلق الله سبحانه الانسان مدينياً بالطبع و جعل كل فرد منه محتاجاً إلى غيره و لو في أقلّ ضروريات العيش ، فكلّ من قام بحاجة غيره و هبناً أسباب معيشته و رفع عنه الضرورة و الحاجة و لو في أقلّ مراتبها التي لا يمكن التّعيش و البقاء بدونه يكون له بقدر ما قام بمحاويجه حقاً عليه و إن كان الحقوق في الحقيقة كلّها لله سبحانه إلاّ أن من لم يشكر الخلاق لم يشكر الخالق .  
و قد ورد في الحديث : من لم يشكر الناس لم يشكر الله ؛ فإرادة الحرية من جميع الأكوان و الخروج من ملك الحيوان لا يصدر إلاّ عن سفيه جاهل .

ثمّ الحقوق ليست منحصرة في الحقوق المادية ، بل للو الدحقّ على الولد و للولد حقّ على الوالد ، و للأرحام حقّ و للجار حقّ و للمعلّم حقّ و للمتعلم حقّ و للاخوان المؤمنين حقّ ، بل لكلّ من أعضاءك و جوارحك من قرنك إلى قدمك عليك حقّ كما أشار إليه الأئمة ﷺ في أبواب الحقوق ، فالانقطاع عن الخلق لا يبطل تلك الحقوق ، ثمّ القيام بها من أجل أمره سبحانه و تعالى به من جملة المبادات فلا ينافي العبودية و الاخلاص كما توهم .

و ثالثاً أنّ قوله : فانتى لألبس الثوب الإغارية لاملكا عجيب جداً .

إن لو كان المراد به أنّ للثوب المملوك حقماً على لابسه دون المستعار فهو



غلط بل يجب في العارية من الحفظ والمواظبة و عدم التفريط ما ليس في الثوب الذي هو له ، لأنّه مال الغير ولا يجوز الخيانة فيه بخلاف ماله مع أنّ للعارية حقاً للمعير على المستعير حق الاسترداد و حق الضمان لو فرط ، و ليس في الثوب المملوك له لأحد حق عليه.

وإن كان المراد به أنّه كان يلبس العارية دون الملك لزهده و تركه ملاذ الدنيا فقيه أنّ الملك والعارية لامدخلية لهما في الزهد و عدمه ، و قد كان أزهدهم الزاهدان في الدنيا رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام ولم نسمع منهما إلى الآن أنّهما يلبسان اللباس عارية لأملاك ، و قد كان عليهما السلام يشري لباساً و يلبسه ويقول : الحمد لله الذي ألبسني من الرياش ما أتجمّل به في الناس وأواري به عورتى

و رابعاً أنّ ادّعاءه أنّ ليس لله حجة عليه لكونه من المعترفين لامن المنكرين فهو ناش من خبطه و سفهه و جهله و ضلاله و عجبه ، فمأظم جرمته و أشدّ جسارته حيث لم يدع هذا المقام أحد من الأنبياء والمرسلين والحجج المعصومين على عصمتهم و جدّهم في مقام العمل و بلوغهم الغاية في المعرفة.

و قد تقدّم في شرح الخطبة المائة والثانية والتسعين عند شرح قوله عليهما السلام في وصف المؤمنين : ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون أخبار نافعة في المقام.

منها قول أبي الحسن موسى عليه السلام لبعض ولده : يا بني عليك بالجدّ ولا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عزّ وجلّ فإن الله لا يعبد حق عبادته. و قول أبي جعفر عليه السلام ثلاث قاصمات الظهر : رجل استكثر عمله ونسى ذنوبه و أعجب برأيه.

و قول أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث : قال موسى بن عمران لابليس : أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه ، قال : إذا أعجبتك نفسك و استكثرت عمله و صغر في عينه ذنبه إلى غير هذه ممّا لانطيل باعادتها .

(ج ١٣) ذكر نبذ من صلائف الصوفية وواقعاتهم و ذكر الواقعة الاولى (٣٢١)

ثم أقول : لولم يحتج الله عليه إلا بعدم معرفة إمام زمانه على ما اعترف به نفسه حسبما حكينا من فتوحاته فيما تقدم و بادعائه أنه خاتم الولاية وأنه يتلقى الوحي بدون واسطة من الله عز وجل فضلا عن قوله بوحدة الوجود وعن ساير أباطيله المتقدمة حكايتهما ، لكن في ذلك الاحتجاج ما لا يقوم به السماوات والأرض و لتدكدك من نكاله الجبال ، نعوذ بالله من الضلال و سوء الخاتمة والمآل و عظيم العقوبة والتكال ، والحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، و نصلّى و نسلم على محمد رسول الله ﷺ و خلفائه الذين هم أولياء الله .

## المقام الرابع

### في نبذ من صلائف (١) الصوفية

و واقعاتهم العجيبة و هذياناتهم المفرطة التي تضحك منها النكلى و تعجب لها الصبيان ، والظاهر أن منشئها إفراط الخبط و شدة الأمراض الخيالية.

### فمنها

ما عن شيخهم برهان الدين المالقي و هو من أعظم مرتاضيه و أكابر مشايخهم و مشاهيرهم لاسيما في بلاد الهند و نحن نذكر عنه من كتاب الواقعات له ثلاثا منها لتكون انموزجا لما طويلا عن ذكرها ، قال :

### الواقعة الاولى

أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على حبيبه محمد وآله :  
لمّا برزت الاشارة المولوية الشيخية الربانية أن كلما حدث من الواقعات في أثناء السلوك ينبغي أن تقيّد بالكتابة امثل هذا الحقيير أو امره الشريفة و كتب ما بقى منها في خاطره بعد التعمود والاستعانة بالله تعالى .

(١) الصلح التمدح بما ليس عندك أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً ، ق.

لما كان اليوم الثاني من أيام بعض الخلوات كنت في الذكر مستغرقاً إذا رأيت كأنني في البرّ و شخص واقع كأنه ملك و ستر معلق من السماء إلى الأرض و كأن شخصاً يقول لى : إلى أين تذهب ؟ قلت : إلى الحق ، فقال : بين الحق و العبد سبعون ألف حجاباً بحماية من تذهب إليه ؟ فقلت : بحماية الشيخ نور الدين عبدالرحمن ، فلمّا سمع كلام العبد لم يشن عليه القول و حضر الشيخ في الحال . فلمّا رأى هذا الحقير أنّ أمر المرید لا يمتسر بدون شيخ مرشد و الشيخ المرشد لا بد له من ولاية الحماية إذا توجه إليه المرید حضر في الحال بالعناية الربانية فلمّا توجه العبد نحوه رآه حضر و بيده عصاً و هو واقف .

وقد ظهر بهذا الحقير أنواع من الصور الشيطانية المختلفة و غيره يقصده و الشيخ يدفعها عنه بعصاه ، و في أثناء ذلك حضر شخص بخارى يقال له الثور البيمارستاني و كان لهذا الحقير به قديماً يسير إرادة و قصد نحو هذا الحقير فحمل الشيخ بعصاه فهرب ، ثمّ قصد هذا الحقير ثانياً فحمل الشيخ عليه ثانياً بعصاه فهرب فلمّا قصد نحو هذا الحقير ثالثاً ضرب الشيخ بالعصا رأسه فكأنه شجّه فرمى نفسه على أقدام الشيخ ثمّ هرب .

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ الله أظهر له ولاية الشيخ على هذه المورة التجأ إليه سبحانه و تعالى أن يلهم الشيخ القعود حيث طال قيامه ، فجلس الشيخ كمن جلس على صفة وولّى برجليه الأرض مستنقداً ، فلم يطمئن القلب لذلك حتى التجأ إليه سبحانه ثانياً و طلب سكون الشيخ و قراره بالقعود عنده ، فتربّع الشيخ بعد ذلك عنده فالنجأ إليه سبحانه ثالثاً أن يقرّ الشيخ عنده على صورة لا يهاب منها المخالفة فرأى كأن الشيخ دخل باطن هذا الحقير دخول لابس ثوب و يدا هذا الحقير كما .

فلمّا لبس الشيخ هذا الحقير صار الشيخ هو و فنى هو في الشيخ بحيث لم يبق منه شيء سوى العلم بوجود الشيخ و فناء نفسه فيه .

ثمّ هذا الحقير سأل الشيخ بتوفيق الله إياه وقال : أيها الشيخ ما سبب أن

صرت هذا الحقيقير؟ فأجاب و قال : لمّا لم يكن قوّة صبرورة نفسك إيتاي صيرت  
نفسى إيتاك لتصير إيتاي.

ثمّ بعد ذلك كان الله تعالى أظهر لهذا الحقيقير أن الشيخ قد جلس في باطن  
هذا الحقيقير مرّبعاً كما رأى ظاهراً أولاً ، و كلّما ذكر الله تعالى ذكر الشيخ أيضاً  
في باطنه ، فاذا شرع في ابتداء الذكر يقول الشيخ في باطنه : اذكر فانك  
حسن الذكر .

فلما استقرّ بفضل الله تعالى سرّ الشيخ في باطن هذا الحقيقير تواترت عليه  
الالهامات الربّانية الرّوحانية ساعة فساعة، فلو حصل اذن الحقّ سبحانه وتعالى إلهاماً  
بذكر الهامات كلّها و تحقيق كونها ليست من الهامات الرّوحانية و الملكية  
و غيرها بل هي ربانيّة حقّاً مثل انشاء الله تعالى .

### الواقعة الثانية

كان هذا الحقيقير في أثناء الذكر ليلة والشيخ في باطنه متمكّن إذا رأى  
كأنّه تولّد من باطنه من جانبه الأيسر ممّا يلي القلب جرو (١) كلب أبيض اذناه سود  
و في ظهره عند ذنبه سواد و كان تارة يقعد و تارة ينام ولا يقرّ قلقاً من ذكر  
هذا الحقيقير .

فحصل لهذا الحقيقير من ذلك خوف فالنجأ إلى الحضرة الالهية و استمدّ من  
باطن الشيخ خفارة (٢) الالتجاء ، لأنّ كلّ دعاء و التجاء لاخفارة له لا وصول له  
إلى الحضرة ؛ و لذلك صار الاخلاص خفير جميع العبادات قال الله تعالى : وما امرؤ  
إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين ،

و لمّا لم يجد للالتجاء به اخلاصاً استمدّ بالعناية الالهية من باطن الشيخ خفارة  
ذلك الالتجاء ، فنظر في الحال إذا الشيخ قد مدّ يده و أخذ ذلك الجرو من باطن  
هذا الحقيقير و مضى ، فتمتبه الحقيقير في اثره فرأى في عنق الجرو حبلاً أبيض و رأس

(١) الجرو بثلاث الجيم صغير كل شيء و غلب على ولدا الكلب و الاسد ، و العجب أنّ النسخة  
في جميع المقامات بالدّال . المصحح .

(٢) الخفارة شدة العياء و خفره و به و عليه خفراً اجاره و منه و آمنه و الخفر  
المجار و المجير و تخفّر اشتدّ حياؤه و به التجاؤ سأله ان يكون له خفيراًق .

الحبل بيد الشيخ.

فلما مشينا قليلا قتل الشيخ ذلك الجر و مسح قدمه به ومع ذلك يخاف هذا الحقيير أن يعيش ثانياً ، فلما مسح الشيخ رجله به صار الجر والمقتول تحت رجله طيناً ، فلما رجع رجله عنه عاش ثانياً فأخذه الشيخ ثانياً ليقتله فلم يمكنه من نفسه و كان حقيراً في العين قوياً في نفسه ، فوقع على هذا الحقيير منه خوف فرأى كأن الشيخ قلع رأسه من بدنه و رمى به وخرق بطنه بسكين فرمى به أيضاً إلى الأرض و وضع عليه حجراً ثقيلاً و مع هذا كان مفتوح العين ينظر الى هذا الحقيير سرّاً ، فوضع الشيخ قدمه إليه فصار تحت قدمه طينا لكن الخوف غالب على هذا الحقيير أن يعيش ثالثاً فما التفت إلا وقد رمى بالحجر عن نفسه و خرج من تحته فأخذه الشيخ ثالثاً و قتله.

فقال هذا الحقيير : ينبغي أن يحرق ، فأخذ و جعل في تنور و كان كلما احترق يعود كما كان حياً ، فأخذه الشيخ و أحرقه مرة بعد اخرى إلى أن احترق و صار ماداً .

فقال الشيخ : ماذا ينبغي أن يفعل بعد هذا ؟ فقال هذا الحقيير : ينبغي أن يرمى بالماء إلى الماء الجاري ، فلما رمى صار الرماد كله على رأس الماء وأمطرت السماء فقال هذا الحقيير : أيها الشيخ ينبغي أن نتبع اثر هذا الماء كيلا يعيش هذا الجر و مرة اخرى ، فنقدم الشيخ و هذا الحقيير في اثره فوصل ذلك الماء الجاري إلى بحر فقال الحقيير للشيخ : نخاف أن يعيش هذا الجر و فلينظر هذا البحر إلى أين ينتهى ، فنزل الشيخ إلى البحر و هذا الحقيير في أثره فرأى كان ماء البحر يدخل في شق فوق الشيخ على رأس الشق و هذا الحقيير في خدمته إلى أن دخل جميع ماء البحر ذلك الشق ، فظهر في قعر البرء حوض و فيه ماء فابتلعت الأرض ماء البحر فظهر في أسفل الحوض سمكة صغيرة فقتلها الشيخ.

و قال : ماذا ينبغي أن يفعل بعد هذا ؟ فالتمس الحقيير من الشيخ أن يطلع الشمس حتى يببس طين البحر ، فلما أن طلعت الشمس و يبس الطين.

قال الشيخ ماذا ينبغي أن يفعل؟ فقال هذا الحقير: يمكن أن ينبت من هذا نبات ينبغي أن نحرقه فالتفتُ فأذا بالحشيش قدنبت .

فقال الشيخ: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: نحصد الحشيش ونحرقه فحصدناه وتركناه في الشمس حتى ييس ثم أحرقناه

ثم قال الشيخ ماذا ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغي أن يرمى برماد الحشيش إلى شق الجبل

ثم قال الشيخ ماذا ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغي أن نملأ الحوض بالحجارة ليعتدل من الأرض ونسد باب الشق بالحجارة فلمّا فعل الشيخ ذلك كلّه .

قال الشيخ: ماذا ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: لو امطرت السماء بماء يغتسل فيه هذا الحقير وابتلمت الأرض ذلك الماء كان حسنا كل ذلك من غلبة الخوف من ظهور آثار ذلك الجرو، فالتفتُ فأذا بالغيث قدنزل و سال ودخل جميعه في ثقب قد لا يسع انساناً من ضيقه فلمّا اغتسل الحقير واذا به قد حضر عنده من العناية الالهية ثوب أبيض فلبسه.

فقال الشيخ أيضاً ما ينبغي أن يفعل؟ وفي تكرار قول الشيخ ما ينبغي أن يفعل سرّ يعرفه الشيخ، فقال الحقير: نقصد الكعبة المعظمة، فتقدّم الشيخ والحقير في أثره إلى أن وصلنا الكعبة ودخلنا الحرم الشريف، فاغتسل الحقير بماء زهزم وحضر ثوب أبيض فلبس الحقير بين يدي الشيخ ودخلنا الكعبة وصلينا فيه.

ثم قال الشيخ: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال هذا الحقير بالعناية الالهية ينبغي أن نذهب إلى التنوير الذي أحرقنا فيه الجرو والحجر الذي وضعناه على رأسه والموضع الذي قتلناه فيه و نأخذ الجميع ونلقى في الثقب الذي كان الماء يدخله كيلا يبقى في هذا الموضع للجرو وأثر، فتقدّم الشيخ والحقير في أثره و جئنا و جمعنا كل ذلك فأراد الحقير أن يحمله فاذا بحبشي قد ظهر في الحال و جعلنا الكد في وعاء و حملناه إياه فلمّا دخلنا إلى الثقب الذي دخله تلك الماء العظيمة

ألقيناه فيه ثم قتل هذا الحقير بالعناية الالهية ذلك الحبشي ، وألقيته في الثقب أيضاً .

ثم قال الشيخ: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبة المعظمة ، فتقدم الشيخ والحقير في أثره قد دخلنا الحرم الشريف و اغتسل الحقير ثانياً بماء زمزم وكان الشيخ يفسله ثم بعد الغسل حضر ثوب صوف أخضر فلبسه الحقير وصلينا في مقام إبراهيم عليه السلام ثم دخلنا الكعبة فلمّا أن صلينا فيه .

قال الشيخ: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغي أن نشدّ رأس الثقب الذي ألقينا فيه الحبشي المقتول والتنور والحجر كيلا يظهر منه أثر ، فتقدم الشيخ والحقير في أثره فجننا وشددنا رأس الثقب .

ثم قال الشيخ: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبة المعظمة فتقدم الشيخ والحقير في أثره فدخّلنا الحرم الشريف وجئنا إلى بئر زمزم فخلع الحقير ثوبه و وضعه علي ميزاب الكعبة و اغتسل بماء زمزم و كان الشيخ يفسله . ثم قال الحقير بالعناية الالهية للشيخ: اقطع بطن الحقير و اغسل بهذا الماء قلبه و كبده و باطنه كيلا يكون قدي في باطن هذا الحقير شيء من أثر الجرو ، فقطع الشيخ بطن هذا الحقير بالسكين وغسل باطنه بالماء .

فبينما الشيخ كذلك إذ ألقى الله سبحانه في نفسي منى نفرة عظيمة فضربت عنقي بالعناية الالهية و أخذت باحدى يدي شعر رأسي و بيدى الاخرى رجلى و رميت به خارج الحرم ولم أزل أضرب برأسي الذي بيدي عتبة الحرم إلى أن نفيت و رميت به خارج الحرم و دخلت الحرم و اغتسلت بماء زمزم بحضور الشيخ و حضر ثوب ازرق و عمامة بيضاء فلبستهما .

ثم قال: ما ينبغي أن يفعل؟ فقال الحقير: نعد سطح الكعبة ، فتقدم الشيخ والحقير في أثره فصعدنا سطح الكعبة .

فقال الشيخ: ما ينبغي أن نعمل؟ فقال الحقير: ينبغي أن نعد السماء، ففي أثناء هذا الكلام حضر فرسان بسر جيها فركب الشيخ أحدهما والحقير الآخر، فلما وصلنا

إلى السماء الأولى فإذا ملكان جالسان ، فدخل الشيخ بلا اذن والحقير في أثره فسأل أحداً للملكين صاحبه من هذا ؟ فقال له : الشيخ عبد الرحمن ومريده ، وكان الشيخ أماما يخرق السماء ويصعد والحقير في أثره ينظر فرآه كيلاً يصل بناثر الجرو فيرى مواضع عروجنا يعود كما كان مسدوداً فاطمئن لذلك باطنه .

فلما وصلنا إلى السماء الثالثة كان الملائكة كانوا يمنعون الحقير ويأمرونه بالتجريد ، ويعدهم الحقير بذلك ، و كان الشيخ قد أخذ بعناق فرس الحقير ويمدّه ، فلم يبق لهم إمكان منع الحقير .

وكان الشيخ كلما جاء إلى باب السماء يدخل بلا اذن الملائكة ولا يلتفت إليهم وإن حصل في بعض أبواب السماوات تمنع يأخذ بعنان هذا الحقير ويمدّه ويدخل وكان سبعة وكل باب من أبواب السماوات أضيّق من الذي قبله ، وكان في اثناء العروج في السماوات السبع يأتي خيول مختلفة الألوان بسروجها غير التي قبلها .

فلما عرجنا إلى السماء السابعة ووصلنا إلى الجنة الأولى ودخلناها جائئنا خيول غير تلك الخيول بسروجها ، وكانت الحور العين يتملّق بالشيخ وفرسه ولم يلتفت اليهن أصلاً ، وكان كلما وصل إلى باب جنة من الجنّات يستقبلنا خزنتها ويدخل الشيخ الجنة بلا التفات إلى أحد منهم .

فلما وصلنا إلى جنة الفردوس استقبلنا خزنتها بالاطباق أو بالطباق المغطاة الرّؤوس وكان في طبق منها الفاكهة مكتوب فيها : الله ، وفي طبق منها فاكهة أيضاً مكتوب فيها : الحق ، فأكل هذا الحقير جميعها .

فلما قربنا من جنة الفردوس دخل الشيخ والحقير في أثره فلما أراد الشيخ أن يدخل جنة الفردوس وكانت طبقتين رداً باب طبقة منها ، فأخذ الشيخ



بيد الحقيير وأدخله إليها و هكذا إلى أن عبرنا ثمانى جنات كلما حصل تمناع من واحد منها إما أن يأخذ الشيخ بيد الحقيير و إما أن يأخذ بعنان فرسه و يدخله و ادخلنا إلى أربع جنات منها ركباناً و إلى أربع منها مشاة .  
و كان فى أثناء عروجنا من هذه الجنات الثمانية تأتينا خيول مختلفة الألوان خضر و صفر و زرق و سروجها .

فلما عبرنا من الجنات الثمانية كلها قال الشيخ : أين تذهب ؟ قال الحقيير إلى العرش و الكرسي ، و كنا نرى فى أثناء ذلك الملائكة عليهم السلام بعضهم فى القيام و بعضهم فى الركوع و بعضهم فى السجود و الشيخ و الحقيير راكبان يعبران . و كلما حصل تمناع من الملائكة لهذا الحقيير كان أكثره من قبل التجريد و كان الحقيير يتقبل لهم به و الشيخ يدفعهم عنه بالعناية الالهية ، حتى وصلنا إلى العرش .

فقال الشيخ : ما ينبغي أن يفعل ؟ فقال الحقيير نضع فوق العرش ، فحضر طيران على شكل النعام و عليهما سرجان فركب الشيخ أحدهما و ركب الحقيير الآخر و كأنه كان كلما حر كنا جناحهما قطعنا مسافة الشريفة أقل و أكثر إلى أن عينا ، و حضر طيران آخران على شكل الطاووس و عليهما سرجان و كان الخطاب يصل ساعة فساعة من الحق : تجرد لتصير محفوظاً بتجلياتي و اجلسك على العرش ف تجرد الحقيير بالعناية الالهية و رمى بالمحقر الذى كان معه من جيفة الدنيا و مع حقاتره و قلته كان حجاباً عظيماً ، سبحان من هذا بعض مقدوراته تارة يجعل التجريد حجاباً ، و تارة يجعل عدم التجريد حجاباً أعوذ بالله من الله فى جميع الأحوال .

ثم بعد ذلك رقاها الحق إلى العرش الشيخ أمامه و الحقيير فى أثره فلما سعدنا العرش طلب من الحق سبحانه موضع نعلي الرسول ﷺ فأشير إلى موضع معين و كان الحقيير يقبل الموضع ويعفر خده فيه ، ثم صلينا ركعتين فيه كان الشيخ إماما و الحقيير مأموماً ، و قرء فى الركعة الأولى إنا فتحنا و فى الثانية الم نشرح و اذا جاء نصر الله ، فان وقعت الإشارة من الحق سبحانه أن يذكر عبور بحر النارى

وسير دركات الجحيم طبقة بعد طبقة امتثلت بالتوفيق الالهي بالسمع والطاعة  
انشاء الله تعالى .

### الواقعة الثالثة

وهذه الواقعة انما كتبت باشارة الرسول ﷺ ، وفي أثناء الاشارة استخار  
الحقير من النبي صلوات الله وسلامه عليه في أنه يلقب نفسه المسكين أو الحقير  
فاختار لي الحقير وأشار به .

رأى هذا الحقير مرة كأنه يأكل الكعبة المعظمة زادها الله شرفاً و كان  
الكعبة تمطر من هذا الحقير وفي أثناء ذلك صار الحقير الكعبة وبمقتضى الحكمة  
الربانية ظهر هذا الحقير على سطحها وظهر عند ذلك أيضاً روح النبي صلى الله عليه  
وعلى آله وسلم مع أرواح جميع الأنبياء صلوات الله عليهم على سطح الكعبة المعظمة  
ثم إن الأرواح الشريفة النبوية نزلت كلها من السطح باذن الله تعالى سوى  
روح نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم بعد ذلك أوحى الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام  
أن هذه كعبتي طوفوا حول كعبتي ، فطاف الأنبياء كلهم عليهم السلام ، ثم أوحى  
الله إليهم أن آمنوا به و اسجدوا فقالوا كلهم: آمنا بالله و سجدوا حول الكعبة  
والكعبة في الوسط .

ثم بعد ذلك رأي كأن الحق سبحانه وتعالى من التشبيه والتعطيل بيده عصاً ضرب  
بها سطح الكعبة المعظمة ، فصارت شجرة كأنها تمطر منها كلمة لإله إلا الله .  
ثم ظهر من حيطان الكعبة أيد لا يعلم عددها إلا الله تعالى وقد التزم بكل  
يد منها نبي من الأنبياء ويقول : أنا النبي الفلاني حتى أن نوحاً عليه السلام ملتزم بيد منها  
يقول : أنا النوح النبي ، وكل منهم يقول مشيراً نحوى يابره ان قد جعلك الله مشيراً  
فاعمل أعمال الأنبياء والأولياء؛ وكذا الأولياء رحمهم الله على ما ذكرنا وهذه الأيدي  
باذن الله تعالى يجذب بعضها المتعلق بها إليها وبعضها يقطع رأس المتعلق بها ويرمي  
ثم بعد ذلك خرج هذا الحقير من تلك الصورة وظهر باذن الله تعالى وهو سبحانه  
فوق رأسه كرحمته تعالى عن التكيف والتمثيل ، وروح النبي صلى الله عليه وعلى

آله جالس متمكن ، انتهى كلامه هبط مقامه .

**اقول :** يا أهل المعرفة والايمن والمعلم والأيقان وذوى العظن الثاقبة ، انظروا إلى مقالات هذه الطائفة وعقايد اخوان عبدة الأوثان والمائبة كيف زين لهم أعمالهم الشيطان وصدّهم عن السبيل .

ثم انظروا إلى هذيانات هذا الجاهل السفیه النجس المرتكس في أحداثه والملحد المغتذى من أروائه ، كيف ارتقى مرتقى صعباً دحناً ، وادعى تارة رفعا واخرى خففا ، وخبط خبطة عشواء ، وركب ركاب الجاهلية الجهلاء .

فوا عجباً عجباً من تلبيسات ابليس وتدليسات النفس وطول باع الشيطان في فنون الاغواء والاضلال ، وقوّة تصرّفه في أوهام الجهال ، ومن شدة تصاريف قوّة المتخيّلة وسعة مجال القوّة ؛ المتوهّمة كيف نسجت على ألسنتهم نسيجات العنكبوت وحيرتهم في ظلمات الجهل والغياب ، واغرقتهم في بحر لحيّ يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، نعوذ بالله من فساد الاعتقاد والانحراف عن السداد والالحاد في المبدء والمعاد بمحمد وآله الأُمجاد .

## المقام الخامس

### في كرامات الصوفية وحمقاتهم

ومانسبوه اليهم من الأفعال والأحوال الخارقة للعادة والكرامات التسلم «كذا» يتفق مثلها لأولى العزم من الرّسل ؛ و فيما ادّعاء بعض متصّليهم و احموقبيهم من الصّلف والرّعون والشطّح التّذى ليس منشأه الاّ الحمق والجنون والسّفاهة .

قال القيصرى فى شرح الفصّ اليهودى من الفصوص :

قال : - اى محبى الدين فى فتوحاته - إنّ الله تجلّى لى مراراً و قال : انصح

عبادى ، وقال :

قال في آخر الباب الثاني عشر من الفتوحات : وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب و يابس ، والشرايع والنسبوات من هذا القبيل مشحونة ونحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف ، فقد سمعنا «رأينا خ ل» الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل انسان .

وقال في شرح الفص النوحى : ظواهر العالم من الانسان والحيوان والنبات والجماد وغيرهم يثنى بالسنتهم وألسنتهم فويهم الرّوحانية والجسمانية على روحه الحقيقي الذي هو الحق و تسبّحه و تنزّحه عن النقايس اللازمة لهم اللاّحقه بهم ، و لكن لا يقصد هذا التسبيح والتنزيه إلاّ من تنور باطنه بنور الايمان أولاً ، ثم الأيقان ثانياً ، ثم العيان ثالثاً ثم يوجدان نفسه و روحه ساريا في عين كل مرتبة وحقيقة كل موجود حالاً و علماً و شهوداً فقط كسريان الحق فيها : فيدرك تسبيح الموجودات بذلك النور و يسمعه إلى أن قال :

قال الشيخ في آخر الباب الثاني عشر من الفتوحات : فإنّ الأسماء بالجماد والنسبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إيّاها في العادة ، فلا يحسّ بها مثل ما يحسّ بها من الحيوان ، فالكلّ عند أهل الكشف حيوان ناطق غير أنّ هذا المزاج الخاص يسمّى إنساناً لاغير ، و نحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف ، فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان قال :

و قال في موضع آخر منه : و ليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله أهل النظر ممّن لاكشف له ، هذا شأن من تحقّق بالمراتب الثلاث الأولى . وأمّا صاحب المقام الرابع فهو مسبّح لربه بلسان تلك الحقايق و حامد له في تلك المراتب ، فهو العبد التّمام لله يعبده في كلّ موطن و مقام عبادة جميع العالم ، و يحمده حمدهم و يرى جميع ما يراه بالبصر و بالبصيرة عند تحقّقه بمقام الجمادية و يسمع ما كان يسمع . و يعقل ما كان يعقل من غير خلل و نقصان ، وفي هذا المقام

یطوی الزمان والمكان، ویتصرف فی جمیع الأکوان تصرف النفوس فی الأبدان و یتظهر فی الحالة الواحدة فی مراتب الأرواح السورانية والنفوس القدسية الروحانية والأجسام الكثيفة الظلمانية، ولهذه المراتب أسرار غامضة جداً يحرم كشفها؛ انتهى كلامه قاتله الله.

وهو كما ترى صريح في أن هؤلاء الزنادقة فضلاً عن دعويهم سريان هوية الحق في حقايق الأشياء ادعوا سريان هوية المكاشفين منهم أيضاً في حقايقها. فلم يبق بينهم وبينه سبحانه على زعمهم فصل ولا له عليهم فضل، قاتلهم الله فأنسى يؤفكون.

وقد صرح بذلك القيصري في الفصل الثامن من ديباجة شرح الفصل حيث قال في تحقيق أن حقايق العالم في العلم والعين كلها مظاهر للحقيقة الانسانية التي هي مظهر لاسم الله بعد جملة من الكلام ما لفظه:

ولذلك قيل: الانسان الكامل لا بد أن يسرى في جميع الموجودات كسريان الحق فيها، وذلك في السفر الثالث من الحق إلى الخلق بالحق، وعند هذا السفر يتم كماله وبه يحصل حق اليقين من المراتب الثلاث

وقال الجامي في رسالته التي كتبها في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء المتقدمين، يروى عن فضيب البان الموصلي أنه كان يرى في زمان واحد في مجالس متعددة مشتغلاً في كل بامر غير ما في الآخر، ولما لم يسع هذا الحديث أو هام المتوغلين في الزمان والمكان تلقوه بالرد والناد و حكموا عليه بالبطلان والفساد، وأما الذين منحوا التوفيق للنسجة من هذا المضيق فلمسا رأوه متعالياً عن الزمان والمكان علموا أن نسبة جميع الأزمنة والأمكنة إليه نسبة واحدة متساوية، فجوزوا ظهوره في كل زمان ومكان بأى شأن شاء وبأى صورة أراد، انتهى كلامه خذله الله تعالى سبحانه

وقال محيي الدين في الفص العيسوي: إن أبا يزيد نفخ في النملة التي

قاتلها فحييت، فكان عيسوي المشهد.

و قال الغزالي في احياء العلوم : قيل لبعض العارفين بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام ؟ فتبسّم وقال : ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه .

قال : و قيل لأبي يزيد البسطامي مرّة : حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى ، فصاح ثم قال : ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك ، قيل : فحدثنا بأشدّ مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال : هذا أيضاً لا يجوز أن اطلعكم عليه ، قيل : فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال : نعم دعوت نفسي إلى الله فجهدت عليّ فجزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النّوم سنة فوفت لي بذلك .

قال : و يحكى عن يحيى بن معاذ أنّه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزاً عليّ صدور قدميه ، رافعاً أخمصيه مع عقبه عن الأرض ، ضارباً بذقنه على صدره ، شاخصة بعينه لا يظرف .

قال : ثمّ سجد عند السّحر فأطاله ، ثمّ قعد فقال : اللهم إنّ قوماً طلبوك فأعطيتهم طيّ الأرض فرضوا بذلك و إنّي أعوذ بك من ذلك ، و إنّ قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي في الماء و المشي في الهواء فرضوا بذلك و إنّي أعوذ بك من ذلك و انّ قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك و انّي أعوذ بك من ذلك حتّى عدّنيّفاً و عشرين مقاماً من كرامات الأولياء ، ثمّ التفت فرأني فقال : يحيى ؟ فقلت : نعم يا سيدي ، فقال : مذمتي أنت ههنا ؟ قلت : منذحين ، فسكت فقلت : يا سيدي حدثني بشي ، فقال : أحدثك بما يصلح لك .

أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلى وأراني الأرضين و ما تحتها إلى الثرى ثمّ أدخلني في الفلك العلوى فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثمّ أوقفني بين يديه فقال : سلني أيّ شيء رأيت حتّى أهبه لك ، فقلت : يا سيدي ما رأيت شيئاً أستحسنه فأسألك إياه ، فقال : أنت عبدي حقّاً تعبدني لأجل صدقاً لأفعلن بك ولا أفعلن ، فذكر أشياء .

قال يحيى : فهالني ذلك و امتلأت به و عجبت منه فقلت : يا سيدي لم لاسألته

المعرفة به وقد قال للملك الملوك: سلني ماشئت ، قال: فصاح بي صيحة وقال: اسكت  
ويك غرت عليه مني حتى لاحب أن يعرفه سواه.

قال الغزالي: وحكى أن أبوتراب الخشبي كان معجباً ببعض المريدين فكان  
يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته و مواجدته ، فقال له أبوتراب يوماً:  
لورأيت أبايزيد فقال: إنني عنه مشغول ، فلما أكثر عليه أبوتراب من قوله لورأيت  
أبايزيد هاج وجد المريد ، فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله فأغناني  
عن أبي يزيد.

قال أبوتراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت ويملك تغتر بالله عز وجل  
لورأيت أبايزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال: فبهت  
الغتمى من قوله وأنكره فقال: وكيف ذلك؟ قاله: ويك أماترى الله عندك فيظهر  
لك على مقدارك وترى أبايزيد عند الله فظهر له على مقداره ، فعرف ماقلت فقال:  
احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فقال:

فوقفناه على تلٍ ننتظره ليخرج إلينا من الفيضة وكان يأوى إلى غيضة فيها  
سباع ، قال: فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره . فقلت للفتى: هذا أبو يزيد  
فانظر إليه ، فنظر إليه الفتى ، فصعق فحرق كناه فإذا هو ميت ، فتعاوننا على دفنه  
فقلت لأبي يزيد: يا سيدي نظره إليك قتله ، قال: لا ولكن صاحبكم صادقاً  
و استكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه ، فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاقت  
عن حمله لأنه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك.

قال الغزالي: ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال  
اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا: لوسألت الله دفعهم ، فسكت ثم قال: إن الله عباداً  
في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في  
ليلة واحدة ولكن لا يفعلون ، قيل: لم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب ، ثم  
ذكر من إجابة الله أشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة  
لم يقمها ، وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشي منها فلا ينبغي أن يخلو

عن التصديق والايان بامكانها ، فان القدرة واسطة والفضل عميم ، وعجايب الملك والملكوت كثيرة ، ومقدورات الله تعالى لانهاية لها ، وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له .

و لذلك كان أبويزيد يقول : إن أعطاك مناجاة موسى و روحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ماوراء ذلك أضعافاً مضاعفة فان سكنت إلى ذلك حجبت به ، وهذا بلاء مثلهم و من هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل .

وقد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب و فضة و جوهر يتخشخش وينشئ معهن ، فنظرت إليهن نظرة فموقبت أربعين يوماً ، ثم كوشفت بعد ذلك بشمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال ، و قيل لي : انظر إليهن قال فسجدت و غمضت عيني في سجودي لئلا أنظر إليهن و قلت : أعوذ بك مما سواك لاحاجة لي بهذا ، فلم أزل حتى صرفهن الله عني .

و في كتاب قوائم الأنوار تأليف قطب السلسلة الذهبية المسمي بميرزا أبو القاسم الشهر ميرزا بابا الذهبي ألفه بالفارسية قال في الشطر الثالث في بيان حقيقة العشق الالهي ما ترجمته مخاطباً لابنه محمد و هو رئيس السلسلة الذهبية و قطبهم في زماننا هذا :

يا بني إن شئت أن تطلع على سير السلاك والمجدوبين والعشاق الالهيين فاستمع قصة سلطان العارفين الشيخ أبي يزيد البسطامي في سير معراجه

قال الشيخ : إنني بعدما خدمت مائة وثلاثين شيخاً من المشايخ الكملين ، ولازمت الرياضة والمجاهدة ثمانين عاماً أتاني الله تعالى عينا من نور وحدانيته وجناحين من آثار قدرته ، فطرت ثلاثين ألف عام في عالم الواحدانية ، وثلاثين ألف عام في مرتبة الفردانية ، وثلاثين ألف عام في مرتبة الصمدية ، فشاهدت قدبة بقية من الانية فاهتزني غيرة شوق الوحدة فطرت أربعين ألف عام آخر في الوحدة فبلغت غاية ما يمكنني من السير فشاهدت أن وجودي المتوهم لم ينعدم بعد ، فعجزت و قلت : إلهي أعلم أن



وجودى بوجودك شرك وأنا لأقدر الوصول اليك بوجودى فكيف لى في فناء وجودى  
قال سبحانه: ضع رأسك على عتبة باب رسول الله ﷺ

قال أبو يزيد : فغلبني شوقه فقلت أحالني سبحانه إلى بابيه فطرت بجناحي الهمة  
والعشق حتى وصلت أرواح الأنبياء ﷺ فسلمت على كل واحد منهم وسلموا  
على حتى جاوزت من الأنبياء وسمعت في الطير ان إلى أن وصلت فناء حضرت محمد ﷺ  
فرايت مائة آلاف بحر من نار لا بد من العبور منها ، ثم نظرت فرايت آلاف  
حجاب من حجب النور وعلمت أنه مالم أعبر من بحار النار لا يمكن لى الوصول إلى  
حجب النور ، ولو أضع قدمي على أول بحر منها لا احترقت وهلكت ، ثم أمنت النظر  
فرايت أطاب سرادق رسول الله ﷺ مضروبة في منتهى حجب النور ، فقلت : هذا  
هو الذى قاله رؤساء الدين : إن الوصول إلى الله سهل و إلى الرسول صعب

فلما يسست من الوصول إلى حضرته ، فقلت : باب الرسول في هذا العصر هو  
ابنه جعفر الصادق عليه السلام ، فقدمت إلى حضرته فقلت : يا مولاي جعلت فداك إن الله تعالى  
بعد ثمانين عاماً من المجاهدات والرياضات في سلوك طريقه و خدمة مائة و ثلاثين من  
الأولياء أحالني إلى بابك وإني بعد طول الريضة في هذه المدة والمواظبة على  
العبادة والانقطاع من الخلق والعزلة والتفريد والتجريد جئت إلى بابك غير معجب  
بشيء من ذلك ، فهب أنني مجوسى أو يهودى أو نصراني جئت إلى حضرتك لطلب  
دين الحق فأدخلني في الاسلام ، فقال عليه السلام : قل لا إله إلا الله .

قال أبو يزيد : فلما قلت لإله كلمة النفي فشاهدت المحو والفناء في جميع  
العالم حتى في وجودي ، فلما قلت : إلا الله كلمة الاثبات فظهرت صورة الصادق عليه السلام  
فقلت : سبحانه الله الفناء والبقاء والمحو والاثبات الذى كنت أطلبه في تسعين عاماً  
مع طول الرياضات والمجاهدات وخدمة مائة و ثلاثين من الأولياء وسير مائة و ثلاثين  
ألف عام في الوحدة قد حصل لى في دقيقة واحدة بتلقينه كلمة لا إله إلا الله .

فلزمت حضرة الصادق عليه السلام وسألت أن يفوض إلى بعض خدماته ففوض سقاية

بيته الشريف إلى فكننت سقاء في بيته سبع سنين، فقال الصادق عليه السلام لي يوماً من الأيام : يا طيفور هات الكتاب من الرف ، فقلت : جعلت فداك وأين الرف ؟ فقال : فوق رأسك وقد كنت منذ سنين عندنا في هذه الدار والبيت وما رأيت الرف فوق رأسك ؟ فقلت : بالله الذى أجلسك في مسند الخلافة شغلي بك وبأنوارك منعني عن هذا ، فقال عليه السلام : قد تمّ لك الأمر امض إلى بسطام وادع الناس إلى الله سبحانه وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوليائه، وأرسل معه بعض ولده فقدمامتنقين إلى بسطام ودعى أهله إلى الصادق عليه السلام، وكان يوم الجمعة مشغولاً بإرشاد الخلق وهدايتهم إلى السيرة والسلوك وسائر أيام الاسبوع مشغولاً بالفتاوى والأحكام ، انتهى مناقله بطوله .

**أقول:** هذه القصة لم أجد لها في مؤلفات أحد من المتصدين لنقل كرامات الصوفية حتى في كتاب تذكرة الأولياء لهم أيضاً مع أن أصل مقصود صاحب التذكرة من تأليفه ليس إلا ذكر أمثال ذلك ، والمهدة في ذلك علي ناقله ، نعم كون أبى يزيد سقاء في دار الصادق عليه السلام قد ذكره صاحب التذكرة وغيره .

لكن رده الشيخ نور الدين المحدث كما حكاه القاضي نور الله في مجالس المؤمنين عنه ، فانه بعدما حكى كونه سقاء في داره عن جماعة قال :

وقال الشيخ نور الدين أبو الفتح المحدث إنه صح عن علماء التاريخ أن وفاة مولينا الصادق عليه السلام كانت في سنة ثمان وأربعين ومائة وأن وفاة السلطان أبى يزيد المذكور في سنة احدى وستين ومائتين ، ولم يختلف أحد من العلماء في هذين التاريخين مع أن التفاوت ما بينهما مائة وثلاثة عشر سنة ، ولم يذكروا أيضاً عمر أبى يزيد أكثر من الثمانين ، فاحتمل أن يكون ملازمته في الخدمة لباب مولينا على بن موسى بن جعفر الرضا عليه السلام

ووافق على ذلك المحقق الشريف في شرح المواقف حيث قال : وأما أبو يزيد فلم يدرك جعفر عليه السلام بل هو متأخر ، ولكنّه استفاض من روحانية جعفر ولذا اشتهر انتسابه إليه انتهى .

وكيف كان فقد نسبت إلى أبى يزيد ذلك كرامات كثيرة وقد أطروا في حقّه

حتى قال جنيدهم البغدادي : إنّه كان بين الأولياء كجبرئيل بين الملائكة .  
ولكن هذا كلّه ينافى مارواه غير واحد من العامة والخاصة منه من قوله :  
سبحاني ما أعظم شاني فانه تنزيه يليق بالخالق ويختص به دون المخلوق .  
وأعظم من ذلك مارواه بعضهم عنه من قوله : ليس في جبتي سوى الله ، و روى  
بعضهم ذلك من حسين بن منصور الحلاج ، والظاهر صدور هذا الهذيان من خبيث  
لسان كلا الرجلين بلا اختصاص له بأحدهما ، لأنّه مقتضى القول بوحدة الوجود  
ومن لوازمه ، والعجب من بعض المتصوفة أنّه بعد نقل هذه الخرافات عن الرجلين  
الجلفين جاء إلى مقام الاعتذار .

قال أبو حامد الغزالي في محكي كلامه من كتاب مشكاة الأنوار بعدما ذكر  
فصلا طويلا في حال الحلاج : إن قوله : أنا الحق وما في الجبّة إلا الله من فرط  
المحبّة وشدّة الوجد ، وهذا مثل قول القائل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا      فإذا أبصرتني أبصرتنا

وتبعه على ذلك قطب الذّهبيّة في كتابه فوائم الأنوار ، قال في ذكر الشرط  
الخامس من شرايط السلوك بعد جملة كلام له ما ترجمته : إن السالك بعد ترقّيه  
إلى غاية مقام القرب من الحضرة الأحديّة لا يبقى له طريق الترقّي إلى ما فوق ذلك  
وهو باب الولاية الالهية ، ولا يمكن له دخول ذلك الباب بالرّياضات والمجاهدات  
إلا بجذبة عناية إلهية تفوح من مكن الغيب الذي هو باطن باب الولاية وتجذب  
السالك حتّى تدخله في ذلك الباب و تجمله عارفاً بأسرار الولاية العلوية روح  
العالمين فداء ، وهذه الأسرار هي التي برزت من أولياء أهل العصمة كما أن  
السلطان بايزيد البسطامي الذي كان سقاء الصّارق عليه السلام قال في خلساته وعند استغراقه  
في نور الولاية من غير اختيار منه : ليس في جبتي سوى الله ، وكان الحسين بن  
منصور الحلاج يسجد تراب عتيبه عليه السلام ويقول من غير شعور : أنا الحق ، وبعدهما قتلوه  
وأحرقوا جسده و صار رماداً ألغوا ماله في دجلة فكانت حبابااب الدّجلة متشكل  
بشكل : الله الله ، وكانت دماؤه المتقاطرة على وجه الأرض تمنقش بنقش : أنا الحق

وذلك لأنهم لمآلهم يسمعون كلام مواليتهم المعصومين عليهم السلام في عدم إذاعة أسرارهم فأذاعوها من غير اختيار منهم في الإذاعة ذاقوا ألم الحديد و نالوا بالشهادة ولا يعلم أسرار ولايتهم عليهم السلام التي هي ولاية الله إلا الله سبحانه و البذنين تنصوا فمن جرى على لسانه اختياراً هذه كلمات الكفر فهو كافر بلاريب ، وأمّا هؤلاء فقد جرى على لسانهم من غير اختيار ، والدليل على عدم الاختيار انتقاش الدم والرّماد بنقش أنا الحق والله الله وقد رأى بعضهم الحلاج في المنام فسأل عنه كيف عومل معك ؟ قال : عاتبني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لي : لم تلمت ثلثة في شريعتي ؟ فقلت : جعلت فداك وإن تلمت ولكن جعلت رأسى موضع الثلثة حتى لا يجترى على ذلك أحد من بعدى فعفا عني رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى كلامه .

**أقول:** ويتوجه على المعتذرين لاسيما على الثاني منهما وجوه من الكلام وضروب من الملام .

أمّا أولاً فلأنّ كون هذه الكلمات من كلمات الكفر كما اعترفا به أيضاً ليس عليه غبار ، والاعتذار بأنّ صدورها من الرّجلين لم يكن بالاختيار باطل لمنع عدم الاختيار ، وعلى تقدير تسليمه فأقول :

أفّ وتفّ على مذهب وطريقة يكون أعلى أعلى مقام ترقياتها و غاية غايات جذباتها ووجدها أن يخرج سالكها عن حدّ التمييز والعقل والشعور والاختيار ويتكلم بالهجر والهديان ، أبهذا أمرهم صاحب الشريعة ؟ معاذ الله ثمّ معاذ الله من الضلال والخذلان و إغواء الشيطان .

ثمّ العجب كلّ العجب ممّا ذكره الثاني في تعليل عدم الاختيار من انتقاش الدم والرّماد ، وقد ذكره غيره أيضاً من أولياء هذا المقتول الملحدا المرتدّ وأتباعه تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً وكيف يذهب وهم العاقل إلى صدق ذلك فضلاً عن الاعتقاد به .

والذي يدلّ على بطلانه ضرورة وأنه أفك محض أنّ ثانی سيدي شباب أهل الجنة ودرّة صدف الطهارة والعصمة وسبط رسول الامة الموصوف والمخصوص بالكرامة

صاحب الولاية المطلقة سابق مضمار المعرفة والمحبة القائل في مناجاته :

تركت الخلق طرأ في هواكا  
وأيتمت العيال لكي أراكا  
فلو قطعني في الحب إرباً  
لما حن الفؤاد إلى سواكا

سلام الله عليه وعلى جده وأبيه وامه وأخيه وزريته وبنيه مع كونه مجاهداً في دين الله مقتولاً في سبيل الله وكون دمه الطاهر المطهر ثار الله وكون ثأره هو الله عز وجل ، لم يُر ولم يرو احد في دمه الانتقاش ، ولو جاز في حق أحد ذلك لكان هو أحرى بذلك بمقتضى معرفته الكاملة ومحبته التامة البالغة لا الدم النجس للرجس الساحر الكافر الملحد المشعبد حسبما تعرف كفره والحاده وشعبده تفصيلاً إنشأه الله .

وأما ثانياً فلأن ارتكاب التأويل في كلمات هذه الكفرة قدورد فيه النهي الصريح من الأئمة عليهم السلام .

مثل ما رواه مولينا الأردبيلي في كتاب حديقة الشيعة عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال : قال رجل للمصادق جعفر بن محمد عليه السلام : قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم ؟ قال عليه السلام إنهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم و يحشر معهم و سيكون أقوام يدعون حبنا ويميلون إليهم و يتشبهون بهم ويلقبون أنفسهم بلقبهم ويؤلون أقوالهم ألافهم مال إليهم فليس منا و إننا منهم بره آء ، ومن أنكرهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، هذا مضافاً إلى أن فتح باب التأويل كما قيل أول مراتب الالحاد وبدء الضلال عن السداد ، إذ بانفتاح تلك الأبواب و قبول الاحتمالات السخيفة في التكلم والخطاب ومقام السؤال والجواب ينهدم أساس الدين و ينثلم أحكام الشرع المبين و يبطل إقامة التعزيرات والحدود على المستحقين لها من أهل الفسق والارتداد والجحود كما يبطل تكفير المتشركين لسائر الكفار إذ اتكلموا بكلمات الكفر ثم اعتذروا بعدم الاختيار أو ادعوا الخذف والاضمار .

وظاهر أن بناء علماء الاسلام بل ساير المليين على خلاف ذلك في جميع الأعصار

فإنهم لا يقبلون تأويلاً من غير دليل وبمجرد سماع كلمة الكفر يحكمون بالتكفير والتضليل .

وقد ورد في الحديث المعتبر المتين عن أولياء اليقين و الحجج المعصومين سلام الله عليهم أجمعين إن لنا في كل خلف عدواً لا ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

فإلى الله نشكو من فقد نبينا ﷺ وغيبة ولينا وكثرة عدونا وشدة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا .

إذ بغيبة الامام عليه وعلى آباءه آلاف التحية والسلام والاكرام وبموت نوابه الكرام ونقصان خلفائه العظام من العلماء الأعيان والمشايخ والمجاهدين الأعلام في الأصقاع والبلدان، ثلم ثلثة عظيمة في الاسلام، واشتدت البلية وعظمت الرزية وعاد الزمان زمان الجاهلية فنفرق أهلها أيادى سبا وأيدى سبابا تباع الأهواء واختلاف الآراء واقتداء الآباء، فسلمك كل منهم مسلماً وسبيلاً، واتخذوا الشيطان لهم ملاكاً ودليلاً .

فتاه بعضهم في بادية البادية وركب آخرون مركب المغيرية (١) والخطابية، ومال ثالث إلى الحلاجية، وشرب راجع من قدح الشيخية، وارتوى خامس من كأس التصلف والكشفية، كل ذلك لقصورهم عن العروج إلى معارج العلم واليقين، وقتورهم عن نهج مناهج المجتهدين، وجهلهم بقوانين الاجتهاد والتقليد في الاصول وفروع الدين .

والعجب من بعض رؤساء هذه الفرق حيث إنهم على جهله وبلادته وعدم تميزه بين (٢) الهر والبر، و تفرقة بين الشعير والبر، يؤلف كتاباً و رسائل ويودع

(١) المغيرية طائفة منسوبة إلى مفيرة بن سعيد، خرج على أبي جعفر (ع) وقال : انه كان يكذب علينا؛ وكان يدعو الى محمد بن عبدالله بن الحسن (ع) والخطابية طائفة منسوبة الى الخطاب محمد بن وهب الاسدى، وكانوا يدينون بشهادة الزور على من خالفهم مجمع البحرين .

(٢) فلان لا يعرف هراً من بر ما يهره مما يهره، أو لقط من الفار أو دعاء الغنم من سوقها أو المقوق من اللطف، أو الكراهية من الاكرام، ق

فيها ما ألقاه الشيطان في روعه من الضلال ، وأجراه على لسانه من مقالات الجهال وترهات الأقوال التي تضحك من سخافتها التكلية ، وتسقط الطير من السماء ، ثم يذيعها على سخافتها بين أتباعه الجهلة العوام الذين هم كالأنعام ، وينشره بين الهمج الرعاع الذين يصفون إلى كل ناعق ويتبعون على كل حمار ناهق ، فهم الأخرسون أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .  
و نسأل الله سبحانه من فضله الواسع و كرمه العميم السابغ بمقتضى ماجرت عادته عليه في البلاد والعباد عند غلبة الضلال و الفساد و إشراف آثار الشريعة من الاندراص ، و قرب شمس العلوم الحقّة من الانطماس :

أن يرسل شهاباً ثاقباً من كبراء المجتهدين والفقهاء المجددين على الضالين والمضلين من أولياء الشياطين الذين يكادون أن يهدم أساس الشريعة بكيفيات خيالهم ويسقط أعلام الشيعة بكشفيات مقالهم ليقدفهم من كل جانب دحوراً حتى لا يدعوا ثبوراً واحداً بل يدعون ثبوراً كثيراً ، وليكون حامياً لبيضة الدين ، ماحياً لآثار المفترين ناشراً لنا موسى الهداية . كاسراً لنا قوس الغواية ، متممماً للقوانين العقلية متقناً للفقنور النقلية مجدداً لآثار الشريعة المصطفوية ، مجدداً لجهات الطريقة المرتضوية ، فإنّ فقيهاً واحداً كما قال النبي ﷺ أشدّ على إبليس من ألف عابد إذ به ازغام (١) كل شيطان مارد ، واذغام كل ملحد معاند .

و أمّا ثالثاً فلأنّ ما يستفاد من كلام ثاني المتعذرين من كون أبي يزيد والحلاج من أولياء أهل العصمة عليهم السلام وحامل أسرارهم ، فيه منع ظاهر .

**أما أبو يزيد** فإنّه وإن اختلف في كونه من أهل زمن الصادق عليه السلام وفي كونه سقا في داره كما هو المشهور أو من أهل زمن الرضا أو الجواد عليهم السلام كما قاله بعضهم واشتهر أنّه شيعي المذهب ، أمّا أنّه من الكاملين من ولاية الأئمة عليهم السلام ومن جملة حملة الأسرار فلا ، إذ الكامل في مقام الولاية لا بد أن يكون في أقواله وأفعاله وحركاته

(١) أرغمه الله أسخطه و أدغمه سؤده ، ق

وسكناته تابعاً لمولاه .

وهذا الرجل وإن نقل منه ما يفيد متابعتهم عليهم السلام ومواظبته على الوظائف الشرعية .

مثل ما نقله أبو القاسم القشيري عنه أنه قال : لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى تربح في الهواء ، فلا تغتمروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة .

وقال القشيري أنه سئل بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ قال بيطن جايح أو بدن عارى .

قال : وقيل : لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن بمعنى حفظه من ظهر القلب .

قال : أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال : أنبأنا أبو نصر السراج قال : سمعت طيفور البسطامي يقول : سمعت المعروف بعمى البسطامي - بفتح العين المهملة وكسر الميم وتشديد الياء - يقول : سمعت أبي يقول قال أبو يزيد : قم بناحتي نظراً إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلاً مقصوراً مشهوراً بالزهد ، فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمي ببزاقه تجاه قبلة فانصرف أبو يزيد و لم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه .

وبهذا الإسناد قال أبو يزيد : لقد هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ فلم أسأله ، ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنة النساء حتى لا ابالي استقبلي امرأة أو حايط . وفي تذكرة الأولياء نقل أنه كان بين داره وبين المسجد أربعون قدماً ولم يرمنه أن يرمي ببزاقه إلى الأرض رعاية لحرمة المسجد ، إلى غير ذلك مما رووه عنه من مواظبته بحدود الشريعة وآدابها .

لكنه كله ينافي ما قدّمنا نقله عنه من معارجه وسائر صلاته ، ومن قوله :



ليس في جبتى سوى الله ، وقوله : سبحانى ما أعظم شأنى كما نقله غير واحد .  
وما نقله فى تذكرة الأولياء من أنه عزم الحجّ وسار منازل عديدة ثمّ رجع  
فقليل له ما رأينا منك فسخ العزم فما بدالك؟ قال : رأيت فى الطريق امرأة سلّت سيفها  
وقالت لى : ارجع وإلاّ ضربت عنقك تركت الله ببسطام وقصدت البيت الحرام ؟  
وفى التذكرة أيضاً أنه رأى رسول الله ﷺ ليلة فى المنام فقال : يا رسول الله  
خدمت مائة وثلاثة عشر شيخاً وما وجدت ما طلبته من الكمال ، فقال ﷺ : اذهب  
إلى أهل بيتى و اخدمهم حتى تكمل ، فاستيقظ من منامه وذهب إلى المدينة فرأى  
الصادق عليه السلام وهو ابن سبع سنين مع أطفال يتلاعبون وهو ينظر اليهم قال ابو يزيد :  
فتردّدت بين السلام عليه من حيث كونه ابن رسول الله وبين عدم السلام من حيث كونه  
طفلاً صغيراً ثمّ سلّمت عليه فرّ د علىّ السلام ثمّ قال : يا أبا يزيد طب نفساً تعال  
نلعب معك ، فقال : يا ابن رسول الله أىّ لعب نلعب ؟ فقال : غب أنت فأنا  
أجدك ثمّ أغيب أنا فأنت تجدني ، فغاب أبو يزيد أولاً فدار الامام عليه السلام تمام وجه  
الأرض فلم يجده ، ثمّ ذهب إلى السماوات فطلبه فى السماء الأولى والثانية والثالثة  
فلم يجده فيها ، ووجده فى السماء الرابعة فى عين الشمس وأخذ بيده وجاء به إلى  
الأرض فقال له : ها أغيب الآن فلتجدني ، فغاب عليه أبو يزيد فلم يجده فى  
تمام الأرض ثمّ طلبه فى السماوات السبع ولم يجده فيها ، ثمّ رجع إلى الأرض وعجز  
عن طلبه ، فقال : يا ابن رسول الله إنى عجزت عن وجدانك فأظهر لى نفسك  
بعميم كرمك ، فخرج الصادق عليه السلام من قلب أبى يزيد ، فقال : أنا معك فاين تدور  
وكان هذا إشارة منه عليه السلام وارشاداً له فهداه إلى ما طلب وفتح له باباً انغلق .

إلى غير ذلك مما نقلوه عنه من هذا النمط والاسلوب المخالف للاصول الشرعية  
والمنافى لطريقة صاحب الشريعة .

ولا يكاد ينقضى عجبى منه حيث إنه لاحظ رمى البزاق فى المسجد وفى طريق  
المسجد مع أنه إما مكروه أو مباح ، ولم يلاحظ كلمة الكفر الجارية على لسانه من قوله :  
ليس فى جبتى سوى الله ، و نحو ذلك ، وليت شعرى فى أىّ مقام وأىّ حديث رخص

صاحب الشريعة بالتفوه بهذه الهذيانات .

هذا كله بناء على التسننل والمماشاة وإلا فأقول : يكفى في كفره والحاده و كونه سنياً شهادة مثل مولينا المقدس الأردبيلي «قد» على ذلك .

قال في حديقة الشيعية : إن هذه الطائفة أى الصوفية كانوا يؤدون في المجالس بعض أسرارهم الكفرية بالرّمزوا لاشارة إلاّ أبازيد ، فانه يقول مكرراً غير هائب ولا محتشم : ليس في جبتي سوى الله و سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى ، و رأيت الله في المنام في صورة شيخ هرم ، و كان هو فى الاصول ظاهراً على التشبيه والحلول و في الفروع عاملاً بمذهب مالك ، و كان فى الباطن زنديقاً ملحداً و كونه سقياً ، فى بيت الصادق عليه السلام من مفتريات العامة بل كان ذلك الشقى معاصراً للحسن العسكري عليه السلام وخدم عدة أيام للجعفر الكذاب ؛ انتهى كلامه رفع مقامه .

واما الحلاج فلاخفاء ، فى كفره والحاده و بعده عن طريقة الموحدين وقربه من أهواء الملحدين ، و يظهر ذلك بشرح حاله فأقول :

قال فى روضات الجنّات : إنّه كان جدّه مجوسياً كما فى الوفيات ويالينه كان على دين جدّه ، و أصله فارسياً بيضاو يألم يصل البياض إلى صفحة قلبه وخذّه و توجه فى حدائنه سنّه إلى ديار الأهواز فاشتغل بها على الشيخ أبى محمد سهل بن عبدالله التستري زماناً ، ثم إلى العراق وهو ابن ثمانى عشرة سنة وخالط بها الصوفية و صحب الجنيد البغدادى و أبى الحسين الثورى وغيرهما .

ثمّ رجع إلى تستر و تأهل ، فخرج منها بعد زمان فى جمع من خلطائه إلى بغداد ، ومنها إلى مكّة المشرفة

ثمّ لما رجع منها إلى بغداد بقصد زيارة الجنيد ودخل عليه سألّه عن مسألة فلم يجبه ، و قال له : أنت مدّع فى سؤلك ، فتكدر منه الحلاج و عاود إلى تستر وحصل له وقع عظيم فى هذه المرّة عند أهلها بحيث قدخاف على نفسه فاستتر عنهم نحواً من خمس سنين ، و كان فى هذه المدّة يتردد إلى بلاد خراسان و ماوراء النهر و سجستان و فارس ، و يظهر لهم الدعوة و يصنّف فيهم الكتب حسبما يريد ، و كان يدعا عندهم بأبى عبدالله الزاهد .

ثم لما رجع في هذه الكرة إلى الأهواز نطقوا عنه بعلاج الأسرار لكثرة ما كان يخبر عن ضمايرهم إلى أن جعل له العلاج لقباً على التدريج ، فسافر منها إلى البصرة و منها إلى مكة ثانياً وهكذا إلى تمام أربعة أسفار إليها بينهم سفر منه إلى طرف الهند والصين وبلاد الترك ، و تشنيع شديد من الشيخ أبي يعقوب النهرجورى عليه .

ثم رجع إلى بغداد و كان قد توّ في الجنيد فتوطن هناك في هذه الكرة إلى أن تغير عليه وجوه الفقهاء والقضاة وآل أمره إلى ما آل إلى أن قال:  
والعجب أن كل من كان له أدنى فائحة من نسيم الجنة ورايحة من شهيم الكتاب والسنة لم يذكره إلا لسوء الرأى و فساد العقيدة و نهاية التزوير والمهارة في فنون التسخير و التقرير إمامياً كان أو سنياً و ظاهرياً كان أم صوفياً و كأن ذلك لأنه اختص بقبايح امور في هذه الشريعة لم يعد مثلها لأحد من المنصوفة الاسلاميين .

منها أنه أظهر الدعاوى الشديدة من عند نفسه وأية دعاو .  
ففى بعض المواضع أنه ادعى الربوبية والعباد بالله العظيم مراراً كثيرة ، و في بعضها أنه ادعى قطيعة الأرض وعلوم الغيب والاتحاد مع الله تعالى شأنه العزيز ، و في بعضها أنه لما ورد قم كان مدعياً لرؤية صاحب الزمان والنيابة عنه والباية له ، فلم يتهنأ له فيها العيش فخرج منها إلى مكة المشرفة و هو يدعى الامامة لنفسه و قطيعة الأرض ثم لما دخل مكة زاد في طنبور ملعنته نعمة إلى داعية الربوبية ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ومنها أنه لم يمتهن إلا وقد ظهر منه خلافات و انكشف منه خرافات بحيث لم يبق لأحد من العقلاء شك في فساد عقيدته و بطلان طريقته .

وذلك أن شيخنا الأقدم المفيد رضوان الله تعالى عليه قد عمل في الرد على الحلاجية كتاباً ، و فتح الصدوق ابن بابويه القمى في كتاب اعتقاداته الحقّة إلى كفر اولئك باباً ، و رفع شيخنا الطوسي أيضاً في كتاب الغيبة والاقتصاد عن وجه هذا المرام حجبا و نقابا ، حيث عدّه في الأخير من السحرة الكافرين ، و قال في الأول:

ومنهم يعنى ومن الكذابين الملعونين بلسان أهل البيت لآد عائمهم الرؤبة والبايية من بعد الغيبة الكبرى و وفاة خاتمة السفراء والمقرّبين ، هو الحسين بن منصور الحلاج.

أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال : لما أراد الله أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيخته و يخزيه و وقع له أن أباسهل إسماعيل ابن عليّ النوبختي رضى الله عنه ممّن تجاوز عليه مخرفته و تتمّ عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه و ظنّ أن أباسهل كغيره من الضّعفاء في هذا الأمر بفرط جهله و قدر أن يستحبره إليه فيتمخرق و يتسوّف بانقياده على غيره فيتطيب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضّعفة لقدر أبي سهل في أنفس الناس و محلّه من العلم و الأدب أيضاً عندهم و يقول له في مراسلته إيّاه : إنّي و كليل صاحب الزّمان عليه السلام و بهذا أوّلا كان يستحجر ثمّ يعلو منه إلى غيره و قد أمرت بمراسلتك و إظهار ما تريده من النصرة لك لتقوى نفسك و لا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل رضى الله عنه يقول لك إنّي أسألك أمراً يخفّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يدك من الدلائل والبراهين وهو : إنّي رجل احبّ الجوّاري و أصبوا اليهنّ و لى منهنّ عدّة أتخطاهنّ و الشّيب يبعدنى منهنّ و أحتاج إلى أن أخضبه في كلّ جمعة و أتحمّل منه مشقة شديدة لأستر عنهنّ ذلك و إلاّ انكشف أمرى عندهنّ فصار القرب بعداً و الوصال هجراً ، و أريد أن تغنيني عن الخضاب و تكفيني مؤنته و تجعل لحيتي سوداء، فأننى طوع يديك و صائر إليك و داع إلى مذهبك مع مالى في ذلك من البصيرة و لك من المعونة

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله و جوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته و جهل في الخروج إليه بمذهبه و أمسك عنه فلم يرد إليه جواباً و لم يرسل إليه رسولا .

و صيّرّه أبو سهل رضى الله عنه احدوثة و ضحكة و تطرّوة عند كل أحد

و شهر أمره عند الصّغير و الكبير ، و كان هذا الفعل سبباً لكشف أمره و تنفير الجماعة عنه.

و أخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه: أنّ الحلاج صار إلى قم و كاتب قرابة أبي الحسن يستدعيه و يستدعي أبا الحسن أيضاً و يقول : أنا رسول الامام و وكيله.

قال: فلمّا وقعت المكاتبه في يد أبي رضي الله عنه خرّقتها و قال لموصلها اليه : ما أفرغك للجبهالات ، فقال له الرجل و أظنّ أنّه قال أنّه ابن عمّته أو ابن عمّه : فانّ الرجل قد استدعانا فلم خرّقت مكاتبته و ضحكوا منه و هزؤوا به ، ثمّ نهض إلى دكانه و معه جماعة من أصحابه و غلمانه.

قال: فلمّا دخل إلى الدار التي كان فيها و كأنّه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رآه جالسا في الموضوع فلم ينهض له و لم يعرفه أبي ، فلمّا جلس و اخرج حسابه و دوائه كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنّي فأقبل عليه و قال له : تسأل عنّي وأنا حاضر ، فقال له أبي : أكبرتك أيّها الرجل و أعظمت قدرك أن أسألك ، فقال له : تخرق رقتي وأنا اشاهدك تخرقها فقال له أبي: فأنت الرجل إذا ثمّ قال : يا غلام برجله و ببقاه ، فخرج من الدار العدو لله و لرسوله ، ثمّ قال له : أتدعي المعجزات عليك لعنة الله أو كما قال فاخرج ببقاه فما رأينا بعد ما بقم ، انتهى.

**اقول:** المراد بأبي الحسن هو عليّ بن موسى والد الصدوق و أمّا كتبي به لمكان ابنه الأوسط الذي كان مشتغلا بالعبادة و الزهد لا يختلط بالناس و لافقه له بخلاف الأخويين الباقيين أبي جعفر عمّه و أبي عبد الله الحسين راوى هذا الحديث ، فانهما كانا فقيهين ماهرين في الحفظ يحفظان ما لا يحفظه غيرهما من أهل قم ، لأنهما ولدوا بدعاه الامام عليه السلام على ما في كتاب الغيبة للصدوقين القمي و الطوسي «فهما» و غيرهما بل هذا أمر مستفيض عند أهل قم .

و قال العلامة «قد» الحلّي في محكي كلامه من خلاصته: الحسين الحلاج ابن

المنصور ظهر ببغداد و كان أعجمياً و ادعى أنه الباب و ظفر به الوزير علي بن عيسى فضربه ألف عصا و فصل أعضائه ولم يتأوه و كان كلما قطع منه عضو قال :

و حرمة الودّ الذي لم يكن  
يطمع في إفساده الدهر  
ما قد لي عضو ولا مفصل  
إلا وفيه لكم ذكر

و قال في فوائد الخلاصة : إنه من الكذّابين ، و ذكر الشيخ له أقاصيص و مراده بالأقاصيص ما نقلناه آنفا .

وقال مولينا المقدّس الأردبيلي قدس في كتابه حديفة الشيعة : أماحسين بن منصور الحلاج فقد أفرط و جاوز الحدّ في الفضاحة و أظهر الكفر و الالحاد بلا حجاب و خرج التّوقيع بلعنه و من جملة من أفتى بقتله و كتب خطه في وجوب قتله هو الحسين بن روح رضی الله عنه و كيل صاحب الزّمان عليه السلام .

وقال أبو ريحان البيروني السّندي من أكابر المنجمين في تاريخه حين ذكر تاريخ المتنبّين و أهمهم المخدوعين عليهم لعنة ربّ العالمين : ثمّ ظهر رجل متصوّف من أهل فارس يعرف بالحسين بن منصور الحلاج ، فدعى إلى المهدى أولاً و زعم أنه يخرج من الطالقان الذي بالديلم فأخذوا دخل مدينة السلام ، و حبس شهراً فاحتال حتّى تخلّص من السّجن ، و كان رجلاً مشعبداً متصنعاً مازجاً نفسه بكلّ انسان على حسب اعتقاده و مذهبه ، ثمّ ادعى حلول روح القدس فيه و تسمّى بالاله ، و صارت له رفاع إلى أصحابه معنونة بهذه الألفاظ .

من الهوهو الأزليّ الأوّل التّور السّاطع اللامع والأصل الأصليّ و حجة الحجج و ربّ الأرباب و منشىء السّحاب و مشكاة النور و ربّ الطّور و المنصور في كلّ صورة إلى عبده فلان .

و كان أصحابه يفتتحون كتبهم إليه بسبحانك يا ذات الذّوات و منتهى غاية اللذات يا عظيم يا كبير أشهد أنّك الباري القديم المنير المنصور في كلّ زمان و أوان و في زماننا بصورة الحسين بن منصور عبيدك و مسكينك و فقيرك و المستجير بك و المنيب إليك و الرّاجي رحمتك يا علام الغيوب يقول كذا و كذا .

وصنف كتاباً في دعواه مثل كتاب نور الأصل وكتاب جم الأَكْبَر وكتاب جم الأصغر ، فعثر عليه المقمدر بالله في سنة إحدى و ثلاثمائة للهجرة و ضربه ألف سوط و قطع يديه ورجليه و ضرب عنقه ، ثم زرقه بالنفط حتى احترقت جثته و رمى برماده في دجلة و لم يتكلم بحرف فيما فعل به و لم يقطب وجهه و لم يحرك شفته و بقيت بقية من أتباعه منسوبون إليه يدعون إلى المهدي و أنه يخرج بالطالقان انتهى

وقال الشيخ محمد الشهير بحاجي مؤمن الخراساني : و الذي اعتقد فيه يعني الحلاج الرد عليه و على أصحابه ، لأن كل حقيقة ردت عليه الشريعة فهي مردودة كما حققناه و قد ردت عليه كبار المشايخ المتقدمين و المتأخرين كالجنيد ، و الشيخ أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمي رئيس المحدثين المتأخرين ، و شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، و الشيخ الطبرسي ، و الشيخ المفيد ، و السيد المرتضى علم الهدى ، و الشيخ جمال الدين المطهر الحلبي ، و السيد ابن طاووس صاحب المقامات و الكرامات ، و الشيخ أحمد بن فهد الحلبي المتأخرين شيخ المتأخرين رضي الله عنهم ، و كلهم اتفقوا على أنه من المذمومين و بعضهم على أنه خرج من الناحية توقيع بلعنه و أنت إذا تأملت أدنى تأمل وجدت أكثر من ينتمي إلى الحلاج و يعتقد رأيه قائلين بالحلول و التجسيم و التشبيه و الزندقة و ترك الشرايع و الأحكام و الأمر و النهي ، و يدعى الوصول إلى أعلى مرتبة العرفان و التوحيد و الإباحة و ينفي الحلال و الحرام كأن فرقة المردية المشركة المجوسية ، انتهى .

**اقول :** و يؤيد ما ذكره أخيراً من المنصوفة الحلاجية ما قاله الصدوق في اعتقاداته : علامة الحلاجية من الغلاة دعوى التجلي بالعبادة مع تدينهم بترك الصلاة و جميع الفرائض ، و دعوى المعرفة بأسماء الله العظام ، و دعوى انطباق الحق (١) لهم و أن الولي إذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام ، و من علامتهم أيضاً دعوى علم الكيمياء و لا يعلمون منه إلا الدغل و التلفيق بالشبه و الرصاص على المسلمين ، اللهم لا تجعلنا منهم و عنهم جميعاً . انتهى كلامه

رفع مقامه .

وفي كتاب روضات الجنّات من كتاب روض المناظر في علم الأوائل والأواخر تأليف الشيخ محب الدين الحنفي ألّفه في بيان سوانح كل سنة من لدن زمن أنبياء بني إسرائيل إلى سنة ثلاث وثمانمئة قال :

إن في سنة تسع وثلاثمئة قتل حسين بن منصور الحلاج كان يخرج فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ويمدّ يده في الهواء ويعيدها وفيها دراهم وعليها مكتوب قل هو الله أحد ، يسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما صنعوا في بيوتهم ويتكلم بما في ضمائرهم ، وفتن به خلق كثير واختلفوا فيه اختلاف النصارى بالمسيح ، وكان يصوم الدهر ويفطر على ماء وثلاث عضة من قرص .

قدم من خراسان إلى العراق وصار إلى مكة وجاور بها سنة ثم عاد إلى بغداد فالتمس حامد الوزير من المقتدر أن يسلمه إليه ، وجدّ الوزير في قتله واستنطقه عدّة مجالس بحضرة العلماء آخرها أنّه ظهر منه بخطه كتاب يتضمّن أن من لم يمكنه الحجّ إذا أفرد في داره بيتاً نظيفاً ولم يدخله أحداً فطاف حوله أيام الحجّ و فعل ما يفعله الحاجّ ثمّ جمع ثلاثين يتيماً وأطعمهم أجود الطعام في ذلك البيت وكساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم كان كمن حجّ .

فقال القاضي أبو عمر والحجاج من أين لك هذا ؟ فقال : من كتاب الاخلاص للمحسن البصرى ، فقال القاضي : كذبت يا حلال الدّم قد سمعنا بمكة وليس فيه هذا ، فطالبه الوزير بكتابة خطه أنه حلال الدّم أياماً ثمّ أجابه وكتب باباحة دمه وواقفه جماعة من العلماء ، فقال الحلاج : ما يحلّ لكم دمي وديني الاسلام ومذهبي السنة ولى فيها كتب موجودة يكون عند الوراقين ، فالله الله في دمي ولم يزل يردّ هذا . وعن تاريخ حبيب السير أنه قال بعد ذكره لهذه الواقعة بالفارسية إلى قوله

ومذهبي السنة : و تفضيل الخلفاء والعشرة المبشرة ، ولى في السنة كتب موجودة يكون عند الوراقين ، فالله الله في دمي ، ولم يزل يردّ هذا وهم يكتبون خطوطهم حتى استكملوا ما أرادوا ، ونهضوا من المجلس .



فحمل الحلاج إلى السجن و كتب الوزير إلى المقتدر بالله الخليفة فهرست الوقائع، فصدر منه الجواب بعد ساعة بأن قضاء البلد إذا كانوا قد أفتوا بقتل الرجل فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم إليه يضربه ألف سوط فإن هلك وإلا يضربه ألفاً آخر ويضرب عنقه .

فسلمه إلى الشرطي وأخبره بما رسم به المقتدر وقال : فان لم يتلف بالضرب فاقطع يده ثم رجلاه ثم نحر رقبته وتحرق جثته ؛ وإن خدعك وقال أنا أجرى لك الفرات ودجلة ذهباً وفضة فلا تقبل ذلك منه ، ولا ترفع العقوبة عنه .

فتمسكه الشرطي ليلاً فأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة فأخرجه إلى باب الطاق وكان يتبختر في قيوده واجتمع عليه من العامة خلق كثير لا يحصون .

فضربه الجلاذ ألف سوط فلم يتأوه شيئاً بل قال للشرطي لما استوفيت ست مائة : ادع بي إليك فإن لك عندى نصيحة تعدل فتح قسطنطينية الروم فقال له : قد قيل لي : إنك تقول هذا الكلام وأكثر منه و ليس الى رفع السياط عنك سبيل ، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم جز رأسه وأحرق جثته بالنار، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة و نصب رأسه على الجسر و اتفق أن ارتفع ماء دجلة في تلك السنة فادعى بعض أصحابه أن ذلك ببركة ما التقى فيها من الرماد ، وتواعدوا في أنفسهم أيضاً على السر أن سيعود إليهم بعد أربعين يوماً من ذلك التاريخ ، وادعى بعضهم أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه على عدو له فقتل .

ثم إن في تاريخ روض المناظر أنه قتل و حرق و نصب رأسه ببغداد قال : وقد ترجمه الذهبي في عدة أماكن من كتبه و كذا الخطيب وغيره ترجمة قبيحة وأنه كان ساحراً مشعبداً محلولاً والله أعلم ، انتهى .

وفي وفيات الأعيان نقلاً عن أبي بكر بن ثوابة القصرى انه قال : سمعت الحسين

ابن منصور وهو على الخشبة يقول :

فلم أرلي بأرض مستقرأ

طلبت المستقر بكل أرض

أطعت مطامعي فاستعبدتني و لو أني قنعت لكنت حرّاً  
 فقد علم بذلك كله أن الرجل من أهل الغلو والالحاد ، والحلول والاتحاد  
 فكيف يكون من أولياء أئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين ، ولو كان من أهل الولاية  
 لورد فيه منهم عليه السلام ما يدل على مدحه وفضله وعلو شأنه ، لا ما يدل على لعنه وطعنه  
 قال في روضات الجنّات : لوشئت زيادة بصيرة بأحوال وأباطيل الملاحدة من  
 هذه الطائفة فعليك بمراجعة رسالة الشيخ الحرّ العاملي الموضوعة للتشنيع عليهم  
 وتحذير أهل الاسلام من اتباعهم ، وبيان جملة من قبائح أفعالهم ، فانّها البالغة حدّ  
 الكمال في هذا الباب ، وكذلك كتاب مولينا محمد طاهر القمي المعاصر له المشنع على  
 المولي محسن الفيض الكاشي صاحب الوافي في ميله إلى هذه الطائفة ، بل المكفّر  
 إياهم من هذه الجهة ، ورسالتني الشيخ عليّ بن الشيخ محمد الشهيدي والمولى إسماعيل الخاجوي  
 بالعربية والفارسية ، في تخطئتهم و تنفير قلوب عوام الناس عنهم ، وغير ذلك من  
 تضاعيف مصنّفات الشيعة وأهل السنّة والجماعة ، فانّهم في الحقيقة مصداق قوله  
 تعالى «مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» و منكرون لأساس الشريعة  
 الغرّاء ، أعادنا الله وجميع المؤمنين والمؤمنات من متابعة أهوائهم وسلوك سبيلهم  
 آمين ربّ العالمين .

## المقام السادس - في منشأ الكرامات وخوارق

### العادات الصادرة من هذه الطائفة

كلاخبار عن المغيبات واستجابة الدعوات وتأثير الأنفاس وطيّ الأرض  
 ونحوها ، ممّا رويت عنهم ونسبت اليهم في كتبهم المدوّنة لهذا الغرض مثل كتاب  
 تذكرة الأولياء وغيره فأقول والله التوفيق :

إنّ ظهور الكرامات من أولياء الله الجامعين بين مرتبتي العلم  
 والعمل على اصطلاح المتشرّعة و بين الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة

و بعبارة اخرى علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين و برد اليقين على اصطلاح المتصوفة ؛ غير قابل للانكار و ليس عليه غبار ، لأن العبودية جوهرية كنهها الربوبية . وقد نقل من أصحاب النبي و اتباع الأئمة عليهم السلام الكاملين في مقام المعرفة والولاية ، و من العلماء الراسخين و غيرهم من عباد الله الصالحين المتقين المتصفين بالصغفمات المتقدمة في الخطبة المائة والثانية والتسعين في حديث همام و غيرها كرامات متجاوزة عن حد الاحصاء ، و ظهورها منهم عناية خاصة من الله عز وجل بهم ، و لطف مخصوص في حقهم إكراماً لهم و إظهاراً لشرفهم لديه و قربهم إليه . و أمّا غير هؤلاء من أهل التصنع والتكلف والتصوف والتصلف ؛ فظهور بعض خوارق العادة منهم مستند إلى أحد امور :

**منها المشبعة** و هي حركات سريعة تترتب عليها أفعال عجيبة بحيث يخفى على الحس الفرق بين الشيء و شبهه لسرعة الانتقال منه إلى شبهه فيحكم الرائي له بخلاف الواقع .

فالمشبهد الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين و يأخذ عيونهم إليه حتى إذا اطمان باستغراق نظرهم إليه عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة ، و بذلك يحصل عند الناظر أمر عجيب ، و سببه الاشتغال بما أظهره أولاً و السرعة المزبورة . و هذا هو المراد بقولهم : إن المشعبد يأخذ بالعيون ، لأنه في الحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التي يحتمل ، و كلما كان أخذه للعيون و جذبها للخوارق إلى سوى مقصوده أقوى كان أحنق في عمله .

ولها أقسام اخر معروفة بين المشعبدين من الافرنج و غيرهم **ومنها التنجيم** وهو الاستدلال بحركات النجوم على بعض الحوادث الواقعة فقد أخبر آذر بطريق النجوم على إبراهيم .

**قال الصادق عليه السلام** في المروي عنه في تفسير علي بن إبراهيم : إن آذر أبا إبراهيم كان منجماً لمرود بن كنعان فقال له : إني أرى في حساب النجوم أن هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدين و يدعو إلى دين آخر ، فقال مرود : في أي

بالاديكون؟ قال : في هذه البلاد ، الحديث .

و عن صاحب كتاب التجمال أن آذركان منجماً لمرود فقال : له يوماً : رأيت في النجوم أمراً عجبياً ، قال : و ما هو ؟ قال : رأيت مولوداً يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به ، قال : فتمجّب من ذلك ثم قال : هل حملت النساء ؟ قال : لا ، فحجّب الرجال عن النساء ولم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة قال : فوقع آذر على أهله فحملت بابراهيم فظن أنه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزمان وكن أعلم الناس بالجنين فنظرن فالزم ما في الرحم الظهر فقلن ما نرى في بطنها شيئاً ، قال : و كان ممّا اوتى من العلم أن المولود سيمحرق بالنار ولم يؤت أن الله سينجيه منها .

و قد تضمنت كتب التواريخ و غير ها الأخبار بنبوّة موسى و رسالته من النجوم ، و كذا نبوّة نبيّنا ﷺ و ظهور العرب على الفرس كما لا يخفى على من لاحظها .

والاخبار النجومية للمنجمين من الوقائع المستقبلية فوق حدّ الاحصاء ، و قد مرّ في شرح الكلام الثامن والسبعين مطالب نافعة في هذا المقام .  
ومنها الكهانة وهي عمل تقتضى طاعة بعض الجن .

قال العلامة «قد» في محكى القواعد : الكاهن هو الذي له رائد من الجن يأتيه بالأخبار .

وعن النهاية الكهانة هي تعاطى الأخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان ، وقد كان في العرب كهنة فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن يلقي إليه الأخبار ، و منهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدّمات أسباب يستدل بها على موافعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله .

ومنها السحر قال فخر المحققين في المحكى عن الايضاح : إنّه استحداث الحوادث والخوارق ، إما بمجرّد التأثيرات النفسانية و هو السحر ، أو بالاستعانة بالفلكيّات فقط و هو دعوة الكواكب ، أو على تمزيج القوى السماوية بالقوى

الأرضية وهو الطلسمات أو على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة وهو العزازيم، ويدخل فيه النير نجات والكلّ حرام في شريعة سيد المرسلين .

و في الجواهر أنه عبارة عن ايجاد شيء تترتب عليه آثار غريبة و أحوال عجيبة بالنسبة إلى العادة بحيث تشبه الكرامات و توهم أنها من المعجزات المثبتة للنبوات من غير استناد إلى الشرعيات بحروز أو دعوات أو نحوها من المأثورات .

ومنها استخدام الجن والشياطين وعن المسالك دخوله في الكهانة و في الدروس دخوله في السحر قال : يحرم الكهانة والسحر بالكلام والكتابة والرقعة و الدخنة بمقايير الكواكب و تصفية النفس والتصوير والعقد و التفت و الأقسام والعزازيم بما لا يفهم معناه و يضرّ بالغير فعلة .  
و من السحر الاستخدام للملائكة والجن والاستئصال للشياطين في كشف الغائب و علاج المصاب .

و منه الاستحضار بتلبس الروح بيدن منفعل كالصبي و المرأة و كشف الغائب على لسانه .

ومنه النير نجات ، وهي اظهار غرايب خواص الامتزازات و اسرار النيرين و يلحق به الطلسمات و هي تميزج القوى العالية الفاعلة بالقوى السافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل الغرائب ، فعمل هذا كلّه و التّكسب به حرام أمّا علمه ليمترقى أو لئلا يعتريه فلا ، و ربّما وجب على الكفاية لدفع المتنبّئ بالسّحر و يقتل مستحلّه ، انتهى .

و عن الصادق عليه السلام أنّه لما سأله الزّبير عن السحر ما أصله و كيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه و ما يفعل ؟ قال : إنّ السحر على أقسام و جوه شتى ، منها بمنزلة الطب كما أنّ الأطباء وضعوا لكلّ داء دواء فكذلك علماء السحر احتالوا لكلّ صفة آفة و لكلّ عافية سقماً و كلّ معنى حيلة و نوع منه آخر خطفة و سرعة و مخاريق و خفة و نوع منه ما يأخذ أولياء الشياطين منهم .

و ذكر بعضهم أنه على أقسام :

**الاول** سحر الكذابين وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها المدبّرة لهذا العالم إلا أنهم فرق ثلاث:

الأولى زعمت أن الأفلاك والكواكب واجبة الوجود لذاتها ، وهى المدبّرة لهذا العالم والخالقة له .

والثانية أنها مخلوقة إلا أنها قديمة لقدم العلة التامة المؤثرة في وجودها فالساحر عندالفرقتين هو الذي يعرف قوى العالمية الفعالة بسايطها و مر كباتها ، و يعرف ما يليق بكل واحد من العوالم السفلية ، و يعرف المعدات ليعدها ، ويعرف العوائق لينحيتها معرفة بحسب الطاقة البشرية ، و بذلك يكون متمكنا من استجذاب ما يخرق العادة .

الفرقة الثالثة أنها حادثة مسبوقة بالعدم إلا أن خالقها خلقها عاقلة مختارة ،

و فوض تدبير العالم إليها والساحر حينئذ من عرفته بالنقريب السابق

**القسم الثاني** سحر أصحاب الأوهام والنفوس القويّة ، و هو يكون بتجريد النفس عن الشواغل البدنية و عن مخالطة الخلق و امورهم ، و به يحصل تأثيرها في جميع ماتريده من الأشياء ، و توجد صورته في ذهنها و يقدر بذلك على الاتيان بما هو خارق للعادة ، نعم النفوس في ذلك مختلفة .

فمنها القوية المستعملية على البدن الشديدة الانجذاب إلى عالم السموات ، بل كأنها من الأرواح السّمّاوية ، وهذه لا تحتاج التأثير إلى هذا العالم إلى آلة وأداة . و منها ما لا يكون كذلك ، فيحتاج إلى تصفية و تجربة ، و ربّما استعانت على ذلك بالرقي المعلومة ألفاظها بل وغير المعلومة باعتبار حصول دهشة للنفس و حيرة ، و ربّما حصل في أثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات و إقبال على ذلك الفعل و جدّ عظيم ، و يقوى التأثير النفساني و ربّما استعانت على ذلك أيضاً بالدخنة على الوجه الذى سمعته في الرقي .

**الثالث** الاستعانة بالأرواح الأرضيّة وهى الجن ، فان اتّمال النفوس

النَّاطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السَّماوية ، لشدة المشابهة والمشاكله وإن كان التأثير مع الاتصال بتلك الأرواح أعظم بل هو كالقطرة بالنسبة إلى البحر ، وقد قالوا : إن الاتصال بها يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقي والدخن والتجريد ، وهذا النوع هو المسمّى بالعزائم وعمل تسخير الجن ، انتهى .

**اقول :** وهذا ككله من فروعات علم السيمياء الذي قيل في تعريفه : هو علم بأمور يتمكّن به الانسان من إظهار ما هو مخالف للعادة أو منع ما هو موافق للعادة ، بعضه متعلق بالطلسمات ، وبعضه بدعوة الكواكب وتسخير السيارات ، وبعضه بتسخير الوحوش والطيور ، وبعضه بالتعظيم والتنجيم واستخدام الجن والانس والشياطين بأعمال وشرايط مقرّرة عند أهل هذا الفن وهو علم طويل عريض عميق والوصول إليه والقيام بشرايطه في غاية الصعوبة وعجايبه لا تحصى .

فقد نقل عن بعض التفسير أن سبب تمرّد نمرود اللعين عن طاعة الله تعالى أن الحكماء قد عملوا في مقرّ سلطنته أرض بابل طلسمات ستّة تحارفيها العقول : أوّلها بطة من نحاس إذا دخل في البلد سارق أو جاسوس كانت هذه البطة تصوت بأعلى صوت يسمعه كل من بالبلد ، ويعرفون علّة تصويته فيطلبون الداخل ويدركونه .

الثاني طبل إذا ضلّ أحدهم شيئاً يجيء إلى ذلك الطبل ويضربه يعود فيخرج منه صوت ويعرفه مكان الضّالة .

الثالث مرآة كلّ من كان أهل البلد له غائب لا يعرف خبره وأراد أن يطلع عليه جاء إلى هذه المرآة فينظر فيها ويشاهد فيها الغائب بحالته التي هو عليها والعمل الذي هو مشغول به وبالمكان الذي هو فيه .

الرابع حوض كان نمرود في كلّ سنة يجلس يوماً عنده للعيش ويجتمع إليه بطانته من الامراء والوزراء والأشرف ، ويأتي كلّ منهم بأشربة مختلفة ويصبونها جميعاً في الحوض ، فاذا امتلأ أمر نمرود سقايته فيسقونهم منه ويشرب كلّ

منهم ما جاء به من الشراب .

الخامس غدير ماء إذا ورد فيه المتخاصمان كان الماء يعلو المبطل منهما ،  
فإن أناب إلى الحق والآخر غرق .

السادس شجرة في بابه يستظل بها تمام جيشه وجنوده .

و نقل عن أرسطاطاليس أنه كان بين برهماطوس وبيداغوش منازعة في أرض  
بابل ، قال بيداغوش : كيف تقاومني ومرّيخ وزحل عاجزان من مقاومتي ؟ فلمّا  
سمعه برهماطوس دخن اترجة واستعان بروح المريخ وأحرق بيداغوش واستراح  
النّاس من شرّه بدون حاجة إلى المحاربة .

و نقل عن أبي معشر البلخي أنه قال : كان في بلاد الهند ملك عالم بأسرار  
النّجوم و قد سخّر المريخ فقصده ملك آخر للحرب فلم يهتم به ، وكلمّا قال له  
وزراؤه وأتباعه : قد وصل الخصم لم يلمتقت إليهم حتّى إذا دنا من بلده وكان الملك  
مشغولاً مع ندمائه في مجلس العيش فرجع إلى المريخ واستعان منه على دفع  
الخصم ، فما مضت هنيئة إلا ورأوا شيئاً هابطاً من السماء ، فإذا هو مرآة من  
نحاس مثلك الشكل و معه رأس مذبوح ، فلمّا رأوه هابوا منه وهربوا ، فضحك  
الملك ثمّ أحضرهم و قال لهم : ابشروا هذا رأس من كان قاصداً لبلادكم ، فقد  
دفعت شرّه بعلم كنتم تلومونني في تحصيله و تنسبونني إلى الحمق و السفه  
و الجنون .

وفي نفايس الفنون أن بهذا العلم يتمكّن من رؤية الأشياء المتباعدة غاية  
البعد ولو بمقدار ألف فرسخ ويتمكّن من التّصّرف فيها .

قال ثابت بن قرّة : كان من أهل هذا العلم من صنع كحلاً إذا اكتحل به  
يرى الأشياء من الأماكن البعيدة و كنت أنا وقسطاء بن لوقا أردنا امتحانه فجلسنا  
في بيت و كتبنا فيه خطأ بغاية الخفاء لا يكاد يقرء ، وكان ذلك الرجل جالساً في  
بيت آخر فكان يقرء كلمّاً نكتب حرفاً حرفاً ، ولورام غيره أن يقرأه لا يمكن له  
ذلك لخفائه ، وسأله قسطاء من حال أخيه و كان غائباً منه فقال : انه مريض وقد



تولّد له ولد وطالعه الثّور بثلاث درجات فاستخبرنا منه وكان كما قال : الى غير هذه ممّا نقل من عجائب هذا العلم .

وهذه المنقولات وان لم تكن محلّ اعتماد يصلح التّعويل عليها ، ولكنّها مثل العجائب المنقولة من مشايخ المتصوفة لا تفاوت بينهما في الصحّة و البطلان والرّد والقبول .

فقد علم بما ذكرنا أن ظهور بعض الامور الخارقة للمعادة من أحد من هؤلاء الطائفة أو من غيرهم لا يدلّ على كونه عارفاً بالله كاملاً في معرفة الله و من أهل الزّلفي و الكرامة لديه ، لما عرفت من أن جلّ مدارك الخوارق و عمدة أسبابها امور غير شرعيّة .

فان الشّعبيّة والسّحر والكهانة و علم السّيمياء والنّير نجات كلّها محرّمة بالأدلة الشرعيّة المحكّمة ، كما فصلها فقهاؤنا رضوان الله عليهم في أبواب المكاسب من الفقه .

وأعظم أسباب ظهور الخوارق من هذه الطائفة من جانب وليّهم ابليس ، فانهم لأخذهم في الاصول و الفروع خلاف مسلك أهل الشّرع كان للشيطان بهم مزيد عناية ، وفي اعداد معدات ضلالهم وخذلانهم زيادة اهتمام ، فيوحى اليهم زخرف القول غروراً حسبما عرفت سابقاً ، وينطق على لسانهم ويريهم العجائب وينبئهم بالغرائب ليطيّب بذلك أنفسهم وليقرّوا به عيناً ، ويفرحوا به ليثبتوهم على ما دانوا به من الدّين الفاسد ، ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليقتروا ما هم مقترفون ولئن سلّمنا أن صدور العجائب والغرائب منهم مستند الى الله سبحانه كاستجابة دعواتهم وتأثير أنفسهم فهو أيضاً لا يدلّ على القرب و الزّلفي مع زيغهم عن نهج الهدى وضلالهم عن الحنيفيّة البيضاء ، لجواز كون ذلك من قبيل الاستدراج .

بيان ذلك أنهم لما تحمّلوا المشاق وارتاضوا بالرّياضات الشاقّة نيلاً الى ما طلبوه من الارباب الدنيويّة ، فلا يبعد أن يؤتوهم الله ما طلبوه بمقتضى رحمته الرحمانية فانه تعالى لا يضيع عمل عامل برأ كان أو فاجراً كما ورد في الأخبار، وقال في كتابه

الكريم : «ومن ير دحرت الدنيا نزله في حرثه وما له في الآخرة من خلاق» وقال : «ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق» و منهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا ربنا عذاب النار» اولئك لهم نصيب مما كسبوا» .

ويقرب ما ذكرناه أن الشيطان بعد ما عبد الله تعالى في السماوات ستة آلاف سنة ، ثم صار رجيماً باً بائئاً عن السجود لآدم أعطاه الله النظرة جزاء لعلمه ، و سلطه على ابن آدم وأعطاه ساير ماسأل حسبما عرفته في شرح الخطبة الأولى .

ومثله أن فرعون اللعين مع قوله : أنار بكم الأعلى ، أمهله الله أربعمئة عام لحسن خلقه و كونه سهل الحجاب ، واستجاب دعاءه في إجراء النّيل ، فأنته لما غار النّيل وأتاه أهل مملكته وسألوه إجراءه فخرج معهم إلى الصعيد وتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه ، فألقى خدّه بالأرض وأشار بالسّبابة وقال : اللهمّ إنني خرجت اليك خروج العبد الذليل إلى سيّده وإنني أعلم أنّك تعلم أنّه لا يقدر على إجراءه أحد غيرك فأجره ، قال : فجرى النّيل جرياً لم يجر مثله ، فأتاهم وقال لهم : إنني قد أجريت لكم النّيل فخرّوا له وسجّدوا ، رواه في البحار من علل الشرايع وأوضح من ذلك كلّهُ أن كفّار الهند مع ما هم عليه من الكفر والجحود ربما يخبرون بالمغيبات إذا تكلمّوا بالمشاق والرياضات .

قال السيّد المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية : وربما جرت على أيديهم الأفعال العجيبة والأمر الغريبة وليس هذا إلاّ جزءاً لأفعالهم ورياضاتهم التي زعموا أنّها عبادة ، و قد شاهدت في اصفهان في عشر السبعين بعد الألف رجلاً من كفّار الهند رافعاً يديه إلى السماء وقد يبستا وصارت أظفاره كالمناجل فرأيت الكفّار يعظّمونه ويسجدون له فسألتهم عن أحواله فقالوا له سبع سنين على هذه الحالة و بقي له خمس سنين حتّى يكون المجموع اثنا عشر سنة فإذا بلغ إلى هذا العدد وهو على هذا الحال صار شيخاً في العبادة يخبر بالأخبار الغائبة وتمكشفت له الامور ، ورأيت انساناً جالساً إلى جانبه والكفّار تعظّمه أيضاً فقيل لي : إنّ هذا وقف

على رجليه اثني عشر سنة لم يجلس على الأرض إلى غير ذلك من الرياضات، انتهى  
فقد تحصل ممّا ذكرنا كلّهُ أنّ ظهور العجايب والغرائب تارة يكون مستنداً  
إلى أسباب صحيحة وأخرى إلى مقدمات فاسدة وأنّ المدار في الكرامات على صحّة  
الاعتقاد ومواظبة الرياضات الشرعيّة .

و على ذلك فإذا رأيت من أحد أموراً خارقة للعادات أو إخباراً عن الغايات  
أو استجابة للدعوات ، فلا تحكم بمجرّد رؤية ذلك على أنّه من أهل الزهد والصلاح  
والفوز والفلاح وأنّ ذلك من فضل الله عليه ، بل انظر إلى عقيدته وعمله .

فان كان موافقاً للأصول الشرعيّة والقواعد لمذهب الحقّة الاماميّة ، فاعلم  
أنّ ما ظهر منه كرامة وتفضّل من الله الكريم إليه ولطف ربّاني في حقّه وذلك  
فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وان لم يكن كذلك سواء كان كافراً أو مسلماً سنياً أو امامياً آخذاً في سلوك  
طريق العبوديّة غير ما قرّره صاحب الشريعة ، فليس ما يظهر منه بكرامة وإنّما  
هو زور ووبال ، معقّب لويل ونكال لاستناده إمّا إلى مقدمات فاسدة وأسباب محرّمة  
أو إلى إضلال شيطاني أو إلى استدراج رحماني كما قال تعالى : «ولا يحسبنّ الذين  
كفروا أنّهم نملي لهم خير لأنّهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين»

### المقام السابع = في مطاعن الصوفية

وذكر ما ذكره أساطين علمائنا الأعلام ومشايخنا العظام قدّس الله ضرايحهم  
وطيّب الله أرماسهم ، وما صدر من غيرهم من علمائنا الأبرار وفقهائنا الأخيار من  
الفرقة الناجية الامامية رضوان الله عليهم، ومن علماء العامّة العمياء أيضاً من الطعن  
والازراء على هذه الطائفة وكشف سوء آتهم وفضايحهم بعنوانين مختلفة بعضها بعنوان  
العموم وبعضها بعنوان الاختصاص بطائفة خاصّة منهم ، وبعضها على صوفية زمانه ،  
وبعضها على شخص معيّن منهم خذلهم الله جميعاً ، فأقول وبالله التوفيق :

منهم رئيس المحدثين والمتأهين الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن

الحسين بن بابويه القمي قدس الله روحه فقد قال في اعتقاداته حسبما نقلنا عنه في المقام الخامس :

علامة الحلاجية من الغلاة دعوى التجلي بالعبادة مع تدينهم بترك الصلاة وجميع الفرائض ، ودعوى المعرفة بأسماء الله العظام ، ودعوى انطباع الحق لهم فان الولي اذا خلص وعرف مذهبهم فهو عندهم افضل من الأنبياء ، ومن علامتهم أيضاً دعوى علم الكيمياء ولا يعلمون إلا الدغل وتلفيق الشبه والرتصاص على المسلمين اللهم لا تجعلنا منهم والعنهم جميعاً .

ومنهم الحبر المتبحر الفريد الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام رفع الله في عليين له المقام .

فقد ألف في الرد على الحلاجية كتاباً مخصوصاً كما ذكره النجاشي وسائر علماء الرجال في تضاعيف تعداد كتبه ، ولم أنظر بعد على أصل نسخة الكتاب ونقلنا عنه في أوائل المقام الثالث من شرح عقائده للصدوق كلاماً متضمناً للطعن عليهم .

ومنهم شيخ الطائفة الحقة ورئيس الفرقة المحقة الشيخ المطلق محمد بن الحسن الطوسي قدس سره القدوسي .

فقد نقلنا عنه من كتاب الغيبة له في المقام الخامس من الطعن والازراء على الحلاج ما عرفت .

وقال في ذلك الكتاب أيضاً قال الصفواني : سمعت أبا علي بن همام يقول : سمعت محمد بن علي العزاقري السلمغاني يقول . إن الحق واحد وإنما تختلف قمصه ، فيوم يكون في أبيض ، ويوم يكون في أحمر ، ويوم يكون في أزرق ، قال ابن همام : فهذا أول ما انكرته من قوله لأنه قول أصحاب الحلول .

أقول : وهذا مثل ما قاله بعض متأخري الصوفية في كتابه المسمى بمنهاج الولاية : تغطن للذة أهل العشق الانساني من رؤية معشوقهم ، فان الله تجلي في صورة العاشق بالعاشقية ، وفي صورة المعشوق بالمعشوقية بحيث يتصور العاشق معشوقه غيره تصوراً صحيحاً ، لأنهما غيران في تعيينهما وإن كان الحق المتجلي

فيهما واحداً ليحصل اللذة الأتم الأكمل ، يسمّى أهل المحبة ذلك التجلي الثنوي تجلي المكر والخديعة ، لأنّه يتجلي لنفسه بنفسه في مظهرين بحث لا يعلمان اتحاد المتجلي والمتجلي له .

عاشق خود كه بود معشوق خود بهر لذت در دو پيكر سرزند انتهى  
وهذا كفر عظيم والحاد قبيح لا يتصور فوقه كفر ، لعن الله القائل به والمعتقد له ملاء السماوات والأرضين وعذبه عذاباً اليماً لا يعذب به أحد آمن العالمين .  
و عن شرح كتاب التوحيد للشيخ أبي منصور الماتريدي شيخ الطائفة الماتريديّة قال :

قال قوم من الصوفيّة : إذا رأيت غلاماً أمرد حسناً فأنه ربك ، وقال بعضهم : ويسمّون بالحلوليّة إن الغلام الذي هو حسن الوجه قد حلّه بعض صفات الله تعالى فمن ثمّ ظهر فيه آثار القدرة ويسمّونه شاهداً ويقولون : إنا نشاهد فيه بعض الصفات ويحبّونه ويعانقونه ويقبلونه ويقولون : إن محبتنا إياه لهذا المعنى ، انتهى .

وفى وصف حالهم والفرق بين الأورد والملتحى قال بعض الشعراء :

إذا ما التحى الانسان طار جماله فلحيته ريش يطير به الحسن

و منهم آية الله فى العالمين جمال الملة والدين العلامة الحلّي أعلى الله مقامه

فى محكي كلامه من رسالته التى سماها بالسعدية :

إن الله تعالى لا يحلّ فى غيره ولا يتحد بغيره ، هذا مذهب طوائف المسلمين إلا ما نقل خواجه نصير الملة والحق والدين قدس الله روحه عن الصوفية أنهم يذهبون إلى أن الله يحلّ أبدان العارفين ويتحد بهم ، وهذا مذهب ردى ، لأنّ الضرورة قاضية ببطلان الاتحاد ، فانه لا يعقل صيرورة شيئين شيئاً واحداً بغير ممازجة ولا انفعال ولا زيادة فى مقدار أو كم ، والحلول غير معقول فى حق واجب الوجود ، فإن المجرد لذاته لا يمكن أن يحلّ الماديات ولا غيرها ، ولأنّ الحال مفتقر فى قيامه إلى المحلّ فكلّ مفتقر ممكن وواجب الوجود ليس بممكن فلا يكون حالاً ،

و إذ بطل هذا المذهب ثبت الأول .

و قال أيضاً في كتاب نهج الحق : إن الله لا يتحد بغيره ، و الضرورة قاضية ببطلان الاتحاد ، فانه لا يعقل صيرورة الشئئين شيئاً واحداً ، و خالف في ذلك جماعة من الصوفية من الجمهور ، فحكموا أن الله تعالى يتحد بأبدان العارفين حتى تمدى بعضهم وقال : انه تعالى نفس الوجود ، فكل موجود هو الله تعالى ، وهذا عين الكفر و الالحاد ، الحمد لله الذي فضلنا باتباع أهل البيت عليهم السلام دون أهل الأهواء الباطلة . ثم قال رضي الله عنه : و انه تعالى لا يحل في غيره لأنه من المعلوم القطعي أن الحال مفتقر إلى المحل ، و الضرورة قاضية بأن كل مفتقر إلى الغير ممكن ، فلو كان الله تعالى حالاً في غيره لزم امكانه فلا يكون واجباً هذا خلاف .

و خالفت الصوفية من الجمهور في ذلك ، و جوزوا عليه الحلول في أبدان العارفين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فانظر إلى هؤلاء المشايخ الذين يتبركون بمشاهدتهم كيف اعتقادهم في ربهم و تجويزهم عليه تارة الحلول و اخرى الاتحاد ، و عبادتهم الرقص و التصفيق و الغناء ، و قد عاب الله تعالى على أهل الجاهلية الكفار في ذلك فقال عز من قائل : وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاء و تصديعة ، أى تغفيل أبلغ من تغفيل من يتبرك بمن يتعبده الله بما عاب به الكفار ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

و منهم الشيخ السعيد و القطب المجيد الفقيه المتبحر الاكمل المعروف بالشهيد الأول شمس الملة و الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين المكي رفع الله درجته كما شرف خاتمته ، في الدروس في كتاب الوقف منه في بيان مصارف الوقف : و الصوفية المشتغلون بالعبادة و المعرضون عن الدنيا و الأقرب اشتراط الفقر و العدالة فيهم لتحقيق المعنى المقتضية للمفضلة و أولى منه اشتراط أن لا يخرجوا عن الشريعة المحققة ، و في اشتراط ترك الحرفة تردد ، و يحتمل استثناء التوريق و الخياطة و ما يمكن فعلها في الرباط ، و لا يشترط سكنى الرباط و لا لبس الخرقه من الشيخ و لازي مخصوص ، انتهى .

فان اشترطه للعدالة وعدم الخروج من الشريعة المحمّدة صريح في أن الفاقد للوصفين ليس له من التّصوف إلاّ الاسم ولا فضيلة له أصلاً .  
وقد أفصح عن ذلك في أشعاره الرّاقية الفاتقة المحكيّة عنه في روضات الجنات برواية السيّد محمد العاملي رحمة الله عليه قال :

لا بالدّلف ولا بالعجب والصّلف  
بها تخلّفت الأجساد في النّطف  
وأنفس تقطع الانفاس باللّطف  
كما مضت سنّة الأخيّار والسلف  
وأسلموا عرض الأشباح للتّلف  
كالدرّ حاضرّه مخلوق الصّدق  
ولا التّكلّف في شيء من الكلف  
حتّى تخلفت في خلف من الخلف  
بالزّور والبهت والبهتان والسرف  
كلاًّ ولا الفقر ربّوا ذلك الشرف  
وتحتها موبقات الكبر والسرف  
عكوفها كهكوف الكلب في الجيف  
فارفع حجابك تجلو ظلمة التّلف  
وغب عن الحسّ واجلب دمعاً الأسف  
ذكر الحبيب وصف ماشئتم واتّصف  
واعرف محلك من اباك واعترف  
وحول كعبة عرفان الصفا فظف  
وعد إلى حانة الأذكار بالصّحف  
كأس التجلّي فخذ بالكأس واغترف  
فان رجعت بلارى فوا أسفى

بالشوق والدّوق نالوا عزّة الشرف  
ومذهب القوم أخلاق مطهّرة  
صبرٌ وشكرٌ وإيثارٌ ومخمّصةٌ  
والزهد في كلّّ فان لا بقاء له  
قوم لتصفية الأرواح قد عملوا  
ما ضرّهم ربّ أطمار ولا خلق  
لا بالتخلّق بالمعروف تعرفهم  
يا شقوتنا قد تولّت امّة سلفت  
ينمّقون تزاوير الغرور لنا  
ليس التّصوف عكازاً ومسبحةً  
وأن تروح و تغدو في مرّقة  
وتظهر الزهد في الدنيا أنت على  
الفقر سرّ وعكك النفس تحجبه  
وفارق الجنس وافر النفس في نفس  
واتلّ المثاني ووحيدان عزمت على  
واخضع له وتذلّ إذ دعيت له  
وقف على عرفات الذل منكسراً  
وادخل إلى خلوة الأفكار مبتكراً  
وإن سقاك مدير الرّاح من يده  
واشرب واسق ولا تبخل على ظمأ

أقول ما ذكره «قد» في مطلع التصيدة وذيلها هو الزهد الحقيقي وروح الفقر وحقيقة العرفان الذي حث عليه الرسول والأنبياء وندب إليه الحجج والأولياء ، ولأجله انزال الصحف والكتب من السماء

فان كان التصوف عبادة عن ذلك فنفسى للمتصوفين به الفداء وأجزل الله لهم الجزاء .

وإن كان عبارة عن النصنع والتكلف والرياء والتصلف والتطريب بالفضليات والاشعار والتسرنم بمخترعات الأذكار بخفيّتها وجليلها آناء الليل وأطراف النهار ، مثل النهيق والشهيق للمحمار فويل لمن حاله ذلك من النار ، ثم ويل له من سخط القهار .

ثم أقول : لله درّ الشهيد فأنه مع كونه من العلماء الأعيان والفقهاء الأركان انظر إلى غاية ارتفاعه في مراتب الذوق والعرفان ، وأخذه لقصب السبق في مضمار القريض والبيان ، و تدبّر في لطايف نظمه من بديع الاسلوب ومحاسن البلاغة وحسن الانسجام والرتقة والسلاسة والنظام ، و لعمرى أنه أرق وأروح من نسيم السحر ، وآخذ لقلوب العارفين من سحر السّاحر إذا سحر ، وأحلى عند أهل الذوق من الشهد والشكر .

و منهم الشيخ الامام و العلم العلام و قدوة علماء الاسلام الغائص في بحار المعالي و المعاني المشتهر بالشهيد الثاني زين الدين ابن علي بن أحمد بن محمد بن علي العاملي الشامي أفاض الله على تربته سجال رحمته ، وأسكنه في بحبوحة جنّته قال في محكي كلامه من شرح رسالته التي كتبها في علم دراية الحديث عند ذكر أصناف الواصفين «الواصفين ظ» للأحاديث الكاذبة :

وأعظمهم ضرراً من انتسب منهم إلى الزهد والصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنه وضعه حسبة لله وتقرّباً إليه ليجذب بها قلوب الناس إلى الله بالتّرهيب والتّرعيب ، فقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم ، و ركوا اليهم لظاهر جالهم بالصّلاح والزهد ، ويظهر لك ذلك من أحوال الناس التي وضعها هؤلاء في الوعظ



والزهد، وضمنوها أخبار أعينهم ونسبوا إليهم أفعالاً وأحوالاً خارقة للمعادة، وكرامات لم يتفق مثلها لأولى العزم من الرسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعاً وإن كانت كرامات الأولياء ممكنة في نفسها - إلى آخر ما يأتي نقله في شرح المختار الآتي إنشاءً لله تعالى، وفي آخر كلامه حسب ما يأتي تصريح بأن مراده بهذه الطائفة هو الصوفية .

**وقال** في كتاب منية المرید : عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا مررتم في رياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله و ما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر ، (١) فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفتوا بهم .

قال بعض العلماء : حلق الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف يشتري ويبيع ويصلى ويصوم وينكح ويطلق ، انتهى .

فانه صريح في الطعن على الصوفية القائلين بأن المراد بحلق الذكر مجالس الذكر الجلي لهم .

وقد صرح بذلك في البحار حيث قال : حلق الذكر المجالس التي يذكر فيها الله على قانون الشرع و يذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم و مجالس الوعظ الذي يذكر فيها وعده و وعيده ، لا المجالس المبتدعة المخترعة التي يعصى الله فيها ، فانها مجالس الغفلة لا حلق الذكر ، انتهى .

و العجب من المتصوفة الذهبية يزعمون أن الشهيد «قد» منهم ويزكرون في تأليفاتهم أنه من طبقاتهم قصداً بذلك رواج بدعاتهم و إن هذه النسبة إلا اختلاق وافتراء ، وأين الثرى من الثرياء ، وأعيان العلماء من الجاهلية الجهلاء ، و الظلام من الضياء ، وأى نسبة بين الزبد والسيل ، والنهار والليل ، والسهل والسهيل .  
و كيف يكون مثل الشهيد الذي عقت النساء أن يلدن مثل هذا الدرياليتيم

(١) قوله : حلق الذكر و هو بكسر الحاء و فتح اللام جمع حلقة كقصعة و قصح و هو الجماعة من الناس يستد يرون كحلقة الباب وغيره ، هكذا في النهاية ؛ وقال الجوهري : جمع الحلقة حلق بفتح الحاء ، منه .

الفريد المتقلب في فنون العلوم الدائر في أدوار الفروع والاصول ، و السائر في أطوار المعقول والمنقول ، الصاعد مصاعداً قابق ، والعارج معارج الحقايق ، الموزع أوقاته في اصلاح أمر المعاش والمعاد الموظيف نهاره في التصنيف والتأليف والتدريس والبحث والاجتهاد ، وليمه في الاحتطاب لقوت عياله والملاة والدعاء ومناجاة رب العباد ، من الصوفية الذين لا يعرفون من الشريعة إلا الاسم ، ومن الطريقة إلا الرسم ، وبين مذاق المجتهدين و الصوفيين بون بعيد بعد المشرقين .

فان مدار الأولين في مقام العلم على الاستدلال والاجتهاد والاستنباط ، والأخذ بظواهر المحكمات من الآيات والروايات ، وفي مقام العمل على العبادات الموظفين والأذكار المأثورات .

ومدار الآخرين في مقام العلم على دعوى الكشف والشهود والأخذ بالمشابهات في ترويح بضاعتهم المزجاة ، وفي مقام العمل على بدعات العادات والرياضات ، ومخترعات الأذكار والعبادات .

وبالجملة فالمدار على الحقيقة دون الاسم ، وعلى المعنى دون اللفظ .

فمن كان سالكا مسالك الشريعة آخذاً بحدودها وقوانينها المتقنة في الاصول والفروع ، مواظباً على الحلال و الجرام ، والتكاليف والأحكام ، فنعم الرجل هو .

ومن كان بخلاف ذلك فبئس الرجل ، فان كان المسمى بلفظ الصوفي والمراد به حينما يطلق هو الأول فلامشاحة في التسمية ، وإن أرادوا به الثاني فويل لمن حاله ذلك ، ثم ويل له من وقوعه في المهامى والمهالك .

و منهم عمدة العلماء المتقين ، ونخبة الأتقياء المرتقين محمد تقي بن مقصود علي المشتهر بالمجلسي الأول أفاض الله على روحه من شايب الرحمة ، قال في محكي كلامه من شرح الفقيه عند شرح مارواه الصدوق عن النبي ﷺ من قوله : بادروا إلى رياض الجنة قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكركر : قوله : حلق الذكركر ، أي المجامع التي يطلب فيها العلوم الدينية ، فان الحلق التي وصلت إلينا من طرق الأصحاب إلى النبي والأئمة صلوات الله عليهم هي

هذه أومجامع الوعظ كما روى عنهم عليهم السلام أنهم كانوا يعظون .

وأما التي اشتهرت من الاجتماع للذكر الجلي فلم يصل علينا عنهم صلوات الله عليهم وهذه بطرق العامة أشبه ، كما رواه الكليني في القوي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر ، فقال عز وجل : «يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً» إلى آخر ما أوردته رضى الله عنه فيه من الأحاديث الدالة على نفاقهم وفساد طريقةتهم ومناقضتها لطريقة أصحاب الأئمة صلوات الله عليهم ، واشوقاه إلى تلك الأشباح ، سلام الله على تلك الأرواح ، رحل اولئك السادة ، وبقي قرناء الوسادة ، انتهى كلامه رفع مقامه .

**اقول :** وهذا الرجل كان أفضل أهل عصره في فهم الحديث ، وأحرصهم على إحيائه ، وأعلمهم برجاله ، وأعلمهم بموجبه ، وأعدلهم في الدين ، وأقواهم في النفس ، وأجلهم في القدر ، وأزهدهم في الدنيا ، وأكملهم في التقوى ، وأوقفهم لدى الشبهات ، وأجهدهم في العبادات .

وقد كتب حاشية ناعفة على الفقيه وشرحاً جامعاً على الخطبة المائة والثانية والتسعين المسوقة لوصف حال المتقين ، بل قيل : إنه أول من نشر حديث الشيعة بعد انتهاء السلطنة إلى سلاطين الصّوفية .

و مع ذلك كله فالعجب أنه اشتهر بين الصّوفية نسبه إلى التصوف ، وربما ينسب إليه كتاب صغير مؤلف على مذاق المتصوفة ، وهو بعيد منه غاية البعد ، بل الظاهر أنه افتراء في حقه .

ويشهد بذلك ما قاله ابنه المحدث العلامة المجلسي الثاني قدس الله رمسه في آخر رسالة اعتقاداته ماصريح عبارته :

وايّاك أن تظن بالوالد العلامة نور الله ضريحه أنه كان من الصوفية ويعتقد مسالكهم ومذاهبهم ، حاشاه عن ذلك ، وكيف يكون كذلك ؟ وهو كان أنس أهل زمانه بأخبار أهل البيت ، وأعلمهم وأعلمهم بها ، بل كان مالك الزهد والورع ، وكان

في بدو أمره يتسمى باسم التصوف ليرغب اليه هذه الطائفة ولا يستوحشوا منه فيردعهم عن تلك الأفاويل الفاسدة والأعمال المبتدعة ، وقد هدى كثيراً منهم إلى الحق بهذه المجادلة الحسنة ، ولما رأى في آخر عمره أن تلك المصلحة قد ضاعت ورفعت أعلام الضلال والطغيان وغلبت أحزاب الشيطان وعلم أنهم أعداء الله صريحاً تبرؤ منهم ، وكان يكفرهم في عقايدهم الباطلة ، وأنا أعرف بطريقته وعندى خطوطه في ذلك ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وشهادة مثل العلامة المجلسي على براءة ساحة رجل أجنبي من دنس نسبة ردية كافية في تزكياته وطهارته ، فكيف في حق والده مع خبر ريته بسر . وعلايته ، فإن الولد سر أبيه ، وأهل البيت أدري بما فيه .

و منهم غواص بحار أنوار الأخبار ، ناشر مآثر الأتجار الأخيار ، مروج مذهب الشيعة في الأضغاع والأقطار ، محيي شريعة سيد المرسلين ، راغم أنوف المخالفين والمعتدين ، دامخ صولات أضاليل المبطلين ، وأباطيل المبدعين ، سيما الصوفية المبتدعين محمد باقر بن محمد تقي المتقدم الذكر المشهور بالعلامة المجلسي أفاض الله على روحه نور القدوسى .

فإنه قد بحث في تمانيه من مطاعن الصوفية ما هو فوق حد الإحصاء ، متجاوز عن طور الاستقصاء ولا بأس بالإشارة إلى بعضها ، فأقول :

منها ما ذكره في رسالة اعتقاداته تصريحاً وتلويحاً بل يفهم من ديباجتها أن أصل غرضه من وضع تلك الرسالة إبطال مذهب هذه الفئة الضالة حيث قال بعد حمد الله وثنائه والصلاة عن رسول الله وآله :

أمّا بعد فيقول المفتاق إلى ربه الغافراين محمد تقي محمد باقر أوتيا كتابهما يميناً وحوسبا حساباً يسيراً : إنه قد سألتني بعض من هداه الله إلى طلب مسالك الحق والرشد ، وأودع قلبه خوف المعاد أن ابين له ما هداني الله اليه من طريق النجاة في هذا الزمان الذي اشتبه على الناس الطرق ، وأظلم عليهم المسالك ، واستحوذ الشيطان على أوليائه فأوردتهم المهالك ، فنصب الشيطان وأحزابه من الجن والانس

على طريق السالكين فخوخهم ومصائبهم يمينا وشمالا ، ومشواهم على مثال الحق بدعة وضلالا ، فوجب على أن ابين لهم مناهج الحق والنجاة بأعلام نيرة ودلائل واضحة وإن كنت على وجل من فراعنة أهل البدع وطفاتهم .

فاعلموا يا اخواني أنني لا الوكم نصحا ولا أطوى عنكم كشحا في بيان ما ظهر لي من الحق وان ارغمت منه المرغام ، ولا أخاف في الله لومة لائم .

و ساق الكلام في فضل النبي وأهل بيته سلام الله عليهم و كونهم المقصودين من ايجاد عالم الوجود والمخصوصين بالشفاعة الكبرى والمقام المحمود وانهم وسائط الفيوضات النازلة والنعم الواصلة من الله سبحانه إلى عباده في هذه النشأة والنشأة الآخرة ، إلى أن ذكر وجوب متابعة النبي بنص قوله تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهايكم عنه فانتهوا» في اصول الدين وفروعه وأمور المعاش والمعاد

ثم ذكر أنه ﷺ أودع حكمه ومعارفه وأحكامه وآثاره وما نزل عليه من الآيات القرآنية والمعجزات الربانية في أهل بيته ، ثم إنهم تركوا بيننا أخبارهم فلميس لنا في هذا الزمان إلا التمسك بأخبارهم والتدبر في آثارهم ، فترك الناس في زماننا آثار أهل بيت نبيهم واستبدوا بأرائهم ، فمنهم من سلك مسلك الحكماء الذين ضلوا وأضلوا ولم يقرّوا بنبي ولم يؤمنوا بكتاب ، واعتدوا على عقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة فاتخذوهم أئمة وقادة ، ومعاذ الله أن يتكل الناس على عقولهم في اصول العقائد فينتحسرون في مراتع الحيوانات إلى أن قال :  
و طائفة من أهل دهرنا اتخذوا البدع دينا يعبدون الله به وسموه بالتصوف فاتخذوا الرهبانية عبادة مع أن النبي ﷺ قد نهى عنها وأمر بالتزويج ومعاشرة الخلق والحضور في الجماعات والاجتماع من المؤمنين في مجالسهم وهداية بعضهم بعضاً وتعلم أحكامها وتعليمها ، وعبادة المرضى وتشجيع الجنائز وزيارة المؤمنين والسعي في حوائجهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حدود الله ونشر

أحكامه ، و الرهبانية التي ابتدعوها تستلزم ترك جميع الفرائض والسنن  
 كتم أنفسهم في تلك الرهبانية أحدثوا عبادات مختصرة .

فمنها الذي ذكر النبي هو عمل خاص على هيئة خاصة لم يرد به نص ولا خبر  
 ولم يوجد في كتاب ولا أثر ، ومثل بدعة محرمة بلا شك ولا ريب قال رسول الله ﷺ  
 كل بدعة ضلالة وكل ضلالة إلى النار .

ومنما الذي ذكر الجلي الذي يتغننون فيه بالاشعار ويشهقون شهيق الحمار ،  
 يعبدون الله تعالى بالمكاه والتصدية ، ويزعمون أن ليس عبادة إلا هذين التذكريين  
 المبتدعين ، ويتركون جميع السنن والتوافل ويقنعون من الصلاة الفريضة بنقرة  
 كنقرة الغراب ولولا خوف العلماء لكانوا يتركونها رأساً .

ثم إنهم أمة لا يقنعون بالبدع ، بل يحرفون اصول الدين ويقولون بوحدة  
 الوجود ، والمعنى المشهور في هذا المسموع من مشايخهم كفر بالله العظيم ،  
 ويقولون بالجبر وسقوط العبادات وغيرها من الاصول الفاسدة السخيفة .

فاحذروا يا اخواني واحفظوا ايمانكم وأديانكم من وساوس هؤلاء الشياطين  
 و تسويلاتهم ، و اياكم أن تنخدعوا عن أطوارهم المتصفة التي تعلقت بقلوب  
 الجاهلين .

فها أنا ذا احترم مجمل ما تبين لي من الأخبار المتواترة من اصول المذهب  
 لثلاث تضلوا بخدعهم وغرورهم ، واتم حجة ربكم عليكم وأودى ما وصل إلي من  
 مواليكم إليكم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وأتلو عليكم  
 ما أردت ايراده في باين :

الباب الأول فيما يتعلق باصول العقائد ، و ساق الكلام فيه على اصول  
 المتشريعة ، وقال في تضاعيفه والقول بحلوله تعالى في غيره كما قال بعض الصوفية  
 والغلاة أو اتحاده مع غيره كما قاله بعض الصوفية كفر إلى أن قال :

الباب الثاني فيما يتعلق بكيفية العمل ، قد علمت يا خليلي ما أثبتناه  
 أولاً من لزوم متابعة أهل بيت العصمة سلام الله عليهم في أقوالهم وأفعالهم والتدبير

في أخبارهم وآثارهم .

فاعلم ان الخير كد الخير وجدنا في أخبارهم إذ مامن حكمة من الحكم الالهية إلا وهي فيها مصرحة مشروحة لمن أتاها بقلب سليم وعقل مستقيم ، لم يعوج عقله بسلك طريق الضلال ، ولم يأنس فهمه بأطوار أهل الزيغ والردى . وطريق الوصول إلى النجاة والفوز بالسعادات ظاهرة بينة فيها لمن رفع غشاوة الهوى عن بصره ، وتوسل إلى ربه في تصحيح نيته ، وقد قال الله تعالى : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» و محال أن يخلف الله وعده إذا أتى الله من الأبواب التي أمر الله أن يؤتي منها .

فالذي يجب أو لا للسالك إلى الله أن يصحح نيته ، لأن مدار الأعمال في قبولها وكمالها على مراتب النيات ولا يتأتى ذلك إلا بالتوسل التام بجنابه تعالى والاستعاذة من شر الشياطين وغلبة الأهواء إلى أن قال : فاذا توسل السالك بجنابه تعالى وصح نيته بقدر الجهد في بدو الأمر يطلب ما يعلم أن خير آخرته فيه ولا يبالي بأن يعده أهل الزمان وجهلة الدوران حشويا أو قشرياً أو زاهداً خشكاً أو ينسبونه إلى الجهل .

وإذا كان بهذه المنزلة يظهر له الحق عياناً فينبغي أن يبتغي بعد ذلك معلماً مستأنساً بكلام أهل البيت وأخبارهم مصدقة إليها لامن يؤول الأخبار بالآراء بل من صح عقايدته عن الأخبار ويشرع في طلب العلم ابتغاء وجه الله و طلب مرضاته ويتدبر في أخبار أهل البيت عليهم السلام ويكون مقصده التحصيل ، فلا العمل ينفع بدون العلم كما ورد عن الصادق عليه السلام أن العامل على غير بصيرة كالساير على غير الطريق لا يزيد سرعة السير إلا بعداً ، ولا العلم ينفع بدون العمل كما روى من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .

ثم ساق الكلام في المواظبة على العلم والعمل من الصلاة والأدعية المأثورات والمناجاة المعروفة بالانجيلية ودعاء كميل النخعي وغيرها و المحيفة الكاملة جملها بل كلها إلى أن قال :

ثم إن أعظم سعادات النفس الأُخلاق الحسنة الزكية من المصافاة والجود والسخاوة والاخلاص والمسكنة وغيرها من الأخلاق الحسنة التي استحسناها الشرع والعقل .

وأقوى مهلكات النفس الأخلاق الذميمة الرديئة من البخل والجبن والكبر والعجب والرياء والغضب والحقد وغيرها من الملكات الرديئة التي استجبها العقل والشرع ، فيجب على الانسان التخلّي عن الأخلاق السيئة والتحلّي بالأطوار المرضية .

وزعمت الصوفيّة أنّها يحصلان بترك المألوفات ، والاعتزال عن الخلق وارتكاب المشاق ، وملازمة الجوع المنهمك والسهر الدائم و سائر ما هو طورهم ودأبهم .

وإنّي وجدت من يقاس تلك الشدايد منهم تزيد أخلاقها الرديئة وتقل أخلاقها الحسنة إذ يغلب عليه السّوداء فلا يمكن لأحد أن يتكلّم معهم بكلمة لسوء خلقهم ويقوى تكبرهم وعجبهم بحيث يظنون أنّهم تجاوزوا عن درجة الأنبياء ويبغضون جميع الخلق ويستوحشون منهم وكذا سائر صفاتهم لكن لا يظهر ذلك للخلق لعدم معاشرتهم ومعاملتهم معهم .

ومنها ما قاله في ديباجة مرآت العقول في شرح أخبار آل الرّسول :

إنّي لمّا ألفت أهل دهرنا على آراء مشتتة وأهواء مختلفة قد طارت بهم الجهالات إلى أركانها ، وقاصت بهم الفتن في غمارها ، وجذبتهم الدواعي المتنوّعة إلى أقطارها وحيرتهم الضلالة في فيافيها وقفارها .

فمنهم من سمى جهالة أخذها من حثالة من أهل الكفر والضلالة لشرايع النبوّة و قواعد الرّسالة حكمة ، واتخذ من سبقه في تلك الحيرة والعمى أئمة يوالي من و الا هم ، ويعادى من عاداهم ، ويفدى بنفسه من اقتفى آثارهم ، ويبدل نفسه في إنكار من أنكر آراءهم وأفكارهم ، ويسعى بكلّ جهد في إخفاء أخبار الأئمة الهادية صلوات الله عليهم وإطفاء أنوارهم ، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو



كره المشركون .

ومنهم من يسلك مسلك أهل البدع والأهواء المنتهين إلى الفقر والعناء فليس لهم في دنياهم وآخرتهم إلا الشقاء والعناء ، فذبحهم الله عند أهل الأرض كما خذلهم عند أهل السماء ، فهم اتخذوا الطعن على أهل الشرايع والأديان بضاعتهم وجعلوا تحريف العقائد الحقّة وصرف النواميس الشرعية من سماتها بضم البدع إليها صناعتهم .

ومنهم من تحيّر في جهالته يخطفهم شياطين الجنّ والانس يميناً و شمالاً ، فهم في ريبهم يترددون عمياناً وضلالاً فيصر الله نفسي بحمده تعالى هداها فألهمها فجورها وتقويها ، فاخترت طريق الحقّ إلى آخر ما قال .

ومنها ما ذكره في أواخر كتاب عين الحياة الذي ألّفه بالفارسيّة في شرح قول رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه : يا باذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون أنّ لهم الفضل بذلك على غيرهم اولئك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض ، يا باذر ألا أخبرك بأهل الجنة ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : كلّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به (١) لو أقسم على الله لأبره قال (ره) ما ترجمته :

اعلم أنّ رسول الله ﷺ لما كان عالماً بالوحي الإلهي بجميع العلوم ، ومطلعاً بالأمور الغيبية فمدح الفقر والتواضع لعلمه بأنه يأتي بعده قوم من أهل البدعة والضلالة يلبسون هذا اللباس أي لباس الصوف مكرراً وتذويراً ليخدعون الناس فذكر ﷺ علامتهم وأنهم ملعونون لثلاث يغترب الناس بهم ، وهذه العلامة مخصوصة بالفرقة الضالة المبتدعة الصوفية .

وهذا الكلام من جملة معجزاته حيث أخبر بهم قبل وجودهم فلا ريب في حقيقة هذا الكلام المتضمن للعجاز فمن أنكره فعليه لعنة الله تعالى ورسوله .

وليس منشاء استحقاقهم للعن هولبس الصوف بل لما كان يعلم ﷺ بالوحي

الالهى أن هذه الفرقة يبطلون شرعه و يهدمون أساس دينه و يعتقدون في العقائد بالكفر والزندقة و يتركون في مقام العمل الوظائف الشرعية و يعملون البدعات و المخترعات و يصرفون الناس عن العبادات ، لعنهم لذلك و وصفهم بعلامتهم ليعرفهم الناس و يحذروا منهم .

فاكشف أيها العزيز عصابة العصبية من عينك ، وانظر بنظر الانصاف والاعتبار إلى كلامه عليه السلام فإنه كاف في ظهور بطلان مذهب هذه الطائفة فضلاً عن الأحاديث الكثيرة الواردة تصريحاً و تلويحاً في بطلان أطوارهم و أعمالهم ، و ذمّ مشايخهم و أكابرهم .

وقد ذمّهم أكثر علماء الشيعة من المتقدمين منهم و المتأخرين و صنّف بعضهم كتاباً في الردّ عليهم .

مثل عليّ بن بابويه «قد» الذي كان بينه وبين صاحب الأمر عليه السلام مكاتبات ، وولده الصدوق محمد بن بابويه رئيس المحدثين الذي كانت ولادته ببركة دعاء صاحب الأمر عليه السلام وهذا الدعاء متضمّن لمدحه أيضاً .

ومثل شيخ المفيد عماد مذهب الشيعة الذي كان أكثر الفضلاء و المحدثين من تلامذته و خرج التوقيع من صاحب الأمر صلوات الله عليه وهذا التوقيع أيضاً متضمّن لمدحه .

ومثل الشيخ الطوسي «قد» الذي هو شيخ الطائفة المحققة و أكثر أحاديث الشيعة إليه منسوبة .

ومثل العلامة الحلبي «قد» المشهور علماً و فضلاً في الآفاق .

ومثل الشيخ الشهيد ، و الشيخ على في كتاب مطاعن المجرميّة ، و ابنه الشيخ حسن في كتاب عمدة المقام ، و الشيخ العالمي القدر جعفر بن محمد الدورستي في كتاب الاعتقاد ، و ابن حمزة في كتب عديدة ، و السيد مرتضى الرازي في كتب متعدّدة ، و زبدة العلماء و المتورّعين مولينا المقدّس أحمد الأردبيلي قدّس الله أرواحهم و شكر الله مساعيهم و غيرهم من علماء الشيعة رضوان الله عليهم

ونقل كلام هؤلاء الأفاضل والأعيان وما أوردوه من الأخبار في ذلك الباب موجب لتطويل المقال ، وأكتب إن شاء الله كتاباً مستقلاً في ذلك .

فان كنت معتقداً بيوم الدين فأعد حجبتك لعدك حتى يكون لك جواب صحيح وعذر مقبول إذا احتج الله سبحانه وتعالى عليك .

وما أدرى بعد ورود الأخبار الصحيحة الصريحة من أهل بيت الرسالة ﷺ وشهادة هؤلاء الأعاظم والأجلة من علماء الشيعة على بطلان طريقة هذه الطائفة بأى عذر تعتذر عند الله سبحانه في متابعتهم .

أفتقول : كنت تابعاً للحسن البصرى الذى قد وردت أحاديث عديدة في لعنه ؟ أوتابعاً لسفيان الثورى المعلمن بعداوة الصادق ﷺ و المعارض له دائماً ؟ أوتابعاً لأبى حامد الغزالي الناصب يقيناً الذى كان يقول في كتبه بالمعنى الذى كان على إماماً أنا أيضاً إمام ؟ ويقول : اللا عن على يزيد لعنه الله مذنب ، و كتب كتباً في اللعن والرد على الشيعة مثل كتاب المنقذ من الضلال وغيره . أوتابعاً لأخيه الملعون أحمد الغزالي الذى كان يقول : إن الشيطان من أكابر أولياء الله ؟

أومتشغفاً بالملا الرضى الذى يقول : إن أمير المؤمنين يشفع لابن ملجم المرادى عليه اللعنة والعذاب ويدخله الجنة و كان ﷺ يقول له : لم يكن لك ذنب و إنما كان المقدر ذلك و كنت مجبوراً في هذا العمل يعنى قتله ﷺ ، وليست صفحة من صفحات المشنوى إلا مشعرة بالجبر أو وحدة الوجود أو سقوط العبادات أو غيرهما من العقائد الفاسدة ، وكما هو المشهور بين أتباعه وتلقوه منه بالقبول : أن الدف والطنبور والمزمار من جملة العبادات .

أو كنت ملتجئاً بمحبى الدين الملعون الذى سمعت سابقاً خرافاته وفضايعه وكان يقول : إن جماعة من أولياء الله يرون الرضىة على صورة الخنزير ، ويقول : رأيت فى المعراج درجة على أسفل من درجة أبى بكر وعمر وعثمان ، ورأيت أبابكر فى العرش ، فلما رجعت قلت لعلى كيف كنت تدعى فى الدنيا أنك أفضل من

هؤلا، وقد رايتُ أنّك أسفل درجة منهم؟ وهذا الملعون وغيره كم لهم من هذه الكلمات الزيفة ذكرها موجب للطناب، فلو خدعت من دعاويهم العظيمة فلم لانفكر في أن منشأتها لعلّه حبّ الدنيا الدنيّة .

وإن شئت اختبار من ادّعى أنّه يعلم جميع الأسرار الغيبية بالكشف و أنّه يعرج كل ليلة عشر مرات إلى العرش فاسأل عنه مسألة من شكوك الصلاة أو من المواريث أو حديثاً مشكلاً من الأحاديث فان كان صادقا فيما ادّعاه فيجيبك عن هذه المسائل أيضاً .

وقد روى عن الصادق عليه السلام بسند صحيح أنّه قال : علامة الكذاب أنّه يخبرك بأخبار السماء والأرض والمشرق والمغرب، ولئن سألته عن الحلال والحرام لا يعلم .

والعجب أنّ هذا الرجل الذي يدّعى أنّه يعرف وحدة الوجود على غموضها مع قصور عقول جميع الفضلاء الأذكياء، من فهمها كيف لا يعرف معنى سهلاً ولولقن عليه خمسين مرّة، وكيف لا يفهم اولوا الأفهام الثاقبة ما ادّعى ذلك الرجل فهمه . وأيضاً فانهم مع اعترافهم باجتماع الكشف مع الكفر كما في كفتار الهند فعلي فرض صحّة ما ادّعوه من الكشف وأنّ له حقيقة فأى منقبة في هذا الكشف وأى دلالة فيه على فضل صاحبه وكماله .

ولما كان مجال الكلام في هذا المرام واسعاً اقتصرت في هذا المقام على ذلك و اوردت في أوّل الكتاب وفي مواضع عديدة منه ما فيه كفاية لطالب الهداية . ثمّ ختم المقام «قد» بذكر أحاديث متضمنة للطعن والازراء عليهم وسنشير إلى بعضها إنشاء الله في المقام الآتي فانتظر .

وذكر قدس الله روحه أيضاً في هذا الكتاب في شرح قوله عليه السلام : يا باذر جعل الله جل ثناؤه قرّة عيني في الصلاة آه لمعات عشر متضمنة للطعن واللام على هذه الطائفة، وقال في اللمعة العاشرة المتضمنة لبيان معنى الذكر بعد جملة من الكلام ما ترجمته :

واعلم أنه قد شاع بين الصوفية نوعان من الذكرو كلاهما بدعة وهم يزعمون أنهما من أفضل العبادات ويصرفون أوقاتهم فيهما ويضلون الناس بالمداومة عليهما  
الاول الذكرو الجلي وهو مشتمل على امور .

الأول لأن هذا النوع من العبادة لم يتلق من الشارع بل الأدلة من الآيات والأخبار في كيفية الذكرو الجلي قائمة على خلافه قال سبحانه : «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين» وقال : «واذ كر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين» ونقل جملة من الأخبار ثم قال :

الثاني أنهم يتغنون فيه ويترنمون في خلاله بالأشعار والغزليات العشقية بالنعمة الموسيقية وهو حرام باجماعنا فضلا عن أعمالهم الشنيعة التي يظهرونها في أثناء الذكرو من التصفيق والرقص ونحوهما ، وقد ذم الله كفار المشركين على ذلك .

الثالث أنهم يأتون بذلك في المساجد مع أن إنشاد الأشعار في المساجد مذموم شرعا وقد روى بسند معتبر عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : من سمعتموه ينشد الشعر في المساجد فقولوا له فض الله فاك إنما نصبت المساجد للقرآن وقد ورد النهي أيضاً من رفع الصوت فيها وهم يعملون غالب تلك الأعمال في ليلة الجمعة ويومها مع أن إنشاد الشعر فيهما مكروهة .

ولوقيل لهم : إن هذه الأعمال تشريع وبدعة يقولون : يحصل لنا منها قرب معنوي ويسمونه بالحال ، وساق الكلام فيه إلى أن قال :

ولا دليل أعظم وأحكم على كون ذلك كله بدعة أنه لم ينقل أحد من الشيعة والسني والصوفي وغير الصوفي أن رسول الله ﷺ أو أصحابه أو رواة أخبارهم وعلماء ملتهم كان لهم مطرب يطربهم ويترنم لهم أو كان لهم حلق الذكرو كرقدها ، أو أمروا أصحابهم بعقدها ، ولو كانت هذه عبادة لها وقع فلم لهم يأمر وأصحابهم بها .

نعم البدعات أحلى والذِّ والعبادات ثقيلة على النفس .

ألأتري أنه لو قال لهم خمسون من العلماء العدول: إنّه قد تواتر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من صلى ليلة الجمعة صلاة جعفر غفر الله له ذنوبه مضافاً إلى ما فيها من الفضائل الغير المتناهية لم يرغب إليها واحد من عشرة آلاف من الناس؟  
وأما إذا مرّ وابقعة اجتمع فيها جماعة من الأجلاف ويصيحون ياربني ياربني، فيدخلون في حلقتهم بتمام الميل والرغبة ويشبون وثوبهم من أول الليل إلى الصباح . فهلا تفكّر في أنّه أيّ يوم كانت لك هذه الرغبة والاقبال على الخيرات؟ ولم لاتهتمّ بساير الخيرات مثل اهتمامك بها؟

فعليك بالانصاف إذا كان قد ورد من أهل بيت النبوة عليهم السلام زهاء ألف حديث في أعمال ليلة الجمعة ويومها وعلّموك فيها الوفا من طرق العبودية والقربى فلا تعباً بشيء منها أصلا بل تصرف تمام تلك الليلة و اليوم في عمل يحكمون جميع علماء زمانك بحرمته مضافاً إلى اعترافك بأنّه لم يرد به نصّ .

فأيّ عذرك في ذلك عند الله تعالى؟ وبأيّ جهة ترجو الثواب من الله؟ وأنت إذا أردت تعقيب صلاة مندوب شرعاً تضمّ إليه بدعات عديدة أبهذا تستحقّ الثواب أم بترك الأوراد والأذكار والأدعيات والمناجاة المأثورة من أهل بيت الرّسالة سلام الله عليهم البالغة إلى مائة ألف بيت؟ و باقبالك على قراءة الأوراد الفتحية التي جمعها جماعة من أهل السنة على معان غير مرتبة وألفاظ مغلوطه خالية من قواعد الأدبيّة .

أفهلوا الجهل من العامّة العمياء كانوا أعرف بمناجاة الرّب المتعال وذكره من قادة الدّين وأصفياء ربّ العالمين وأفصح فصحاء أهل الأرضين . ؟  
وقد كان الأنبياء والرّسل يتمنّون متابعتهم والدخول في زمرة شيعتهم وأنت تستنكف عن اتباعهم وتقبل على تلك الأذكار المخترعة وتترنّم بقراءتها، وتضيف معصية الغناء إلى معصية البدعة .

وقد روى أنّه جاء رجل إلى الصادق عليه السلام فقال له: اخترعت دعاء، فقال عليه السلام

دع ما اخترعت واقره ما نقول.

**الثاني الذّكر الخفي** ، وهو بالمعنى الذي قدّمناه سابقاً من أفضل العبادات ، و هو أن يكون متذكراً لله سبحانه دائماً في مقام المصيبة فيصبر عنها ، و في مقام الطاعة فيقوى على مشاقها ، و في مقام المعصية فيكف نفسه عنها .  
و أمّا بالوجه الذي اخترعه هذه الطائفة على هيئة مخصوصة فمما لم يثبت له سند صحيح من الشارح ، فالإتيان بهذه الهيئة بقصد العبادة بدعة محرمة كما علمت في تعريف البدعة ، ولم يرد تلك الهيئة في حديث من أحاديث الشيعة بل لم أجده في كتب أخبار العامة أيضاً .

و هؤلاء يقولون : رواه المعروف الكرخي عن الرضا عليه السلام ، و هو باطل من وجوه :

الأول أنه لم يثبت وصول المعروف الكرخي إلى خدمة الرضا عليه السلام و ما يقولون من أنه كان بوأبائه عليهم السلام غلط البتة لضبط أصحابنا علماء الرجال في كتبهم جميع خدامه عليهم السلام و ملازمي حضرته شيعياً كان أم سنياً حتى ذكروا في تلك الكتب المترددين إلى حضرته من متعصبي العامة الذين رووا عنه الحديث، فلو كان هذا الرجل بوأبائه له لنقلوه البتة.

الثاني أن داود الطائي قد ذكر في تذكراته مشايخ طريقته ، و المعلوم من أحواله أنه كان من متعصبي العامة ولم يكن له أصلاً توسل بالأئمة عليهم السلام.

الثالث أن السنن الذي سندهم باعتمادهم إليه فيه جماعة لا يعجبني ذكر قبائح اعتقاداتهم و أعمالهم ، مثل السيد محمد نوربخش و هو كما في الكتب الصوفية قال : إنني المهدي صاحب الزمان ، و قال : اتفق أولوالألباب على ذلك ، و كغيره ممن هو معروف بالعصبية والبدعة.

الرابع أنا قد سمعنا من مشايخهم أن الذّكر الخفي أنواع مختلفة أخذها أهل كل طريقة بنحو مخصوص من مشايخهم يغيرونها ما أخذها أهل الطريقة الأخرى من شيخهم ، فلو كانت صحيحة النقل عن الأئمة عليهم السلام لكان المنقول واحداً لا متعدد دأ.

الخامس أنه إذا كان هذه الأذكار من أفضل العبادات على ما يزعمون ويقولون إنه يحصل بها مزيد قرب ليس في الصلاة فكيف يمكن أن يضن بها الأئمة عليهم السلام ويخصون المعروف الكرخي فقط بها ولا يعلمونها لغيره؟  
فان قلت: غيره لم يكن قابلاً بذلك وإنما كان المعروف بين جميع أصحاب الرضا عليه السلام قابلاً لذلك المقام لعلو درجته .

قلت: إذا كان كذلك فلم تعلمونها أنتم كل بليد أحمق؟

السادس لو كان معروف قابلاً لهذا السر ولم يكن سلمان ولا أبوذر رضى الله عنهما قابلين له ، لزم أن يرد من الأحاديث الكثيرة البالغة إلى خمسمائة بل إلى ألف حديث وارد في شأن سلمان وأبي ذر حديث أو حديثان في شأن ذلك الرجل ، ولزم أن يعده واحد من العلماء من خواص أصحاب الرضا عليه السلام وليس فليس .

السابع أنه على فرض تسليم وروده فهو حديث مجهول ، وليس وظيفة الحزم والاحتياط في الدين أن يرفع اليد من الأعمال المتواترة الثبوت من الأئمة عليهم السلام ويواظب على عمل رواد رجال مجهولة الحال فنقتصر في المقام على ذلك لأن التطويل موجب للملال . انتهى ما أهمتنا نقله من كلامه زاد الله في إكرامه  
وقد ذكر في أوائل الكتاب المذكور أيضاً فصلاً وافياً في هذا الباب طويلاً عن نقله حذراً من الاطناب ، وفيما نقلناه كفاية لمن اهتدى وابتغى الرشاد والصواب، ثبتنا الله وإياكم على الصلاح والسادد ، في القول والاعتقاد بمحمد وآله الأئمة .

ومنهجهم وحيد العصر في الزهد والورع والأمانة ، وفريد الدهر في الفضل والتقدس والديانة ، صاحب الملكات القدسية والصفات الملكية ، ومظهر المقامات الزاهرة والكرامات الباهرة، الواصل إلى حضرة ولي الرحمن سيد الانس والجان إمام العصر والزمان سلام الله عليه وعلى آبائه ، العالم العلم الفقيه المتكلم الأوحد مولينا أحمد بن محمد المعروف بالمقدس الأردبيلي أفاض الله على تربته أنوار رحمته فقد ذكر فصلاً مفصلاً في المجلد الثاني من كتاب حديقة الشيعة عند ذكر أحوال



الصادق عليه السلام في مطاعن الصوفية و شرح أحوالهم و تفصيل فرقهم المختلفة من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه ، ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما أورده «قد» هناك بغاية تلخيص و اختصار مني فأقول :

إنه ذكر أن أصل مذهب الصوفية من مخترعات العامة و إن أول من تسمى بهذا الاسم أي بالصوفي هو أبوهاشم الكوفي ، من أجل لبسه بالصوف و كان قائلاً بالحلول والاتحاد مثل النصارى لكن النصارى قالوا بالحلول في عيسى عليه السلام و هذا الملعون ادعى الحلول في حق نفسه ، و كان في الظاهر أمويًا جبريًا و في الباطن ملحداً دهرياً و كان غرضه من وضع هذا المذهب هدم مذهب الاسلام و قد ورد من الأئمة عليهم السلام أحاديث عديدة في الطعن عليه فنسب إليه التآبعون له و قيل لهم صوفية

ثم ساق الكلام في سائر اسمائهم حسبما حكينا عنه «ره» في المقام الثاني إلى أن قال :

و أكثر هذه الطائفة في الظاهر على مذهب أحمد بن حنبل و مالك يعملون في الفروع بعملهم ، و كان الشبلي مالكيًا و ذوالنون تلميذاً لمالك و كثير منهم في الباطن كافر ملحداً إلى أن قال :

و قد ورد من الأئمة عليهم السلام أحاديث كثيرة في الرد على هذه الطائفة المبتدعة . و أكثرها من الصادق عليه السلام ، و قد ورد اللعن عليهم في أخبار كثيرة مروية عن الأئمة عليهم السلام بل عن الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً ، و قد أخبروا بأن الله سبحانه يلعنهم و الملائكة أيضاً يلعنون

ثم نقل بعض الأخبار ثم عقد باباً في بيان مذاهبهم و قال فيه :

اعلم أن مذاهب الصوفية كثيرة فقليل : إن أصل تلك المذاهب أربعة و الباقية متفرعة عليها أول تلك الأربعة مذهب الحلوية والثاني مذهب الاتحادية والثالث مذهب الواسلية والرابع مذهب العشاقية .

وقيل : إنّ اصول مذهبهم ستّة و أضافوا إلى الأربعة التلقية والزراقية  
وقيل : سبعة و أضافوا إليها الوحدانية المأخوذة من القول بوحدة الوجود  
ثمّ قال :

و الحقّ أنّ أصل مذهبهم اثنان : القول بالحلول ، و القول بالاتّحاد ،  
و البواقي متفرّعة عليهما فالكلام في فصلين الفصل الأوّل في بيان المذهبين .  
الأوّل في مذهب الحلوليّة ، فانّهم يقولون : إنّ الله سبحانه قد حلّ فينا  
و حلّ أيضاً في أبدان جميع العارفين ، و بطلان مذهبهم ظاهر لأنّ كلّ عاقل يعلم  
علماً قطعياً بأنّ الحال محتاج إلى المحلّ ، و الضّرورة قاضية بأنّ كلّ محتاج  
ممكّن فلو كان سبحانه حالاً في غيره لزم أن يكون ممكناً لا واجباً نعوذ بالله من  
هذا الاعتقاد .

الثاني مذهب الاتّحادية ، وهم يقولون : إنّنا قد اتّحدنا مع الله سبحانه و كذا  
اتّحد الله تعالى بنا ، و العقل أيضاً قاض ببطلان هذا المذهب ، وهم يشبهون الله  
سبحانه بالنّار و أنفسهم بالحدييدة المحمّاة بملاقاة النّار .

و هذا محض الكفر و الزّندقة إذ من له أدنى مسكة من العقل يعلم قطعاً  
أنّ تبدل طبيعة ممكّن بممكّن آخر أو صورته بصورته لا يستلزم تبدل الوجوب  
بالامكان و الامكان بالوجوب و كون الواجب ممكناً و الممكن واجباً ، و كيف يقاس  
الواجب بالممكن و الممكن بالواجب ؟ و صاحب هذا الاعتقاد كالمعتقد بالحلول كافر  
خارج من الدّين ، ملحد زنديق لعين ، و على اعتقاد كلّتا الطائفتين يلزم تعدّد  
الاله و تكثّره ، لجواز أن يكون في كلّ عصر ألف عارف و زيادة .

و قال صاحب كتاب بيان الأديان : إنّ القول بالحلول و الاتّحاد بعد  
الجرمانية من الصّائبة قد نشأ من النصارى فأخذهم منهم غلاة الشيعة يعنى الذين  
يقولون في الأئمة الاثني عشر بالالوهيّة ، و غلاة أهل السنة يعنى الصوفية الذين  
يقولون في مشايخهم بالالوهيّة ، و ليس مذهب من المذاهب أقرب إلى مذهب  
النصارى من هذين المذهبين ، انتهى كلام صاحب بيان الأديان .

و اعلم أن متقدمي الصوفية كأبي يزيد البسطامي وحسين بن منصور الحلاج كانوا على أحد هذين المذهبين ، ولا عقادهم هذا الاعتقاد الفاسد يعنى الغلوّ عدّهم أكثر علماء الشيعة كالنفيد و ابن قولويه و ابن بابويه قدس سرّهم من الغلاة ، سواء قالوا بالحلول أو بالاتحاد ، وهم غلاة النواصب و أكثر طوايف الغلاة .

و تجاوز بعض متأخري الاتحادية كمحيي الدين الأعرابي و الشيخ عزيز النسفي و عبدالرزاق الكاشي عن الحدّ في الكفر و الالحاد ، و قالوا بوحدة الوجود و أن كلّ موجود هو الله ، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علواً كبيراً .  
و علة تمادى هذه الطائفة في الكفر و الطغيان أنّهم لمّا طالعوا كتب الفلاسفة و اطلعوا على قول أفلاطن القبطي و أتباعه فاختاروا بغاية الضلال مقالهم ، و كيلا يتفطن أحد بأنّهم لصوص مقالات الفلاسفة و اعتقاداتهم الفاضحة الفاسدة غير و الباس ما قالوا ، و لبسوه بلباس آخر و سموه بوحدة الوجود ، و لمّا سئلوا عن معنى هذه الكلمة قالوا تلبسوا و خديعة إنّ هذا المعنى لا يمكن الافصاح عنه بالبيان ، و لا يحوم حوم تقريره اللسان ، و إنّما يدرك بالرياضات و المجاهدات الكاملة و خدمة الكملين من مشايخ الطريقة ، فحسروا بذلك الحمقاء ، من الناس ، و ضيع السفهاء منهم أوقاتهم في فهمه و تأويله ، أو لو اهذا الكفر العظيم بتأويلات مختلفة .

ثمّ أشار إلى ساير سرقات الصوفية من مزخرفات الفلاسفة إلى أن قال :  
وأمّا ما قاله افلاطن القبطي و متابعوه و تصرف فيه هذه الطائفة و سموه بوحدة الوجود ، فهو أنّهم قالوا إنّ العلة الأوّل خلق الخلق من نفسه فكلّ موجود خالق و مخلوق خذلهم الله تعالى .

الفصل الثاني في ذكر بعض فروع مذهبي الصوفية يعنى مذهب الحلول و مذهب الاتحاد و بيان قليل من عقايدهم .

فاعلم أنّ فروع المذهبين كثيرة فلنقتصر بذكر قليل من عقايد فرقهم البالغة إلى إحدى وعشرين ، ثمّ ساق الكلام فيها .

أقول : و لاجابة بنا إلى نقل تمام مقاله فيها و إنّما ينبغي نقل ما ذكره «قد» في

عقائد الفرق الخمس التي تقدمت إليه الإشارة .

الفرقة الاولى الوحدية .

وهم قالوا بوحدة الوجود واعتقادهم أن كل إنسان بل كل شيء هو الله تعالى شأنه كما اشيراليه ، وهم أشد كفراً وأعظم خزيأ من نمرود وشداد وفرعون لاعتمادهم بالهية جميع الأشياء الغير الطاهرة فضلاً عن غيرها ، فلوسميت تلك الفرقة بالكثرتية كان أبلغ لمبالغتهم في كثرة الاله بحيث لا يبقى شيء مما سوى الله تعالى إلا ويقولون إنه الله وان زعموا أن الجميع واحد .

وقد ذكر محيي الدين في كتبه من ذلك كثيراً لاسيما في الفصوص فقال في الفص اللقماني منه : إن الاختلاف بيننا وبين الأشاعرة في العبارة ، وقال في الفصوص : إن الله لطيف فمن لطافته ولطفه أنه في الشيء المسمى بكذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطوء والاصطلاح فيقال هذا سماء وهذا أرض وصخرة وشجرة وحيوان وملك ورزق وطعام والحال أن العين واحدة من كل شيء كما تقول الأشاعرة إن العالم كله منماثل بالجواهر فهو جواهر واحد فهو عين قولنا العين واحدة ، ثم قالت أي الأشاعرة ويختلف بالأعراض وهو قولنا ويختلف ويكثر بالصور والنسب ، انتهى .

وقال في الفص الموسوي : إن فرعون عين الحق قد ظهر بهذه الصورة وصريح عبارته هكذا : فصح قوله أنا ربكم الأعلى وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون ، وقد عرف العطار في كتاب الجواهر الذات وقال أنت أيضاً قل مثل أنا الحق وادعى صريحا الالهية في الكتاب المذكور .

وقال محيي الدين في أول الفتوحات : سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها ، وطعن عليه علاء الدولة السمناني وهو من مشايخ هذه الطائفة بهذا القول .

أقول : أراد «قد» به ما كتبه علاء الدولة في حاشية الفتوحات في قوله سبحان من أظهر ما لفظه : أن الله لا يستحي من الحق أيها الشيخ لو سمعت من أحد أنه يقول : فضلة الشيخ هو عين وجود الشيخ لاتسامحه البتة بل تعصب عليه فكيف يسوغ لك أن تنسب هذا الهديان إلى الملك الديان ؟ تب إلى الله توبة نصوحاً لتنجو من هذه

الورطة الوعرة التي يستنكف منها الدهريون والطبيعيون واليونانيون، والسلام على من اتبع الهدى، انتهى .

قال ر : واستحسن محيي الدين والشيخ عزيز النسفي وعبدالرزاق الكاشي والطار وملا الرمي وجمع كثير من متأخري الصوفية وصرّحوا به في كلامهم نظماً ونثراً ؛ وقد شبه هؤلاء الحق سبحانه وتعالى بالبحر والخلق بأما وجه ويقولون : إن موج البحر عين البحر ، وهم يحبون كل من ادعى الألوهية كناية كالقائلين بالحلول والاتحاد ووحدّة الوجود ، أو صراحتاً كفرعون وشداد ونمرود ، وما أدري من الذي اشتبه من متأخري الشيعة في حق هؤلاء حتى اعتقد فيهم الخير والصلاح فقلده غيره من متصوفي الشيعة ؟

نعم اعلم أن متقدمي علماء الامامية قد زموهم كثيراً وألفوا كتباً في مطاعنهم ورووا أحاديث كثيرة من الأئمة عليهم السلام في كفرهم والحادهم وبطلان مذهبهم والرد عليهم مع أنه لم يكن في زمانهم قائل بوحدّة الوجود أصلاً .

والماعقل المنصف إن راجع الكافي ولاحظ فيه باب دخول الصوفية على أبي عبد الله عليه السلام واحتجاجهم عليه يعرف البتة أن هذه الطائفة من المخالفين .

وإن لاحظ كتاب الاعتقادات للصدوق وقوله : إن تدينهم بترك الصلاة وجميع الفرائض ، ولاحظ قول المفيد دينهم ترك الفرائض والمستحبات وارتكاب المناهي والمحرمات ، يعلم أنهم من الزنادقة والملحدون .

والدليل على أنهم من المخالفين وجوه كثيرة .

الأول أن علماء الشيعة التذنين صنّفوا الكتب في بيان الفرق الاسلاميّة عدّوهم من المخالفين .

و الثاني أن قدماء علماء الشيعة لم يوجد من أحدهم تصنيف في التصوف ، بخلاف قدماء علماء العامة فان لهم فيه تصانيف كثيرة إلى غير ذلك من الوجوه .

ومع الغضب عنها نقول : إن المعمومين عليهم السلام لما حكموا ببطلان مذهبهم كما يعلم ذلك بالرجوع إلى رواياتهم المروية في كتب الثقات ، لزم أن يتبرّأ

الشيعة من هذا القوم الزائغين عن الحق ويتجنب من عقايدهم .  
 فان قال قائل : اني ماعثرت بعد على تلك الكتب وتلك الأخبار .  
 فالجواب ان شرط الاحتياط في الدين ووظيفة العبودية والتقوى هو التوقف  
 في محبة تلك الطائفة والتسمية باسمهم والامساك عن تأويل كلماتهم الكفرية حتى  
 يظهر له الأمر الواضح .

و الظاهر أن جمعاً من غفلة الشيعة لمأ رأوا مدح أمير المؤمنين عليه السلام في  
 كلامهم انخدعوا من أجل ذلك ولم يعلموا أن مذهبهم لو لم يكن الالحاد والجبور .  
 ولازم القول به استحسان كلشي وإظهارهم لمحبتته عليه السلام ومدحهم له من جهة أنه  
 لما قال : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وأدلة هؤلاء الملاحدة على وفق مدعاهم  
 كما قال محيي الدين في الفص الشيعي : من عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف  
 ربه فانه على صورته خلقه بل هو عين هويته وحقيقته فأحبوه عليه السلام لذلك وأكثروا  
 من مدحه

وربما يكون مدحهم من أجل تغنين الشيعة وقد ورد في الحديث أن لا تغتروا ولا تغتروا ظه  
 بمدحهم كما هو ظاهر لمن تتبع الأخبار ، ولم يعلم الغافلون المغترون «المفترون» أن  
 شرايط محبتته عليه السلام كثيرة وليس طائفة من النصارى واليهود وسائر أهل الملل الباطلة إلا  
 ولهم مع فساد مذهبهم كلمات حسنة ، ولم يفهموا أن هذه الطائفة الضالة لهم مع  
 الطائفة المحقة مخالفة كثيرة في الاصول الخمسة كما هو غير خفي على المنصف البعيد  
 عن الهوى والعصية .

ولو فرضنا اعتقادهم بأن أمير المؤمنين عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل  
 وأنه امام مفترض الطاعة ، ولكن قولهم بالهيئة الحسين بن منصور الحلاج الساحر  
 الكافر ، بل الهيئة جميع الموجودات له كمان المنافاة والمباينة بالايمان والاسلام .  
 أيضاً فانهم لمأ كانوا أهل مكرو وخديعة يخدعون الناس عن أديانهم وتقرب  
 جمع منهم إلى كل طائفة باظهار ماهوى تلك الطائفة فيه ، كما أن الحلاج قبل  
 الاقتضاح كان يتقرب إلى أهل السنة باظهار السننية ، وإلى الشيعة باظهار النياية من

صاحب الزمان عليه صلوات الله الملك المنان ، و إلى السفهاء من الناس بادعاء  
الالوهية ، و سمى بعض المفتونين به بأسماء الأنبياء و فرقهم في البلدان يدعون  
الناس إلى عبوديته إلى أن قال :

ومن جملة مطاعنهم تأويلهم للأخبار و الآيات مثل الملاحدة على مذاهبهم  
الباطلة و قولهم بالجبر والتشبيه والتجسيم والرؤية و الصورة .

ومن جملة مطاعنهم دعويهم علم الغيب و تسميتهم له بالكشف ، وتمادى بعضهم  
و نسب العلم به إلى براهمة الهند أيضاً إلى أن قال :

وينبغي أن يعلم أن هذه الملاحدة والمعتدين بهم كما ورد في الحديث ثلاث  
طوائف: الضالون ، والخادعون ، والغافلون ، وفي رواية بدل الغافلون: الأحمقون ،  
وفي رواية أخرى بدله : الجاهلون .

وذلك لأن من كان عارفاً بعقائدهم الباطلة و كان مع ذلك معتقداً أيضاً بعقيدتهم  
فهو ضال كافر بالأدلة العقلية والنقلية ، ومن كان عارفاً ببطلان عقائدهم غير معتقد  
به باطناً إلا أنه يتجاهل ظاهراً و يتسمى بسمتهم صورة ويسلك مسلكتهم تزويراً  
فهو الخادع المحتال ، و غرضه أن يخدع السفهاء والجهال فيخدعوا به و يكونوا  
مريداً لهم ، ومن سلك مسلكتهم و أخذ بطريقتهم و مال إليهم سفهاً و حمقاً و غفلة  
وجهالة فهو الجاهل الأحمق الغافل

فغير العارف ببطلان عقائدهم والمعترف بحقيقة مذهبهم وقع بسبب جهالته في  
الضلالة ، فلو ادعى مع وجود هذا الجهل للعلم كان جاهلاً مريباً في مناه  
الضلال ، وربما يقترب به العوام ويزيغ عن طريق الحق و يتيه في وادي الخذلان .

والعارف بسوء اعتقادهم ، والمعتقد على بطلان مذهبهم ، والمطلع على سوء  
سريرتهم ، و المذعن بفساده باطناً إن مدح مشايخهم ظاهراً لخداع الخلق و باطناً  
و وصفهم بالزهد والصلاح والمعرفة والكمال توسلاً بذلك إلى ملاذ الدنيا ، فقد  
باع دينه بدنياه ، وباه بسخط من الله حيث أضل الخلق بالدنيا الدينية وفوت على  
نفسه السعادات الأبدية .

وان كان العارف بسوء اعتقاداتهم مظهر الحقيقة مذهبهم وطريقتهم فقد زاغ عن طريق الحق وأعرض عن دين الامامية وهو أسوأ حالا من السابقين .  
فلو ادعى الصوفي التشيع مع التصوف لا بد أن لا تقبله الشيعة منه وأن لا يعدّ وهم منهم ، لأنّه مضطرّ بسبب القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود من القول بالجبر والحبّ لليهود والنصارى والمجوس والتولى لأبي بكر وعمر وعثمان ولينزيد و معاوية وأبي سفيان لعنهم الله جميعاً ، بل حبّ جميع الفساق والفجار والمشرّكين والكفار لأنهم جميعاً مجالى الحقّ ، بل إن أعلن بعداوة هؤلاء فلا بد أن لا يفتقر به الشيعة ، بل إن لعنهم أيضاً ، لأنّ اللعنة عندهم عين الرحمة ، فلعنة الله عليهم وعلى مشايخهم الزنديقين .

#### الفرقة الثانية الواصلية .

وهم يقولون : إنا وصلنا إلى الله تعالى و اتّصلنا به ، قيل إن هذا المذهب أيضاً من اصول مذاهب الصوفية كما تقدّمت إليه الإشارة ، و الحقّ أنه من فروع مذهب الاتحادية لكنهم اختصّوا بأقوال شنيعة و أفعال قبيحة امتازوا بها عن ساير الاتحادية .

فمن جملتها أنهم يقولون : إن الصوم والصلاة والحجّ وسائر التكالييف إنما وضعها الشارع لتهديب الأخلاق وتكميل النفوس ، والوصول إلى الحقّ ، ونحن قد هدبنا الأخلاق وحصل لنا العلم بالأشياء والمعرفة بالحقّ والوصول اليه فسقط عنا التكالييف الشرعية ، فليس شيء بواجب علينا ، وجميع المحرّمات حلال في حقنا .

ومنها قولهم : بأنّ من وصل إلى هذا المقام العالى فكلّ ما يصدر منه من شرب الخمر والزنا واللواط والسرقه وغيرها فليس لأحد الاعتراض عليه ، ولا يجوز رده عن شيء من ذلك ، لأنّه مستحسن منه ، ولو أراد الزنا بامه واخته وبنته واللواط بابنه كان حلالاً له ، ولو وطى بنات غيره وأبنائهم و أزواجهم وصل منه الفيض إليهم ، ولو كان ملوطاً لغيره كان جازياً .

نعم إذا كان المفتى لهم ملا ميرزا جان الشيرازى القائل بأنّ ذلك لا يضرّ



بالنفس الناطقة يصدر عنهم هذه الأقوال والأفعال الشنيعة .

قال ملاّ الرّومى فى خطبة من خطب المثنوى : إذا حصلت الحقيقة بطلت الشريعة ، وقصة ملاقاته للشمس التبريزى وعرضه لابنه وبنته عليه وشرائه للشراب له وحمله الشراب على عاتقه كما ذكره الجامى فى كتاب نفحات الانس من القصص المشهورة .  
و أورد الخواجه نصير الدين عبد الله بن حمزة الطوسى ره فى كتاب نهج الحق مارآه بيمينه وسمعه باذنه نى باب تركهم للصلاة واعتذارهم منه من أراد الاطلاع فليراجع اليه وينبغي أن يعلم أن ترك الصلاة وسائر الفرائض واستحلال جميع المعاصى مذهب جميع فرق الصوفية كما صرح به المفيد وغيره من علماء الشيعة وورد به النص أيضاً إلا أن بعض الفرق يظهر ذلك وبعضها يخفونه وأكثرهم يخدعون السفهاء والجهال باقامة الصلاة ومواظبة الفرائض والسنن وإظهار العبادة والزّهادة ، وبعضهم يستحسنون التظاهر بالمحرمات وبعضهم يستتبعونه .

ومنها قولهم : بأنه إذا غلب الشهوة على واحد منا وأراد المجامعة بالغير فامتنع هو منه فلم يبلغ الممتنع بعد إلى مقام الوصول بل هو كافر ، ومن مكّن المجامع له من نفسه وأجابه إلى ما يريد سواء كان ذكراً أو أنثى فاز بدرجة الولاية وصار من الأولياء الكمّلين .

قالوا : إن رابعة وجمع من النسوة وصلن إلى مرتبة الولاية لقضاء أوطار الناس ، ومزخرفات هذه الفرقة كثيرة ودلائل كفرهم والحادهم خارجة عن حدّ الاحصاء ، وذكرها موجب للملال وتطويل المقال .

الفرقة الثالثة العشاقية .

وهم جماعة يسمّون أنفسهم بالعشاق ومحبة الله سبحانه عشقاً وفى هذا المعنى

قال بعضهم :

وكلّ نور بتلك الشمس ينسفر

معناه مقصدنا والقصد معتبر

وفى الحديث بلفظ العشق تذكّر

العشق نور الذى بالفقر يفتخر

العشق شدة حبّ الله ليس سوى

وشدة الحبّ فى القرآن واردة

طاعات أعداء أهل العشق احتببت  
 لأنّها من لباب الحبّ خاوية  
 طوبى لقوم علمت في الكون همّتهم  
 أما تغيّر حالات يهيجهم  
 لأنّ أحوال أهل العشق عارضة  
 وهم غافلون من أنّ العشق اسم مرض من الامراض الدّماغية ، ويقولون :  
 إنّ الاشتغال بغير الحقّ قصور في معرفته تعالى ومع هذا الحال و تلك الدّعى  
 يتعشقون أبناء النّاس وبناتهم و يقولون : إنّ المجاز فنطرة الحقيقة ، وأكثرهم  
 من غاية عدم المبالاة في الدّين والخوف من ربّ العالمين يتعمّدون الكذب على  
 رسول الله ﷺ ويأفكون ويقولون : إنّ ذلك حديث مأثور عن النبيّ ﷺ نعوذ  
 بالله من ذلك .

ولأكثرهم مبالغة عظيمة في تكلف العشق بالمرء الحسن وذوات الحسن من  
 النّسوان زعماً منهم أنّ ذلك عشق مجازيّ و العشق المجازيّ موصل إلى الحقيقة  
 التي هو حبّ الله تعالى .

وهذه الفرقة لهم عداوة عظيمة مع الأنبياء يقولون : إنّ الأنبياء فديّد ونا  
 بقيد التكاليف الشرعية فحجبونا من الوصول إلى الحقّ فلا ينبغي للمرء أن يعبأ  
 بقولهم ﷺ ، ومع هذا الحال يظهرن المحبّة لأبي بكر وعمر وعثمان ، ويمدحونهم  
 تطلياً لنفوس أهل السنة وترضية لخواطرم ، وإذالوا الشيعة يظهرن ولاية الأئمة  
 و محبتهم ولا يبرزون عداوة الأنبياء و الأوصياء عند العموم ملاحظة للتقية ،  
 ومزخرفاتهم كثيرة ونقلها موجب للاطناب .  
 الفرقة الرّابعة التلقية .

ويقال لهم النظرية أيضاً ، ومذهبهم أنّ النظر في الكتب العلميّة حرام إلّا  
 الكتب المدونة في علم النّصوف بشرط قراءتها عند الشيخ الكامل ، وزعموا أنّ  
 المعرفة لا تحصل إلّا بتلقين الشيخ و أنّ قراءة العلوم الشرعية مطلقاً حرام

وأن ما يحصل للعلماء بالتعلم والتحصيل والمطالعة و التدريس في مدة سبعين سنة و أزيد يحصل بإرشاد المرشد و تلقينه في ساعة واحدة ، و أن ما وجدته السالكون للطريقة الكاملون في المعرفة فأنما وجدوه بإرشاد الشيخ الكامل التذى هو من علماء الباطن لا بالتعلم من العلماء الظاهرية .

و زعموا أيضاً أن ما اشتغل به علماء الشريعة علم رسمى ظاهرى وليس لهم حظ من علم الباطن ، و إنتما العلم في الحقيقة هو علم الباطن و أمّا علم الظاهر فلا خير فيه و لا منفعة و المعارف الكامل المحقق من علم علم الباطن .

ثم أنهم يزعمون أن الإيمان ليس بمخلوق و أن الولاية أمر كسبى يحصل بالرياضة و أكثرهم يزعمون أن النبوة أيضاً كسبية ، و عادة هذا الفرقة كأكثر فرقهم على إعطاء الشيخ الخرقه و البرنس للمريد و أمره له بالجلوس في الخلوة أربعين يوماً و بترك أكل الحيوانى و يسمونه بالچلّة ، و هؤلاء أعداء الدين قد وضعوا ذلك في قبال الاعتكاف خرّب الله بنيانهم و دفع شرهم و طغيانهم .

#### الفرقة الخامسة الزرقية .

وهم طائفة متصفة بالخسة و الدناءة يعاشرّون الناس بالمكر و الحيلة ، و يأتونهم من باب الخديعة لتحصيل الدنيا و امتلاء البطون من الغذاء ، و يميلون إلى السماع و الرقص ، و أكثرهم يخلطون مذاهب أكثر فرق الصوفية و يجعلونه مذهباً واحداً و يدينون به .

و من عاداتهم ترويح مشايخهم و تشهيرهم بين الناس تحبباً للجهال إليهم و انكار العلماء و السادات و معاداتهم لاسيما من كان منهم غير مداهن للصوفية .

نعم من كان له حظ من العلم و داهنهم و مدح مشايخهم إمّا حباً للدنيا أو غفلة و جهلا عن إلحادهم و انحرافهم عن نهج الهدى فهم يهدون اليه و يحبونه و يببالغون في تعظيمه و يسطرون مدحه و كما أنه يثنى عليهم و يروج مذهبهم الفاسد فهم أيضاً يثنون عليه و يروجون متاعه الكاسد .

و قد شاهدت مراراً جلاليس له نصيب من العلوم الشرعية بل من مطلق العلم

إلا أنه يترجم معاني أشعار كتاب كلشن راز لشيخهم الشبستري وهم يقولون : إنه أعلم العلماء وأفضلهم إلى أن قال :

فباللزام على من تابع النبي ﷺ وآله ~~عليهم السلام~~ أن يرى أحداً يدعي التصوف سواء كان عالماً أو جاهلاً أن يعرض عنه ولا يعتمده عليه ، وإذا رأى من سلك مسلك الزرقانية فيجب عليه انكاره ، وإن ظهر منه القول بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود فهو خارج من دائرة الاسلام والحال أنه لا يخلو أحد من الصوفية من القول بأحدها ومن القول بالجبر إلا أن يمتحل التصوف ويسمى نفسه بهذا الاسم من أجل الحق والجهالة أو من باب المكر والخديعة انتهى ما أهمنا نقله من كلامه زاد الله في اكرامه بفاية تلخيص منا .

و طويينا عن نقل باقى ما أورده في هذا الباب حذراً من الاطناب ، وربما كان ما طويينا عنه يزيد على ما حكيناه أضعافاً مضاعفة كما يظهر على من راجع إليه ، ومع ذلك فما اقتصرنا بنقله أيضاً غير خال من الاطناب .

كما أن ما نقلنا قبله من كلام المحدث العلامة المجلسي روح الله روحه أيضاً كذلك ، وإنما أطنبت بنقل كلاميهما تنبيهاً لسفهاء الشيعة من نومة الغفلة والجهالة وانفاذاً لهم من ورطة الضلالة .

فإن شهادة مثل هذين الوحيدين الفريدين العادلين الأعدلين العالمين العلمين الأعلمين الخبيرين بالأخبار وآثار الأئمة الأطهار مع كونهما من أساطين الشيعة وأركان الشريعة على فساد هذه الطريقة طريقة الصوفية وكشفهما عن سواتها وفضايحها وقبايحها وشنايحها كافية في رداؤها وشناعتها ، وكفى بهما شهيداً فضالعين غيرهما ممن تقدم حكاية كلامه ونذكره بعد ذلك بإنشاء الله .

فهلكت لمن دان بمذهب و سلك مسلكا يكون مرتوجاً ما حى الدين الاندلسي ومزيغه العلامة المجلسي ، و مادحه الرّجس الغزالي وقادحه المقدّس الأزدبيلي ، ومزكّيه أبو يزيد و جارحه الشيخ المفيد ، و المتديّنون به الملاحدة اللثام و أتباعهم من سفهاء الأحمال ، والطاعنون عليه أئمة الأنام و حجج الملك العلام .

و بعد ذلك فلا يجوز للماقل أن يشتهه و يفتتر بما يذكرونه في مطاوى مقالاتهم من الكلمات المزخرفة و الأقوال المستطرفة و المواعظ الحسنة و النصائح المستحسنة و الكلمات المرغوبة الغير المخالفة للاصول الشرعية بل الموافقة لموظقات الشريعة .

لأن هذه كلها من حبايلهم و حيلهم و فخوخهم و مصائدهم إنما نصبوها لتصيد العوام و صيد الجهلة كالأنعام و أكثر كلامهم الذي من هذا النمط فانما هو مقتبس من كلام الأنبياء و الحجج عليهم السلام انتحلوه و نسبوه إلى أنفسهم و على فرض كونه منهم أيضاً فلا يجوز الاغترار و الافتتان به، لأن جميع الفرق من الكفار و المشركين الملاحدة و المعاندين مع ما هم عليه من الكفر و الالحاد و الزيغ عن نهج الرشاد ترى في ضمن كلماتهم الكفرية كلمات مقبولة عند ذوى العقول من مدح العدل و الاحسان و الصدق و الامانة و قلة الأكل و قلة النوم و ذم الحرص و الجسد و البخل و الخيانة إلى غير ذلك .

و الحاصل انهم قد دخلوا الجيّد بالردي و الطيب بالخبيث و مزجوا الحقّ بالباطل لاصطياد العوام .

و الى ذلك ينظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام و هو الخمسون من المختار في باب الخطب : إنما بدء و قوع الفتن أهواء تنبّع و أحكام تبندع يخالف فيها كتاب الله و يتولى عليها رجال رجالات على غير دين ، فلو أن الباطل خلس من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ، ولو أن الحق خلس من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فهنا لك يستولى الشيطان على أوليائه و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

و منهم السيد السندي و المتبحر المعتمد السيد نعمة الله المحدث الجزائري قدس سره ، فقد أورد في الأنوار النعمانية فصلاً مبسوطاً في ذكر عقايدهم الفاسدة و أعمالهم الباطلة و قال في جملة كلامه هنا ما نقلناه سابقاً في المقام الثاني و هو قوله :

و أمّا الدّواعى لهم على اختراع هذا المذهب و شهرته فأمور:

الأوّل أنّ خلفاء بني أميّة و بني العباس لعنهم الله كانوا يحبّون أن يحصلوا رجالاً من أهل العبادة و الزّهادة و التّسكّم ببعض المغيبات و ان لم يقع لأجل معارضات الأئمة الطاهرين عليهم السلام و علمهم و زهدهم و كمالاتهم حتّى يصغر في أعين الناس أهل البيت و أطوارهم ، فلم يجدوا أحداً يقدم على هذا سوى هذه الفرقة الضّالة ، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور لعنهم الله و بنو الهيم البقاع و حملوا إليهم الأموال و طلبوا منهم الدّعاء في مطالب دنياهم و فاسوهم بأهل البيت عليهم صلوات الله الملك الحيّ المتعال و أين الثريّا من يد المتناول.

الثاني سهولة هذا المسلك و صعوبة طريقة العلم ، فإنّ العامى منهم قد يجلس في بيت ضيق مظلم أربعين يوماً و ربّما ترائى له إخوانه من الجنّ و الشياطين ، فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصل درجة العالم التّذي يحصلها في خمسين سنة و أكثر ، بل ربّما كان اعتبار هذا بين رعاى الناس أزيد من اعتبار ذلك العالم الثالث أنّ هذا المذهب شرك لصيد الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلك.

و قال أيضاً : و العجب من بعض الشيعة كيف مال إلى هذه الطريقة مع اطلاعه على أنّها مخالفة لطريقة أهل البيت عليهم السلام اعتقاداً و عملاً .

أمّا الاعتقاد فقد قالوا بالحلول وهو أنّ الله سبحانه قد حلّ بكلّ مخلوقاته حتّى بالقاذورات ، تعالى الله عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً ، وقد مثلوا حلول الله بهذه المخلوقات بالبحر وقت اضطراب أمواجه ، فإنّ الأمواج وإن كان متعدّداً إلاّ أنّ كلّها ماء واحد في بحر واحد قد كثره التّموج ، فهى واحدة بالحقيقة متعدّدة بالاعتبار ، و المخلوقات كلّها عين الله سبحانه و هو عينها و التّعدّد إنّما جاء من هذه العوارض الخارجيّة و التّشخصات العارضة للمادة .

و كان من أعظم مشايخهم عندهم الشيخ العطار ، له ما سمع سلطان ذلك الزّمان بكفره و إغوائه المسلمين أرسل إليه جلاّداً يأخذ رأسه ، فلمّا أتى إليه

الجلاد وأخبره بما أتى به فقال له الشيخ العطار : أنت ربّي بأى صورة شئت فتصور  
فان أردت قتلى فأنا هذا ثم قتله .

وقال : ومن اعتقاداتهم الباطلة وأعمالهم الفاسدة أنهم تر كوا العبادات المأثورة  
عن أهل البيت عليهم السلام ودونهم الشيعة في كتبهم ، وأقبلوا على اختراع عبادات و أذكار  
لم تذكر في الشريعة ، و ليس هذا إلاّ لقصد الخلاف على علماء أهل البيت حتى  
يكونوا في طرف النقيض فلا يقال لهم إنهم مقلدو العلماء فيزدا دون ذلك اعتباراً  
من عوام الناس و غنائمهم .

و ما علموا أن الله سبحانه لا يقبل من العبادات إلاّ ما أرسل حججه و قاله  
على ألسنتهم ، و إلاّ فقد مرّ سابقاً أن الشيطان لم يتكبر على السجود لله تعالى  
لكنه قال : أنا أسجد لك يا ربّ ولا أسجد لآدم و ذلك أن الله سبحانه يجب أن يطاع  
من حيث أمر كما قال : و أتوا البيوت من أبوابها

و قد كان في زماننا رجل من الصوفيّة و يزعم أنّه من علماء الشيعة و كان  
يخطب أصحابه يوماً فقال و هو على المنبر : إنني كتبت الاصول الأربعة يعنى الكافي  
و التهذيب و الاستبصار و الفقيه و قرأتها و صحّحتها ، و لمّا رأيتها عديم الفائدة بعثها  
بدرهم واحد و رميت ذلك الدرهم بالماء .

فانظر إلى إيمان ذلك الرجل عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين ، و قد  
كان مع أصحابه في حضرة مولينا الرضا عليه السلام مشغولين بذكرهم الجلى و هو ما  
اشتمل على الغناء و الرقص و الترنّم و الوجد ، فهو ي بعضهم على محجر القبر الشريف  
فشجّ رأسه و سال دمه و بلغ إلى المحجر ، فاحتمل الخدمة إلى إزالة تلك الدّم  
فقال شيخ الصوفيّة : لا تحنّالوا بهذه الحيل لازالة هذا الدّم لأنّ هذا من دم العشاق  
و دم العشاق طاهر .

ثمّ لمّا لم يسمع الناس هذا منه موّه على الناس كلاماً آخر و قال : إن  
الشمس ذكروا أنّها من المطهرات فكيف لا يكون شمس الرضا مطهرة لهذا الدّم ،  
فقبل منه هذا الكلام بعض البهائم من أتباعه ثمّ بعد زمان قليل خذله الله سبحانه

وسقط عن درجة و اعتبار و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .  
 ورأيت في شيراز رجلا صوفيّاً عليه لعنة الله ، و كان صاحب ذكر و حلقة  
 و أتباع ، و كان كل ليلة جمعة يأتي إلي قبّة السيد الأجلّ السيد أحمد بن  
 الامام موسى الكاظم عليه السلام فيصنع الذي كرم المعهود و قد كان عزباً لم يتزوج نعم كان عنده  
 ولد مقبول من أولاد شيراز و كان ذلك الرجل صاحب تحصيل لحطام الدنيا ؛ و كلما  
 يحصل في نهاره يعطيه لذلك الولد و يبقى لنفسه شيئاً يسع قوت الشعير ، و كان  
 إذا خرج من البلاد ثم دخل إليها يسأله بعض خواصّه أين كنت ؟ فيقول : كنت  
 أذرع الأدميين .

و قد استمر على هذا الحال برهة من الزمان فظهر عليه و على أصحابه  
 أنهم أرادوا الخروج و ادعى واحد منهم أنه الرب ، و آخر أنه النبي ، و ثالث  
 أنه الامام إلى غير ذلك ، فأخذهم حاكم تلك البلاد و أمر بقتلهم و كنت مع  
 الحاضرين في ذلك الوقت .

فلما أتوا الشيخهم إلى الميدان ليقتلوه كانت اخته فوق سطح جدار تنظر إلى  
 ما يصنع بأخيها و تضحك ، فقيل لها : لم تضحكين ؟ فقالت : إن أخي هذا رجل شائب  
 فاذا قتلوه يجيء بعد أربعين يوماً بصورة شاب حسن الوجه قوى البدن ، فظهر  
 أنهم كانوا فائلمين بالتناسخ أيضاً ، و قد رأينا منهم في شيراز وقايع غريبة و أطوار عجيبة  
 لاتوافق إلا مذهب الملاحدة و الزنادقة .

و منهم المحدث الفاضل ملامحسن الفيض القاساني في محكي كلامه  
 من المجلد الخامس من الوافي في صدر أبواب صفة الصلاة و أذكارها و تقييدها  
 و آدابها و علمها بعد ذكر الآيات الواردة فيها من قوله تعالى : إن المساجد لله  
 الآية ، و قوله : ادعوا ربكم تضرعاً و خفية إلى آخره ، و قوله : و اذكر ربك  
 في نفسك تضرعاً و خيفة و دون الجهر من القول الآية قال :

المساجد فسرت تارة بالأعضاء السبعة ، و أخرى بالمساجد المعروفة ،  
 و أخرى ببقاع الأرض كلها ، و على التقديرات أنها خلقت لأن يعبد الله بها أو  
 فيها ، فالتشر كوا معه غيره في سجودكم و عبادتكم ، و الأمر بالدعاء و الذكر



تضرّعا وخفية وخيفة يشمل ساير أذكار الصلّاة وغير الصلّاة ، ودون الجهر من القول يدلّ على لزوم الاقتصاد فيها جميعاً و كراهة الاعتداء ، فما يفعله المنصوفة في حلقتهم من الجهر بالذكر والاعتداء بالنداء ممنوع منه بمقتضى هذه الآيات ، ويأتى تمام الكلام فيه في صدر أبواب الذكر إن شاء الله تعالى .

وقال في أبواب الذكر والدعاء ، وفضايلهما من المجلد المذكور بعد ذكر الآيات التي وردت فيها كقوله تعالى : ادعوا ربكم تضرّعا وخفية إنّه لا يحبّ المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها و ادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسين .

في هذه الآية دلالة على كراهة ما يفعله المنصوفة من رفعهم الأصوات بكلمة التوحيد وإظهارهم المواجيد ، فأنه اعتداء ومجاوزة عن حد ما وسمه الشرع في الذكر والعبادة ، هذا إن اقتصرنا على الاجهار بالذكر ، وأما ساير ما يفعلونه من التغنّي بالأشعار في أثناء الأذكار والتواجد بالسماع واستمالة الأبصار والأسماع بالشهيق والنهيق والرفق والتصفيق والهبوط والسقوط فلا شك أنّه بدع في الدين ، بل كاد يكون استهزاء بالشرع المبين ، أعاذنا الله من شرّ الشياطين .

وقال في كتابه المسمّى بمنهاج النجاة : لا تحضر في الجامع الحلق ولا مجالس القصّاص ، بل مجلس العلم النافع ، وهو الذي يزيد في خوفك من الله وينقص من رغبتك في الدنيا .

وقال في المقالة الرابعة والسّتين من الكلمات الطريقة :

«داهية» ومن الناس من يدعى علم المعرفة ومشاهدة المعبود ، ومجاوزة المقام المحمود ، والملازمة في عين الشهود ، ولا يعرف من هذه الامور إلاّ الأسماء ولكنّه تلقّف من المطامات كلمات يردّها لدى الأغنياء كأنّه يتكلّم عن الرّوحى ويخبر عن السّماء ، ينظر إلى أصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العبادة : إنهم اجراء متعبون ، وفي العلماء : إنهم بالحديث عن الله معجوبون ، ويدعى

لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مرقب؛ ولا علماً أحكم ولا عملاً هذب، يأتي إليه الرعاع الهمج من كل فج أكر من إتيانهم مكة للحج، يزدحم عليه الجمع ويلقون إليه السمع، وربما يخرّون لمسجداً كأنهم اتخذوه معبوداً، يقبلون يديه ويتهاقنون على قدميه، يأذن لهم في الشهوات، ويرخص لهم في الشبهات، يأكل ويأكلون كما تأكل الأنعام، ولا يباليون أمن حلال أصابوا أم حرام، وهو لحوائثهم هاضم ولدينه وأديانهم حاطم، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يصلونهم بغير علم الأساء ما يزررون، ليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون، وجملائهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون\* واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين\* أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

وقال في المقالة الخامسة والستين منها:

ومن هؤلاء من طوى بساط الأحكام، ورفض الفضل بين الحلال والحرام، وحل قيود الشرع من عنقه وأطلق، لا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ﷺ ولا يدينون دين الحق، متعللين تارة بأن الله غني عن الأعمال، وأخرى بأن التكليف إنّما هو لتطهير القلب من الشهوات وهو أمر محال، وأخرى بأن أعمال الجوارح لا وزن لها عند الله وإنّما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة إلى حب الله، واصلة إلى معرفة الله، وإنّما نخوض في الدنيا بأبداننا، فلا يصدنا عن سبيل الله عصياننا، كلاً سيعلمون ثم كلاً سيعلمون، إنّ أعمالك لنفسك احتسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وليس التكليف بقلع الشهوات، بل بانقيادها لحكم العقل والشرع بالرّياضات؛ والأبدان تابعة للقلوب، والشهادات شايعة للغيوب، أيها المغرور. فإذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزأؤكم جزأء موفوراً، واستفرز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخیلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدمهم وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً.

وقال في المقالة الثانية والستين:

و من الناس من يزعم أنه بلغ في التصوف والتأله حدّاً يقدر معه أن يفعل ما يريد بالتوجه ، وأنه يسمع دعاؤه في الملكوت ، و يستجاب نداؤه في الجبروت تسمى بالشيخ والدرويش ، و أوقع الناس بذلك في التشويش ، فيفرضون فيه أويفرطون فمنهم من يتجاوز به حدّ البشر ، و آخر يقع فيه بالسوء والشر ، يحكى من وقايعه و مناماته ما يوقع الناس في الريب ، و يأتي في اخباره بما ينزل منزلة الغيب ، و ربّما تسمعه يقول : قلبت البارحة ملك الروم ، و نصرت فئة العراق ، و هزمت سلطان الهند ، و قلبت عسكر النفاق ، أو صرعت فلاناً يعني به شيخاً آخر نظيره ، أو أفنيت بهماناً يريد به من لا يعتقد فيه إنه لكبيره ، و ربّما تراه يقعد في بيت مظلم يسرج فيه أربعين يوماً ، يزعم أنه يصوم صوماً ، ولا يأكل فيه حيواناً ولا ينام يوماً ، و قد يلازم مقاماً ، يردّ فيه تلاوة سورة أيتاما ، يحسب أنه يؤدّي بذلك دين أحد من معتقديه ، أو يقضى حاجة من حوائج أخيه ، و ربّما يدعى أنه سخر طائفة من الجنّة ، و وقى نفسه أو غيره بهذه الجنّة «أفترى على الله كذبا أم به جنّة» انتهى كلامه .

**اقول :** هذه الكلمات كما ترى تنادى بأعلا صوتها على طهارة ذيل هذا الفاضل البارع من دنس التصنّع والتصوف ، و براوة ساحته من الانحراف والتصلف ، ومثلها كلمات له اخرى تركنا حكايتها حذراً من الاطناب .

إلاّ أنّه في أكثر كتبه سلك مسلك الصوفية و جرى على قواعدهم لاسيما في كتابه المسمّى بالثلثالي ، و ذكر فيه تفصيل الحضرات الخمسة التي هي من مصطلحات الصوفية و مخترعاتهم ، و أوّل بعض الأخبار والأدعية إلى ما أوردها هناك ، ولا حاجة بنا إلى ايرادها .

و من أجل كون كلامه وحديثه ذافنون و شجون اختلف العلماء المعاصرون له والمتأخرون عنه في مدحه و قدحه و تعديله و جرحه ، حتّى أفرط بعضهم فنسبه إلى الكفر أو ما يشارف الكفر .

منهم الشيخ على المعاصر له سبط الشهيد الثاني «قد» فقد نسب إليه في ذيل

رسالته في تحريم الفناء كثيراً من الأقاويل الفاسدة والآراء الباطلة التي تفوح منها رائحة الكفر المضادة بضروريات الدين.

قال في روضات الجنات: ولو أردنا تأويل جملة منها بمحامل وجبهة صحيحة لما أمكننا ذلك بالنسبة إلى ما يدل عليه ألفاظه الظاهرة بل المريحة من منافيات اصول هذه الشريعة وفروع مذهب الشيعة، مثل قوله بوحدة الوجود، وبعدم خلود الكفار في عذاب النار، وعدم نجات أهل الاجتهاد من النار وإن كانوا من أجلنا الكبار، وقوله بعدم منجسية المتنجس لغيره مثل النجس، وبعدم انفعال الماء القليل بمحض ملاقاته للنجس، وإن وافقه في هذه المسألة العماني.

و منهم صاحب لؤلؤة البحرين الشيخ يوسف البحراني قال في ترجمته: وهذا الشيخ كان فاضلاً محدثاً أخبارياً صلباً كثير الطعن على المجتهدين ولا سيما في رسالته سفينة النجاة حتى أنه يفهم منه نسبة جملة من العلماء إلى الكفر فضلاً عن الفسق؛ مثل إيراد الآية: يا بني اركب معنا، أي ولا تكن مع الكافرين وهو تفريط وغلو بحت، مع أن له من المقالات التي جرى فيها على مذهب الصوفية والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر والعياز بالله، مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود.

وقد وقفت له على رسالة قبيحة صريحة في القول بذلك، وقد جرى فيها على عقايد ابن عربي الزنديق وأكثر فيها من النقل عنه وإن عيّر عنه ببعض العارفين وقد نقلنا جملة من كلامه في تلك الرسالة وغيرها في رسالتنا التي في الرد على الصوفية المسمّاة بالنفحات الملكوتية، نعوذ بالله من طغيان الألفاظ و زلل الأقدام.

وقد تلمذ في الحديث على السيد ماجد البحراني في بلاد شيراز، وفي الحكمة والاصول على صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بصدر، وكان صهره على ابنته ولذا ترى أن كتبه في الاصول كلها على قواعد الصوفية والفلاسفة، ولاشتهار مذهب التصوف في ديار العجم وميلهم إليه بل غلوهم فيه صارت له المرتبة العليافي

زمانه ، و الغاية القصوى في أوانه ، وفاق عند الناس جملة أقرانه ، حتى جاء على أثره شيخنا المجلسي «قد» فسمى غاية السعى في سد تلك الشقائق الفاغرة، وإطفاء نائرة تلك البدع البائرة انتهى.

و العجب من صاحب روضات الجنات حيث أراد تزكية الرّجل فجرحه ، و تطهيره فدّنه ، و تبرئته فلوّثه ، قال بعد تفصيل كلام له فيه:  
ثمّ ليعلم أنّ ظنّي في نسبة التصوف الباطل إليه أنّها فرية بلا مريّة ، و الباعث عليه اقتداؤه بهذه الطريقة في الموالاتة مع الغلاة و الملحدين ، و إظهار البراءة من أجلنا المجتهدين ، و عدم اعتناؤه بالمخالفة لاجماع المسلمين، و الإنكار لبعض ضروريات هذا الدين المبين ، و إلاّ فبين ما يقوله و يقولونه مع قطع النظر عن هذا القدر المشترك بون بعيد ، و إنكاره على أطوار هذه الطائفة في حدود ذاتها إنكار بليغ شديد ، ثمّ نقل عنه ما قدّمنا نقله من المقالات.

و أنت خبير بأنّه إذا كان موافقا للصوفية في أصل مذهبهم الفاسد و هو القول بوحدة الوجود على ما عزّاه إليه غير واحد من العلماء ، فكلّ الصّيد في جوف الفراء ، فضلا عما نسب إليه من إنكاره لبعض ضروريات الدين و خلافاته لاجماع المسلمين ، و احتذائه حدّ و الغلاة و الملحدين ، و هذا مقام ما قيل و يقال :  
عن المرء لا تسأل و سل عن قريته و كلّ قرين بالمقارن يقتدى

و الله العالم بالسرائر و الخبير بالضّمائر من كلّ برّ و فاجر .

و منهم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزّمشري المعروف بجار الله المجاور في حرم الله ، قال في الكشف في تفسير قوله تعالى : «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني» ما لفظه :

و عن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنّهم يحبّون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل ، فمن ادعى محبّته و خالف سنّة رسول الله ﷺ فهو كذّاب ، و كتاب الله يكذّبه ، و إذا رأيت من يذّكر محبّة الله و يصفق بيديه مع ذكرها و يطرب و ينمر و يصعق فلاشكّ في أنّه لا يعرف الله ولا يدرى ما محبّة الله

وما تصفيقه ونعته وصعقته إلا أنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة ، فسميها الله بجهله وذعارته ثم صفق وطرب و نعر و صعق على تصوّرها و ربّما رأيت المنى قد ملأ إزار ذلك المحبّ عند صعقته ، و حمقى العامة حواله قد ملأوا أردانهم بالدّموع لما رققهم من حاله .

و قال في كتابه المسمّى بأطواق الذهب :

يا رافع اليد بالدّعاء ، و يا داعى الحقّ بالنّداء ، إنّه لا يسمع بالصّماخ فاقصر من الصراخ ، أتنادى باعداء ، أم توقظ راقداً تعالى الله الملك لا تأخذه السنّة ولا تغلظه الألسنة ، يعلم رموز البكم والخرس ، كما يعرف لغة التّرك والفرس ، يسمع دبيب النملة الخرساء على الصّخرة الملساء ، كما يسمع بغام الطّيبية (١) الجيداء على صحن البيداء ، ألا إنّ رفع اليد بالدّعاء سمعة ، و رفع الصوت بالشكاية شنة ، ماهذه الشبهة والنّداء ، و ماهذه الصّيحة الشنعاء ، أمن الضرب تتألّم؟ أم مع أكفائك تتكلم؟ أتحسبه قساماً نسي قسك؟ أم رزاقاً جهل اسمك؟ أنام من خلق الأنام ؟ أرقد من أنشأ الذئب والنقد (٢) مما شر الضعفة أنظنون أن لا تأكلوا أوقاتكم دون أن ترفعوا أصواتكم لا تدعوا اليوم ثبوراً لقد ظننتم بالله ظنّ السوء و كنتم قوماً بوراً .

و منهم الفاضل البارع المحقق السيد عليّ بن عمّاد الحسينى الجرجانى المشتهر بالسيد الشريف شارح المواقف ، قال في حاشيته على شرح التجريد للاصفهانيّ في المسألة الثالثة في أنّ الوجود زايد على المهيّة و ليس نفسها عند ما يعنون قول الشّارح : فيلزم أن يكون المهيّات متحدة و ليس كذلك قيل عليه ذهب جماعة من الصوفيّة إلى أن ليس في الواقع إلاّ ذات واحدة لا تركيب فيها أصلا بل لها صفات هي عينها و حقيقة الوجود المنتزعة في حدّ ذاتها عن شوائب العدم و سمات نقصان الامكان ، و لها تقيّدات بقيود اعتباريّة بحسب ذلك يترائي موجودات متميزة فيتوهمّ من ذلك تعدّد حقيقيّ ، فما لم يقم برهان على بطلان ذلك لم

يتم ما ذكره من عدم اتحاد المهيئات ، ولا يتم أيضاً اشتراك الوجود بل لا يثبت وجود ممكن أصلاً :

أقول هذا خروج عن طور العقل ، فإن بداهته شاهدة بتعدد الموجودات تعدداً حقيقياً وأنها ذات وحقائق مختلفة بالحقيقة دون الاعتبار فقط والذاهبون إلى تلك المقالة يدعون استنادها إلى مكاشفاتهم و مشاهداتهم وأنه لا يمكن الوصول إليها بمباحث العقل ودلالته ، بل هو معزول هناك كالحس في إدراك المعقولات .

وأما المتقيّدون بدرجات العقل والقائلون بأن ما يشهد به العقل فمقبول وما شهد عليه فمردود وأنه لا طور و راءه ، فيزعمون أن تلك المكاشفات والمشاهدات على تقدير صحتها مؤولة بما يوافق العقل ، فهم بشهادة بديهته عندهم مستغنون من إقامة برهان على إبطال أمثال ذلك ، و يعدون تجويزها مكابرة لا يلتفت إليها .

وقال في شرح المواقف في المقصد الخامس من المرصد الثاني من الموقف الخامس منه :

اعلم أن المخالف في هذين الأصلين يعنى عدم الاتحاد وعدم الحلول طوائف ثلاثة : الأولى النصارى ، الطائفة الثمانية النصرانية و الاسحاقية من غلاة الشيعة الطائفة الثالثة بعض المتصوفة ، و كلامهم مخبط بين الحلول والاتحاد والضبط ما ذكرناه في قول النصارى ، و الكل باطل سوى أنه تعالى خص أوليائه بخوارق عادات كرامة لهم .

ورأيت من الصوفية الوجودية من ينكره و يقول لا حلول ولا اتحاد إذ كل ذلك يشعر بالغيرية و نحن لا نقول بهابل نقول: ليس في الدار الوجود غيره ديار ، و هذا العذر أشدّ قبحاً و بطلاناً من ذلك الجرم . إذ يلزم تلك المخالطة التي لا يجترى على القول بها عاقل ولا مميّز أدنى تمييز

وقال في المقصد الثالث من المرصد الأول من الموقف السادس :

لبعض الصوفية من أهل الإباحة أن التكليف بالأفعال الشائقة البدنية يشغل الباطن عن التفكير في معرفة الله وما يجب له من الصفات ويجوز ويمتنع عليه من الأفعال، ولا شك أن المصلحة المتوقعة من هذا الغايب وهو النظر فيما ذكر تر بي أي تزيد وتفضل على ما يتوقع مما كلف به فكان ممتنعا عقلا. والجواب أن ذلك أي التفكير في معرفة الله وصفاته وأفعاله أحد أغراض التكليف بل هو العمدة الكبرى منها وسائر التكليف معينة عليه داعية إليه وسيلة إلى اصلاح المعاش المعين على صفاء الأوقات عن المشوشات التي تربى شغلها عن شغل التكليف

وقال في المقصد السادس من المرصد الخامس من الموقف الأول منه: ان قلت: لانسلم أن المعرفة لاتتم إلا بالنظر كما ادعيتم بل قد تحصل بالتصفية فان رياضة النفس بالمجاهدات وتجريدها عن الكدورات البشرية والعوائق الجسدية والتوجه إلى الحضرة الصمدية والتزام الخلوة والمواظبة على الذكر والطاعة تفيد العقائد الحقة التي لا يحوم حولها شائبة رائية، وأما أصحاب النظر فيعرض لهم في عقايدهم الشكوك والشبهات الناشئة من أدلة الخصم.

قلنا: هي يحتاج إلى معونة النظر ألا ترى أن رياضة المبطلين من اليهود والنصارى يؤدبهم إلى عقايد باطلة، فلا بد من الاستعانة بالنظر أو قلنا المراد أنه لا مقدور لنا من طرق المعرفة إلا النظر فان التصفية كما هو حقيقتها تحتاج إلى مجاهدات شائقة ومخاطرات كثيرة قلما يفى من المزاج فهي في حكم ما لا يكون مقدوراً.

و منهم الفخر الرازي في المسألة الحادية والثلاثين في النبوة من كتابه المسمى بالأربعين قال:

اعلم أن الذين ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم طوايف، ثم تعرض لذكرها إلى أن قال: الطائفة السادسة جمع من الصوفية يقولون: الاشتغال بغير الله حجاب عن



معرفة الله تعالى ، والأنبيا يدعون الخلق إلى الطاعات و التكليف ، فهم يشتملون الخلق بغير الله و يمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب أن لا يكون حقاً و صدقاً .  
و منهم الدميرى في كتاب حياة الحيوان في باب العين المهملة عند ذكر  
المجل قال :

«فايدة» نقل القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤون شيئاً من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون و يطربون و يضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا ؟  
فقال : مذهب الصوفية بطالة و جهالة و ضلالة ، و ما الاسلام إلا كتاب الله و سنة رسول الله ، و أما الرقص و التواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، قاموا يرقصون حوله و يتواجدون ، فهو دين الكفار و عبادة العجل ، و إنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان و نوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد و غيرها و لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك و الشافعي و أبي حنيفة و أحمد و غيرهم من أئمة المسلمين .  
و منهم محمد بن محمد بن محمد المحدث البخاري المعروف في كتابه الذي سماه فاضحة الملحدين و ناصحة الموحدين ، قال :

ثم إن أولئك الملحدين الذين هم إخوان الشياطين يخذعون الجاهلين بتمسكهم في ذلك الضلال المبين بقوله تعالى : والله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، و بقوله تعالى : و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . ويلحدون في الآية الأولى بتفسيرهم وجه الله ههنا بذات الله موافقا لرأيهم لا بالجهة التي أمر بها ورضيها على ما هو الحق المبين و المطابق لقواعد الدين و لاجماع علماء الاسلام و المسلمين ، ولما يدل صدر هذه الآية أيضاً و هو قوله تعالى : والله المشرق و المغرب ، فإنه يدل على أن جهات المشرق و المغرب لله تعالى ، لا أنها هو الله تعالى و إلا يوجب أن يكون النظم والله المشرق و المغرب لا والله المشرق و المغرب

وأنت خير بأنّ ثمة للمكان و أنّ الله تعالى منزّه عن الجهة و المكان وأنّ كون الشيء الواحد في آن واحد في أمكنة مختلفة بديهيّ البطالان . وأنّ تفسير هذه الآية بما فسّره الملاحدة مستلزم لكون الله تعالى في مكان وجهة بل كونه في آن واحد في أمكنة الجهات المختلفة عند اختلاف أماكن المتوجهين وذلك محال على محال ومع ذلك كفر صريح و ضلال .

ويلحدون في الآية الثانية حيث يفسّرون قضيّ بحكم وقدّر مخالفاً لقواعد الدين ولاجماع المفسّرين لا بأوجب وأمر على ما هو مطابق لقواعد الاسلام ولاجماع الرّسل والأنبياء ﷺ

ومنهم الشيخ المتبحرّ البصير والتمتّع الخبير الشيخ عليّ ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني «قد» ، فقدألف رسالة مستقلة في الرد على الصّوفيّة وسمّاها: السّهام المارقة من أغراض الزنّ نادقة ، وقدحكينا عنه في المقام الثالث من كتابه المسمّى بالدر المنثور من المأثور و غير المأثور كلاماً مبسوطاً متضمناً لمطاعنهم فليراجع هناك .

ومنهم الشيخ المحدث محمد بن الحسن بن عليّ بن محمد الحرّ العامل صاحب كتاب وسایل الشّيعيّة ، فقدألف في الرد عليهم رسالة كماصرّح به في خاتمة الكتاب المذكور عند تعداد كتبه .

ومنهم السيّد الأعظم قدوة أولى الألباب أبو تراب مرتضى ابن الدّاعي الحسن الرّازي «قد» فقد جمع في بيان مذاهب الصّوفيّة وما يتضمّن من مطاعنهم كتاباً بالعجميّة وسمّاه : تبصرة العوام ، وآخر بالعربيّة وسمّاه : الفصول التّامة في هداية العامّة .

ومنهم الشيخ نصير الدين عليّ بن حمزة بن الحسن الطوسي ، فقد ألف كتاب ايجاز المطالب في ابراز المذاهب وضمّنه جملة من مطاعن الصّوفيّة حسبما نقل عنه مولينا المقدّس الأردبيلي «قد» في كتاب حديقة الشّيعيّة .

إلى غير ذلك ممّا صدر من علماء الاسلام من الخاصّة و العامّة من مطاعن

(٤١٠) ذكر من نسب إلى التّصوف من علمائنا الأعلام «قد» ودفعه (ج ١٣)

هذه الطائفة تصريحا وتعريفاً إجمالاً وتفصيلاً ، ولتقتصر في المقام بذلك ولننمّقه بما يجب التّنبية عليه دفماً لبعض تلبّيسات هؤلاء ، وابطالاً لتموهياتهم ، فأقول مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه :

## تنبيهه وهداياته

قد رأيت في بعض كتب المتصوفة ممّن يدعى التشيع نسبة التّصوف إلى جماعة من علماء الامامية مثل السيّد عليّ بن طاووس ، وابن فهد الحلبي ، والشهيد الثاني ، والمجلسي الأول بل الثاني أيضاً ، وشيخنا البهائي ونظرائهم ، وهي فرية بيّنة وبهتان عظيم ، وغرضهم من هذا الاختلاق تكثير السواد واصلاح ما ذهبوا اليه من مذهب الفساد ، ولما بترويج متاعهم الكاسد ، وشعفاً بتلفيق سلعتهم الفاسد ، فإنّ العادة جارية والطبيعة مايلة إلى أن كلّ من عمل عملاً حقاً أو باطلاً يطلب له فيه مشاركا ، وكلّ من سلك سبيلاً برّاً أو فاجراً يشمف بمن كان معه فيه سالكا ، لاسيّما إذا كان من أهل البدعة والضلالة يكون سعيه في تحصيل الموافق له أشدّ و آكد ، وفرحه وانبساطه اليها بوجدانه أعظم وأكثر .

وهؤلاء لزيغهم عن قصد السبيل ، وشعفهم بكلام بدعة ودعا، ضلالة ، وكونهم فتنّة لمن افتتن بهم ، ضالّين عن هدى من كان قبلهم ، مضلين لمن اقتدى بهم في حياتهم وبعد وفاتهم ، نسبوا تلك الطريقة الفاسدة إلى أساطين العلماء تفتينة للهمج الرّعاع ، وخداعاً للجاهليّة الجهلاء ، والعوام التّذينهم كالأنعام .

وقد علمت تفصيلاً عند نقل كلام الشهيدين والمجلسيين طهارة لوح خواطرهم من هذا الدّنس والرّين ، وظهر لك هناك أنّ تلك النسبة اليهم افك فاحش وبين . ومنه يعلم أيضاً نزاهة ساحة ابني فهد و طاووس من ذلك الرّجس وقد أشار إليه المحدث العلامة المجلسي «قد» أيضاً في كتاب عين الحياة حيث قال ما ترجمته : قد كان بين أهل الحقّ دائماً عبّاء وزهّاء ثابتة على الصّراط المستقيم ، مواظبة على سلوك طريق القرب والزّلفى والمباحات والعبادة والعبودية ، خارجة

من سلسلة الصوفية لم يعد لهم أحد منهم مثل سلطان العلماء والمحققين الشيخ صفى الدين ، وسيد الأفاضل ابن طاووس ، وزبدة المتعبدين ابن فهد الحلبي ، والشهيد السعيد الشيخ زين الدين رضوان الله عليهم أجمعين وغيرهم من الزهاد الذين أخذوا طريقة الرياضة والعبادة والعبودية بقانون الشريعة المقدسة .

وبعد فراغهم من العلوم الشرعية توجهوا إلى العبادة والرياضة ، وهداية الخلق وتدريس العلوم الحقة ، ولم يؤثر عن أحد منهم بدعة وضلالة .  
ولأجل ذلك لم يعد المتصوف الجامي في التفجحات أحداً منهم من الصوفية ، ولم يدخلهم في زمرة تهم مع غاية اشتهاهم وصيتهم شهرة الشمس في رابعة النهار .  
وقد أشرق وجه الأرض بأنوارهم وتصانيفهم وآثارهم ، وصارت الدنيا معمورة بميامن بركاتهم ، وراج دين الامامية والشعبة الاثني عشرية بمساعيهم الجميلة حتى بذلوا في طريق الشريعة مهجهم الزكية وأنفسهم القدسية .

بخلاف أهل الباطل من الصوفية ، فقد بالغوا في تخريب الدين وهدم أساس الشرع المبين ، وقد سمعت معارضات السفيان الثوري وعباد البصرى وأضرابهما من الصوفية مع أئمة اليقين وتعارضهم دائماً مع علماء الشيعة بعد زمن الأئمة عليهم السلام ، هداًنا الله وإياكم إلى الحق المبين بمحمد وآله الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وقد ظهر منه ومما قد منا نقله عنه من اعتقاداته أن نسبة تلك الطريقة الباطلة إلى هؤلاء العلماء العظام والأساطين الأعيان بيّنة الفساد والبطلان .

وأما الشيخ البهائي فرما عزي إليه القول بالتصوف وطعن عليه بذلك لما يترائى من بعض كلماته وأشعاره ، إلا أن الظاهر أن صدور تلك الكلمات منه مداراة للخلق ، ومنازلة إلى أذواقهم ، ومعاشرة معهم .

كما أفاده السيد المحدث نعمة الله الجزائري حيث قال في ما حكى عنه في لؤلؤة البحرين : إن الشيخ المذكور كان يعاشر كل فرقة وملة بمقتضى طريقتهم ودينهم وملتهم وماهم عليه ، حتى أن بعض علماء العامة ادعى أنه منهم ،

(٤١٢) ذكر من نسب الى التصوف من علمائنا الأعلام «قد» ودفعه (ج ١٣)

قال السيد : فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح وكان معي فتعجب من ذلك و ذكر جملة من المؤيّدات لما ذكره ، ثم استدلّ بقوله قدس سرّه في قصيدته التي في مدح القائم عليه السلام :

و إنني امره لا يدرك الدهر غايته      ولا تصل الأيدي إلى سير أغواره  
اخالط أبناء الزمان بمقتضى      عقولهم كيلا تفوهوا بانكاره  
واظهر أنني مثلهم يستغزني      صروف الليالي باختلاء وامرار . انتهى  
وقال السيد أيضاً في محكي كلامه في روضات الجنّات : كانت كل طائفة من طوائف المسلمين ينسبه إليها ، و سمعت الشيخ الفاضل الشيخ عمر من علماء البصرة يقول : إن بهاء الدين سجّداً من أهل السنة والجماعة إلاّ أنّه كان يتّقي من سلطان الرافضة ، وكذلك الملاحدة والصوفيّة والعشاق سمعت كل هؤلاء يقولون : إنّه من أهل نحلتنا ، و من هذا كان شيخنا المعاصر يعني به العلامة المجلسي يزدري عليه بهذا وأمثاله ، وفيض الله التفريشي لم يوثقه في كتاب الرجال وإن أننى عليه في العلم والحفظ وغير ذلك ، والحق أنّه ثقة معتمد عليه في النقل والفتوى انتهى .

فقد ظهر بذلك عدم ثبوت تصوف هذا العالم البارع التحرير ، كثبوت عدم تصوف من تقدم ذكره من العلماء .

وبعد الغرض عن ذلك وتسليم اتصافهم به وقبول أنّهم من الصوفية فأقول : إنّ التصوف الذي لهم ليس على حدّوما عليه ساير الصوفية على ما توهمه هؤلاء الجهلة الذين نسبوه اليهم ابتهاجاً بهما كتهم معهم في المذاق وموافقتهم لهم في المذهب . وذلك لأنّ تصوف هؤلاء الأجلّة عبارة عن العمل بالأمر والنواهي الشرعية ، وترك الشبهات والزهد والقشف والرياضة ، والتحليّ بالفضائل والتخلّي عن الرذائل وملازمة المروّة والتقوى ، والاعراض عن ملاذ الدنيا وإخلاص العبادات ومواظبة التضرّع والابتهاج و المناجاة وإقامة الصلوات المكتوبات والتعقيبات المأثورات والاذكار والأدعية الموظفات في الأوقات المرسومات ، و الاشتغال بالتعليم

والتدريس وتأليف كتب الفقه والأخبار والروايات وسائر العلوم الشرعية .  
وتصوَّف تلك الجهلة عبارة عن المداومة على العبادات المبتدعة والأذكار  
المخترعة ، و دعوى الكرامات الكاذبة و الصلائف الباطلة ، وترك أحكام الشريعة  
و أخذ مراسم الطريقة على زعمهم ، و الوصول إلى معارج الحقيقة على حسابهم  
وإن لم يقع ، و ادعاء الكشف و الشهود و القول بالحلول والاتحاد و وحدة الوجود  
إلى غير هذه من أطوار الفريقين التي بينهما بعد المشرقين .

نعم قد وجدت من علماء الشيعة رجلاً واحداً لا ريب في تصوفه و موافقته  
للمصوفية في أكثر أقوالهم الفاسدة ، و لذلك اهبط قدره عن درجة الاعتبار ، و اسقط  
قوله عن نظر علمائنا الأبرار ، و هذا الرجل هو محمد بن الحسن بن علي بن أبي جمهور  
الاحسائي صاحب كتاب غوالي اللثالي .

قال الشيخ يوسف البحراني في الولوة البحرين : و الشيخ محمد بن أبي جمهور  
كان فاضلاً مجتهداً متكلماً له كتاب غوالي اللثالي جمع فيه جملة من الأحاديث  
إلا أنه خلط الغث فيه بالسمين و أكثر فيه من أحاديث العامة ، و لهذا أن بعض  
مشايخنا لم يعتمد عليه ، و له كتاب شرح زاد المسافرين و كتاب المجلي على مذاق  
المصوفية .

و قال المحدث النيسابوري في ترجمته : متكلم فقيه صوفي له كتب : منها  
كتاب المجلي جمع فيه بين الكلام و التصوف ، و نقل في روضات الجنات من أواخر  
كتاب وسائل الشيعة كون كتابي حديثه و هو كتاب غوالي اللثالي و نشر اللثالي خارجين  
عن درجة الاعتماد و الاعتبار ، مع أن صاحب الوسائل من جملة مشاهير الأخبارية  
و الأخبارية لا يعتمدون بشيء من التصحيحات الأجماعية و التنويمات الاصطلاحية .

و قال المحدث العلامة المجلسي في مقدمات البحار : كتاب غوالي اللثالي  
و ان كان مشهوراً و مؤلفه في الفضل معروفاً لكنه لم يميز القشر من اللب و أدخل  
أخبار متعصبية المخالفين في روايات الأصحاب ، فلذا اقتصرنا على نقل بعضها ،  
ومثله كتاب نشر اللثالي ، انتهى .

أقول : ومن جملة الأخبار العامة التي رواها في الغوالي مارواه عن النبي ﷺ أنه قال : صلوا خلف كل بر وفاجر ، ومن جملة أحاديث الصوفية التي نقلها فيه مارواه عن النبي ﷺ قيل له : يا رسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : كان في عما ، ما فوقه هوا ، ولا تحته هوا .

وهذا الحديث من موضوعات الصوفية حسبما أشرنا إليه فيما تقدم ، وقد رواه أكثر الصوفية في كتبهم حتى محيي الدين في الفصوص وأكثر شراح الفصوص أيضاً . ومن جملة مارواه أيضاً فيه ما نقله عن علي عليه السلام قال : روى عنه وقد سئل عن معني التصوف والتصوف مشتق من الصوف وهو ثلاثة أحرف : ص ، و ، ف . فالصاد صبر وصدق وصفاء ، والواو ودّ و ورد ووفاء ، والفاء فقر وفرد و فناء .

و آثار الوضع على هذا الحديث غير خفية كما يعرف ذلك مما ذكرناه في المقام الثاني ، فإن بدو ظهور الصوفية واستعمال هذا الاسم فيهم وتسميتهم بها كان في زمان أبي هاشم الكوفي في عصر المادق عليه السلام ولم يكن في عصر أمير المؤمنين عليه السلام أحد يسمي بهذا الاسم .

و كم له في كتبه من أخبار الصوفية و أحاديثهم الموضوعة و أقوالهم الرديّة حسبما نقلها عنه أصحابنا في كتبهم إزاء عليه بذلك .

قال بعض تلامذة العلامة المجلسي في كتابه الذي ألفه في الرد على الصوفية في تفصيل خرقة هذه الطائفة ما هذه عبارته :

فمرة قال شيخ شيوخ الصوفى اعنى ابن أبى جمهور الاحسائى فى كتاب مجلى مرآت المنجى أن شيخ طائفتهم الشيخ الجنيد لبس الخرقة من يدخاله الشيخ السرى السقطى ، والسرى لبسها من معروف الكرخى ، والمعروف الكرخى لبسها من الامام على بن موسى الرضا عليه السلام .

ومرة قال : إن معروف لبس من داود الطائى وأخذ هذه الطريقة منه ، وهو من حبيب الأعجمى ، وهو من الحسن البصرى ، وهو من أمير المؤمنين عليه السلام .

وتارة اخرى ذكر أن الامام أباعلى شقيق البلخى أخذها عن الامام أبى عمرو

(ج ١٣) ذكر من نسب الى التصوّف من علمائنا الأعلام «قد» ودفعه (٤١٥)

موسى بن زهد الفراعى عن اويس القرنى ره عن أمير المؤمنين على عليه السلام .  
فكتب في الحاشية أن سلسلتهم تنتهى إلى ذى النون المصرى ، وشيخ زوالنون  
كان من تلامذة مولينا و سيدنا الحسن الأخير العسكري عليه و على ابنه الحجّة  
وآبائه السلام، انتهى .

أقول: فانظروا إلى هذا الاحسائي الشيعي باعتقاده كيف هبت به ريح الهوى  
إلى قبة هذه الفئة ، فضل و جار عن قصد السبيل ، وقال غير الجميل ، وسار بغير  
دليل ، وتاه متاه بنى اسرائيل ، ولم يفهم مضادة الحسن البصرى السامرى مع أئمتنا  
لاسيما مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام ، ولم يعلم أن هذه الاختلافات  
في الروايات العامية الملاحدة من أعظم القوادح فيها كيف ولم يذكر مادونه هذا  
الرجل في كتابه شيخ الطائفة المحققة فمن دونه ، ولو كان له أصل لذكره وليس  
فليس إلى أن قال :

نعم ذكر الجامي في ترجمة الشيخ محيي الدين المغربي من كتاب النفحات  
أن نسبة خررقته في التصوّف تصل إلى الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني  
بواسطة واحدة .

وبالجملة للجامي في الكتاب المذكور ، والسهروردي في كتاب العوارف ،  
وهبة الله الاصفهاني في كتاب الخمسين ، وشمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى الشافعي  
في خاتمة عواليه ، وغيرهم من علماء العامة المتصوّفة هذيان طويل في أمر الخرقه  
وأحكامها .

و الفاضل الاحسائي سرقه منها و أسرف في تزيينه وتشهيره ولا جناح عليهم  
في هذا الاجماع منهم ، فان من الأمثال المشتهرة : عند الخنازير تنفق العذرة .  
قال ذكر السيد نظام أحمد في خاتمة أربعينه عند ذكره الأسانيد التي كانت  
له في المصافحة والمصاحبة ولبس الخرقه ماهذه عبارته :

لبس الشيخ حاتم الأصم من الشيخ شقيق البلخي ، وهو من الشيخ ابراهيم بن  
أدهم ، وهو من موسى بن يزيد الراعى ، وهو من مقدم التابعين اويس القرنى ، وهو



(٤١٦) ذكر من نسب إلى التصوف من علمائنا الأعلام «قد» ودفنه (ج ١٣)

من أمير المؤمنين أبي حفص عمر وأبي الحسن رضي الله عنهما ، وهما من رسول الله ﷺ .  
وقال في موضع آخر منه : قال الشيخ العارف الرباني أبو بكر الهوارا : رأيت  
النبي ﷺ في المنام وطلبت لبس الخرقه منه ، فأشار صلوات الله وسلامه عليه  
إلى أبي بكر الصديق ، فألبسنيها .

و في موضع آخر منه قال شيخ الاسلام أبو البيان الدمشقي القرشي الشافعي  
لبستها من سيدنا رسول الله ﷺ ومن الخضر المعمر ﷺ وذلك في اليقظة التي  
لاشك فيها ولا ريب عند أهل الايمان بالغيب .

قال : أقول : ولكن ليس هذا بأعجب من ساير ما يقوله في ذلك الكتاب  
بلاشك ولا ريب مثل أنه كتب في مبحث السلوك منه أنه قال أمير المؤمنين ﷺ  
إن الله تعالى شراباً إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا  
ذابوا اخلصوا ، وإذا اخلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا  
وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لافرق بينهم وبين حبيبيهم انتهى .

قال : أقول : جاء هذا الخبر من طريقنا معاشر الشيعة الامامية الموحدة  
هكذا وفي شرح مختصر العضدى للحاجبي قال على ﷺ : إذا شرب سكر ، وإذا  
سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، فأرى عليه حد المقتري ، انتهى .

ومما يضحك منه العيوس القمطيرير أن الطيب الجيلاني المدعو بالمؤمن  
ذكر في رسالة الملعونة أن هذا الحديث مذکور في كتاب صحيفة الرضا ﷺ  
وكتب في مبحث الكشف منه أنه نقل أنه ﷺ قال : رأيت ربّي ليلة المعراج في  
أحسن صورة فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت علوم الأولين  
والآخرين (١) انتهى كلامه رفع مقامه .

(١) هذا الحديث من مجموعات العصابة كما يشمر به مانقله القيصري في الفصل  
السابع من ديباجة شرح الفصوص هكذا ، عهد الرحمن بن عوف عن عايشة قالت قال  
رسول الله (ص) : رأيت ربّي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : فيما يختصم الملاء  
الأعلى يا محمد ؟ قلت : أنت أعلم أي ربّي مرتين قال : فوضع الله كفه بين كتفي فوجدت  
بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الأرض ، ثم تلى هذه الآية : وكذلك نرى  
ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ؛ انتهى ، منه . ج ٢٦ :

وقد أُنبتت بنقله تنبيهاً لك على اعتماد الاحسائي على أحاديث المخالفين  
وركونه إلى أخبار الناصبين ، وليته قنع بذلك ولم يسع في تخريب قواعد الدين  
حيث انحرف عن مناهج المشرّعين ، و ولع بترويج طريقة المتصوفين ، و تشهير  
مزخرفات المبتدعين جزاء الله ما يستحقّه يوم حشر الأولين والآخريين .

هنا آخر المجلد الثالث عشر من هذه الطبعة النفيسة وتمّ تصحيحه وتهذيبه  
بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجي - عفى عنه وعن والديه في -٢٢-  
من شهر محرم الحرام -١٣٨٣- و يليه انشاء الله المجلد الرابع عشر  
وأوله : «المقام الثامن في الاخبار الواردة في ذمّ الصوفية»  
والحمد لله رب العالمين .

### استدراك

تقدم حديث شريف في ص ٣٢ نقلا عن عقاب الأعمال مضطرب الألفاظ  
غير مستقيم المعنى ولم يحضرني العقاب عند الطبع حتى اراجعه فأثبتناه بعينه على  
ما في الطبعة الأولى حفظاً للأمانة في النقل ، و بعد الطبع راجعنا العقاب فوجدنا  
الحديث فيه ص ٢٠٧ هكذا : محوت المحكم من كتاب الله . وفيه : محيط لوطلع  
منه . و فيه : أهل ذلك الوادى من حرّ ذلك الوادى ونثنه وقذره و ما أعدّ الله فيه  
لأهله ، وانّ في ذلك الوادى لجبالا يتعوى ذون أهل ذلك الوادى من حرّ ذلك الجبل .  
وفيه : اقلبياً يتعوى ذ أهل ذلك الشعب . وفيه : بولس .

ايضاً ص ٢٩١ س ٩ ومن مواضع عيسى عليه السلام الخ ، هذا الحديث مذكور في  
تحف العقول إلاّ أنّه زاد فيه بعد قوله : في حيرة كلمة : لفعل . و ذكر بدل قوله :  
تنفع ولا يؤكل : ينفع ويؤكل .

ايضاً ص ٣٠٦ س ٤ قول المصنف : وأمّا الأخبار فمنها « الخ » هذا الحديث  
مذكور في الكافي إلاّ أنّ فيه : ولي الضلالة ، بدل اولى الضلالة وسأل ، بدل سئل .  
فليكن على ذكر منك .  
« المصحح »

# يك مؤلفه بزرگ

## کتاب شریف « منهاج البراهة في شرح نهج البلاغة »

تأليف علامه محقق مرحوم حاج ميرزا حبيب الله هاشمي خوئي قدس سره .  
که بتصديق علماء و دانشمندان بهترين و جامعترين شروح نهج البلاغه است که تا کنون بچاپ رسیده و متأسفانه مؤلف طاب ثراه قبل از اتمام شرح بدار بافي ارتحال نموده و اين گوهر گرانبها ناقص مانده و کتابخانه اسلاميه مفتخر است که کتاب مزبور را بنیکو ترين صورت با متن و معرب و تصحيح کامل از نسخه خط مؤلف بچاپ رسانيد و سيزده جلد آن را تا کنون از طبع خارج گردیده و مسمّم شد که آن را تکميل نمايد و تتمه نهج البلاغه را از اواخر خطب تا آخر کتاب که شامل رسائل و مکاتيب و کلمات فصاح حضرت أميرالمؤمنين عليه السلام با شرحی باسلوب و روش اول بطبع رساند و در دسترس طالبان قرار دهد و شرح چنين کتاب متوقف بر تبجر در لغت و ادب و تاريخ و فنون متنوعه است و البته بايد بعبارت صحيح عربی نوشته شود و پس از مشاوره با چند

(۱۳۴)

تن از دانشمندان تصمیم بر آن گرفتیم که تکمیل آن را بعهده جناب دانشمند  
فاضل حضرت حجّة الاسلام آقای حاج شیخ حسن حسن زاده آملی زاد الله فی  
توفیقه و اگذار کنیم که شرائط تالیف چنین اثر نفیس از ایشان متوقع بود  
خوشبختانه ومعظم له این تفاض را پذیرفته اند چون تا آخر جلد چهاردهم تالیف  
مرحوم خوئی علیه الرحمه است از جلد پانزدهم تا آخر کتاب را آقای آملی  
تکمیل نموده با تقریظ دانشمند شهیر حضرت حجّة الاسلام والمسلمین آقای حاج  
میرزا ابوالحسن شعرانی دامت برکاته وتصحیح فاضل محترم آقای میانجی  
وفقه الله تعالی چاپ و منتشر خواهد شد و خریداران و علاقمندان این کتاب شریف  
دوره شرح خود را تکمیل خواهند نمود و کتابفروشی اسلامیة بمنظور کمک  
بمشتراکین / ۲۰۰ ریال بقیه حق اشتراک دوره را برای ۲ جلد آخر کتاب محفوظ  
داشته و محسوب میدارد و جلد ۱۳ و ۱۴ تا در جلد ماقبل آخر هر جلد ۱۰۰ ریال  
دریافت می شود .

حاج سید اسماعیل کتابچی مدیر کتابفروشی اسلامیة

## فهرس الجزء الثالث عشر من شرح نهج البلاغة

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣٩	الترجمة المختار المأتان والثاني		المختار المأتان والواحد
	في التنفير من الدنيا والترغيب في الآخرة و الأمر بأخذ الزاد ليوم المماد .	٢	قاله <small>عليه السلام</small> عند دفن الزهراء <small>عليها السلام</small> وجه تسميتها <small>عليها السلام</small> بفاطمة وتلقبها بسيدة النساء والزهراء .
٤٠	في شرح قوله <small>عليه السلام</small> : فقدّموا بعضاً يكن لكم ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم ، وذكر بعض الاخبار المناسبة للمقام و الأخبار الدالة على عدم جواز الحيف في الوصية بتجاوز الثلث .	٤	اختلاف الأخبار في مدّة بقائها <small>عليها السلام</small> بعد أبيها ومدّة عمرها .
٤٣	تكملة في نقل المختار على رواية غير السيد «ره»	٩	في كلمة الاسترجاع وأنها توجب السلوة .
٤٧	الترجمة المختار المأتان والثالث	١٣	في معاني الهضم ومناسبتها للمقام .
٤٨	كان كثيراً ما ينادى <small>عليه السلام</small> به أصحابه .	١٤	تذنيب في ذكر شطر من الأخبار الواردة فيما وقع عليها <small>عليها السلام</small> من الظلم وبكائها وحزنها وشكايتها في مرضها وكيفية وفاتها ودفنها .
٥٢	التي على طريق المحشر .	١٦	خاتمة في ذكر بعض الأخبار الواردة في كيفية مجيئها سلام الله عليها إلى المحشر وتظلمها يوم القيامة .
٥٥	في نقل المختار على رواية البحار .	٣٠	تكملة في نقل المختار على رواية الكليني و المجلسي «قد»
		٣٥	

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٩٥	يتسرع إلى الحرب . تنبيه في إثبات أن الحسن والحسين <small>عليهما السلام</small>	٥٦	الترجمة المختار المأتان والرابع كلم <small>عليه السلام</small> بهطلحة والزبير بعد بيعتهما بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتها .
٩٨	إبنا رسول الله <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> . قصة لطيفة في احتجاج سعيد بن جبير . عند الحجاج واثبات أن الحسن والحسين <small>عليهما السلام</small> إبنا رسول الله <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> من القرآن ١٠٤	٥٦	تكملة وتبصرة ذكر بيعة الناس علياً <small>عليه السلام</small> بعد مضي عثمان .
١٠٥	تكميل في ذكر نبذ من مناقب الامامين الهما من الحسن والحسين <small>عليهما السلام</small> .	٦٨	ما رواه الشارح المعتزلي في كيفية بيعتة <small>عليه السلام</small> وإنكار من أنكر عليه .
١١٦	الترجمة المختار المأتان والسابع قاله <small>عليه السلام</small> لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة .	٧٤	الترجمة المختار المأتان والخامس في منعه <small>عليه السلام</small> أصحابه من السب وارشاده إلى كرايم الأخلاق .
١١٧	الترجمة المختار المأتان والثامن قاله <small>عليه السلام</small> لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة .	٨١	في جواز السب وعدم جوازه مطلقاً أوفي الجملة وحرمة سباب المؤمن .
١٢٠	الترجمة المختار المأتان والتاسع قاله <small>عليه السلام</small> لعلاء بن زياد الحارثي لما رأى سعة داره ولأخيه عاصم بن زياد لما رآه لبس العباء وتخلّى من الدنيا .	٨٣	في جواز سب الكافر والظالم . تكملة في نقل المختار على رواية الشارح المعتزلي .
		٨٦	الترجمة المختار المأتان والسادس قاله <small>عليه السلام</small> لما رأى ابنه الحسن <small>عليه السلام</small>

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
تكلمة		أما العقائد	
في نقل المختار على رواية غير السيد . ١٣٠		فمنها اعتقادهم بالحلول والاتحاد . ١٤١	
تنبيه		إبطال الشارح المصنّف «قد» القول	
على مذهب الصّوفية وهداية ومقدمة		بوحدّة الوجود بالدليل العقلي بعد	
الشارح المصنّف «قد» في المقام . ١٣٢		تمهيد مقدمة في الفرق بين الواجب	
في شرح حال الصّوفية وبيان عقايدهم		تعالى والممكن	١٥٣
ووجه تسميتهم وغير ذلك وتفصيلها		نقل كلام لصدر المتألهين واعتراض	
في مقامات .	١٣٢	بعض الاساطين عليه . ١٦٤	
		نقل كلام للمقصرى ورده . ١٦٨	
		إبطال القول بالحلول و الاتحاد	
		بالأدلة النقلية . ١٧٠	
		الدليل الاول	١٧٠
		الدليل الثانى	١٧١
		الدليل الثالث	١٧١
		الدليل الرابع	١٧٧
		وفيه وجوه من الدلالة :	
		اولها قوله <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> لا تحجبه السواتر ١٧٨	
		الوجه الثانى	١٨٦
		الوجه الثالث والرابع	١٩٠
		الدليل الخامس	
المقام الاول			
في وجه تسميتهم بالصّوفية . ١٣٥			
المقام الثانى			
في ابتداء ظهور هذه الطائفة واختلاف			
الأقوال والروايات في ذلك	١٣٨		
المقام الثالث			
في ذكر عقايدهم الفاسدة وأعمالهم			
الباطلة .	١٤١		

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
أكثر فقرات الخطبة المائة والثانية	١٩٠	والستين	
فمنها قوله ﷺ : حدّ الاشياء «الخ»	١٩٠	ومنها قوله ﷺ : لا تقدّره الأوهام	
ومنها قوله ﷺ : لا تقدّره الأوهام	٢٠٨	بالحدود والحركات « الخ »	
ومنها قوله ﷺ : الظاهر لا يقال	٢١٠	مما « الخ »	
الدليل السادس		قوله ﷺ : لذعب اليماني : لا	
تدرّكه العيون بمشاهدة العيان «الخ»	٢١٠	الدليل السابع	
قوله ﷺ : الحمد لله الذي لا تدرّكه		الشواهد ولا تحويه المشاهد « الخ »	٢١٢
الدليل الثامن		أكثر فقرات الخطبة المائة والخامسة	
والثمانين	٢١٤	فمنها قوله ﷺ : ولا حقيقته أصاب	
من مثله « الخ »	٢١٤	ومنها قوله ﷺ : كلّ معروف	
ومنها قوله ﷺ : كلّ معروف	٢١٤	بنفسه مصنوع « الخ »	
ومنها قوله ﷺ : غنى لا بالاستفادة	٢١٥	ومنها قوله ﷺ : يخبر لا بلسان	
ومنها قوله ﷺ : يخبر لا بلسان	٢٢٠	ولهوات « الخ »	
العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
حديث شريف لأبي الحسن الرضا عليه السلام		و من عقايدهم	
في التوحيد وإبطال مقال الصوفية	٢٢٤	عدم خلود الكفار في النار	٢٤١
وقلع أساس بنيان مذهبهم	٢٢٧	و من عقايدهم	
شرح جملة الحديث الشريف		القول بالجبر كالأشاعة	٢٥٧
و من عقايدهم		و من عقايدهم	
عدم خلود الكفار في النار	٢٤١	سقوط العبادات عن السالك إذا بلغ	
و من عقايدهم		مرتبة الكمال	٢٥٩
القول بالجبر كالأشاعة	٢٥٧	وأما الأفعال والأعمال	
و من عقايدهم		فمنها اعتمادهم على الأحاديث	
سقوط العبادات عن السالك إذا بلغ		المجهولة	٢٦٥
مرتبة الكمال	٢٥٩	و منها التزامهم بكون ورودهم	
وأما الأفعال والأعمال		و صدورهم بدلالة المرشد	٢٦٧
فمنها اعتمادهم على الأحاديث		و منها الغناء والرقص والتصفيق	٢٧٥
المجهولة	٢٦٥		
و منها التزامهم بكون ورودهم			
و صدورهم بدلالة المرشد	٢٦٧		
و منها الغناء والرقص والتصفيق	٢٧٥		



العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
وقل كلام للشيخ على بن الشيخ		وقل كلام للشيخ على بن الشيخ	
عجائب العالمى سبط الشهيد الثانى «قد»		عجائب العالمى سبط الشهيد الثانى «قد»	
فى الطعن على الصوفية	٢٨٢	فى الطعن على الصوفية	٢٨٢
تذييل		تذييل	
للمصنف «قد» فى التنبيه على هفوات		للمصنف «قد» فى التنبيه على هفوات	
محمى الدين وآثامه وأباطيل الغزالى		محمى الدين وآثامه وأباطيل الغزالى	
وتبرهاته .	٢٩٢	وتبرهاته .	٢٩٢
الاول من أباطيل الغزالى عدم		الاول من أباطيل الغزالى عدم	
تجويزه للمعنى على يزيد .	٢٩٢	تجويزه للمعنى على يزيد .	٢٩٢
الثانى دعواه أنه يستفيد من الملائكة		الثانى دعواه أنه يستفيد من الملائكة	
والأنبياء <small>عليهم السلام</small> و مشاهدته لهم كما		والأنبياء <small>عليهم السلام</small> و مشاهدته لهم كما	
يريد .	٢٩٩	يريد .	٢٩٩
اعتراض الشارح المصنف «قد» على		اعتراض الشارح المصنف «قد» على	
الغزالى ومن حذا حذوه .	٣٠٢	الغزالى ومن حذا حذوه .	٣٠٢
ذكر أن مرجع تلك الدعوى إلى		ذكر أن مرجع تلك الدعوى إلى	
أحد امور :		أحد امور :	
الأول	٣٠٣	الأول	٣٠٣
الثانى	٣٠٤	الثانى	٣٠٤
الثالث	٣٠٧	الثالث	٣٠٧
قصة عجيبة للمتنبى فى حبس المطر .	٣٠٧	قصة عجيبة للمتنبى فى حبس المطر .	٣٠٧
تحقيق لطيف للشيخ المفيد «قد»		تحقيق لطيف للشيخ المفيد «قد»	
فى الكشف بالرؤيا والمنام .	٣١٠	فى الكشف بالرؤيا والمنام .	٣١٠
العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
ومنها منعمهم من طلب الرزق		ومنها منعمهم من طلب الرزق	
زعموا منهم أنه مناف للتوكل .	٣١٥	زعموا منهم أنه مناف للتوكل .	٣١٥
بعض الأخبار الواردة فى طلب		بعض الأخبار الواردة فى طلب	
الرزق .	٣١٧	الرزق .	٣١٧
كلام ابن العربى فى فتوحاته		كلام ابن العربى فى فتوحاته	
واعترضات الشارح «قد» عليه .	٣١٨	واعترضات الشارح «قد» عليه .	٣١٨
<b>المقام الرابع</b>		<b>المقام الرابع</b>	
فى نبذ من صلاىف الصوفية و واقعاتهم		فى نبذ من صلاىف الصوفية و واقعاتهم	
العجيبة وذكر الواقعة الاولى .	٣٢١	العجيبة وذكر الواقعة الاولى .	٣٢١
الواقعة الثانية .	٣٢٣	الواقعة الثانية .	٣٢٣
الواقعة الثالثة .	٣٢٩	الواقعة الثالثة .	٣٢٩
<b>المقام الخامس</b>		<b>المقام الخامس</b>	
فى كرامات الصوفية وتبرهاتهم وذكر		فى كرامات الصوفية وتبرهاتهم وذكر	
كرامات لمحمى الدين ابن العربى		كرامات لمحمى الدين ابن العربى	
وقضيب البان الموصلى وأبى يزيد		وقضيب البان الموصلى وأبى يزيد	
البسطامى وغيرهم .	٣٣٠	البسطامى وغيرهم .	٣٣٠
اعتذار الغزالى والذهبى و اعتراض		اعتذار الغزالى والذهبى و اعتراض	
الشارح المصنف «قد» عليهما .	٣٣٨	الشارح المصنف «قد» عليهما .	٣٣٨
شرح حال الحلاج وبيان مطاعنه .	٣٤٥	شرح حال الحلاج وبيان مطاعنه .	٣٤٥

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
فتوى العلماء بقتل الحلاج وكيفية قتله .	٣٥١	كلام المقدّس الأردبيلي « قد »	٣٨٣
<b>المقام السادس</b>			
في منشاء الكرامات وخوارق العادات المادرة من الصّوفية .	٣٥٣	كلام الشارح المصنّف « قد » في المقام .	٣٩٥
ومنها الشعبدة ومنها التنجيم .	٣٥٤	كلام المحدث الجزائري « قد » في مطاعنهم .	٣٩٦
ومنها الكهانة ومنها السحر .	٣٥٥	كلام المحدث الفايض القاساني « قد »	٣٩٩
ومنها استخدام الجنّ والشياطين	٣٥٦	في ذلك	
كلام الشارح المصنّف « قد » في المقام ٤٦٠		كلام الزّمخشري والسيد الشريف	
<b>المقام السابع</b>			
في ما ذكره علماء الأعلام « قد »		الجرجاني والفخر الرازي والدميري	
من مطاعن الصّوفية وكشف سوء آتهم		و المحدث البخاري وغيرهم في ذلك	٤٠٤
و كلام الشيخ الصدوق و المفيد		تنبيه وهداية	
والطوسي « قد » في ذلك .	٣٦٢	في ذكر من نسب إلى التّصوّف من علمائنا الأعلام « قد » و جواب	
كلام العلامة الحاتّي و الشهيد الأوّل « قد » في ذلك .	٣٦٤	الشارح ودفعه عنهم .	٤١٠
كلام الشهيد الثاني « قد » في ذلك .	٣٦٧	تفصيل خرقة الصّوفية .	٤١٤
كلام المجلسي الأوّل « قد » في ذلك	٣٦٩	الفهرس	٤٢٠
كلام العلامة المجلسي « قد » في ذلك	٣٧١		